وصف الجنة

كأنك تراها

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: وصف الجنة كأنك تراها
جمع وترتيب: طاهر بن محمد بن علي صريم السماوي
رقم الإيداع: ١٦٩٨٠/٢٠٢٠.
نوع الطباعة: لون واحد.
عدد الصفحات: ٥٢٠ .
القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:
مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية
أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / عادل المسلماني .

٢٠٢٠

الإدارة
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات
دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail
dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

وصف الجنة

كأنك تراها

جمع وترتيب

طاهر بن محمد بن علي صيدم السماوي

غفر الله له

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذا كتاب «**وصف الجنة كأنك تراها**» قد جمعت فيه الآيات والأحاديث الصحيحة المتعلقة بنعيم الجنة وصفتها مبينة بكلام السلف الصالح والعلماء الربانيين لما لذلك من الأثر العظيم على النفوس، تلك الجنة التي قال عنها ربنا سبحانه :﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾** ﴾ [القمر :٥٤-٥٥].

وفي الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾** ﴾ [السجدة :١٧] .

وقد جعلت هذا السفر المبارك مقسم على أبواب بدأت ذكرها بكلام الله ثم الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم شرحت هذه الآيات والأحاديث مبينة بأسلوب علمي سهل لألفاظها من كلام أهل العلم الأجلاء وقد استفدت في كثير من شروح الأحاديث من موقع الباحث الحديثي وما فيه من شرح لكثير من الأحاديث بشرح طيب وجميل فيستفيد من هذا الكتاب طالب العلم في الخطب والمحاضرات وكذلك من لم يكن من طلاب العلم لمافيه من الشرح المبسط والسهل وما فيه من الترتيب للأبوب والمسائل التي تُقرأ فتفهم

بأبسط شرح.

فإن أصبت فمن الله تعالى وتوفيقه لي وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، فأرجوا ممن وجد نقصاً في هذا دلالتي إليه وتنبهي عليه شاكرا له فعله داعيا له في سعيه ولن يجد إلا قبولاً للنصح والتوجيه راجعاً عن الخطأ والزلل فحفظكم الله إخواني جميعا على هذا وعلى غيره.

هذا ونسأل الله تعالى أن يجعله مكفرا للذنوب ، نافعاً لي في الدنيا والأخرة ، وأن يكتب الأجر والمثوبة، وأسأل الله تعالى لهذا الكتاب النفع لجميع المسلمين ، وأن يأخذ بقلوبنا إلى الجنة ، وأن لا يجعل طمعنا في دنيا ولا مال ولا جاه ، إنه جواد كريم ، والحمد لله رب العالمين.

كلمة شكر

عن أبي هريرة- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لا يشكر الله من لا يشكر النّاس». [الترمذي(١٩٥٤) وصححه العلامة الألباني - رحمه الله تعالى -].

أولاً: الشكر الأوفر والأكمل الذي لا يعد ولا يحصى كله لله تعالى الشكور الشاكر سبحانه الذي لا نستطيع أن نقوم بما أمر ولا نؤدي شكر ما أنعم الذي أمر بالشكر وجعل نفعه على من شكره قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان: ١٢] ، والذي وعد بالزيادة لمن شكره ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم: ٧] ، فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن.

ثانياً: الشكر الجزيل لوالديَّ الكريمين حفظهما الله وغفر لهما وأعلى درجاتهم في الجنة فإنهما من أعظم الأسباب التي دفعتني إلى طلب العلم فقد قاما حفظهما الله بالتشجيع والتعاون بما يقدران عليه من أجل إعانتي على طلب العلم حفظهما الله وغفر لهما وأعلى درجاتهما يارب.

ثالثاً: الشكر العظيم لمشائخي الذين تعلمت على أيديهم ونهلت من غزير علمهم وفائدتهم غفر الله لنا ولهم وأعلى نزلهم ونسأله تعالى أن يمدهم بطول عمرهم في طاعته وأن يثبتنا وإياهم على الحق حتى نلقاه.

رابعاً: أشكر إخواني طلاب العلم الذين كنت أدارسهم بعض الفوائد وأناقشهم في بعض المسائل التي تفتح الذهن ويستفيد منها الطالب ويتفتح لها الذهن وكذلك أشكر

إخواني الأشقاء وأهلي جميعا - وفقهم الله تعالى - ممن ساعدني وشجعني على طلب العلم فجزاهم الله خيراً جميعا ونسأل الله أن يوفقنا وإياهم وأن يجمعنا جميعا في دار كرامته مع الذين أنعم الله عليهم إنه جواد كريم.

الباب الأول
الثقة في وعد الله للمؤمنين بدخول الجنة

الآيات في هذا المعنى كثيرة منها - قول الله تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ [النساء:١٢٢] .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى -:

ولما بين مآل الأشقياء أولياء الشيطان ذكر مآل السعداء أوليائه، فقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢ ﴾ أي: ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره على الوجه الذي أمروا به علماً وتصديقاً وإقراراً. ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الناشئة عن الإيمان ؟.

وهذا يشمل سائر المأمورات من واجب ومستحب، الذي على القلب، والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح.

ويفوته ما رتب على ذلك بحسب ما أخل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسُنَّة رسوله » .

ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقول الله تعالى -: ﴿ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر، من أنواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلية، والفواكه المستغربة، والأصوات الشجية، والنعم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، والأسماع بخطابه الذي ينسيهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فلله ما أحلى ذلك النعيم وما أعلى ما أنالهم الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمام ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ . فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقاً وخبره حقاً، كان ما يدل عليه مطابقةً وتضمناً وملازمة كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطلق إلا عن وحيه. [تيسير الكريم الرحمن(٢٠٤)].

وقول الله تعالى -: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الزمر:٢٠].وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأعراف :٤٤] .

وقال جل شأنه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[التوبة :٧٢].

وقال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ -: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾[الرعد:٥٣].

وأخبر عن حال أهل الإيمان أنهم يقولون -: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [السراء:١٠٨]. وقال الله جل شأنه -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾[لقمان: ٨-٩].

وأخبر عن وعده بأنه وعد الصدق فقال الله جل شأنه -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[الأحقاف: ٦١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وأهل الإيمان عملوا بهذه الآيات، وعلموا أن وعد الله حق فوثقوا في ذلك، وكانت دافعة لهم لقوة الإيمان وزيادته، والحرص على الجهاد والقتال في سبيل الله تعالى.

ولا أدل على ذلك من موقف عمير بن الحمام - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - فعن أنس بن مالك -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: بعث رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بسيسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «قال لا أدري ما استثنى بعض نسائه» قال فحدثه الحديث قال فخرج رسول الله-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فتكلم فقال «إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا» فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال «لا إلا من كان ظهره حاضراً» فانطلق رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه» فدنا المشركون فقال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال: يقول: عمير بن الحمام الأنصاري يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال «نعم» قال بخ بخ فقال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال لا والله يا رسول الله إلى رجاء أن أكون من أهلها قال «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل

منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة قال فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل. [مسلم(١٩٠١)].

وعن ثابت البناني - رحمه الله تعالى - قال: قال: أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بدراً قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غيبت عنه وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليراني الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له أنس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - يا أبا عمرو أين؟ فقال واهاً لريح الجنة أجدوه دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوُجِد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية قال فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٢]. قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه. [مسلم(١٩٠٣)].

وقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[يس:٢٠-٢٧].

قال الإمام السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ حرصا على نصح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم فقال [لهم] : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر

تأييدا لما شهد به ودعا إليه، فقال: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا ﴾ أي: اتبعوا من نصحكم نصحا يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم ولا أجرا على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه.

بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجرة، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه.

فكأن قومه لم يقبلوا نصحه، بل عادوا لائمين له على اتباع الرسل، وإخلاص الدين لله وحده، فقال الله : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢ ﴾ أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا، ولهذا قال الله: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ ﴾ لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، فلا تغني شفاعتهم عني شيئا، وَلا هُمْ يُنْقذون من الضر الذي أراده الله بي.

﴿ إِنِّيٓ إِذٗا ﴾ أي: إن عبدت آلهة هذا وصفها ﴿ لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ فجمع في هذا الكلام، بين نصحهم، والشهادة للرسل بالرسالة، والاهتداء والإخبار بِتعيُّن عبادة الله وحده، وذكر الأدلة عليها، وأن عبادة غيره باطلة، وذكر البراهين عليها، والإخبار بضلال من عبدها، والإعلان بإيمانه جهرا، مع خوفه الشديد من قتلهم، فقال الله : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥ ﴾ فقتله قومه، لما سمعوا منه وراجعهم بما راجعهم به.

فـ ﴿ قِيلَ ﴾ له في الحال: ﴿ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ ﴾ فقال مخبرا بما وصل إليه من

الكرامة على توحيده وإخلاصه، وناصحا لقومه بعد وفاته، كما نصح لهم في حياته: ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ أي: بأي: شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧ ﴾ بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم. [تيسير الكريم الرحمن(٦٩٥)].

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

عن الضحاك قال: لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوا ربَّهم، فأكرمهم، فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب، قالوا: يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا! فقال الله عَزَّوَجَلَّ: أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ إلى قوله :﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ فهذا النبأ الذي بلَّغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء. [تفسير الطبري(٣٩٥/٧)].

عن أبي إسحاق -رحمه الله تعالى -: ﴿ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ﴾[آل عمران:١٧١] الآية، لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب. [تفسير الطبري (٧/ ٣٩٨)].

وعن إسحاق بن أبي طلحة - رحمه الله تعالى - قال: حدثني أنس بن مالك -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- في أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أرسلهم نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل بئر معونة، قال: لا أدري أربعين أو سبعين. قال: وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء قعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلِّغ رسالة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل هذا الماء؟ فقال -أُراه أبو

ملحان الأنصاري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أنا أبلغ رسالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فخرج حتى أتى حيًّا منهم، فاحتبى أمام البيوت ثم قال: يا أهل بئر معونة، إني رسول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله. فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزتُ ورب الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل قال: قال إسحاق: حدثني أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إنّ الله تعالى أنزل فيهم قرآنًا، رُفع بعد ما قرأناه زمانًا. وأنزل الله -: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ . [أحمد(١٣٢٢٨) والبخاري(٤٠٩٣) مختصراً عن عائشة] .

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عندما سُئل عن قوله تعالى -: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ قال: أمَا إنَّا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طيرٍ خُضْرٍ، لها قناديل معلقةٌ بالعرش تسرحُ من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربُّهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا ربِّ نريدُ أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى ...» الحديث [مسلم(١٨٨٧)].

وعن طَلْحَةُ بنُ خِرَاشٍ - رحمه **الله** تعالى - أنه سَمِعَ جَابِراً -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُوْلُ: قَالَ لِي رَسُوْلُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَلاَ أُخْبِرُكَ أَنَّ اللهَ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحاً، فَقَالَ: يَا عَبْدِي! سَلْنِي أُعْطِكْ. قَالَ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلَ فِيْكَ ثَانِياً. قَالَ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيْهَا لاَ يُرْجَعُوْنَ.قَالَ: يَا رَبِّ! فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي. فَأَنْزَلَ **الله**: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[ابن ماجة (٢٧٨٩) صححه العلامة الألباني].

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة :١١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفتح :١٠].

وقال الله تعالى :﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم :٣٩-٤١] .

الباب الثاني
الطريق إلى الجنة
هو طاعة الله ورسوله على فهم السلف

أولاً : **طرق الجنة العمل الصالح** :

إنّ الجنّة هدف كلّ مسلمٍ وحلم كلّ مؤمنٍ؛ ففيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ، فيها قصورٌ وغرفٌ بناؤها لبنةٌ من ذهبٍ ولبنةٌ من فضّةٍ، وملاطها المسك، وأخرى جوهريّةٌ شفّافةٌ يُرى من داخلها ما في خارجها، وتجري من تحتها الأنهار أعدها وخلقها وأحسن خلقها جَلَّ وَعَلَا.

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾
وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ
بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ
ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ
ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن
تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ
وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟

عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان :٦٣-٧٧].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾. [النساء: ١٣] ، وقد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس: ٩].

إن الطريق إلى الجنة ليس بالهين إذ أنه محفوف بالمكاره والمشاق ولكنه ميسر على من سعى إليه ومشى فيه يثبته الله ويعينه فالجنة هي الهدف الذي نحن من أجله نسعى والجنة هي المكان الذي لا يرتاح العبد إلا فيه وينسى الهموم والمشاكل في حياته الدنيا فكل إنسان نهايته الموت ولا مفر فينبغي أن ينظر ويحرص على حياته بعد الموت فمن أراد الجنة فطريق العلم والعمل ومن أراد المخالفة لهذين الأصلين فقد هلك.

قال ابن رجب- رحمه الله تعالى -:

فمن أدَّى الأمانةَ، وحفظَ حدودَ اللَّهِ ومنعَ نفسَهُ ما يُحبُّه من محارمِ اللَّهِ كانَ عاقبتَهُ الجنةُ؛ كما قال تعالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] ، فلذلك يحتاجُ العبدُ في هذهِ الدارِ إلى مُجاهدةٍ عظيمةٍ، يُجاهدُ نفسَهُ في الله - عَزَّوَجَلَّ فمنْ كانتْ نفسُه شريفةً، وهمَّتُهُ عالية لم يرض لَهَا بالمعاصِي، فإنها خيانة ولا يَرْضَى بالخيانة إلا مَن لا نفسَ لهُ.

قال بعضُ السلفِ: رأيتُ المعاصِي نذالة، فتركتُها مروَّةً فاستحالتْ ديانةً.

وقالَ آخرُ منهُم: تركتُ الذنوبَ حياءً أربعينَ سنةً، ثم أدركني الورعُ.

وقالَ آخرُ: مَنْ عمِلَ في السرِّ عملاً يستحيي منهُ إذا ظَهَرَ عليه، فليسَ لنفسِهِ عندَهُ قدر.

قالَ بعضُهُم: ما أكرمَ العبادُ أنفسَهُم بمثلِ طاعةِ اللّهِ، ولا أهانوها بمثلِ معاصِي اللّه عز وجلَّ. فمنِ ارتكبَ المحارمَ فقد أهانَ نفسَهُ. [تفسير ابن رجب الحنبلي(٨٧/١)].

ثانياً: الطريق إلى الجنة يبدأ من الدنيا:

وقال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧].

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٢]. وقال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ [مريم: ٦٠-٦١]. وقال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾ [الطلاق: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ [التوبة: ٩٩]. وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ

قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾[محمد : ٤-٦]. وقال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[المجادلة: ٢٢].

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٣-١٣٦].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «كلّ أُمّتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». [البخاري(٧٢٨٠)].

وعنه - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله». [البخاري(٧١٣٧)، ومسلم(١٨٣٥)].

ومن أعظم وأجلّ الأعمال التي تُوصِلُ إلى الجنة: طلب العلم النافع: علم الكتاب والسُّنَّة، والعمل بما فيهما، ولهذا قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة»[مسلم(٢٦٩٩)]. فالعبد إذا عمل أعمال أهل الجنة وصل إلى الجنة بتوفيق الله تعالى، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾، ومن

هذه الأعمال على وجه التفصيل والإيجاز ما يأتي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر: خيره، وشره، والعمل بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، وأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وَصِدْق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والوفاء بالوعد، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، واليتيم والمسكين، والمملوك من الآدميين، والبهائم، وإكرام الضيف، وتنفيس الكُرَب عن المكروب من المسلمين، والتيسير على المعسر، وستر المسلم، وإعانته، والإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له ولرسوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -،وخشية الله، ورجاء رحمته، والتوبة والإنابة إليه، والصبر على حكمه، والشكر لنعمه، وقراءة القرآن، وذكر الله، ودعاؤه، ومسألته، والرغبة إليه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله للكفار والمنافقين، وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإن الله أعد الجنة للمتقين: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴿١٣٤﴾ ﴾.

والعدل في جميع الأمور وعلى جميع الخلق حتى على الكفار، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وحسن الخُلُقِ، والدعوة إلى الله، والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، وغير ذلك من أمثال هذه الأعمال التي هي أعمال أهل الجنة، وبها بتوفيق الله يصل العبدُ إلى جنات النعيم وذلك هو الفوز العظيم.

ولا يمكن تفصيل كل الأعمال التي يصل بها الإنسان إلى الجنة؛ لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿ **وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ** ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء: ١٣] .

قال الله تعالى : ﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٨] .

وقال الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١ ﴾[المؤمنون : ١٠-١١] .

قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه قد استقرّت حكمته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنّ السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلاَّ على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلاَّ من باب المكاره والصبر وتحمّل المشاقّ ، ولذلك حفّ الجنة بالمكاره والنار وبالشهوات.

ولذلك أخرج صفيّه آدم من الجنة وقد خلَقها له، واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار إلاَّ بعد التعب والنصب، فما أخرجه منها إلاَّ ليُدخله إليها أتمّ دخول. فلله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت.

وكم بين دخول رسول الله مكة في جوار المُطعِم بن عَديّ ودخوله إليها يوم الفتح.

وكم بين راحة المؤمنين ولذّتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبي لذّتهم لو خلقوا فيها. وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد شتاته وفرحة من لم يذق تلك المرارات. [شفاء العليل (٢٣٤/١)].

ثالثاً : **أعظم طريق الجنة رحمة الله تعالى** :

الحُكمُ بدُخولِ أحَدٍ الجنَّةَ أو بدُخولِه النَّارَ حَقٌّ خالِصٌ للهِ تعالى، ومِن لوازِمِ رُبوبيَّتِه سبحانَه، ومَن نازَعَ اللهَ في رُبوبيَّتِه فهو على شَفا هلَكَةٍ وخطَرٍ عظيمٍ.

عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ -: «لن يُدخِلَ أحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: لا، ولا أنا، إلّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا، ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ: إمّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أنْ يَزْدادَ خَيْرًا، وإمّا

مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعْتِبَ». [البخاري (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦)].

يُؤَكِّدُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ أنَّه لن يُدخِلَ أحدًا عملُه الجنَّةَ، فسأَله الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بقولهم: ولا أنتَ يا رسولَ الله؟! قال: ولا أنا، إلّا أن يتغمَّدَني اللهُ برحمته؛ أي: يُلبِسه إيّاها، ويُغطِّيه بها، ولا تعارُضَ بين هذا وبين قولِه: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢]، لأنَّ الحديثَ يُفسِّرُ هذه الآياتِ وما شابَهَها، وأنَّ معنى ذلك مع رحمةِ اللهِ وبرحمةِ الله؛ إذ مِن رحمةِ الله توفيقُه للعملِ الصّالحِ، وهدايتُه للطّاعات، وأنَّه لم يَستحقَّها بعملِه؛ إذ الكلُّ بفضلٍ من الله تعالى.

وعن ضمضم بن جوس اليمامي - رحمه الله تعالى - قال لي أَبو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: يا يَمامِيُّ، لا تَقولَنَّ لِرَجُلٍ: واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لك، أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ أَبَدًا. قلتُ: يا أَبا هُرَيْرَةَ، إنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقولُها أَحَدُنا لأَخيهِ وَصاحِبِهِ إذا غَضِبَ. قال: فَلا تَقُلْها، فإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: كان في بني إِسْرائيلَ رَجُلانِ، كان أَحَدُهُما مُجْتَهِدًا في الْعِبادَةِ، وكانَ الآخَرُ مُسْرِفًا على نَفْسِهِ، فكانا مُتَآخِيَيْنِ، فكان المجتهِدُ لا يزالُ يَرى الآخَرَ على ذَنْبٍ، فَيَقولُ: يا هَذا، أَقْصِرْ. فيَقولُ: خَلِّني وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عليَّ رَقيبًا؟ قالَ: إلى أَن رَآهُ يَوْمًا على ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فقالَ لهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ. قال: خَلِّني وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيبًا، قال: فقال: واللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لك، أَو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجَنَّةَ أَبَدًا. قال أَحَدُهُما، قال: فبعث اللهُ إِلَيهِما مَلَكًا، فقبض أَرْواحَهُما، واجْتَمَعا عندَهُ، فقال لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وقال لِلآخَرِ: أَكُنْتَ بي عالِمًا، أَكُنْتَ على ما في يَدِي قادِرًا، اذْهَبُوا بِهِ إِلى النّارِ. قال: فوالَّذي نَفْسُ أَبي الْقاسمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْياهُ وَآخِرَتَهُ. [صحيح أبي داود (٤٩٠١)].

فقول الله عَزَّ وَجَلَّ للمجتهِدِ: «كنتَ بي عالِمًا، أو كنتَ على ما في يَدي قادِرًا؟»، وهذا إنكارٌ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عليه فيما حَكَم به على المذنبِ بعدمِ دُخولِه الجَنَّةَ، أو أَنَّ اللهَ تعالى لن يَغفِرَ له، «وقال»، أي اللهُ تعالى «للمذنِبِ: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ برَحمتي»، يعني: قد غفرْتُ لك، «وقال للآخَرِ»؛ وهو المجتهِدُ في عِبادتِه: «اذْهبوا بهِ إلى النَّارِ»؛ وذلك لأنَّه تكلَّمَ على

اللّهِ بغيرِ علمٍ، وجزَمَ بأمرٍ هو للهِ وليس لبَشرٍ، ولأنَّه حكَمَ على اللهِ تَعالى، وجعَلَ المذنِبَ آيِسًا من رَحمتِهِ، وحَكَمَ بكونِ اللهِ غيرَ غَفورٍ.

قيل: وسبب عقاب المجتهدِ هو أنَّه صدَرَ هذا الكَلامُ عنه في حالِ غضَبِه- ولو كان للهِ لسومِحَ بهِ- لكن لَمَّا كان مَغرورًا باجتِهادِه محتقِرًا للمذنِبِ؛ لأجْلِ الإصْرارِ على ذنْبِه استحَقَّ العُقوبةَ. وليس في الحَديثِ دَلالةٌ على كُفْرِ هذا المُجتهِدِ حتى يكونَ مخلَّدًا في النَّارِ.

قال أبو هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «والَّذي نفْسِي بيدِه، لتكَلَّمَ بكلِمةٍ أوْبقَتْ دُنياه وآخِرتَه»، أي: أحبطَتْ عمَلَه في دُنياه وخسَّرَتْه آخِرتَه.

وفي الحَديثِ: أنَّ على صاحِبِ الطاعاتِ ألَّا يأمنَ مكْرَ اللهِ تعالى، وأنَّ على صاحِبَ المعصيةِ ألَّا ييْئَسَ مِن رحمةِ اللهِ.

رابعاً: حرص الصحابة عن السؤال عن طريق الجنة:

عن أبي هريرة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقالَ: دُلَّنِي على عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهادَ؟ قالَ: «لا أجِدُهُ» قالَ: «هلْ تَسْتَطِيعُ إذا خَرَجَ المُجاهِدُ أنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ ولا تَفْتُرَ، وتَصُومَ ولا تُفْطِرَ؟»، قالَ: ومَن يَسْتَطِيعُ ذلكَ؟ قالَ أبو هُرَيْرَةَ: إنَّ فَرَسَ المُجاهِدِ لَيَسْتَنُّ في طِوَلِهِ، فيُكْتَبُ له حَسَناتٍ. [البخاري (٢٧٨٥)].

وعن أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -أنَّ أعْرابِيًّا أتى النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقالَ: دُلَّنِي على عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ المَكْتُوبَةَ، وتُؤَدِّي الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضانَ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا أزِيدُ على هذا، فَلَمّا ولّى، قالَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: مَن سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا». [البخاري (١٣٩٧)، مسلم(١٤)].

وعن أبي أيوب الأنصاري-رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقالَ: دُلَّنِي على عَمَلٍ أعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الجَنَّةِ، ويُباعِدُنِي مِنَ النّارِ، قالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ

به شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصِلُ ذا رَحِمِكَ». فَلَمّا أَدْبَرَ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنْ تَمَسَّكَ بما أُمِرَ به دَخَلَ الجَنَّةَ. وفي رِوايَةِ ابْنِ أَبِي شيبَةَ: إنْ تَمَسَّكَ بهِ». [مسلم (١٣)].

وعن البراء بن عازب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - جاء أعرابيٌّ إلى رسولِ اللهِ فقال: يا رسولَ اللهِ عَلِّمْني عَمَلًا يُدخِلُني الجنَّةَ، قال: «لَئِن كُنتَ أَقصَرتَ الخُطبةَ لَقد أَعرَضْتَ المَسألَةَ: أعتِقْ النَّسَمةَ، وفُكَّ الرَّقبَةَ»، قال: أَوَلَيسا واحدًا؟! قال: «لا، عِتقُ النَّسَمةِ أنْ تُفرِدَ بِعِتقِها، وفَكُّ الرَّقبةِ أن تُعينَ في ثَمنِها، والمِنحةُ الوَكوفُ، والفَيءُ على ذي الرَّحمِ الظّالِمِ، فإنْ لم تُطِقْ ذلكَ فأَطعِمِ الجائِعَ، واسْقِ الظَّمآنَ، وأْمُرْ بِالمَعروفِ، وانْهَ عنِ المُنكَرِ، فإن لَم تُطِقْ ذلكَ فكُفَّ لِسانَك إلّا مِن خيرٍ». [صحيح الترغيب (١٨٩٨)].

وعن معاذ بن جبل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يا رسولَ اللَّهِ أخبِرني بعمَلٍ يُدخلُني الجنَّةَ، ويباعدُني منَ النّارِ، قالَ: «لقد سَألتَ عظيمًا، وإنَّهُ ليسيرٌ على مَن يسَّرَهُ اللَّهُ عليهِ، تعبدُ اللَّهَ لا تشرِكُ بِهِ شيئًا، وتقيمُ الصَّلاةَ، وتؤتي الزَّكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ ثمَّ قالَ: ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جنَّةٌ، والصَّدقةُ تطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ النّارَ الماءُ، وصلاةُ الرَّجلِ مِن جوفِ اللَّيلِ، ثمَّ قرأَ ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ** ﴾ حتّى بلغَ ﴿ **جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ برأسِ الأمرِ، وعمودِهِ، وذروةِ سَنامِهِ؟ الجِهادُ ثمَّ قالَ: ألا أخبرُكَ بملاكِ ذلِكَ كلِّهِ؟ قلتُ: بلى، فأخذَ بلسانِهِ، فقالَ: تَكُفُّ عليكَ هذا قلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ وإنّا لَمؤاخذونَ بما نتَكَلَّمُ بِهِ؟ قالَ: ثَكِلتكَ أمُّكَ يا معاذُ وَهَل يُكِبُّ النّاسَ على وجوهِهِم في النّارِ، إلّا حصائدُ ألسنتِهِم». [صحيح ابن ماجه (٣٩٧٣)].

وعن أبي هريرةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قلتُ يا رسولَ اللهِ إنِّي إذا رأيتُكَ طابتْ نفسي وقَرَّتْ عيني فأَنبِئْني عن كلِّ شيءٍ فقال:«كلُّ شيءٍ خُلِقَ من ماءٍ» قال قلتُ يا رسولَ اللهِ أَنبِئْني عن أمرٍ إذا أخذتُ بهِ دخلتُ الجنةَ قال:«أَفْشِ السلامَ وأَطْعِمِ الطعامَ وصِلِ الأرحامَ وقُمْ بالليلِ والناسُ نِيامٌ ثم ادخلِ الجنةَ بسلامٍ». [إرواء الغليل (٣/ ٢٣٧) وصحيح الجامع (١٠٨٥)].

خامساً: وينبغي الإكثار من الدعاء وسؤال الله تعالى الجنة:

عن أنس بن مالك - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - «من سأل اللهَ الجنة ثلاثَ مراتٍ قالت الجنةُ: اللهم أَدخِلْه الجنةَ، ومن استجار من النارِ ثلاثَ مراتٍ قالت النارُ: اللهمَّ أَجِرْه من النّارِ». [صحيح الترغيب (٣٦٥٤)].

حثَّ الشَّرعُ الحَنيفُ على طلَبِ الجنَّةِ والعمَلِ مِن أجلِ دُخولِها والفَوزِ بنَعيمِها، وبيَّنَ أنَّ ذلك لا يَكونُ إلّا بالتَّشميرِ والاجتِهادِ في أعمالِ الطّاعاتِ، وسُؤالِ اللهِ الفَوْزَ بها.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَن سألَ اللهَ الجنَّةَ ثلاثَ مرّاتٍ»، أي: مَن دَعا اللهَ طالِبًا الجنَّةَ مُلِحًّا في طلَبِه هذا، «قالَتِ الجنَّةُ: اللَّهمَّ أدخِلْه الجنَّةَ»، أي: اللَّهمَّ استَجِبْ له وأجِبْ دُعاءَه وأدخِلْه الجنَّةَ، «ومَن استَجارَ مِنَ النّارِ ثلاثَ مرّاتٍ»، أي: ومَن استَعاذَ باللهِ ودَعا اللهَ سائِلًا، وكرَّرَ الدُّعاءَ ثَلاثَ مرّاتٍ أن يُنجِّيَه مِنَ النّارِ، «قالَتِ النّارُ»، أيْ: تكَلَّمَتِ النّارُ بعدَما سَمِعَت العبدَ يَدْعو اللهَ أن يُنجِّيَه منها: «اللَّهمَّ أجِرْه مِنَ النّارِ»، أي: اللَّهمَّ استَجِبْ له وأجِبْ دُعاءَه وأنجِهِ مِن النّارِ وأعِذْه مِنْها.

وفي الحديثِ: الحَثُّ على سُؤالِ اللهِ الجَنَّةَ والاستعاذةِ به مِنَ النّارِ.

وفيه: بَيانُ تَكلُّمِ الجنَّةِ والنّارِ ودُعائِهما للمُسلِمِ باستِجابَةِ دُعائِه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَ»فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ». [البخاري(٢٧٩٠)].

الباب الثالث
الترغيب في الجنة

قال الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٦].

وقال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بعد أن ذكر شهوات الدنيا: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾

[آل عمران : ١٥-١٧].

عبر بالاستفهام التقريري لاجتذاب الأنظار وتشويق النفوس إلى الجواب. ثم أجاب عن الاستفهام: للمتقين: جنات تجري من تحتها الأنهار، ماكثين فيها أبدا، وزوجات طاهرات من النقائص والفواحش والشوائب كالحيض والنفاس.

وهذا نعيم جسدي مادي: وهو الجنة، ولهم أيضاً: نعيم روحاني وهو رضوان الله الذي لا يشوبه شيء، وهو أعظم وأكبر من كل نعمة ولذة مادية. وقد بدأ بذكر المقر وهو الجنات، ثم ذكر ما يحصل به الأنس التام من الأزواج المطهرة، ثم ذكر ما هو أعظم الأشياء وهو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمانية والفرح الروحاني حيث علم برضا الله عنه.

وقوله: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٌ ﴾:جواب عن الاستفهام،وكلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من أصناف الشهوات، سواء استعملت في محالها ومواضعها التي خلقت من أجله: وهي تحقيق حوائج الناس، أو أسيء استعمالها، وقرن بها الشر والفساد، كما تقول: هل أدلك على رجل عالم، أو تاجر صدوق في السوق؟ هو فلان.

هذه الآية التي اشتملت على بيان نوعين من الجزاء: المادي وهو الجنة والأزواج، والروحي وهو رضوان الله،تشبه قول الله تعالى-:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ [التوبة : ٧٢]. وقوله: ﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد : ٢٠] . [التفسير المنير للرحيلي (١٧٢/٣)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يقول الله تعالى -: أعددتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بشر، ذخراً بَلْهَ ما أطلعكم الله عليه فاقرأوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾». [أخرجه البخاري(٤٧٨٠)، ومسلم(٢٨٢٤) واللفظ لمسلم] .

أي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا توهمه قلب بشر هو على الحقيقة مما لا يعلمه بشر ممن له الأذن والقلب والبصر، فتخصيصه قلب بشر بأن لا يعلمه، يدل -والله

أعلم- أنه يجوز أن يخطر على قلوب الملائكة إلا أنه أفردنا بالمخاطبة في قوله: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]، فدل على جواز أن يعلمه غيرنا. [شرح ابن بطال على البخاري (٤٩٩/١٠)].

قال الحافظ العراقي - رحمه الله تعالى -:

مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ادَّخَرَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ النَّعِيمِ، وَالْخَيْرَاتِ، وَاللَّذَّاتِ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدُ مِنْ الْخَلْقِ بِطَرِيقٍ مِنْ الطُّرُقِ فَذَكَرَ الرُّؤْيَةَ، وَالسَّمْعَ لِأَنَّهُ يُدْرَكُ بِهِمَا أَكْثَرُ الْمَحْسُوسَاتِ، وَالْإِدْرَاكُ بِالذَّوْقِ، وَالشَّمِّ، وَاللَّمْسِ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ زَادَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ طَرِيقًا إلَى تَوَهُّمِهَا بِفِكْرٍ وَخُطُورٍ عَلَى قَلْبٍ فَقَدْ جَلَّتْ وَعَظُمَتْ عَنْ أَنْ يُدْرِكَهَا فِكْرٌ وَخَاطِرٌ، وَلَا غَايَةَ فَوْقَ هَذَا فِي إخْفَائِهَا، وَالْإِخْبَارِ عَنْ عِظَمِ شَأْنِهَا عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ دُونَ التَّفْصِيلِ. [طرح التثريب (٢٧٣/٨)].

وقال المناوي- رحمه الله تعالى -:

قال الله تعالى:«أعددت لعبادي الصالحين» أي: القائمين بما وجب عليهم من حق الحق والخلق «ما لا عين رأت» أي ما لا رأت العيون كلها لا عين واحدة فإن العين في سياق النفي تفيد الاستغراق ومثله قوله: «ولا أذن سمعت» بتنوين عين وأذن وروي بفتحها «ولا خطر على قلب بشر» معناه أنه تعالى ادخر في الجنة من النعيم والخيرات واللذات ما لم يطلع عليه أحد من الخلق بطريق من الطرق فذكر الرؤية والسمع لأن أكثر المحسوسات تدرك بهما والإدراك ببقية الحواس أقل ولا يكون غالبا إلا بعد تقدم رؤية أو سماع ثم زاد أنه لم يجعل لأحد طريقا إلى توهمها بذكر وخطور على قلب فقد جلت عن أن يدركها فكر وخاطر واستشكاله بأن جبريل رآها في عدة أخبار وأجيب بأنه تعالى خلق ذلك فيها بعد رؤيتها وبأن المراد عين البشر وآذانهم وبأن ذلك يتجدد لهم في الجنة كل وقت وبأن جبريل إنما ينظر إلى ما أعد لعامتهم. [فيض القدير(٤٧٤/٤)].

وقال الصنعاني- رحمه الله تعالى -:

ولما كانت الموجودات إما أن تدرك بالبصر أو توصف فتدرك بالسمع أو تخيل فتخطر على البال، أخبر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن نعيم الجنّة وما أعده الله تعالى لعباده لم يكن قد دخل تحت هذه المدارك، وأنه لا يعلمه إلا الله إقناعًا للأنفس وإعلامًا بأن هنالك نعيمًا لا يعرفونه إلا فيها. [التنوير شرح الجامع الصغير(٢١/٤)].

قال الإمام العراقي - رحمه الله تعالى -:

دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَطْلَعَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى مَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِيهَا فَقَدْ رَأَتْهُ عَيْنٌ؟.

قُلْت: الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ أَوْجُهٍ:

أَحَدِهَا: أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ فِيهَا بَعْدَ رُؤْيَةِ جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أُمُورًا كَثِيرَةً لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا جِبْرِيلُ وَلَا غَيْرُهُ فَتِلْكَ الْأُمُورُ هِيَ الْمُشَارِ إلَيْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

ثَانِيهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْيُنِ، وَالْآذَانِ أَعْيُنُ الْبَشَرِ وَآذَانُهَا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ «وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» فَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَلَا مَانِعَ مِنْ اطِّلَاعِ بَعْضِهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ ذَلِكَ يَتَجَدَّدُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.[طرح التثريب(٨/ ٢٧٤)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يَدْخُل الجنة ينعَم ولا ييْأس، ولا تَبْلى ثيابُه، ولا يفْنى شبابُه». [رواه أحمد(٨٨٢٧) بسند صحيح].

وعن سهل بن سعد الساعدي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « موضع سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها». [البخاري(٣٢٥٠)].

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يرفعه قال: «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولَقابُ قوسِ أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة

من نساء أهل الجنة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها - يعني خمارها - خير من الدنيا وما فيها». [البخاري(٢٧٩٦) واللفظ للبخاري، مسلم(١٨٨١)].

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى -:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان : ٢٠] ، فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [المشجية] ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس. وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه. [تيسير الكريم الرحمن(٩٠١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾» [الزخرف:٧٢] . [رواه مسلم(٢٨٣٧)].

الباب الرابع

خَلْقُ الجنة ومكانها

المبحث الأول

مكان الجنة؟

تقع الجنة التي جعلها الله تعالى مقرّاً لإقامة عباده المؤمنين فوق السماوات وهذا ما عليه علماء الإسلام قديماً وحديثاً ولا عبرة لمن شذ عن هذا.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ [المطففين :١٨-١٩] .

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى -: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ وفيها سبعة أقوال:

أحدها: الجنة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، قاله كعب، وهو مذهب مجاهد، وابن زيد. والرابع: أنها قائمة العرش اليمنى، وقال مقاتل: ساق العرش. والخامس: أنه سدرة المنتهى، قاله الضحاك. والسادس: أنه في علو وصعود إلى الله عَزَّوَجَلَّ قاله الحسن. وقال الفراء: في ارتفاع بعد ارتفاع. والسابع: أنه أعلى الأمكنة، قاله الزجاج. [زاد المسير(٤/٤١٦)].

وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى -:

والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظُم واتَّسع؛ ولهذا قال تعالى معظِّماً أمره، ومفخِّماً شأنه: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ ﴾[تفسير ابن كثير(٥٣٩/٢)].

قلت: هو كتاب في الجنة بدليل قوله ﴿ يشهده المقربون﴾ وهو ترجيح السعدي - رحمه الله تعالى - وكما جاء في الحديث عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قال : -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: فَيَقُولُ اللهُ - عَزَّوَجَلَّ -: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ...الحديث» [البخاري(١٢٧٣)].

قَالَ الْفَرَّاءُ: ﴿ عِلِّيِّينَ ﴾ ارْتِفَاعٌ بَعْدَ ارْتِفَاعٍ لَا غَايَةَ لَهُ، وَوَجْهُ هَذَا أَنَّهُ مَنْقُولٌ مِنْ جَمْعِ عَلِّيٍّ من العلوّ. قال الزجاج: هو أعلى الْأَمْكِنَةِ. [فتح القدير(٤٨٧/٥)].

قال السعدي -رحمه الله تعالى -:

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها وأن كتابهم المرقوم ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء، وينوه الله بذكرهم في الملأ الأعلى، و ﴿ عِلِّيُّونَ ﴾ اسم لأعلى الجنة، فلما ذكر كتابهم، ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، ﴿ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ ﴾ [المطففين :٢٣] أي:﴿ عَلَى ﴾ السرر المزينة بالفرش الحسان.

﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم ، ﴿ تَعۡرِفُ ﴾ أيها الناظر إليهم ﴿ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾ [المطففين :٢٤] أي: بهاء النعيم ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذة والسرور يكسب الوجه نورًا وحسنًا وبهجة. [تيسير الكريم الرحمن (٩١٦)].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[النجم :١٣-١٥] .

قال الشوكاني - رحمه الله تعالى -:

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ أَيْ: عِنْدَ تِلْكَ السِّدْرَةِ جَنَّةٌ تُعْرَفُ بِجَنَّةِ الْمَأْوَى، وَسُمِّيَتْ جَنَّةَ الْمَأْوَى لِأَنَّهُ أَوَى إِلَيْهَا آدَمُ، وقيل: إن أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ تَأْوِي إِلَيْهَا.[فتح القدير(١٢٩/٥)].

وعن أنس بن مالك-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قصة الإسراء أنه قال: «...ثم انطلق بي جبريلُ حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى،فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك». [البخاري(٣٣٤٢)، مسلم(١٦٣)].

قال البغوي - رحمه الله تعالى -:

وسئل أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن الجنة: أفي السماء أم في الأرض؟ فقال: وأي أرض وسماء تسع الجنة؟ قيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش.

وقال قتادة: كانوا يرون أن الجنة فوق السماوات السبع، وأن جهنم تحت الأرضين السبع. [تفسير البغوي(٢/ ١٠٤)].

عن سعيد بن أبي راشد - رحمه الله تعالى - قال: إن هرقل كتب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنك دعوتني إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟ ....[السلسلة الضعيفة(٣٦٨٦)].

وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة -رحمهم الله تعالى- عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: إن ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السماوات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل؟ وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة. رواه ابن جرير من ثلاث

طرق.....[مسند أحمد(١٥٦٥٥) رواه الحاكم في المستدرك(٣٦/١) وصححه على شرط الشيخين وقال الهيثمي في المجمع(٣٢٧/٦) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وانظر: تفسير الطبري بتعليق الشيخ شاكر(٢١٢/٧)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ تعالى -: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾. فَأَيْنَ النَّارُ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ إِذَا جَاءَ لَبِسَ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ النَّهَارُ؟ » قَالَ: حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ «وَكَذَلِكَ النَّارُ تَكُونُ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ». [صححه العلامة أحمد شاكر كما في عمدة التفسير (١/ ٤١٤)].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -: وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان، وإن كنا لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث يشاء الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا أظهر.

الثاني: أن يكون المعنى أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب، فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السماوات تحت العرش وعرضها كما قال الله عَزَّوَجَلَّ كعرض السماوات والأرض، والنار في أسفل سافلين فلا تنافي بين كونها كعرض السماوات والأرض وبين وجود النار. [تفسير ابن كثير(١٠٣/٢)الطبعة العلمية] .

وسئل فضيلة الشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى -:

إذا كانت الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض ، فأين تكون النار في هذا الكون الذي ليس فيه إلا السماوات والأرض ؟.

فقال: قبل الجواب على هذا يجب أن نقدم مقدمة ، وهي أن ما جاء في كتاب الله، وما صح عن رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإنه حق ، ولا يمكن أن يخالف الأمر الواقع ، فإن الأمر الواقع المحسوس لا يمكن إنكاره ، وما دل عليه الكتاب والسُنَّة فإنه حق لا يمكن إنكاره ، ولايمكن تعارض حقين على وجه لا يمكن الجمع بينهما ، وقد ثبت في القرآن أن

الجنة عرضها كعرض السماء والأرض، قال الله تعالى - : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد : ٢١] . وفي الآية الأخرى : ﴿ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وهذا حق بلا ريب .

وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أن هرقل كتب للنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال : إذا كانت الجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار ؟. فقال النبي-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إذا جاء الليل فأين يكون النهار » ؟ فإن صح هذا الحديث ، فوجهه أن السماوات والأرض في مكانهما والجنة في مكانها في أعلى عليين ، كما أن النهار في مكان والليل في مكان ، وإن لم يصح الحديث ، فإن في كون الجنة عرضها السماوات والأرض لا يعني أنها قد ملأتهما ، ولكن يعني : أن الجنة عظيمة السعة ، عرضها كعرض السماوات والأرض .

ثم إن قول السائل: « إن هذا الكون ليس فيه إلا السماوات والأرض» ليس بصحيح، فهذا الكون فيه السماوات والأرض، وفيه الكرسي والعرش ، وقد كان النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، يقول بعد رفعه من ركوعه : « ملء السماوات ، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد » ، فهناك عالم غير السماوات والأرض لا يعلمه إلا الله، كذلك نحن نعلم منه ما علمنا الله- تعالى - مثل العرش والكرسي ، والعرش هو أعلى المخلوقات والله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته.[مجموع الفتاوى(٢/٤٩-٥٠) رقم السؤال(١٧٤)].

وقال الله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾. [الذاريات:٢٢].

قال الإمام البغوي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي الْمَطَرَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْأَرْزَاقِ، ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ قَالَ عَطَاءٌ: مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: وَمَا تُوعَدُونَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. [تفسير البغوي(٧/٣٧٥)].

المبحث الثاني

خلق الجنة؟

قال أهل السُنَّة والجماعة الجنة والنار مخلوقتان اليوم، وقول المعتزلة يخلقان يوم القيامة.

قال العلامة العراقي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

فِيهِ حُجَّةٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ مَوْجُودَةٌ خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ مُتَظَاهِرَةٌ مُتَضَافِرَةٌ عَلَى ذَلِكَ وَعَلَى إبْطَالِ مَا زَعَمُوهُ. [طرح التثريب (٢/٦٠)].

قال الإمام العلم ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:

لم يزل أصحاب رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -والتابعون وتابعوهم وأهل السُنَّة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسُنَّة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مددا متطاولة ليس فيها سكانها.

قالوا ومن المعلوم أن ملكا لو أتخذ دارا وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنّهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه

الحكمة ووجد العقلاء سبيلا إلى الاعتراض عليه فجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء.

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السُنَّة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها. [حاي الأرواح(ص١١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ رَقَا الْمِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» ثَلاَثًا. [البخاري (٧٤٩) واللفظ له ، مسلم (٢٣٥٩)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاء فنظر إليها، وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها ...ثم قال: اذهب إلى النار فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ...» الحديث. [صَحِيح الْجَامِع (٥٢١٠) المشكاة (٥٦٩٦)].

وبوب البخاري في صحيحه: بَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ .

وعن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يُقالُ هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة». [البخاري(٣٢٤٠- ٦٥١٥١) و مسلم (٢٨٦٦)].

عن عَدِيٌّ بْنُ ثَابِتٍ- رحمه الله تعالى - قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ». [البخاري(٣٢٥٥)].

وعن كعب بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طائرٌ يَعْلُقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه». [ابن ماجهْ (٤٢٧١) قال الألباني: صحيح] .

وعن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عندما سئل عن قوله تعالى-: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[آل عمران:١٦٩]، قال: أمَا إنَّا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طيرٍ خُضْرٍ، لها قناديل معلقةٌ بالعرش تسرحُ من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربُّهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نشتهي، ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، فعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يُترَكوا من أن يُسألوا، قالوا: يا ربِّ نريدُ أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى ...» الحديث [مسلم(١٨٨٧)].

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[آل عمران : ١٣١-١٣٢] .

قوله: «أعددت» دليل على أن الجنة مخلوقة، ويعضده سكنى آدم وحواء الجنة، ولمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام: كالنجم والثريا والكتاب ونحوها، وذلك أن الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف أغصان أشجارها، ثم غلبت على دار الثواب. [شرح المشكاة (٣٥٥٢/١١)].

«فأعددت»: هيأت لعبادي الصالحين شيئًا لم تر العيون مثله، ولا سمعت الآذان به، ولا خطر على قلب أحد من البشر، ولا شك أن نعيم الجنة وتحفها شيء لا يمكن للإنسان

أن يصفه؛ لأنه باقٍ لا يلحقه التغيير، والانحلال، ولا العطب، والاضمحلال، بخلاف ملذات الدنيا، ونعيمها، فإنها سريعة الفناء، قليل الانتفاع بها. [الإتحافات السنية بشرح الأحاديث القدسية(٣٧)].

وعن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال:رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:قال **الله** تعالى: «أعددت لعبادي الصَّالحين مالا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بشر». واقرءوا إن شئتم: ﴿ **فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ** ﴾ [السجدة:١٧] [البخاري(٣٢٤٤)مسلم(٢٨٢٤)].

فمِن المبَشِّراتِ ما كان يذْكُره النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّتِه مِن نَعيمِ الجنَّةِ وما أعدَّه اللهُ للصّالحينَ منهم، وفي هذا تَثبيتٌ لأُمَّتِه إذا عرفوا ما سيَجِدونه عندَ اللهِ مِن الرَّحمَةِ والكَرامَة لِمَن خاف اللهَ واتَّقاهَ وعَمِل الصالحاتِ.

وهذا الحَديثُ هو مِن الأحاديثِ القُدُسيَّةِ التي يَرويها النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رَبِّ العزَّةِ تَبارَك وتعالى، وفيه يقولُ: قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ -: «أعدَدْتُ»، أي: خلقْتُ وهيَّأْتُ في الجنَّةِ «لعبادِي الصّالحينَ»، أي: للعبادِ الذي يَعملون الصّالحاتِ، ويَسْعَون في الخيرِ، والإضافَةُ في قوله: لعبادِي؛ للتشريفِ، أي: المخلصِينَ منهم بتِلك الأعمالِ، «ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سَمِعَت»، أي: ما لم تَرَه عيْنٌ ولم تسمعْ به وبوصْفِه أُذنٌ في الدُّنيا، وتَنكيرُ «عيْن» و«أُذُن» في سِياقِ النَّفيِ يُفيدُ الشُّمولَ، أي: يكونُ في الجنَّةِ ما لم تَرَه أيُّ عيْنٍ مِن الأعيُنِ، ولم تسمَعْ به وبِوصفِه أيُّ أُذنٍ مِن الآذانِ، «ولا خَطَر على قلب بشَرٍ»، أي: ولم يَمُرَّ على عقل أحدٍ ما يشبِهُه أو يتصوَّرُه من النَّعيمِ، فكلُّ شيءٍ تخيَّله عقلٌ أو قلبٌ من نعيمِ الجنَّةِ؛ ففيها أفضلُ مما تخيَّله، قال أبو هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- : اقرءوا إن شِئْتُم:﴿ **فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ** ﴾ أي: وهذا مِصداقُ ما قاله من كتاب الله الذي أخبَر أنه لا يعلم أحدٌ ولا يتصوَّرُ ما خبَّأه اللهُ عن النّاسِ من النَّعيمِ الذي تقَرُّ به العينُ، أي: تهدأُ وتسعَدُ وتفرَحُ به يوم القيامةِ عند الله تعالى.

المبحث الثالث

الجنة التي سكنها آدم

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

وفي الجنة التي أسكنها آدم قولان: أحدهما: جنة عدن. والثاني: جنة الخلد. [زاد المسير(١/٥٥)].

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

اخْتَلَفُوا فِي الْجَنَّةِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هَلْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ؟ وَبِتَقْدِيرِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فَهَلْ هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ دَارُ الثَّوَابِ أَوْ جَنَّةُ الْخُلْدِ أَوْ جَنَّةٌ أُخْرَى؟.

فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَلْخِيُّ وَأَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ: هَذِهِ الْجَنَّةُ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ، وَحَمَلَا الْإِهْبَاطَ عَلَى الِانْتِقَالِ مِنْ بُقْعَةٍ إِلَى بُقْعَةٍ كَمَا فِي قَوْلِ الله تَعَالَى -: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا ﴾ [البقرة:٦١] وَاحْتَجَّا عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ هَذِهِ الْجَنَّةَ لَوْ كَانَتْ هِيَ دَارَ الثَّوَابِ لَكَانَتْ جَنَّةَ الْخُلْدِ وَلَوْ كَانَ آدَمُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ لَمَا لَحِقَهُ الْغُرُورُ مِنْ إِبْلِيسَ بِقَوْلِهِ: ﴿ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[طه :١٢٠]، وَلَمَا صَحَّ قَوْلُهُ: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠] .

وَثَانِيهَا: أَنَّ مَنْ دَخَلَ هَذِهِ الْجَنَّةَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا لِقَوْلِهِ تعالى -: ﴿ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحِجر:٤٨] .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ إِبْلِيسَ لَمَّا امْتَنَعَ عَنِ السُّجُودِ لُعِنَ فَمَا كَانَ يَقْدِرُ مَعَ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى أَنْ

يَصِلَ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ دَارُ الثَّوَابِ لَا يَفْنَى نَعِيمُهَا لِقَوْلِ الله تعالى -: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد:٣٥]، وَلِقَوْلِهِ الله تَعَالَى -: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [هود :١٠٨].

إِلَى أَنْ قَالَ الله : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود :١٠٨]، أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، فَهَذِهِ الْجَنَّةُ لَوْ كَانَتْ هِيَ الَّتِي دَخَلَهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَا فَنِيَتْ، لَكِنَّهَا تَفْنَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص :٨٨] ، وَلَمَا خَرَجَ مِنْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكِنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا وَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الرَّاحَاتُ.

وَخَامِسُهَا: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي حِكْمَتِهِ تَعَالَى أَنْ يَبْتَدِئَ الْخَلْقَ فِي جَنَّةٍ يُخَلِّدُهُمْ فِيهَا وَلَا تَكْلِيفَ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعْطِي جَزَاءَ الْعَامِلِينَ مَنْ لَيْسَ بِعَامِلٍ وَلِأَنَّهُ لَا يُهْمِلُ عِبَادَهُ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ.

وَسَادِسُهَا: لَا نِزَاعَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ أَنَّهُ نَقَلَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَوْ كَانَ تَعَالَى قَدْ نَقَلَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى بِالذِّكْرِ لِأَنَّ نَقْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْجَنَّةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥ - الأعراف: ١٩] ، جَنَّةٌ أُخْرَى غَيْرُ جَنَّةِ الْخُلْدِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ الْجُبَّائِيِّ: أَنَّ تِلْكَ الْجَنَّةَ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ ٱهْبِطُواْ مِنْهَا ﴾ [هود :٣٨]، ثُمَّ إِنَّ الْإِهْبَاطَ الْأَوَّلَ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الْأُولَى، وَالْإِهْبَاطَ الثَّانِيَ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ أَصْحَابِنَا: أَنَّ هَذِهِ الْجَنَّةَ هِيَ دَارُ الثَّوَابِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي لَفْظِ الْجَنَّةِ لَا يُفِيدَانِ الْعُمُومَ لِأَنَّ سُكْنَى جَمِيعِ الْجِنَانِ مُحَالٌ، فَلَا بُدَّ

مِنْ صَرْفِهَا إِلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ وَالْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ الْمَعْهُودَةُ الْمَعْلُومَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هِيَ دَارُ الثَّوَابِ، فَوَجَبَ صَرْفُ اللَّفْظِ إِلَيْهَا.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ: أَنَّ الْكُلَّ مُمْكِنٌ وَالْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ ضَعِيفَةٌ وَمُتَعَارِضَةٌ فَوَجَبَ التَّوَقُّفُ وَتَرْكُ الْقَطْعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [مفاتيح الغيب(٤٥٢/٣)].

قال العلامة العثيمين -رحمه الله تعالى -:

الصواب أن الجنة التي أسكنها الله- تعالى - آدم وزوجه هي الجنة التي وعد المتقون؛ لأن الله - تعالى - يقول لآدم : ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾، والجنة عند الإطلاق هي جنة الخلد التي في السماء، ولهذا ثبت في الحديث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « أن آدم، وموسى تحاجا، فقال له موسى: لم أخرجتنا ونفسك من الجنة؟» . والله أعلم. [مجموع الفتاوى(٥١/٢)].

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى -:

والصحيح أنَّ الجنة هي الجنة المعهودة لأسباب كثيرة وأدلة من القرآن ومن السُّنَّة:

من أعظمها قوله - عَزَّوَجَلَّ - في وصف الجنة ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه :١١٨-١٢٠] ،إلى آخر الآيات، وهذه الصفات ﴿ إِنَّ لَكَ ﴾إلى آخره، هذه ليست مناسبة للأرض، فالأرض وإنْ كان فيها مكان مرتفع جَنَّةٌ إلى آخره مُخْتَلِف عن بقية الأرض فلا يوصف مَنْ فيه بهذه الصفات أَنَّهُ لا يظمأ ولا يضحى، يعني ما يأتيه شمس فيها ولا يجوع ولا يعرى ونحو ذلك من الصفات، فهذه صفات تدل على أنَّ المكان مُغَايِرْ للأرض.

ومن الأدلة أنَّ الله- عَزَّوَجَلَّ- قال في ذكرها لَّما عصى آدم ﴿ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا ﴾ [طه:١٢٣]، وهذا الاهباط والخروج يقتضي أن يكون من جهةٍ عالية، والمكان الذي هو من

جنسه فإنَّه وإنْ هَبَطَ منه فإنَّه ليس خارِجاً إلى غيره؛ بل هو منه إلى جنسه ولا تحصل العقوبة بالإهباط وإنَّما العقوبة بالإخراج، والله - عَزَّوَجَلَّ - جعل في القرآن هذا وهذا، الإخراج والإهباط، إلى أدلةٍ أخرى معروفة.

المقصود أنَّ قوله (خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ) الجنة واحدة هي المعروفة وكل الأدلة التي فيها ذِكْرُ الجنة الغيبية فهي دار الكرامة التي أعدَّهَا الله لعباده. [شرح الطحاوية(الشريط الثامن والثلاثين)].

ما معنى ﴿ ٱسۡكُنۡ ﴾؟

قال الفخر الرازي: اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ قَوْلَهُ اسْكُنْ أَمْرُ تَكْلِيفٍ أَوْ إِبَاحَةٍ:

فَالْمَرْوِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْتَلَى آدَمَ بِإِسْكَانِ الْجَنَّةِ كَمَا ابْتَلَى الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَلَّفَهُ بِأَنْ يَكُونَ فِي الْجَنَّةِ يَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ وَنَهَاهُ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا فَمَا زَالَتْ بِهِ الْبَلَايَا حتى وقع فيم نُهِيَ عَنْهُ فَبَدَتْ سَوْأَتُهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ وَأُسْكِنَ مَوْضِعًا يَحْصُلُ فِيهِ مَا يَكُونُ مُشْتَهًى لَهُ مَعَ أَنَّ مَنْعَهُ مِنْ تَنَاوُلِهِ مِنْ أَشَدِّ التَّكَالِيفِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّ ذَلِكَ إِبَاحَةٌ لِأَنَّ الِاسْتِقْرَارَ فِي الْمَوَاضِعِ الطَّيِّبَةِ النَّزِهَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ فِيهَا يَدْخُلُ تَحْتَ التَّعَبُّدِ كَمَا أَنَّ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ التَّعَبُّدِ وَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾ أَمْرًا وَتَكْلِيفًا بَلْ إِبَاحَةً، وَالْأَصَحُّ أَنَّ ذَلِكَ الْإِسْكَانَ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا هُوَ إِبَاحَةٌ، وَعَلَى مَا هُوَ تَكْلِيفٌ، أَمَّا الْإِبَاحَةُ فَهُوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ مَأْذُونًا فِي الِانْتِفَاعِ بِجَمِيعِ نِعَمِ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا التَّكْلِيفُ فَهُوَ أَنَّ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ كَانَ حَاضِرًا وَهُوَ كَانَ مَمْنُوعًا عَنْ تَنَاوُلِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ قَالَ رَجُلٌ لِغَيْرِهِ أَسْكَنْتُكَ دَارِي لَا تَصِيرُ الدَّارُ مِلْكًا لَهُ، فَهَهُنَا لَمْ يَقُلِ اللَّهُ تعالى -: وَهَبْتُ مِنْكَ الْجَنَّةَ بَلْ قَالَ أَسْكَنْتُكَ الْجَنَّةَ وَإِنَّمَا لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ لِخِلَافَةِ الْأَرْضِ فَكَانَ إِسْكَانُ الْجَنَّةِ كَالتَّقْدِمَةِ عَلَى ذَلِكَ. [مفاتيح الغيب(٣/٤٥١)].

المبحث الرابع

هل الجنة مؤبدة أم تفنى؟

سئل فضيلة الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالى -: هل النار مؤبدة أو تفنى ؟

فأجاب بقوله: المتعين قطعاً أنها مؤبدة، ولا يكاد يعرف عند السلف سوى هذا القول، ولهذا جعله العلماء من عقائدهم، بأن نؤمن ونعتقد بأن النار مؤبدة أبد الآبدين، وهذا الأمر لا شك فيه؛ لأن الله - تعالى - ذكر التأبيد في ثلاثة مواضع من القرآن:

الأول: في سورة النساء في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾ [النساء :١٦٨] .

والثاني: في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب :٦٤-٦٥].

والثالث: في سورة الجن : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجن :٢٣] .

ولو ذكر الله - عَزَّوَجَلَّ - التأبيد في موضع واحد لكفى ، فكيف وهو قد ذكره في ثلاثة مواضع ؟! ومن العجب أن فئة قليلة من العلماء ذهبوا إلى أنها تفنى بناء على علل عليلة؛ لمخالفتها لمقتضى الكتاب والسُّنَّة، وحرفوا من أجلها الكتاب والسُّنَّة، فقالوا : إن خالدين فيها أبدا ما دامت موجودة فكيف هذا ؟ !!! .

إذا كانوا خالدين فيها أبدا، لزم أن تكون هي مؤبدة فيها هم كائنون فيها، وإذا كان الإنسان خالدا مؤبدا تخليده ، لزم أن يكون مكان الخلود مؤبدا ؛ لأنه لو فني مكان الخلود

ما صح تأبيد الخلود ، والآية واضحة جدا ، والتعليلات الباردة المخالفة للنص مردودة على صاحبها ، وهذا الخلاف الذي ذكر عن فئة قليلة من أهل العلم خلاف مطرح ؛ لأنه مخالف للنص الصريح الذي يجب على كل مؤمن أن يعتقده ، ومن خالفه لشبهة قامت عنده ، فيعذر عند الله ، لكن من تأمل نصوص الكتاب والسُنَّة عرف أن القول بتأبيدها هو الحق، الذي لا يحق العدول عنه .

والحكمة تقتضي ذلك؛ لأن هذا الكافر أفنى عمره، كل عمره في محاربة الله - عَزَّوَجَلَّ- ومعصية الله ، والكفر به ، وتكذيب رسله مع أنه جاءه النذير وأعذر وبين له الحق ، ودعي إليه ، وقوتل عليه ، وأصر على الكفر والباطل فكيف نقول : إن هذا لا يؤبد عذابه ؟! والآيات في هذا صريحة كما تقدم. [مجموع الفتاوى(٥٦/٢)].

قلت: والجنة من باب أولى لأنهم إنما ذكروا النار والعذاب الذي ينزل بالكفار .

وقد ثبت في السُنَة : « **أنه يُؤتى يوم القيامة بالموت فيوقف في مكان بين الجنة والنار، فيُقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟، ويا أهل النار هل تعرفون هذا؟، فيقولون : الموت ، ثم يُقال : يا أهل الجنة خُلود فلا موت ، ويا أهل النار خُلود فلا موت** » [(البخاري ٤٧٣٠)] .

والإجماع يكاد يكون منعقدًا إلا خلاف يسير عن طائفة من ا لسلف والخلف ، لكنه مرجوح لا وزن له لمخالفته للأدلة من الكتاب والسُنَّة .

الباب الخامس

أعظم نعيم أهل الجنة

اختص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الدار الآخرة بأوليائه، ينعمون فيها بأصناف الملذات، فما يشتهي أحدهم شيئاً إلا جاءه،ومن أعظم نِعَم تلك الدار ما كتب الله لأهلها من الخلود الأبدي فيها، فلا يخافون موتاً أو فناءً، ومن أعظم ما ينال أهل الجنة من النعيم أن يحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا، وأعظم نعمة في الجنة على الإطلاق هي رؤية وجه الكريم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ومن صفات جنة النعيم خلوها من المنغصّات والمكدّرات ، فلا هم يلحق أهلها ، ولا تعب يصيبهم.

قال الله تعالى : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [يونس: ٢٦] ، فالحُسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم.

وَالزِّيَادَةُ يَتَعَيَّنُ أَنَّهَا زِيَادَةٌ لَهُمْ لَيْسَتْ دَاخِلَةً فِي نَوْعِ الْحُسْنَى بِالْمَعْنَى الَّذِي صَارَ عَلَمًا بِالْغَلَبَةِ، فَلَا يَنْبَغِي أَن تَفْسِر بِنَوْعٍ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ حِينَئِذٍ مِمَّا يَسْتَغْرِقُهُ لَفْظُ الْحُسْنَى فَتَعَيَّنَ أَنَّهَا أَمْرٌ يَرْجِعُ إِلَى رُؤْيَتِهِمُ اللَّهَ تَعَالَى.

وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ عَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيءِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تعالى -: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، قَالُوا: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ وَتُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحجاب، قَالَ: فو الله مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ. [مسلم(١٨١)].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٦ ﴾[يونس: ٢٦] .

ولما دعا إلى دار السلام، كأن النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ أي: للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان.

فهؤلاء الذين أحسنوا، لهم الحسنى وهي الجنة الكاملة في حسنها وزيادة وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون.

ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ ﴾ أي: لا ينالهم مكروه، بوجه من الوجوه، لأن المكروه، إذا وقع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر.

وأما هؤلاء- فهم كما قال الله عنهم-﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ ﴾ [المطففين:٢٤]،﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ ﴾ الملازمون لها ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لا يحولون ولا يزولون، ولا يتغيرون. [تيسر الكريم الرحمن(٣٦٢)].

وقال الله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ ﴾ [ق : ٣٥] .

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ من اللذات الحسية والعقلية البدنية والروحية المحاطة بمداركهم وآلاتهم وشهواتهم وأمنياتهم بل وَلَدَيْنا مَزِيدٌ على ما يسألون وما يأملون ويتمنون ويتخيلون

ويطلبون بحسب ما كانوا عليه من العبادة والقرب الروحي في الدنيا مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى -:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا ﴾ أي: كل ما تعلقت به مشيئتهم، فهو حاصل فيها ولهم فوق ذلك ﴿ مَزِيدٌ ﴾ أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأعظم ذلك، وأجله، وأفضله، النظر إلى وجه الله الكريم، والتمتع بسماع كلامه، والتنعم بقربه، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم. [تيسير الكريم الرحمن(٨٠٦)].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى -:

وللمفسرين في المراد بهذا المزيد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه النّظر إلى الله عَزَّوَجَلَّ روى عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال: «يتجلَّى لهم» . وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ : يتجلَّى لهم الرب تعالى في كل جمعة.

والثاني: أن السحاب يَمُرَّ بأهل الجنة، فيمطرهم الحورَ، فتقول الحور: نحن اللواتي قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ حكاه الزجاج.

والثالث: أن الزِّيادة على ما تمنَّوه وسألوا ممّا لم تسمع به أذن ولم يخطُر على قلب بشر، ذكره أبو سليمان الدمشقي. [زاد المسير(١٦٤/٤)].

قلت: قد أطلق الله اللفظ في المزيد ولم يخصصه بشيء ولم يبينه ولكنه قدمة بقوله ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق : ٣٥] أي: مما يشاءون ويتمنون وهو القول الثالث والزيادة ليست محدودة بما يشاؤون لأنه أطلقها الله تعالى وقد بين الله تعالى نوعيتها وهي النظر إلى وجهه عَزَّوَجَلَّ كما في قول الله جَلَّوَعَلَا : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ بينها النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - أنها النظر إلى وجه الله تعالى.

والقول الثاني فليس عليه دليل ولا حجة تقوم به بأن السحاب يمطر الحور الحين فهو بعيد ولكن القول الأول والثالث دلت عليه الأدلة التي أشرنا إليها وعليه فالمزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى مع اعطائهم ما يتمنوه ويزيدهم الله تعالى من فضله مما لم تصله عقولهم كما جاء في حديث أبي هريرة وغيره:«من يدخل الجنة فيقول الله له تمنى فيتمنى فيقول الله له لك مثلة وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت عينك ولذة نفسك» وغيرها من الأدلة التي أشرنا إليها في مواطنها والله تعالى أعلم ونسأله من فضله.

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

وعن أبي هريرة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تُضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك». [البخاري(٧٤٣٧)، مسلم(٢٩٩)].

وعن جرير -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: كنا جلوساً عند النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروب الشمس، فافعلوا». [البخاري(٥٧٣)، مسلم(٦٣٣)].

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قلنا يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارُّون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما». [البخاري(٧٤٣٩)].

وعن صهيب - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتُنجّنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عَزَّوَجَلَّ». [مسلم(١٨١)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْل الْجَنَّة : يَا أَهِل الْجَنَّة ؟ فيَقُولُونَ : لَبيكَ وَسَعْدَيكَ وَالْخَيرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم ؟ فيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَب وَقَدْ أَعْطَيتَنَا مَا لَمْ تُعطِ أَحَداً مِن خَلْقِكَ، فَيَقُول أَلاَ أُعْطِيكُم أَفْضَل مِن ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبّ وَأَيُّ شَيء أَفْضَل مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيكُم رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُم بَعْدَهُ أَبداً». [البخاري(٦٥٤٩) مسلم (٢٨٢٩)].

الباب السادس

الجنة غالية

المبحث الأول

دخول الجنة فوز

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

قال الإمام السعدي -رحمه الله تعالى -:

حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي.

وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ﴾ أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى -:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة : ٢١] . [تيسير الكريم الرحمن(١٦٠)].

قال المفسر الكبير ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى -:

﴿فَقَدْ فَازَ﴾ يقول: فقد نجا وظفر بحاجته. يقال منه:فاز فلان بطلبته، يفوز فوزًا ومفازًا ومفازة، إذا ظفر بها. وإنما معنى ذلك: فمن نُحِّي عن النار فأبعد منها وأدخل الجنة، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة. [جامع البيان(٧/ ٤٥٢)].

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى -:

قال الزجاج: تأويل فاز. تباعد عن المكروه ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز. [زاد المسير(١/ ٣٥٦)].

قال الله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر:٢٠] .

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى -:

يقول تعالى ذكره: لا يعتدل أهل النار وأهل الجنة، أهل الجنة هم الفائزون، يعني أنهم المُدرِكون ما طلبوا وأرادوا، الناجون مما حذروا. [جامع البيان(٢٣/ ٣٠٠)].

وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة:٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون:١١١] .

المبحث الثاني

دخول الجنة لا بد له من عمل

قد مَنّ الله على عباده الصالحين أن جعل لهم دار كرامة واستقرار في حياة سرمدية أبدية لا موت فيها وقد جعل الله لهذه الدار طريقاً يسير عليه الصالحون في هذه الحياة، وهو عبادة الله وحده بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة:٨٢] .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء:١٢٤] .

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأعراف:٤٠] .

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[الأعراف:٤٢] .

وقال الله جل ذكره: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦] .

المبحث الثالث

دخول الجنة نعم المستقر والمأوى

قال الله تعالى:﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفرقان :٢٤] .

وقال الله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾[الفرقان:٧٥-٧٦] .

قال المفسر الكبير ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى -:

يقول تعالى ذكره: أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، خالدين في الغرفة، يعني أنهم ماكثون فيها، لابثون إلى غير أمد، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما. يقول: وإقامة. [جامع البيان(٣٢١/١٩)].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى -:

وقوله تعالى -:﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أَيْ: حَسُنَتْ مَنْظَرًا وَطَابَتْ مَقِيلًا وَمَنْزِلًا [تفسير القرآن(٦/ ١٢١)].

المبحث الرابع

دخول الجنة طريقه الابتلاء

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[آل عمران :١٤٢] .

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة :٢١٤] .

قال المفسر الكبير ابن جرير الطبري-رحمه الله تعالى -:

فمعنى الكلام: أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة، ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختبروا به ﴿ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾ وهو شدة الحاجة والفاقة ﴿ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ وهي العلل والأوصاب ولم تزلزلوا زلزالهم- يعني: ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهدٌ حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا ؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريبٌ، وأنه مُعليهم على عدوِّهم، ومظهرهم عليه، فنجَّز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا. [جامع البيان(٤/ ٢٨٨)].

وقال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الروم: ١-٣] .

والمتأمل في الآية الكريمة يراها قد بينت للمؤمنين أن طريق الجنة محفوف بالمكاره ، وصدق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأنهم لكي يصلوا إلى الجنة عليهم أن يتأسوا بالسابقين في جهادهم وصبرهم على الأذى ، فقد اقتضت سُنَّة الله أن يجعل هذه الحياة نزالاً موصولاً بين الأخيار والأشرار ، ونزاعاً مستمراً بين الأطهار والفجار ، وكثيرا ما يضيق البغاة على المؤمنين ، وينزلون بهم ما ينزلون من صفوف الاضطهاد إلا أن الله - تعالى - قد تكفل بأن يجعل العاقبة للمتقين .

المبحث الخامس
مراتب الناس في الجنة حسب أعمالهم

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الجاثية: ٢١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[الأنعام :١٣٢] .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾
[النازعات :٣٧-٤١] .

قال الله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾
[الأحقاف : ١٩] .

وَعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قَالَ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَقُومُ لَهُ فِي حَوَائِجِهِ نَهَارِي أَجْمَعَ ، حَتَّى يُصَلِّيَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، فَأَجْلِسَ بِبَابِهِ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ، أَقُولُ: لَعَلَّهَا أَنْ تَحْدُثَ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَاجَةٌ فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ قَالَ: فَمَا أَزَالُ أَسْمَعُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ ، سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، حَتَّى أَمَلَّ فَأَرْجِعَ ، أَوْ تَغْلِبَنِي عَيْنِي فَأَرْقُدَ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمًا لِمَا يَرَى مِنْ خِفَّتِي لَهُ وَخِدْمَتِي إِيَّاهُ: « سَلْنِي يَا رَبِيعَةُ أُعْطِكَ » فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْظِرْنِي أَنْظُرُ فِي أَمْرِي ثُمَّ أُعْلِمُكَ بِذَلِكَ قَالَ: « فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ » قَالَ:

فَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ زَائِلَةٌ ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَكْفِينِي وَيَأْتِينِي، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِآخِرَتِي ، فَإِنَّهُ مِنْ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالْمَنْزِلِ الَّذِي هُوَ بِهِ ، فَجِئْتُهُ ، فَقَالَ: « مَا فَعَلْتَ يَا رَبِيعَةُ؟ » ، فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ: « أَوَغَيْرَ ذَلِكَ؟ » ، فَقُلْتُ: هُوَ ذَاكَ فَقَالَ: « مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا رَبِيعَةُ؟ « ، فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ ، وَلَكِنَّكَ لَمَّا قُلْتَ لِي: « سَلْنِي أُعْطِكَ» وَكُنْتَ مِنْ اللهِ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ ، نَظَرْتُ فِي أَمْرِي ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ وَزَائِلَةٌ ، وَأَنَّ لِي فِيهَا رِزْقًا سَيَأْتِينِي ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِآخِرَتِي ، فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ لِي: «إِنِّي فَاعِلٌ ، فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ». [أحمد (١٦٥٧٩) حديث حسن].

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَجُلَانِ مِنْ قُضَاعَةَ أَسْلَمَا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ مِنْ الْآخَرِ فَاسْتُشْهِدَ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُهُمَا ثُمَّ عُمِّرَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ، ثُمَّ تُوُفِّيَ قَالَ طَلْحَةُ: فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ فِي الْمَنَامِ ، فَرَأَيْتُ فِيهَا الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ ، فَعَجِبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ ، فَعَجِبُوا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ ، فَقَالَ: « مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: « وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ ، فَصَامَ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟ » ، قَالُوا: بَلَى؟ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »، [ابن ماجة (٣٩٢٥) صحيح] .

وفي رواية: « مَا يُدْرِيكُمْ مَا بَلَغَتْ بِهِ صَلَاتُهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، مَا تَقُولُونَ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ » قَالُوا: لَا

يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: « فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللهُ بِهَا الْخَطَايَا ». [البخاري(٥٠٥)،مسلم(٦٦٧)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ »، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ، قَالَ: « بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ ». [البخاري(٣٢٥٦)، مسلم(٢٨١٣)].

المبحث السادس
قرب الجَنَّة والنَّار من الإنسان

عن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : قال: رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الجنَّة أَقرب إلى أَحدِكم من شِراكِ نعلِهِ، والنَّار مِثل ذلك»[البخاري(٦٤٨٨)].

الشِراك: هو السير الذي يدخل فيه إصبع الرجْل ويطلق على كل سير وقي به القدم.

قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: قال ابن بطال: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنَّة وأن المعصية مقربة إلى النَّار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون من أيسر الأشياء، وجاء في الحديث: إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه لا يلقي لها بالا، يرفعه اللَّه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنَّم.[الفتح (١١ / ٣٢١)].

فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه؛ فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه اللَّه بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها.

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى -:

معنى الحديث أَنَّ تحصيل الجنَّة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنَّار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية. [الفتح (١١/ ٣٢١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ ، إِلاَّ مَنْ أَبِى وَشَرَدَ عَلَى اللهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ يَأْبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ : «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدَ أَبِى» [ابن حبان (١٧) وصححه العلامة الألباني] .

المبحث السابع

الرزق في الجنة بلا حساب

قال الله تعالى : ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠ ﴾ [غافر:٣٩-٤٠] .

والمعنى: وَيَا قَوْمِ إِنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ وَتَرَفٍ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ لاَ يَدُومِ ، تَتَمَتَّعُونَ بِهِ ثُمَّ تَبْلُغُونَ أَجَلَكُمْ فَيَنْزِلُ بِكُم المَوْتُ ، أَمَّا الدَّارُ الآخِرَةُ فَهِيَ دَارُ الاسْتِقْرَارِ والبَقَاءِ التِي لا زَوَالَ لَهَا ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً ، وَعَمِلَ عَملاً صَالِحاً ، دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَبَقِيَ فِيهَا خَالِداً أَبداً .

فَمَنْ عَمِلَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا عَملاً سَيِّئاً ، أَوِ اجْتَرَحَ إِثْماً فَإِنَّهُ لاَ يُعَاقَبُ إِلاَّ بِمِقْدَارِ عَمَلِهِ ، دُونَ مُضَاعَفَةٍ لِلْعِقَابِ . وَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ، ذَكَراً كَانَ أَوْ أُنْثَى ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَتَمَتَّعَ بِمَا فِيهَا مِنْ رِزْقٍ كَرِيمٍ ، وَنَعِيمٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ تَحْدِيدٍ [أيسر التفاسير (٤٠٥٢)] .

فقد اقتضى فضل الله أن تُضاعف الحسنات ولا تُضاعف السيئات، رحمة من الله بعباده، وتقديراً لضعفهم، وللجواذب والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة، فضاعف لهم الحسنات، وجعلها كفارة للسيئات. فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب، رزقهم الله فيها بغير حساب.

المبحث الثامن

عرض الرب سلعته على عباده

قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس :٢٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾[البقرة : ٢٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عمران : ١٣٣] .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[التوبة:١١١].

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -:

فجعل سُبْحَانَهُوَتَعَالَى هاهنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن ، وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد:

أحدها: إخبارهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن.

الثاني: الأخبار بذلك بصيغة المرضى الذي قد وقع وثبت واستقر.

الثالث: إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه ، وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع.

الرابع: أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه .

الخامس: أنه أتى بصيغة على التي للوجوب أعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه.

السادس: أنه أكد ذلك بكونه حقا عليه.

السابع: أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

الثامن: إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه.

التاسع : أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضا بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه .

العاشر: أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة ، وقوله بايعتم به أي عاوضتم و ثامنتم به . اهـ .[حادي الأرواح (١/٥٨)].

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتِ رَخِيصَةً ∴ بَلْ أنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الكَسْلانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا ∴ فِي الألْفِ إلا وَاحِدٌ لا اثْنَانِ
يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَاذَا كُفْؤهَا ∴ إلا أُولُو التَّقْوَى مَعَ الإيمَانِ

الباب السابع

الشهادة بالجنة

المبحث الأول

الشهادة لمن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة

من عقائد أهل السُنَّة والجماعة أنهم يشهدون لمن شهد له المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهناك أشخاص أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم من أهل الجنة، وهناك آخرون أخبر ببعض النعيم المعد لهم في الجنة، وكل ذلك شهادة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بالجنة، وسواء ذكر المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشخص من أهل الجنة أو أخبر أن له كذا أو مكانته في الجنة كذا أو أخبر أنه رآه في الجنة الكل يشهد له أهل السُنَّة والجماعة بالجنة تصديقاً منهم لخبر الذي لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقد أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عشرة من المهاجرين بأنهم في الجنة وسماهم بأعيانهم وبشرهم بها وأولئك العشرة هم:

1- **أبو بكر: عبد الله بن عثمان الصديق الأكبر**- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

2- **أبو حفص: عمر بن الخطاب**- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

3- **أبو عبد الله: عثمان بن عفان**- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

4- **أبو الحسن: علي بن أبي طالب**- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

5- **أبو محمد: طلحة بن عبيد الله**- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

6- **أبو عبد الله: الزبير بن العوام**- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

7- **أبو إسحاق: سعد بن أبي وقاص**- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

8- **أبو محمد: عبد الرحمن بن عوف**- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

9- **أبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح**- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

10- **أبو الأعور: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل**- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

وهؤلاء العشرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- انتظم تبشيرهم بالجنة في حديث واحد .

عن سعيد بن زيد- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص» قال: فعد هؤلاء التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟، قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة[سُنن الترمذي(٣٧٤٨) وصححه العلامة الألباني].

هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- وكلهم من المهاجرين وتبشير العشرة هؤلاء بالجنة لا ينافي تبشير غيرهم، فقد جاء تبشير غيرهم في غير ما خبر، ولأن العدد في الحديث لا ينفي الزائد وممن بشر بالجنة سوى هؤلاء العشرة كثير منهم:

11- **بلال بن رباح**- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

بلال بن رباح الحبشي المؤذن واسم أمه حمامة اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، فأعتقه، فلزم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأذن له، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، خرج رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مجاهداً بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن مات بالشام زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد بشر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالجنة في غير ما حديث، فقد روى [البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (٣٦٧٩)]. من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيتني دخلت

الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال».

وروى الإمام مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلال عند صلاة الغداة: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندك في الإسلام منفعة، فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة» قال بلال: ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي. [مسلم (٢٤٥٧)].

12- زيد بن حارثة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي بن عبد العزى بن زيد بن امريء القيس وزيد هذا هو والد أسامة بن زيد الحِب ابن الحِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزلت: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٥] ، استشهد في مؤتة من أرض الشام سَنة ثمان من الهجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومما جاء في بشارته بالجنة ما أخرجه ابن عساكر عن زيد بن الحباب: حدثني حسين ابن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعاً، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة». [السلسلة الصحيحة(١٨٥٩)].

فهذا الحديث اشتمل على منقبة ظاهرة لزيد بن حارثة حيث أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أحد الذين رأى لهم بعض النعيم المعد لهم في الجنة.

13- حاطب بن أبي بلتعة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي من ولد لخم بن عدي، يكنى أبا عبد الله، وقيل يكنى أبا محمد واسم أبي بلتعة عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي، حليف قريش، ويقال: إنه من مذحج، وقيل: هو حليف للزبير بن العوام، وهو من أهل اليمن، والأكثر أنه حليف لبني

أسد بن عبد العزى، شهد بدراً والحديبية، ومات سُنَّة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وستين سَنَة وصلى عليه ذو النورين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقد جاء النص عليه في أنه من أصحاب الجنة، وممن يقطع له بدخولها فيما رواه [مسلم (٢٤٩٥)]. إلى جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن عبداً لحاطب جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية».

فهذا الحديث تضمن فضيلة لأهل بدر والحديبية على وجه العموم ولحاطب على وجه الخصوص، حيث نص عليه باسمه أنه من أهل الجنة وأن النار لا تمسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

14- عكاشة بن محصن- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو عكاشة بن محصن بن حرثان بن مرة بن بكير بن غنم بن دودان بن أسيد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين البدريين أهل الجنة، قتل شهيداً في قتال أهل الردة زمن أبي بكر الصديق قتله طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة وقد هداه الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فرجع إلى الإسلام

شهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة ، فقد روى [البخاري(٥٧٠٥)].من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: خرج علينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً فقال: «عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فرجوت أن تكون أمتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فتفرق الناس، ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكنا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن، فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقام آخر، فقال: أمنهم أنا؟ فقال: «سبقك بها عكاشة».

وعند [مسلم (٢١٨)]. من حديث عمران بن حصين، قال: قال نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم».

فهذان الحديثان فيهما منقبة لعكاشة بن محصن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهي أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بأنه من المقطوع لهم بدخول الجنة.

15- سعد بن معاذ- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

هو أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي سيد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، أسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية علي يدي مصعب بن عمير، ثم كان سبباً في إسلام قومه كلهم، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، ورمي يوم الخندق بسهم فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة حكمه المشهور الذي وافق حكم الله من فوق سبع سموات، وبعد ذلك مات بسبب انتقاض جرحه وذلك سُنَّة خمس.

وقد أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعض ما أعد الله له في الجنة من النعيم، فقد روي من حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أهديت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: «تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين». [البخاري(٢٦١٥) ومسلم(٢٤٦٨)].

ورويا أيضاً من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أهدي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبة سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال: «والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا». [البخاري(٥٨٣٦) مسلم(٢٤٦٩)].

ففي هذين الحديثين: إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها التي هي المناديل خير من تلك الجبة التي أثارت العجب في نفوس أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن المناديل أدنى الثياب فغيره أفضل، وفيها إثبات الجنة لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

16- ثابت بن قيس بن شماس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو: ثابت بن قيس بن شماس من مالك بن امريء القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، وأمه امرأة من طيء، يكنى أبا محمد بابنه محمد، وقيل: أبا عبد الرحمن، كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد وردت بشارته بالجنة فيما رواه [البخاري (٤٨٤٦)]. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر. كان يرفع صوته فوق صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار فأتى الرجل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة».

وروى الإمام مسلم [(١١٩)].بإسناده إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢]،

إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، فسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمر، وما شأن ثابت؟ أشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكو، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بل هو من أهل الجنة».

وفي رواية أخرى له عن أنس قال: لما نزلت هذه الآية. واقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ، وزاد: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة. [مسلم(١١٩)].

هذه الأحاديث تضمنت منقبة عظيمة لثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنه من أهل الجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

17- حارثة بن سراقة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، أمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك، شهد بدراً، وقتل يومئذ شهيداً، قتله حبان بن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض، وكان خرج نظاراً يوم بدر ورماه فأصاب حنجرته فقتله، وهو أول قتيل قتل ببدر من الأنصار.

وقد شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه من أهل الجنة، فقد روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى[(٦٥٦٧)]. بإسناده إلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع، فقال: «ويحك ـ أو هبلت ـ أو جنة واحدة هي؟ إنها جنات كثيرة، وإنه في جنة الفردوس»

في هذين الحديث منقبة ظاهرة لحارثة بن سراقة وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أمه بأنه في الجنة وأنه أصاب من الجنان أعلاها، وهي الفردوس.

18- حارثة بن النعمان:- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو: حارثة بن النعمان بن نقع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان من فضلاء الصحابة، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

وحارثة هذا وردت بشارته بالجنة فيما صح من الخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نمت فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قاريء يقرأ فقلت: من هذا؟، قالوا: حارثة بن النعمان« فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كذالكم البر كذالكم البر» وكان أبر الناس بأمه[صحيح ابن حبان(٧٠١٥)].

قال الطيبي في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كذلكم البر كذلكم البر» المشار إليه ما سبق والمخاطبون الصحابة، فإن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى هذه الرؤيا وقصها على أصحابه، فلما بلغ إلى قوله النعمان نبههم على سبب نيل تلك الدرجة بقوله «كذلكم البر» أي: حارثه، نال تلك الدرجة بسبب البر وموقع هذه الجملة التذييل كقوله تعالى -: ﴿ **وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ** ﴾ [النمل:٣٤] ، وفيه من المبالغة أنه جعل جزاء البر براً، وعرف الخبر بلام الجنس تنبيهاً على أن هذه الدرجة العليا لا تنال إلا ببر الوالدين والتكرار للاستيعاب. [شرح المشكاة (٣١٦٥/١٠)].

19- عبد الله بن سلام:- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

هو: عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف بن يعقوب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان حليفاً للأنصار، وهو أحد أحبار اليهود أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله، توفي بالمدينة في خلافة معاوية سُنَّة ثلاث وأربعين.

أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه من أهل الجنة.

روى [البخاري(٣٨١٢) ومسلم(٢٤٨٣)]. في صحيحهما من حديث سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لأحد يمشي على الأرض «إنه من أهل الجنة»، إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [يوسف: ٢٦] .

ورويا أيضاً ـ عن قيس بن عباد، قال: كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج، وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة، قال: والله ما ينبغي لأحدأن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم ذاك رأيت رؤيا على عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقيل له: ارقه، قلت: لا أستطيع فأتاني منصف ، فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها فأخذت العروة فقيل له: استمسك فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت» وذاك الرجل عبد الله بن سلام [البخاري(٣٨١٣)، مسلم(٢٤٨٤)].

وفي [سُنن الترمذي(٣٨٠٤)].بسند صحيح من حديث طويل عن معاذ بن جبل، قال: إني سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول ـ أي في ابن سلام ـ «إنه عاشر عشرة في الجنة»

هذه الأحاديث تضمنت الشهادة بالجنة لعبد الله بن سلام وأنه من المقطوع لهم بها.

20- أم سليم بنت ملحان:- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا -.

هي: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، اختلف في اسمها، فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل:

مليكة، ويقال: الغميصاء أو الرميصاء كانت تحت مالك بن النضر، أبي أنس بن مالك في الجاهلية، فولدت أنساً في الجاهلية، وأسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار، فغضب مالك وخرج إلى الشام، فمات، فتزوجت بعده أبا طلحة الأنصاري.

أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رآها وسمع صوت حركة مشيها في الجنة.

فقد روى [البخاري (٣٦٧٩)]. جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة» ، وعند [مسلم(٢٤٥٧)]. بلفظ: «أريت الجنة، فرأيت امرأة أبي طلحة» .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: من هذا ؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك». [مسلم(٢٤٥٦)].

فهذه الأحاديث تضمنت شهادة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة لأم سليم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وأما أهل بيعة الرضوان فقد كان عددهم ألفاً وأربعمائة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وكلهم شهد لهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وأنهم ممن يقطع لهم بدخولها، فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث جابر عند [مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢٤٩٦)]. أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحته » .

فأهل السُنَّة والجماعة يشهدون بالجنة لكل من قدمنا ذكره في هذا المبحث، بل يشهدون بالجنة لجميع أهل بدر وأهل الحديبية ومن أسلم قبل الفتح وبعده وجميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من مهاجرين وأنصار رجالاً ونساءاً حيث إن الله تعالى وعدهم جميعاً بالحسنى كما قال: ﴿ **لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[الحديد: ١٠] .

المبحث الثاني
الشهادة لمعين بالجنة

واعلم أن الشهادة بالجنة نوعان: شهادة لموصوفين وشهادة لمعينين:

النوع الأول:

أما الشهادة التي تكون للموصوفين فهي كثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وفي سُنَّة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يأتي فيها ذكر أن من فعل كذا فله الجنة ممن يقوم بالعمل الصالح مع التوحيد فله وعد من ربه تعالى، كقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم».[مسلم(١٧٥٣)]. فكل من أفشى السلام وحصل منه الحب لإخوانه المسلمين فإنه موعود بهذا الفضل، وهو دخول الجنة، فهذه شهادة لمن اتصف بهذا الوصف، وهذا النوع لا إشكال فيه وهو مجمع عليه وهو كثير في أدلة الكتاب والسُّنَّة.

النوع الثاني:

الشهادة لمعينين، وأول وأبرز من يشهد لهم بالجنة من خصوا بشهادة النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- في حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وغيره، وفيه قال النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-:«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» هذه الشهادة لهؤلاء المعينين هي أشهر الشهادات، وهم المعروفون بأنهم العشرة المبشرون بالجنة؛ لكون النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جمع ذكرهم في حديث واحد.

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول-صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -، ولا نشهد لمعين بجنة ولا بنار؛ إلا لمن ورد به النص، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

مسألة: أقوال السلف في مسألة الشهادة بالجنة :

وكلام السلف في الشهادة بالجنة على جهة الخصوص ثلاثة أقوال:

الأول: ألا يُشهد لأحد إلا للأنبياء. الأنبياء فقط، فأين ذهبت النصوص السابقة، «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة». و «الحسن والحسين سيدا [أهل الجنة]، وشباب أهل الجنة». هذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي، لكنه قول ضعيف، أنه لا يُشهد إلا للأنبياء.

الثاني: أنه يُشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث، بمعنى أننا نتوقف على النص من شهد له باسمه شهدنا له، ومن لم يشهد له باسمه توقفنا، وقلنا: نرجو له الجنة.

الثالث: أنه يُشهد بالجنة لهؤلاء، يعني من نصَّ عليهم الخبر،كما ذكر العشرة وأهل بدر وأهل البيعة وغيرهم مثل عكاشة وغيره، ويزاد عليه، ولمن شهد له المؤمنون بالخير والصلاح كما جاء عَنْ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» ، فَقَالُوا: بِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ ، قَالَ: « بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ». [صحيح موارد الظمآن (١٧٢٩)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -: « أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا وَهُوَ يَسْمَعُ ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ ». [الصَّحِيحَة (١٧٤٠)].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -: « أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ » فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ:« وَثَلَاثَةٌ »، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟، قَالَ: « وَاثْنَانِ » قَالَ: وَلَمْ نَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - عَنْ الْوَاحِدِ. [البخاري(١٣٠٢)].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَرَّتْ جِنَازَةٌ ، فَقَالَ: « مَا هَذِهِ الْجِنَازَةُ؟» قَالُوا: جِنَازَةُ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ كَانَ مَا عَلِمْنَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ وَيَسْعَى فِيهَا وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ »ثُمَّ مَرَّتْ عَلَيْهِ جِنَازَةٌ أُخْرَى فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» فَقَالُوا: جِنَازَةُ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ بِئْسَ الْمَرْءُ كَانَ فِي دِينِ اللهِ كَانَ يُبْغِضُ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ وَيَسْعَى فِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:«وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجِنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ مَا وَجَبَتْ؟ ، قَالَ: « هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ الْمَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ».[البخاري(١٣٦٧)، مسلم(٩٤٩) واللفظ لمسلم].

وفي رواية: « إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ شُهَدَاءُ » [أبو داود (٣٢٣٣)].

وفي رواية: « إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ »[سُنن البيهقي(٨٨٧٦)].

قلت: والصواب في المسألة أنه يشهد بالتعيين لمن ثبت له التعيين بالقرآن والسُنَّة لا غير وأما بالوصف أو الثناء عليه من أهل الإسلام فلا يشهد له لكن نرجوا له الجنة ونرجوا لكل مسلم الجنة إما ابتداء أو مآلاً والأمر بيد الله تعالى نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من الجنة وأن يوفقنا للعمل بأسباب دخولها ياذا الفضل يالله.

مسألة : من الذي تقبل شهادته؟

في الصحيحين [البخاري(٢٦٤٢)، مسلم(٩٤٩)]. أنه مُرَّ بجنازة فأثنوا عليها بخير فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجبت». ومُرَّ بأخرى فأُثْنِيَ عليها بشرٍّ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجبت». فقال عمر: يا رسول الله من وجبت؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا أثنيتم عليه خيرًا

وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض». أثنيتم عليه خيرًا وقال: « وجبت الجنة».

الشهادة مقبولة بين الله وعباده وبين العباد أنفسهم ولكن هذه الشهادة لا بد أن يكون صاحبها ثقة مأموناً صالحاً ولذلك قال الله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ دليل شاهد على أن ليس كل الشهادات مقبولة بل شهادة خاصة معلومة كيفية ووصفاً ومن أجل ذلك الشهادة بالخير والصلاح للعباد وهي من أجل الشهادات فلذلك لا تقبل شهادة الفساق بعضهم لبعض ولا شهادة الأهل بعضهم لبعض إلا الصالحون ولا شهادة المبتدعة فإن هذه الشهادات غير مقبولة لدخول الهوى في ذلك ولكن المقصود من هذا أنه لا تقبل الشهادات إلا من الصالحين الأتقياء الذين على المنهج النبوي والسير المحمدي قولاً وعملاً.

قال أبو المظفر بن هبيرة -رحمه الله تعالى -:

هذه كرامة كرم بها المؤمنين، وهي قبول شهادتهم، وهذا لأنهم كانوا: أمناء، علماء، فهماء، فأما كونهم أمناء فإن الأمين لا يشهد لأحد بخير حتى يتحقق أنه على خير، وكذلك لا يشهد على أحد بالسوء حتى يتيقن أنه قد كان ذا سوء.

❋ وأما كونهم علماء، فإنهم كانوا يفرقون بين الخير والشر، فلا يلتبس عليهم الباطل بالحق، ويعرفون السُنَّة وأهلها، ويعرفون الخير والعاملين به، وكانت شهادتهم معبرة.

❋ وأما كونهم فهماء، فإنهم كانوا أولي فهم واطلاع، يذوقون طعم الإيمان من المؤمن، ويذوقون طعم النفاق من المنافق، فإن للإيمان أرجًاوعرفًا على نحو المسك، وللنفاق والكفر ثقلًا ودفرًا يفهمه كل ذي لب، فكانت شهادتهم على هؤلاء وهؤلاء عن أمانة وعلم فلذلك قال: «وجبت، وجبت، وجبت» فوجبت من حيث الأمانة، ووجبت من حيث العلم، ووجبت من حيث الفهم، فكل واحدة واجبة في فيها.[الإفصاح عن معاني الصحاح(٢٠٨/٥)].

الباب الثامن

أسماء الجنة

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وكثرة الأسماء آية شرف المسمى أولها هذا اللفظ العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم والبهجة والسرور وقرة العين ثم دار السلام: أي السلامة من كل بلية ودار الله ودار الخلد ودار الإقامة وجنة المأوى وجنة عدن والفردوس وهو يطلق تارة على جميع الجنان وأخرى على أعلاها وجنة النعيم والمقام الأمين ومقعد صدق وقدم صدق وغير ذلك مما ورد به القرآن. [كما في فيض القدير(٣٥/١)].

قال ابن العطار - رحمه الله تعالى -:

ثم اعلم: أَنَّ كثرةَ الأسماءِ تدل على شرف المسمَّى؛ ولهذا كثرت أسماء الله تعالى، وأسماء رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.[العدة شرح العمدة(١٩٩/١)].

ورُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيّ: كَثْرَةُ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ الْمُسَمَّى. [أضواء البيان(٧٠/٩)].

فاسمعْ إذاً أوصافَها وصِفَاتِ ∴ ها تيكَ المنازلِ ربَّةِ الإحسانِ
هيَ جنةٌ طابتْ وطابَ نعيمُها ∴ فنعيمُها باقٍ وليسَ بفانِ
دارُ السلامِ وجنةُ المأوى ومَنْـ ∴ ـزِلُ عسكرِ الإيمانِ والقُرآنِ
فالدارُ دارُ سَلامةٍ وخِطَابُهُمْ ∴ فيها سَلامٌ واسمُ ذي الغُفْرَانِ

١ - الجنة:

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذَّة، والبهجة، والسرور، وقرّة العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه سُمّيَ الجنين لاستتاره في البطن، ومنه سُمّي البستان: جَنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع.

«الجنَّةَ» وهي المرة من الجَن، وهو مصدر جَنَّه إذا ستره، سمي به الشجر المظلل لالتفاف أغصانه، للمبالغة، كأنه يستر ما تحته. ثُمّ البُستان؛ لما فيه من الأشجار المتكاتفة المُظلَّلة. ثُمَّ دارُ الثواب ومقر الأحباب؛ لما فيها من الجِنان.

فيا لها من دار فسيحة الأديم والغِناء، طيبة النسيم والهواء، لا يفنى شبابها؛ ولا تبلى ثيابها، ينقطع نعيمها، ولا يمل مقيمها.

والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنات، والجنة كل بستان يستر بأشجاره الأرض، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ:١٥] .

وقد ذكر الله تعالى الجنة في القرآن الكريم بلفظ المفرد «جنة» ستاً وستين مرة، ولفظ الجمع: جنات تسعاً وستين مرة.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَبًا ﴿٣٢﴾﴾[النبأ:٣١-٣٢]، والحديقة: جمع: حدائقوهي الروضة ذات الشجر والنخيل، وهي البستان، وسُميت حديقة تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة، وحصول الماء فيها.

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى -:

ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ∴ فلو جن إنسان من الحسن جنت

أي لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره. [حادي الأرواح (٩٤)].

وقال: التَّحْقِيقُ أَنْ يُقالَ: الجَنَّةُ لَيْسَتِ اسْمًا لِمُجَرَّدِ الأَشْجارِ والفَواكِهِ، والطَّعامِ والشَّرابِ، والحُورِ العِينِ، والأَنْهارِ والقُصُورِ. وأَكْثَرُ النّاسِ يَغْلَطُونَ في مُسَمّى الجَنَّةِ. فَإِنَّ الجَنَّةَ اسْمٌ لِدارِ النَّعِيمِ المُطْلَقِ الكامِلِ. ومِن أَعْظَمِ نَعِيمِ الجَنَّةِ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إلى وجْهِ اللَّهِ الكَرِيمِ، وسَماعُ كَلامِهِ، وقُرَّةُ العَيْنِ بِالقُرْبِ مِنهُ وبِرِضْوانِهِ. فَلا نِسْبَةَ لِلَذَّةِ ما فِيها مِنَ المَأْكُولِ والمَشْرُوبِ والمَلْبُوسِ والصُّوَرِ، إلى هَذِهِ اللَّذَّةِ أبَدًا. فَأَيْسَرُ يَسِيرٍ مِن رِضْوانِهِ أَكْبَرُ مِنَ الجِنانِ وما فِيها مِن ذَلِكَ. [مدارج السالكين(٢/ ٨٠)].

٢ ـ دار السلام:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار الله واسمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السلام الذي سلمها وسلم أهلها ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[إبراهيم:٢٣]، ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]، والرب تعالى يسلم عليكم من فوقهم كما قال تعالى -: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس :٥٧-٥٨]، وسيأتي حديث جابر في سلام الرب عَزَّوَجَلَّ عليهم في الجنة وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل كما قال تعالى -: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ ﴾[مريم:٦٢]. [حادي الأرواح(٩٦)].

قال ابن الجوزي- رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى : ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ [الأنعام :١٢٧] يعني الجنة. وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال:

أحدها: أن السّلام،هو الله، وهي داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة والسدي.

والثاني: أنها دار السلامة التي لا تنقطع، قاله الزجاج.

والثالث: أن تحية أهلها فيها السلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

والرابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام،ففي ابتداء دخولهم: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ [ق:٣٤]، وبعد استقرارهم:﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]،وقول الله تعالى -: ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة :٢٦] وعند لقاء الله ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس:٥٨] ، وقول الله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب :٤٤] ومعنى: ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[الأنعام :١٢٧] ، أي: مضمونة لهم عنده، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾[الأنعام :١٢٧] ، أي: متولي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم بما كانُوا يَعْمَلُونَ من الطّاعات. [زاد المسير(٢/ ٧٧)].

قال الشوكاني- رحمه الله تعالى -:

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[يونس :٢٥] ، لَمَّا نَفَّرَ عِبَادَهُ عَنِ الْمَيْلِ إِلَى الدُّنْيَا بِمَا ضَرَبَهُ لَهُمْ مِنَ الْمَثَلِ السَّابِقِ رَغَّبَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ بِإِخْبَارِهِمْ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: السَّلَامُ: هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَدَارُهُ: الْجَنَّةُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامَةِ: وَمَعْنَى السَّلَامِ وَالسَّلَامَةِ: وَاحِدٌ كَالرَّضَاعِ وَالرَّضَاعَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

تُحَيِّي بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ ∴ وَهَلْ لَكِ بَعْدَ قَوْمِكِ مِنْ سَلَامِ

وَقِيلَ: أَرَادَ دَارَ السَّلَامِ الَّذِي هُوَ التَّحِيَّةُ، لِأَنَّ أَهْلَهَا يَنَالُونَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامَ بِمَعْنَى التَّحِيَّةِ كَمَا فِي قَوْلِ الله تعالى -: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[إبراهيم:٢٣] .

وَقِيلَ: السَّلَامُ اسْمٌ لِأَحَدِ الْجِنَانِ السَّبْعِ

أَحَدُهَا: دَارُ السَّلَامِ. وَالثَّانِيَةُ: دَارُ الْجَلَالِ. وَالثَّالِثَةُ: جَنَّةُ عَدْنٍ. وَالرَّابِعَةُ: جَنَّةُ الْمَأْوَى. وَالْخَامِسَةُ: جَنَّةُ الْخُلْدِ. وَالسَّادِسَةُ: جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ. وَالسَّابِعَةُ: جَنَّةُ النَّعِيمِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ دَارُ السَّلَامِ الْوَاقِعِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ دَارَ السَّلَامِ هِيَ الْجَنَّةُ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي سَبَبِ التَّسْمِيَةِ بِدَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ جَعَلَ سُبْحَانَهُ الدَّعْوَةَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ عَامَّةً، وَالْهِدَايَةَ خَاصَّةً بِمَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهْدِيَهُ تَكْمِيلًا لِلْحُجَّةِ، وَإِظْهَارًا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْ خَلْقِهِ. [فتح القدير(٠٢/٤٩٨)].

٣ ـ دار الخلد :

قال الله تعالى :﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الفرقان:١٥-١٦] .

وسُمِّيت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً، ولا يتحولون عنها رغبة بغيرها وأن هناك ما هو أحسن منها، ولا رهبة من صاحبها ولا من منغص فيها ولا لنقص فيها فهم خالدون لا يبغون عنها حولا ولا إلى غيرها هربًا بل هم باقون فيها أبدًا الآباد نسأل الله من فضله.

قال الله تعالى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود :١٠٨] ، أي غير مقطوع. وقال الله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ق:٣٤]، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ص:٥٤] .

ذكر الله خلودهم فيها وخلود نعيمهم وعدم نفاذه وخلود نعيمهم أنه غير مبدل ولا متغير وأن هذا هو يوم الخلود لأهل الجنة والنار كلٌ فيها.

قال الشنقيطي- رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ تعالى -: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾، مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ

مِنْ أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ، لَا نَفَادَ لَهُ، أَيْ: لَا انْقِطَاعَ لَهُ وَلَا زَوَالَ، ذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ وَقَوْلِهِ تعالى -: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ [النحل:٩٦] . [أضواء البيان(٣٤٩/٦)].

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى -:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا﴾ الذي أوردناه على أهل دار النعيم ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقطاع، بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآنات.وليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرؤوف الرحيم، البر الجواد، الواسع الغني، الحميد اللطيف الرحمن، الملك الديان، الجليل الجميل المنان، ذي الفضل الباهر، والكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه، ولا يحاط ببعض بره. [تيسير الكريم الرحمن(٦٨٢)].

وقوله تعالى -: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢﴾ [مريم:٦٢]، ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا﴾: أي في الجنة ﴿بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ يعني: على قدر ما كانوا يأكلون في الصباح وفي المساء دائما لا ينقطع عنهم [تيسير الكريم الرحمن(٧١٥)].

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى-:

وقوله:﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل،ومن تمامه أنه لا ينقطع ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾[الكهف:١٠٨] أي:تحولا ولا انتقالا لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم،ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه. [تيسير الكريم الرحمن(٤٦١)].

٤ ـ دار المقامة:

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾ [فاطر:٣٥].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا﴾ أي: أنزلنا نزول حلول واستقرار، لا نزول معبر واعتبار.

﴿ دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ ﴾ أي: الدار التي تدوم فيها الإقامة، والدار التي يرغب في المقام فيها،لكثرة خيراتها، وتوالي مسراتها،وزوال كدوراتها،وذلك الإحلال ﴿ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ علينا وكرمه، لا بأعمالنا، فلولا فضله، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه. [تيسير الكريم الرحمن(٦٥٧)].

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

وفي قَوْلِهِ: ﴿ دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ ﴾ إشارَةٌ إلى أنَّ الدُّنْيا مَنزِلَةٌ يَنْزِلُها المُكَلَّفُ، ويَرْتَحِلُ عَنْها إلى مَنزِلَةِ القُبُورِ، ومِنها إلى مَنزِلَةِ العَرْصَةِ الَّتِي فِيها الجَمْعُ ومِنها التَّفْرِيقُ، وقَدْ تَكُونُ النّارُ لِبَعْضِهِمْ مَنزِلَةً أُخْرى والجَنَّةُ دارَ المُقامَةِ، وكَذَلِكَ النّارُ لِأهْلِها. [مفاتيح الغيب(٢٦٢٤١)].

٥ ــ جنة المأوى:

ذكرت جنة المأوى في الكتاب الكريم ثلاث مرات.

قال الله تعالى : ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ ﴾[النجم:١٥] . أي: التي يأوي إليها المؤمنون، والتي هي مأوى الخير كله.

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] ، أي المنزل الذي ينزله والمكان الذي يأوي إليه لا غيرها.

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ ﴾[السجدة :١٩].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه.

﴿ نُزُلًا ﴾ لهم أي: ضيافة، وقِرًى. ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلا سوى الإيمان والعمل الصالح. [تيسير الكريم الرحمن(٣٢٥)].

قلت: هي مأوى كل خير وصاحب خير فكل خير حسي ومعنوي قد جعله الله في الجنة وكل صاحب خير مؤمن بالله تعالى ولو كان يسيراً عمله فإنه من أهل الجنة يا محمد أخرج من كان في قلبه مثال ذرة من إيمان فالخير والإيمان وصاحبه إلى الجنة ولكن أخذ العقوبة ممن أراد الله تعالى له العذاب من العصاة فينبغي لنا أن نشمر عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى والله أن الجنة لا ينبغي التفريط فيها مهما كان البلاء ومهما كانت الدنيا جميلة والذنوب والشهوات لذيذة لا تساوي نعيم الجنة ولا تساوى عذاب الله تعالى فعلينا بسلوك منهج الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام فهو الذي يعصمنا من النار ويدخلنا الجنة والله المستعان.

٦ ـ جنات عدن :

قال **الله** سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ : ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [مريم: ٦١] ، ذكرت في القرآن إحدى عشرة مره. في جنات عدن: أي إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.

قال الشوكاني- رحمه **الله** تعالى -:

وَالْعَدْنُ أَصْلُهُ الْإِقَامَةُ، ثُمَّ صَارَ عَلَمًا لِجَنَّةٍ مِنَ الْجِنَانِ. [فتح القدير(٣/٩٤)].

قال الفخر الرازي -رحمه **الله** تعالى -:وأَقُولُ: حاصِلُ الكَلامِ أنَّ في جَنّاتِ عَدْنٍ قَوْلَيْنِ:

أحَدُهُما: أنَّهُ اسْمُ عَلَمٍ لِمَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ في الجَنَّةِ، وهَذِهِ الأخْبارُ والآثارُ الَّتِي نَقَلْناها تُقَوِّي هَذا القَوْلَ. قالَ صاحِبُ الكَشّافِ: وعَدْنٌ عَلَمٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾. [مريم: ٦١] .

والقَوْلُ الثّاني: أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْجَنَّةِ، قالَ الأزْهَرِيُّ: العَدْنُ مَأْخُوذٌ مِن قَوْلِكَ: عَدَنَ فُلانٌ بِالمَكانِ إذا أقامَ بِهِ يَعْدِنُ عُدُونًا. والعَرَبُ تَقُولُ: تَرَكْتُ إبِلَ بَنِي فُلانٍ عَوادِنَ بِمَكانِ كَذا، وهو أنْ تَلْزَمَ الإبِلُ المَكانَ فَتَأْلَفَهُ ولا تَبْرَحَهُ، ومِنهُ المَعْدِنُ، وهو المَكانُ الَّذِي تُخْلَقُ الجَواهِرُ فِيهِ ومَنبَعُها مِنهُ. والقائِلُونَ بِهَذا الِاشْتِقاقِ قالُوا: الجَنّاتُ كُلُّها جَنّاتُ عَدْنٍ. [مفاتيح الغيب (١٦٠/١٦)].

قلت: إن كان اللفظ اسم فالمعنى أنها اسم موضع لجنة معينة كالفردوس وغيرها وقد يطلق الفردوس على أعلى الجنة وقد يطلق على الجنة كلها وعليه فعدن اسم لموضع في الجنة.

وإن كان وصف فهو متجه إلى الجنة كلها أن الله وصفها أنها جنة يقيم فيها العبد ولا يظعن عنها ولا يتحول منها.

والصحيح المعنيين لأن الاسم لا بد له من وصف ومعنى ففيها جنة عدن جنة معروفه متميزه عن غيرها من الجنان الأخرى كما قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأم حارثة إنها جنان وليست جنة، وهي أيضاً جنة إقامة كما وصفها الله تعالى بأنها دار المقامة كما مر ذكره والله أعلم.

عن سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ- رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَنَا: « أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ فَابْتَعَثَانِي، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، قَالاَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالاَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، قَالاَ: أَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ ». [البخاري(٤٦٧٤)].

عن أبي موسى الأشعري - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - قال قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ ما يَرَوْنَ

الآخَرينَ، يَطُوفُ عليهِمُ المُؤْمِنُونَ، وجَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وجَنَّتانِ مِن كَذا، آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وما بيْنَ القَوْمِ وبيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلّا رِداءُ الكِبْرِ على وجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ». [البخاري (٤٨٧٩)].

أعدَّ اللهُ تعالى لِعبادِه المؤمنينَ في الجنَّةِ ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولا خطَرَ على قلبِ بَشَرٍ، وفي هذا الحديثِ صورةٌ مِنْ صُوَرِ نَعيمِ أهلِ الجنَّةِ، وهيَ أنَّ لِلمؤمنِ في الجنَّةِ خَيمةً مِن لؤلؤةٍ مُجوَّفَةٍ، أي: ما بداخلِها مثقوبٌ مفرَّغٌ، عرْضُها ستُّون ميلًا، في كلِّ ناحيةٍ منها أهلٌ لِلمؤمنِ السّاكنِ فيها لا يراهمُ الآخرونَ؛ لِعظمِ سَعتِها، وللمؤمنِ فيها أيضًا جنَّتانِ كُلُّ ما فيها مِن آنيةٍ وغيرِها مِنَ الفضَّةِ، وغيرُ ذلِك مِنَ الجنانِ، وما بين القومِ مِن أهلِ الجنَّةِ وبين أنْ يَنظُروا إلى ربِّهم إلّا رداءُ الكِبْرِ على وَجهِه تعالى في جَنَّةِ عدْنٍ، وهو أعظمُ نعيمِ أهلِ الجنَّةِ عندما يكشِفُ الرَّحمنُ لهم عن وجهِه فيتمتَّعونَ بِلذَّةِ النَّظرِ إلى وجهِهِ الكريمِ.

٧ - الفردوس:

ذكرت في القرآن مرتين قال **الله** تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾** ﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

وقال **الله** تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾** ﴾.

﴿ **ٱلْفِرْدَوْسَ** ﴾: البستانُ الجامعُ لكلِّ ما يكونُ في البساتين [مذكر وقد يؤنث]. والفِرْدَوْسُ المكانُ تكثر فيه الكُرُومُ. و الفِرْدَوْسُ الوادي الخصيبُ. و الفِرْدَوْسُ اسمُ جَنَّةٍ من جنَّات الآخرة.

قال ابن الجوزي- رحمه **الله** تعالى -:

عن أبي موسى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:«جِنانُ الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليتها وآنيتها وما فيها، وثنتان من فضة حليتها وآنيتها وما فيها، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن». [البخاري(٤٨٧٨)، مسلم(١٨٠)].

قال أبو أمامة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الفردوس سرّة الجنة. قال مجاهد: الفردوس: البستان بالرومية.

وقال كعب، والضحاك: جنات الفردوس: جنات الأعناب. قال الكلبي، والفراء: الفردوس: البستان الذي فيه الكرم. وقال المبرد: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتفّ، والأغلب عليه العنب. وقال ثعلب: كل بستان يحوّط عليه فهو فردوس، قال عبد الله بن رواحة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

في جنان الفردوس ليس يخافون ∴ خروجاً عنها ولا تحويلا

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال الزجاج: ﴿ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ أصله رومي أعرب، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير، وقد قيل: الفردوس تعرفه العرب، وتسمي الموضع الذي فيه كرم: فردوساً. وقال أهل اللغة: الفردوس مذكَّر، وإنما أنث في قوله تعالى: ﴿ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . لأنه عنى به الجنة. وقال الزجاج: وقيل: الفردوس: الأودية التي تنبت ضروباً من النبت، وقيل: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، قال: والفردوس أيضاً بالسريانية كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجده في أشعار العرب إلا في شعر حسان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وبيت حسان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

فَأَنَّ ثَوَابَ اللهِ كلَّ مُوَحِّدٍ ∴ جِنَانٌ مِنَ الفردوس فيها يخلّد

وقال ابن الكلبي بإسناده: ﴿ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾: البستان بلغة الروم، وقال الفراء: وهو عربي أيضاً، والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوساً. [زاد المسير(٣/١١٤)].

عن عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجَّر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس». [الترمذي(٢٥٣١) بسند صحيح] .

قوله: والفِرْدَوسُ: وهو البستانُ يكونُ فيه الشَّجَرُ والزُّهورُ والنَّباتاتُ- وهو اسمٌ لأعْلى الجَنَّةِ، «أَعْلاها درَجةً»، أي: أفضَلُ وأعلى منزلةٍ في الجنَّةِ، وفي الفردوسِ مَنازِلُ الأنبياءِ، «ومنها»، أي: مِن الفِرْدَوسِ «تَفَجَّرُ»، أي: تَخرُجُ «أنهارُ الجنَّةِ الأربعةُ».

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى-:

يحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب، لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، والأنبياء والمقربون.

ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي: ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس. وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة،. والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرءوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها، وأدومها وأكملها، وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علما حقيقيا يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانا، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات

منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت فكان، ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[تيسير الكريم الرحمن(٤٨٨)].

وعن أنس بن مالك -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنْتَ البَراءِ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- وهي أُمُّ حارِثَةَ بنِ سُراقَةَ أتَتِ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَتْ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، ألا تُحَدِّثُني عن حارِثَةَ، وكانَ قُتِلَ يَومَ بَدْرٍ أصابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فإنْ كانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ، اجْتَهَدْتُ عليه في البُكاءِ، قالَ: «يا أُمَّ حارِثَةَ إنَّها جِنانٌ في الجَنَّةِ، وإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلى». [البخاري (٢٨٠٩)].

وعن أنس بن مالك - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - لَمّا ثَقُلَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشّاهُ، فَقالَتْ فاطِمَةُ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-: وا كَرْبَ أباهُ، فَقالَ لَها: «ليسَ على أبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَومِ» فَلَمّا ماتَ قالَتْ: يا أبَتاهُ، أجابَ رَبًّا دَعاهُ، يا أبَتاهْ، مَن جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْواهْ يا أبَتاهْ إلى جِبْرِيلَ نَنْعاهْ، فَلَمّا دُفِنَ، قالَتْ فاطِمَةُ عَلَيْها السَّلامُ: يا أنَسُ أطابَتْ أنْفُسُكُمْ أنْ تَحْثُوا على رَسولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرابَ. [البخاري (٤٤٦٢)].

وعن العرباض بن سارية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:«إذا سألْتمُ اللهَ؛ فسلُوهُ الفردوسَ؛ فإنَّهُ سرُّ الجنةِ، يقول الرجلُ منكم لراعيهِ: عليك بسرِّ الوادي؛ فإنَّهُ أمرعُه وأعشبُه». [السلسلة الصحيحة (٣٩٧٢)].

وقال أبو هريرةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: إنَّ الفردوسَ جبلُ الجنةِ الذي يتفجرُ منه أنهارُ الجنةِ. [تفسير القرطبي (١٤/ ١٧) بسند صحيح].

وعن سمرة بن جندب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: الفِرْدَوسُ رَبْوَةُ الجنَّةِ، وهي أوسطُها وأحسنُها. [السلسلة الصحيحة (٢٠٠٣)].

٨ ـ جنات النعيم.

ذكرت في القرآن ثمان مرات قال **الله** تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [لقمان:٨] ، وقال **الله** تعالى : ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٨] ، وغيرها من الآيات.

قال العلامة السعدي- رحمه **الله** تعالى -:

﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[يونس:٩] أي: الجنات التي النعيم وصفها، والسرور نعتها، وذلك لما جمعته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسلمت من كل مخل بنعيمها، من جميع المكدرات والمنغصات. [تيسير الكريم الرحمن(٧٠٢)].

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يُؤْتى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيا مِن أَهْلِ النّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ويُؤْتى بأَشَدِّ النّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِن أَهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا، واللَّهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». [مسلم (٢٨٠٧)].

ما أَهْونَ الدُّنيا بِجِوارِ الآخِرَةِ! فَلا يُقاسُ فانٍ بِباقٍ.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه يُؤتى يومَ القِيامَةِ بأَكْثَرِ النّاسِ كانَ يَنْعَمُ في الدُّنيا، وأَشدِّهم نَعيمًا في بَدنِه وثيابِه وأَهلِه وسَكنِه ودابَّتِه وغَيرِ ذلك، ويَكونُ في الآخرَةِ مِن أهلِ النّارِ فيُصبَغُ، أي: يُغمَسُ في النّارِ غَمسةً واحدةً، ثُمَّ يُقالُ له بَعدَ هَذه الغَمْسةِ: هَل رَأيتَ خَيرًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِك نَعيمٌ قَطُّ؟ فَيَقولُ: لا واللهِ يا رَبِّ، فتُنْسيه تِلك الغَمسَةُ الواحدةُ كُلَّ نَعيمٍ ذاقَه في الدُّنيا، مهما طالَ عُمْرُه في نَعيمِ الدُّنيا، ومَهما تَمتَّعَ بِملذّاتِها، وشَهواتِها؛ فَكيفَ بِمَنْ هُو خالدٌ مُخلَّدٌ فيها أَبدَ الآبِدينَ؟!.

ويُؤتى يَومَ القيامَةِ بأَشدِّ النّاسِ بُؤسًا مِن أهلِ الدُّنيا، في بَدنِه وأَهلِه ومالِه وسَكنِه وغَيرِ ذلك، وهُو في الآخِرةِ مِن أهلِ الجنَّةِ، فيُغمَسُ في الجنَّةِ غَمسةً واحدةً، فيُقالُ له: يا ابنَ آدمَ، هلْ رَأيتَ بُؤسًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قطُّ؟ فيَقولُ: لا واللهِ يا رَبِّ! ما مَرَّ بي بُؤسٌ قَطُّ ولا رَأيتُ شِدَّةً قطْ.

في الحديثِ: شِدَّةُ غَبنِ مَن يُؤثِرُ القَليلَ الفانيَ على الكَثيرِ الباقي.

وفيه: بَيانُ حَقارةِ الدُّنيا بالنِّسبةِ لِلآخِرةِ.

وعن ابن لسعد بن أبي وقاص - رحمه الله تعالى -: سمعَني أبي وأَنا أقولُ اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ ونعيمَها وبهْجتَها وَكذا وَكذا وأعوذُ بِكَ منَ النّارِ وسلاسلِها وأغلالِها وَكذا وَكذا فقالَ يا بُنَيَّ إنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ سيَكونُ قومٌ يعتدونَ في الدُّعاءِ فإيّاكَ أن تَكونَ منهُم إنَّكَ إن أُعطيتَ الجنَّةَ أُعطيتَها وما فيها منَ الخيرِ وإن أُعِذتَ منَ النّارِ أُعِذتَ منها وما فيها منَ الشَّرِّ. [صحيح أبي داود (١٤٨٠)].

٩ ـ المقام الأمين :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [الدخان:٥١] .

قال ابن القيم- رحمه الله تعالى-:

المقام: موضع الإقامة. والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه. وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها. فهو آمن من الزوال والخراب، وأنواع النقص. وأهله آمنون فيه من الخروج والنقص والنكد، والبلد الأمين الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم.

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الدخان:٥٥] فجمع لهم بين أمن المكان. وأمن الطعام. فلا يخافون انقطاع الفاكهة، ولا سوء عاقبتها ومضرتها وأمن الخروج منها. فلا يخافون ذلك، وأمن الموت، فلا يخافون فيها موتا. [التفسير القيم(٤٧١)].

قال العلامة القنوجي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «أَمِينٍ» يأمن فيه صاحبه من جميع المخاوف، قال النسفي: هو من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقي فيه من المكاره انتهى.

وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمن والأمان والأمانة في الأصل مصادر ويستعمل الأمان تارة اسماً للحالة التي عليها الإنسان في الأمن، وتارة لما يؤمن عليه الإنسان كقوله: ﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٧] ،أي ما ائتمنتم عليه. [فتح البيان (٤١١/١٢)].

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الدخان:٥٥] ، قالُوا إنَّهم يَأْكُلُونَ جَمِيعَ أنْواعِ الفاكِهَةِ لِأجْلِ أنَّهم آمِنُونَ مِنَ التُّخَمِ والأمْراضِ.

ولَمّا وصَفَ اللَّهُ تَعالى أنْواعَ ما هم فِيهِ مِنَ الخَيْراتِ والرّاحاتِ بَيَّنَ أنَّ حَياتَهم دائِمَةٌ، فَقالَ: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الدخان:٥٦]. [مفاتيح الغيب(٢٧/ ٢١٧)].

قلت: هم في أمن من كل جانب ومن كل آفة ومن كل نقص ومن كل عيب، فهم آمنون من الخروج والتحول، آمنون من غضب الله تعالى قد أحل عليهم رضوانه، أمنون من نقص أو تغير النعيم فيها، آمنون من الموت فما من منغص في الدنيا إلا وقد أمنوا منه وزيادة عليه بما لا يعلم به إلا الله تعالى.

١٠ ــ مقعد صدق:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الدخان:٥٦] ، سمَّى الله تعالى الجنة مقعد صدقٍ؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يُقال مودة صادقة، إذا كانت ثابتة تامة.

قال العلامة القنوجي - رحمه الله تعالى -:

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي في مجلس حق، ومكان مرضي لا لغو فيه ولا كذب ولا تأثيم وهو الجنة، وأريد به الجنس، وقرىء مقاعد شاذاً ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ أي عزيز الملك واسعه ﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾ أي قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء، وعند ههنا كناية عن الكرامة، وشرف المنزلة، وتقريب الرتبة، بحيث أبهم على ذوي الأفهام، وفائدة التنكير فيهما أن يعلم أن لا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، وهو على كل شيء قدير. [فتح البيان(١٣/٣١٠)].

فعن علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كُنّا مع النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ في جَنازَةٍ، فَقالَ: ما مِنكُم مِن أحَدٍ إلّا وقدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، ومَقْعَدُهُ مِنَ النّارِ» فَقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ أفلا نَتَّكِلُ؟ فَقالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ ﴾ [الليل:٥-٦] ، إلى قَوْلِهِ ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾[الليل:١٠]». [البخاري (٤٩٤٥) ومسلم (٢٦٤٧)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«المقسطون عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا». [مسلم(١٨٢٧)].

يُبيِّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ العادِلِينَ في حُكمِهم وخِلافتِهم في أَهلِيهم وفِيمَن ولّاهم اللهُ عليه؛ عند الله، مُقرَّبون إليه ومُكرَّمون لَدَيْهِ؛ مُرتَفِعون على مَنابِرَ - وهي الأماكِن العالِيَةُ الغالِيَةُ - مِن نُورٍ، أي: خُلِقَتْ مِن نُورٍ؛ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكِلْتا يَدَيْهِ سُبحانَه يَمِينٌ.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إنَّ من عبادِ اللهِ عبادًا ليسوو بأنبياءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهَداءُ» قيل: من هم؟ لعلنا نحبُّهم؛ قال: «هم قوم تحابّوا بنورِ اللهِ، من غيرِ أرحامٍ ولا أنسابٍ، وجوهُهم نورٌ على منابرَ من نورٍ، لا يخافون إذا

خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢] » [صحيح الترغيب (٣٠٢٣)].

أَخْبَرَ ﷺ عن جزائِهم ومَنزلتِهم أي: مُنيرةٌ يَعْلوها النُّورُ، وهي مُبالَغةٌ من شِدَّةِ النُّورِ، (وإنَّهم على نورٍ)، أي: على مَنابِرَ من نورٍ، فهُمْ نورٌ على نورٍ، وهي بيانٌ لحالِهم ومنزلتِهم عِندَ اللهِ، «لا يَخافونَ إذا خافَ النّاسُ، ولا يَحزَنونَ إذا حزِنَ النّاسُ» أي: يومَ القيامةِ.

قلت: مقعد صدق غير مكذوب فهم في قعودهم الرفيع العالي العظيم وقد نالوا ما وعدهم الله وصدقهم الله وعده، وما هم فيه من النعيم صدق ليس بخيالي أو تمثيلي بل النعيم واللذة والخير وما في الجنة صدق وحق لا شك ولا ريب فيه.

١١ــ الحسنى:

قال **الله**-عَزَّوَجَلَّ-: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[النساء:٩٥].

وقال الله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[يونس:٢٦] .

قال ابن الجوزي- رحمه **الله** تعالى-:

وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال:

أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله ﷺ، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس.

والثالث: النصرة، قاله عبد الرحمن بن سابط.

والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد.

والخامس: الأمنية، ذكره ابن الأنباري. [زاد المسير(٢/ ٣٢٦)].

وقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾[الرعد:١٨].

قال القرطبي - رحمه الله تعالى -:

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: لِأَنَّهَا فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ. وَقِيلَ: مِنَ الْحُسْنَى النَّصْرُ فِي الدُّنْيَا، وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ غدا. [جامع البيان(٩/٣٠٦)].

الباب التاسع
أبواب الجنة

المبحث الأول
أبواب الجنة

قال الراغب - رحمه الله تعالى -:

والباب يقال لمدخل الشيء وأصله مداخل الأمكنة كباب الدار والمدينة ومنه يقال في العلم باب كذا وهذا العلم باب إلى كذا أي منه يتوصل إليه ... وقد يقال أبواب الجنة وأبواب جهنم للأسباب الموصلة إليها. انتهى. [كما في فيض القدير(٣٥/١)].

والمقصود بها في هذا البحث الأمكنة والأبواب المحسوسة لا الأبواب المعنوية التي هي أسباب لدخول الجنة فذلك بحث آخر.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

أبوابها حق ثمانية أتت ∴ في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وبا ∴ ب الصوم يدعى الباب بالريان
ولكل سعي صالح باب ورب ∴ السعي منه داخل بأمان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها ∴ جميعا إذا وفى حلى الإيمان

منهم أبو بكر الصديق ذا ∴ ك خليفة المبعوث بالقرآن

فأشار ابن القيم في نونيته إلى باب الصيام والجهاد ولم يتعرض للبقية ، وسنذكرها بالأدلة الصحيحة بإذن الله تعالى.

واعْلَمْ أن الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى اختار من كُلّ جنس من أجناس المخلوقات أطيبه. واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره، فإنه تَعَالَى طيب لا يحب إلا الطيب، ولا يقبل من الْعَمَل والكلام والصدقة إلا الطيب، فالطيب من كُلّ شَيْء هُوَ مختاره تَعَالَى، وأما خلقه تَعَالَى فعام للنوعين.

وبهَذَا يعلم عنوان سعادة الْعَبْد وشقائه، فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قَلْبهُ إلا به، فله من الكلم الطيب الَّذِي لا يصعد إِلَى اللهِ تَعَالَى إلا هُوَ، وَهُوَ أشد شَيْء نفرة عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء، والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكَذَلِكَ لا يألف من الأعمال إلا أطيبها وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مَعَ الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة. فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة.

دار أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين. وقَدْ جمعت كُلّ طيب، وهي الْجَنَّة.

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر:٧٣] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى -: ﴿ وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر:

«فتّحت» «وفتّحت» مشدَّدتين، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بالتخفيف.

وفي هذه الواو ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللُّغويين منهم الفراء. والثاني: أنها واو الحال فالمعنى: جاءوها وقد فُتحتْ أبوابُها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتَّحةٍ قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مُغْلَقةً قبل مجيئهم.

ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أنّ أهل الجنّة جاءوها وقد فُتحت أبوابُها ليستعجلوا السُّرور والفرح إذا رأَوا الأبواب مفتَّحةً، وأهل النار يأتونها وأبوابُها مُغلَقة ليكون أشدَّ لحرِّها، ذكره أبو إسحاق ابن شاقْلا من أصحابنا. والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوعُ ذُلٍّ، فصِينَ أهلُ الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا والثالث: أنه لو وَجَدَ أهلُ الجنة بابها مُغلَقاً لأثَّر انتظارُ فَتْحه في كمال الكَرَم، ومن كمال الكَرَم غَلْقُ باب النّار إلى حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجّل المثوبة، ويؤخِّر العقوبة، وقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧] .

قال المصنف: هذا وجهٌ خطر لي. والقول الثالث: أن الواو زِيدتْ، لأنَّ أبواب الجنة ثمانيةٌ، وأبواب النار سبعةٌ، والعرب تَعْطِفُ في العدد بالواو على ما فوق السبعة على ما ذكرناه في قوله تعالى -: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، حكى هذا القول والذي قبله الثعلبي. [زاد المسير(٢٧/٤)].

قال السعدي - رحمه الله تعالى -:

قال عن أهل الجنة: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ ﴾ بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدا على النجائب. ﴿ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا ﴾ أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيقة، وهبَّ عليهم ريحها ونسيمها، وآن خلودها ونعيمها.﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ لهم﴿ أَبْوَٰبُهَا ﴾ فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. ﴿ وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ تهنئة لهم وترحيباً : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: سلام من كل آفة وشر حال. عليكم ﴿ طِبْتُمْ ﴾ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. ﴿ فـ﴾ بسبب طيبكم ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون. [تيسير الكريم الرحمن(٧٣٠)].

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ أي أسرع بهم بلطف إلى دار الكرامة جماعات، على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة وَفُتِحَتْ أَبْوابُها أي والحال أنه قد فتحت لهم الأبواب قبل مجيئهم تكريما وتعظيما، وحذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين استقبالهم. [المنير للزحيلي (٩٥/٢٤)].

وعن عتبة بن عبد السلمي - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « الجنة لها ثمانية أبواب، والنار لها سبعة أبواب ». [السلسلة الصحيحة (١٨١٢)].

وعن سهل بن سعد - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها بابٌ يُسمَّى الريَّان، لا يدخله إلا الصائمون». [البخاري(١٨٩٦)،مسلم(١١٥٢)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول:« أنا لها» فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجدا لربه فيدعه ما شاء الله أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في فتح أبوابها فيشفعه ويفتحها تعظيما لخطرها وإظهارا لمنزلة رسوله وكرامته عليه.

وإن مثل هذه الدار هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنما يدخل إليها بعد تلك

الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها وما ركبه من الأطباق طبقا بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم

وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر عليه بخلاف ذلك ولئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء فجنة الله عالية غالية بين الناس، وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار فليبعد عنها إلى ما هو أولى به وقد خلق له وهيئ له.

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمرا من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حده كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض ، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمرا يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم ببعض وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحدا واحدا فلا تهمل تدبر قوله:﴿ زُمَرًا ﴾ وقال خزنة أهل الجنة لأهلها «سلام عليكم» فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ثم قال لهم ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ أي سلامتكم ودخولها بطيبكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود...

وتأمل قوله سبحانه: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [ص:٥٠-٥١] ، كيف تجد تحته معنى بديعا وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي...

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت

وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتجون إلى ذلك في الدنيا. [حادي الأرواح(٥٤)].

قلت: بحث هذه المسألة والله أعلم أن أبواب الجنة تكون مغلقة حتى يأتي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويفتحها ودليله:«فآتي باب الجنة فاستفتح» وفي رواية:«فأنا أول من يفتح أبواب الجنة» وفي رواية:«فيقول الخازن من فأقول محمد فيقول أمرت أن لا أفتح لأحد غيرك» وأما إذا دخلوها فإن أبواب الجنان تكون مفتحة لهم فتزورهم الملائكة ويتنعمون كيف شاءوا والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني
مفتاح تلك الأبواب

قيل لوهب بن منبه - رحمه الله تعالى -: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال: بلى ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح. [رواه البخاري معلقاً قبل حديث (١٢٣٧)].

وفي الحقيقة أن هذا المثال الذي ضربه وهب بن منبه يجب اعتباره إذ أنه متضمن الإشارة إلى حل الإستشكال في بعض أحاديث الوعد التي علق فيها دخول الجنة على قول «لا إله إلا الله» أو الموت على التوحيد، فالواجب أن لا يفهم من تلك الأحاديث أن مجرد النطق بقول: «لا إله إلا الله» كاف في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لا بد من القيام معها بحقوقها التي هي شرائع الإسلام والحرص قولاً وعملاً على تكميل مراتب الإيمان فكلمة «لا إله إلا الله» سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع.

قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم؟، قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة لكن للا إله إلا الله شروط فإياك وقذف المحصنة، وقيل للحسن: إن ناساً يقولون من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. [كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (ص١٣ -١٤)].

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وإنَّك إذا أتيتَ اليمنَ تسألُك

نصاراها عن مفتاحِ الجنَّةِ، فقُلْ: مفتاحُ الجنَّةِ لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له». [موضوعات ابن الجوزي (٣/ ٤٥١) موضوع].

قلت: وقد ورد أن مفتاح الجنة الصلاة وحب المساكين ولكناها ضعيفة.

عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: لكلَّ شيءٍ مفتاحٌ، ومفتاحُ الجنةِ حبُّ المساكينَ والفقراءِ. [الجامع الصغير (٧٣٠٤) ضعيف]

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مِفتاحُ الجنَّةِ الصَّلاةُ، ومِفتاحُ الصَّلاةِ الوُضوءُ.. [الضعفاء الكبير للعقيلي (٢/ ١٣٧) ضعيف]

قال ابن القيم - رحمه **الله** تعالى -:

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكل مطلوب مفتاحا يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور،كما قال رحمه **الله** تعالى -:مفتاح الصلاة الطهارة، ومفتاح الحج :الإحرام ،ومفتاح البر :الصدق ،ومفتاح الجنة :التوحيد، ومفتاح العلم:حسن السؤال ،وحسن الإصغاء ... [حادي الأرواح(٦٨)].

قال ابن القيم - رحمه **الله** تعالى -:

هـذا وفـتـح الـبـاب لـيس بممكن ∴ إلا بـمـفـتـاح عـلـى أسـنـان

مفتاحه بشهادة الإخلاص والتو ∴ حيد تلك شهادة الإيمان

أسنانه الأعمال وهي شرائع الـ ∴ إسلام والمفتاح بالأسنان

لا تلغين هذا المثال فكم به ∴ من حل إشكال لذي العرفان

وقد ذكر القاضي عياض، ورجحه النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن حجر، وكثير من الأئمة - رحمهم **الله** تعالى - وهو أنه لابد مع لا إله إلا الله من عمل الصالحات وتجنب السيئات، الذي هو تحقيق لمعناها ومقتضاها، ودليل على الصدق فيها.

[انظر: شرح النووي على مسلم (٢١٩/١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية(٧٥٧/٣)، فتح الباري (٢٢٦/١)، معارج القبول(٣٤٣/١)، الدين الخالص(١٧٣/٣-١٧٤)].

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى -:

ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. [أخرجه ابن أبي شيبة(٩٣)].

قلت: مفتاح الجنة هو التوحيد الذي لا يقبل الله إلا أهله ولو كان عندهم ذنوب ومعاصي كما جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من لَقِيَ الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار». [مسلم(١٥٢)].

وحديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فقَالَ «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ» قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» قَالَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ» قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ «فَإِنَّ حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم». [البخاري(٥٩٦٧) مسلم(٣٠)]. وأدلة ذلك كثيرة جداً يشملها التوحيد المتضمن للا إله إلا الله .

وعن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ رَثُّ الهَيْئَةِ: أَأَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، وَكَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ، فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. [سُنن الترمذي(١٦٥٩)قال العلامة الألباني: صحيح] .

المبحث الثالث

منشور الدخول من تلك الأبواب

أفرد الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: في كتابه حادي الأرواح فصلاً لهذا المبحث وكذلك في النونية وبعد التقصي للأحاديث التي وردت في هذا لم يتبين لي عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حديث صحيح أو حسن يستشهد به لكلامه وما استشهد به ابن القيم لم يثبت كما سنذكر ذلك وعليه لم يثبت هذا الجواز - كتاب - في دخول الجنة لعدم المستند الصحيح الذي يرجع إليه.

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلَّا بِجَوَازٍ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ». [المعجم الكبير للطبراني (٢٧٢/٦) وعبد الرحمن بن زياد ضعيف، ورواه ابن عدى في الكامل (٣٤٤/١) من طريق إسحاق الدبري، به. وقال: حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر ثم ذكر هذا الحديث].

وعَنِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُعْطَى الْمُؤْمِنُ جَوَازا عَلَى الصِّرَاطِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِفُلَانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ». [رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية(٤٤٦/٢) وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

ولكن قد ثبت أن المؤمنين لهم كتاب في عليين في الجنة وكذلك الكفار لهم كتاب في أسفل سافلين في النار.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ ﴾[المطففين :٧-٩] . وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾[المطففين:١٨-٢١].

وللمؤمنين والكفار كتاب عند الله تعالى في اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ﴾[طه :٥٢] ، وكذلك يكتب للمولود عند نفخ الروح هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار كما جاء في حديث ابن مسعود - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -.

وكذلك يكتب كتاب العباد عند الموت إن كان من أهل الجنة أو من أهل النار كما جاء عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - في الحديث الطويل: فَيَقُولُ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ -: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ». [أحمد(١٨٥٣٤) بسند صحيح]

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

هَـذَا وَمـن يـدْخـل فَـلَيْسَ بداخل ∴ إلا بـتـوقـيـع مـن الـرَّحْمَـن
وكـذاك يـكْـتـب لـلـفتى لدُخُـوله ∴ مـن قـبـل تـوقـيـعـان مـشـهـوران
أَحْـدَاهمَـا بعد الْـمَـمَـات وَعـرض ∴ أرواح الْـعـبـاد بِـهِ عـلى الديَّان
فَـيَـقُـول رب الْـعَـرْش جـلّ جَـلَاله ∴ لـلـكاتـبـين وهم أولـو الدِّيـوَان
ذَا الِاسْم فِي الدِّيـوَان يكْتب ذَاك ∴ ديـوَان الْـجـنـان مجـاور المـنـان
ديـوَان عـلـيـين أَصْحـاب الـقـرآ ∴ ن وَسُـنَّـة الْـمَبْعُوث بِالْـقُـرْآنِ
فَـأَذا انْـتهـى للجسر يَـوْم الْـحَشْر ∴ يـعْـطى الدُّخُـول إِذًا كـتـابًا ثَانِي
عـنـوانـه هَـذَا كـتـاب مـن عَـزِيـز ∴ رَاحِـم لـفُـلَان ابْـن فـلَان
فَـدَعـوهُ يـدْخـل جنَّة المـأْوى الَّـتِي ار ∴ تـفـعـت وَلَـكِـن الـقـطـوف دواني

هَــذَا وَقــد كتب اسْمــه مـذ كَانَ فِي ∴ الْأَرْحَـــام قبـل ولادَة الإنـســان
بـل قبل ذَلِك وَهُــوَ وَقـت القبضتين ∴ كِلَاهُمَـــا لــلـعـدل والإحـســان
سُبْحَانَ ذِي الجبروت والملكوت وَالـ ∴ اجــلال والإكـــرام والـسـبـحـان
وَالله أكـبر عَـالم الإسرار والإعــلان ∴ والـــلــحــظــات بالأجـــفـــان
وَالْــحَــمْــد لله الـسَّـمِـيع لسَـائِـر ∴ الأصـــوت مــن سر وَمـــن إعــلان
وَهُـــوَ المـوحـد والمـسـبـح والممجـد ∴ والحمـــيـــد ومـــنزل الْـــقُـــرْآن
وَالْأَمـــر مــن قبـل وَمـــن بـعـد لَهُ ∴ سُـبْـحَـانَـك الـلَّـهُـمَّ ذَا الـسُّـلْـطَان

المبحث الرابع

سعة أبواب الجنة

وعن عتبة بن غزوان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «ولقد ذُكِر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتينَّ عليها يومٌ وهي كظيظٌ من الزحام». [مسلم(٢٩٦٧)].

أخبَرَنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعضِ أحداثِ يومِ القِيامةِ، ووصَفَ ما فيه؛ لِيَتَّعِظَ النّاسُ، ويَعْمَلوا لهذا اليومِ، وهذا جُزءٌ من حديثٍ طويلٍ يُبيِّنُ بعضًا مِن ذلك؛ حيثُ يقولُ.النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والَّذي نَفْسي بيَدِه، إنَّ ما بيْن المِصراعينِ مِن مَصاريعِ الجَنَّةِ» والمِصراعانِ: البابانِ المُغْلقانِ على مَنفذٍ واحدٍ، «كما بيْن مكَّةَ وهجَرَ- أو كما بيْن مكَّةَ وبُصْرى».

وهذا دليلٌ على السَّعةِ العظيمةِ لأبوابِ الجنَّةِ، والمعنى: أنَّ مَسافةَ ما بيْن البابينِ كَمَسافةِ ما بيْن مكَّةَ وهجَرَ، أو بيْن مكَّةَ وبُصرى، وهجَرُ تقَعُ أقْصى شَرقِ جزيرةِ العرَبِ، الَّتي هي الآنَ قَطرُ والبَحرينُ، وبُصرى: بلدةٌ في بِلادِ الشّامِ، جَنوبيَ دِرعا السُّوريَّةِ اليومَ، وقدْ ثبَتَ حديثًا: أنَّ المسافةَ بيْن مكَّةَ وكِلا البَلدينِ مُتساويةٌ، وتُقدَّرُ: ١٢٧٣ كم تقريبًا.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر». [البخاري(٤٧١٢)، مسلم(١٩٤) واللفظ له] .

قال المناوي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «ما بين مصراعين من مصاريع الجنة» أي: شطر باب من أبوابها ففي المصباح المصراع من الباب الشطر «مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ» أي امتلاء وزحام. وفي النهاية الكظيظ الزحام ثم إن ما تقرر في هذا الخبر يعارضه خبر أبي هريرة

المتفق عليه أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وفي لفظ كما بين مكة وبصرى وبين الخبر كما ترى بون عظيم إلا أن البعض حاول التوفيق بأن المذكور في هذا الخبر أوسع الأبواب وهو الباب الأعظم وما عداه هو المراد في خبر أبي هريرة وبأن الجنان درجات بعضها فوق بعض فأبوابها كذلك فباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها وكلما علت الجنة اتسعت فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة فاختلاف الأخبار لاختلاف الأبواب. [فيض القدير(٤٣٤/٥)].

قال المباركفوري - رحمه الله تعالى -:

الْمُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ لِئَلَّا يُخَالِفَ مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنَّهُ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِالْقَلِيلِ ثُمَّ أُعْلِمَ بِالْكَثِيرِ أَوْ يُحْمَلُ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَبْوَابِ بِاخْتِلَافِ أَصْحَابِهَا. [تحفة الأحوذي(٢١٩/٧)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَوَّلُ زُمْرَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ». [البخاري(٦١٨٧)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

سبعون عاما بين كل اثنين منـ ـها قدّرت بالعد والحسبان

هذا حديث لقيط المعروف بالـ ـخبر الطويل وذا عظيم الشان

وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان

فصل: في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها:

لكن بينهما مسيرة أربعيـ ـن رواه حبر الأمة الشيباني

في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان

ولقد روى تقديره بثلاثة الـ أيام لكن عند ذي العرفان
أعني البخاري الرضي وهو منكر وحديث راوية ذو نكران

فائدة: أبواب الجنة ليست متساوية بل بعضها فوق بعض.

قلت: أبواب الجنة عظيمة جداً ولكل جنة أبواب لا يعلمها إلا الله تعالى ومن محصل الأدلة الشرعية أن أبواب الجنة غير متساوية في الشكل والموضع والسعة فهي أبواب مختلفة باختلاف موقعها وموضعها ولا شك أن الجنة درجات مراتب ومنازل كل جنة فوق الأخرى فهي جنة الفردوس وهي أعلى الجنان وبابها يقابلها في العلو فأبواب الجنة بعضها فوق بعض وليست الثمانية بعضها فوق بعض متساوي ومتراكب بل في جهات متعددة بدليل حديث أدخل من أمتك سبعين ألف من الباب الأيمن وسيأتي تخريجه فالحاصل أن أبواب الجنة غير متقابلة لا طولاً في العلو ولا عرضاً بعضها بجوار بعض بل هي بعضها فوق بعض ولكل جنة والله أعلم ربما أكثر من باب والله تعالى أعلم كما أن أبواب النار بعضها أدنى من بعض لأن النار دركات وكل نار لها باب عياذاً بالله تعالى.

قال المناوي - رحمه **الله** تعالى -:

وبأن الجنان درجات بعضها فوق بعض فأبوابها كذلك فباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها وكلما علت الجنة اتسعت فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة فاختلاف الأخبار لاختلاف الأبواب. [فيض القدير(٥/٤٣٤)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ :«الْخَيْمَة دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ فَرسَخٌ فِي فَرْسَخٍ لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذَهبٍ». [صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١٦)].

المبحث الخامس

كيف تفتح أبواب الجنة

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

وفِي قَوْلِهِ: ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص:٥٠] وُجُوهٌ:

الأَوَّلُ: أنْ يَكُونَ المَعْنى أنَّ المَلائِكَةَ المُوَكَّلِينَ بِالجِنانِ إذا رَأوْا صاحِبَ الجَنَّةِ فَتَحُوا لَهُ أبْوابَها وحَيَّوْهُ بِالسَّلامِ، فَيَدْخُلُ كَذَلِكَ مَحْفُوفًا بِالمَلائِكَةِ عَلى أعَزِّ حالٍ وأجْمَلِ هَيْئَةٍ، قالَ اللهتَعالى -: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر :٧٣] .

الثّانِي: أنَّ تِلْكَ الأبْوابَ كُلَّما أرادُوا انْفِتاحَها انْفَتَحَتْ لَهم، وكُلَّما أرادُوا انْغِلاقَها انْغَلَقَتْ لَهم.

الثّالِثُ: المُرادُ مِن هَذا الفَتْحِ، وصْفُ تِلْكَ المَساكِنِ بِالسِّعَةِ، ومُسافَرَةُ العُيُونِ فِيها، ومُشاهِدَةُ الأحْوالِ اللَّذِيذَةِ الطَّيِّبَةِ. [مفاتيح الغيب(١٩١/٢٦)].

عن أنس بن مالك - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّي لأوّل النّاس تنشقّ الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيّد النّاس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من يدخل الجنّة يوم القيامة ولا فخر. وإنّي آتي باب الجنّة فآخذ بحلقتها. فيقولون من هذا؟ فأقول: أنا محمّد. فيفتحون لي. فأدخل فإذا الجبّار -عَزَّوَجَلَّ - مستقبلي فأسجد له فيقول: ارفع رأسك يا محمّد، وتكلّم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفّع، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي أمّتي .... الحديث». [الصحيحة (٥٧١)].

قال المناوي - رحمه الله تعالى -:

قوله: « آتي باب الجنّة» أي أجيء بعد الانصراف من الحشر للحساب إلى أعظم المنافذ التي يتوصل منها إلى دار الثواب وهو باب الرحمة أو هو باب التوبة كما في النوادر[لم يثبت فيه حديث صحيح ولا أثر معتبر]: فإن قلت هل لتعبيره بالإتيان دون المجيء من نكتة؟ قلت: نعم وهي الإشارة إلى أن مجيئه يكون بصفة من ألبس خلع الرضوان فجاء على تمهل وأمان من غير نصب في الإتيان إذ الإتيان كما قال الراغب مجيء بسهولة. قال: والمجيء أعم ففي إيثاره عليه مزية زهية. وفي الكشاف وغيره: إن أهل الجنة لا يذهب بهم إليها إلا راكبين فإذا كان هذا في آحاد المؤمنين فما بالك بإمام المرسلين؟ . [فتح القدير(١/ ٣٥)].

وقال أيضاً - رحمه الله تعالى -:

قوله: «فأقرع » وخبر البخاري عن أنس: « أنا أول من يقرع باب الجنة » والفاء سببية أي يتسبب عن الإتيان الاستفتاح ويحتمل جعلها للتعقيب بل هو القريب. فإن قلت ما وجهه؟ قلت: الإشارة إلى أنه قد أذن له من ربه بغير واسطة أحد لا خازن ولا غيره وذلك أن من ورد باب كبير فالعادة أن يقف حتى ينتهي خبره إليه ويستأمر فإن أذن في إدخاله فتح له. فالتعقيب إشارة إلى أنه قد صانه ربه عن ذل الوقوف وأذن له في الدخول قبل الوصول بحيث صار الخازن مأموره منتظرا لقدومه. [فتح القدير(٣٥/١)].

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى -:

وذكر أبواب الجنة فقال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتفهم: انفتحي انغلقي، فتفعل. [تفسير الطبري (٣٥٨/٨)].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

فإن قلت ورد عن الحسن وقتادة وغيرهما أن أبواب الجنة يرى ظاهرها من باطنها وعكسه وتتكلم وتعقل ما يقال لها انفتحي انغلقي كما نقله ابن القيم - رحمه الله تعالى - وغيره

فلم طلب الفتح من الخازن ولم يطلبه منها بلا واسطة؟ .

قلت: الظاهر أنها مأمورة بعدم الاستقلال بالفتح والغلق وأنها لا تستطيع ذلك إلا بأمر عريفها المالك لأمرها بإذن ربها وإنما يطالب بما يراد من القوم عرفاؤهم. فإن قلت: ما فائدة جعل الخازن للجنات مع أن الخزن إنما يكون في المتعارف حفظا لما يخاف ضياعه أو تلفه أو تطرق النقص إليه فيفوت كله أو بعضه على صاحبه والجنة لا يمكن فيها ذلك؟ قلت: إن خزن ملائكة الجنة نعيمها إنما يكون لأهلها فكل منهم يجعل إليه مراعاة قسط معلوم من تلك النعم لمن أعد له حتى إذا وافى الجنة كان الخازن هو الممكن له منه فخزنه إياه قبل التسليم هو مقامه على ملاحظة ما جعل سبيله وانتظار من أهل له وإيصاله إليه فهذا هو المراد لا حفظها من أحد يخاف منه عليها ذكره الحليمي. [فيض القدير(٣٨/١)].

وقال - رحمه الله تعالى- أيضاً:

فإن قلت ينافي كون أبواب الجنة شفافة خبر أبي يعلى عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:« أقرع باب الجنة فيفتح لي باب من ذهب وحلقه من فضة » قلت: ما في الجنة لا يشبه ما في الدنيا إلا في مجرد الاسم كما في خبر يأتي فلا مانع من كون ذهب الجنة شفافا فتدبر. [فتح القدير(٣٥/١)].

قلت: أثر الحسن ليس عليه دليل من الكتاب والسُنَّة ولا يثبت أيضاً دليل صحيح صريح أنها من الذهب أو الفضة وإن كانت من الخلق العجيب الذي لا يعلم بجمالها وبهائها وحسنها إلا الله تعالى ولكن التوقف في أمور الغيب هو من الإيمان والله تعالى أعلم.

فائدة: كيف يكون الجمع بين حديث: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله عَزَّوَجَلَّ لي» وقوله تعالى -: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾[ص:٥٠].؟

الجواب يكون من وجوه:

أولاً: أنهم نظروا الأبواب مفتحة من بُعد مما يوجب السرور والفرح وبأنه يوجب

الخلاص من ذل الوقوف وهذا ليس بصحيح فلا دليل عليه وهو استنباط بعيد.

ثانياً: وقيل الآية عامة والحديث خاص بالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن معه وهذا ليس بصحيح لأن شرف الفتح ينال غيرهم وهم يأتونها وهي مغلقة.

ثالثاً: أن الحديث خاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه يأتي فيستفتح ثم إذا ورد الناس يأتونها وهي مفتحة وهذا لا بأس به.

رابعاً: بأن المراد بالأبواب في الآية أبواب المنازل التي في الجنة لا أبواب الجنة المحيطة بالكل وهذا جمع طيب.

خامساً: أن الحديث والآية على ظاهرهما وهذا هو الذي تطمئن له النفس بأن الجنة يفتحها الحبيب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تبقى مفتحة لا تغلق بعدها ودليل ذلك حديث: آخر من يدخل الجنة فيقول الله له أدخل. وفي رواية: فيرى الجنة وهذا دليل على أن الآية بعد الفتح للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

بأن الجنة لكونها دار الله ومحل كرامته ومعدن خواصه إذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى مالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم فكلهم يحجم حتى تقع الدلالة على أفضلهم فيأتي إلى العرش ويخر ساجدا لربه فيدعه ما شاء الله أن يدعه ثم يأذن له في الرفع وأن يسأل حاجته فيشفع في فتحها فيشفعه تعظيما لخطرها وإظهارا لمنزلته عنده ودفعا لتوهم الغبي أنها كالجنان التي يدخلها من شاء ولا يعارضه: ﴿ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ لدلالة السياق على أن المعنى أنهم إذا دخلوها لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم ودخول الملائكة عليهم من كل باب بالتحف والألطاف من ربهم وإلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا في الدنيا فلا تدافع بين الآية والخبر. [فتح القدير(٣٥/١)].

فائدة: كيف نجيب عن حديث أن أول من يدخلها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين حديث «بم سبقتني إلى الجنة؟».

الجواب من وجوه:

أولاً: قيل المراد لا يدخلها الدخول التام يوم القيامة أولاً إلا النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ثانياً: قيل بأنه رآه في المنام ففيه التنبيه على فضيلة عمله وليس معنى ذلك أنه قبله في الدخول.

ثالثاً: أن دخوله من جهة تقدم الخادم قبل سيده.

رابعاً: أنه أول من يفتح له الباب وليس فيه أنه أول داخل بل يحتمل أنه يستفتح لهم ويقدم من شاء من أمته في الدخول كما هو المتعارف في الدنيا.

خامساً: أن دخول المصطفى يتعدد فالدخول الأول لا يتقدم ولا يشاركه فيه أحد ويتخلل بينه وبين ما بعده دخول غيره.

قلت: والصواب والله أعلم هو الجواب الأخير وهو ترجيح العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. [وانظر فتح القدير (٣٥/١)].

المبحث السادس

خازن الأبواب

عن أنس بن مالك - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّي لأوّل النّاس تنشقّ الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيّد النّاس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من يدخل الجنّة يوم القيامة ولا فخر. وإنّي آتي باب الجنّة فآخذ بحلقتها. فيقولون من هذا؟ فأقول: أنا محمّد. فيفتحون لي. فأدخل فإذا الجبّار -عَزَّوَجَلَّ- مستقبلي فأسجد له فيقول: ارفع رأسك يا محمّد، وتكلّم يسمع منك وقل يقبل منك واشفع تشفّع، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي أمّتي .... الحديث». [الصحيحة(١٥٧١)].

وعن أنس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أُمِرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك». [مسلم(١٩٧)].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «فيقول الخازن» أي: الحافظ وهو المؤتمن على الشيء الذي استحفظه والخزن حفظ الشيء في الخزانة ثم عبر به عن كل حفظ ذكره الراغب سمي الموكل بحفظ الجنة خازنا لأنها خزانة الله تعالى أعدها لعباده وأل فيه عهدية والمعهود رضوان وظاهره أن الخازن واحد وهو غير مراد بدليل خبر أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: « من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب هلم » فهو صريح في تعدد الخزنة إلا أن رضوان أعظمهم ومقدمهم وعظيم الرسل إنما يتلقاه عظيم الحفظة (من أنت) أجاب بالاستفهام وأكده بالخطاب تلذذا بمناجاته وإلا فأبواب الجنة شفافة وهو العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس وقد رآه

رضوان قبل ذلك وعرفه ومن ثم اكتفى بقوله. [فتح القدير(٣٥/١)].

وقال أيضاً - رحمه الله تعالى -:

فإن قلت: ما فائدة جعل الخازن للجنات مع أن الخزن إنما يكون في المتعارف حفظا لما يخاف ضياعه أو تلفه أو تطرق النقص إليه فيفوت كله أو بعضه على صاحبه والجنة لا يمكن فيها ذلك؟ قلت: إن خزن ملائكة الجنة نعيمها إنما يكون لأهلها فكل منهم يجعل إليه مراعاة قسط معلوم من تلك النعم لمن أعد له حتى إذا وافى الجنة كان الخازن هو الممكن له منه فخزنه إياه قبل التسليم هو مقامه على ملاحظة ما جعل سبيله وانتظار من أهل له وإيصاله إليه فهذا هو المراد لا حفظها من أحد يخاف منه عليها ذكره الحليمي. [المصدر السابق].

وهذا دليل أن الجنة لها خزنة على أبوابها وأن لهم رئيس ومقدم كما أن الموت له ملائكة ولهم رئيس ومقدم والنار لا خزنة ولهم رئيس ومقدم فكذلك الجنة لها ملائكة وخزنة وحفظة ويبثون السلام ويأتون بالتحف والهدايا وغير ذلك من الأعمال التي جعلها الله تعالى لهم.

مسألة: هل ثبت اسم خازن الجنة رضوان؟.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى -:

وخازن الجنّة ملك يقال له رضوان، جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث . [البداية والنهاية (٥٣/١)].

قلت: وأما ما ورد أن اسم خازن الجنة رضوان فلم يثبت عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث صحيح بل كلها ضعيفة.

ولا شك أن ملائكة الله تعالى لهم وظائف وأعمال وأن لهم رئيس ومقدم فملائكة الموت لهم مقدم وله أعوان وكذلك القطر والزرع والمطر وكذلك الجنة والنار وغيرها من الأعمال التي بين الله تعالى ورسوله أن من الملائكة من يكون له أعوان في عمله الذي وكله الله تعالى له.

ومن ضمن ذلك الجنة لها ملائكة ولهم فيها اعمال كثيرة وعظيمة وجليلة ولهم مقدمون وعلى رأسهم ملك لكن لم يعلم لنا اسمه بالدليل الصحيح الصريح فيبقى الأمر متوقف فيه حتى يرد علينا الدليل لأن هذا من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى ولم يعلمنا بها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المبحث السابع
أول من يدخل الجنة

أول من يدخل الجنة: محمد - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

عن أنس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أُمِرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك». [مسلم(١٩٧)].

النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيِّدُ وَلَدِ آدمَ وله مَنزِلةٌ عَظيمةٌ عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ يقولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ» أي: إنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذهبُ إلى الجنَّةِ حتّى يَقِفَ عند بابِها؛ فَأَسْتَفْتِحُ، أي: أَدُقُّ وأَقْرَعُ بابَها لِيُفتحَ لي، فيقولُ الخازِنُ، أي: حافِظُها وحارِسُها: مَن أنتَ؟ أي: الَّذي يَقْرَعُ البابَ؛ فأقولُ: مُحَمَّدٌ، فيقولُ الخازِنُ عندما يَسمعُ اسمَ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفتحُ لأَحدٍ قَبْلَكَ، أي: لا أَفتحُ الجنَّةَ لأحدٍ قَبْلَكَ حتّى يكونَ أنتَ أَوَّلَ مَنْ يفتحُها، وهذا إعلامٌ منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه أَوَّلُ مَنْ يدخُلُها.

وفي الحديثِ: بيانُ التَّكريمِ الربّانِيِّ لنبيِّنا مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بتَخصيصِه بأَوليَّةِ الدُّخولِ إلى الجَنَّةِ بل إلى أعْلى مَقاماتِها؛ إلى المقامِ المحمودِ؛ فإنَّ أهلَ الدُّنيا إذا أَرادوا بَيانَ فضْلِ إنسانٍ وعِظَمِه لم يُدْخِلوا أحدًا قبلَه إلى الدّارِ أو إلى الولِيمةِ.

وعنه - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أنا أكثر الأنبياء تبَعاً يومَ القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة» [مسلم(١٩٦)].

قال المناوي - رحمه الله تعالى -:

أي: يطرقه للاستفتاح فيفتح له فيكون أول داخل كما سبق والقرع بالسكون الطرق يقال طرقت الباب بمعنى طرقته ونقرت عليه. [فيض القدير(٣/٤٠)].

وعن حذيفة بن اليمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قال: قال أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إبراهيم خليل الله وعيسى كلمة الله وروحه وموسى كلمه الله تكليما، فماذا أعطيت يا رسول الله؟ قال: «ولد آدم كلهم تحت لوائي يوم القيامة، وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة». [السلسلة الصحيحة(٢٤١١)].

قال المناوي - رحمه الله تعالى -:

فيه الإشارة إلى أنه قد أذن له من ربه بغير واسطة أحد لا خازن ولا غيره وذلك أن من ورد باب كبير فالعادة أن يقف حتى ينتهي خبره إليه ويستأمر فإن أذن في إدخاله فتح له. فالتعقيب إشارة إلى أنه قد صانه ربه عن ذل الوقوف وأذن له في الدخول قبل الوصول بحيث صار الخازن مأمورا منتظرا لقدومه. [فيض القدير(١/٣٧)].

وقال أيضاً:وخبر البيهقي « أول من يقرع باب الجنة عبد أدى حق الله وحق مواليه» وأقول هذه أجوبة كلها لا ظهور لها ولا حاجة إليها إذ ليس في هذا الخبر إلا أنه أول من يفتح له الباب وليس فيه أنه أول داخل بل يحتمل أنه يستفتح لهم ويقدم من شاء من أمته في الدخول كما هو المتعارف في الدنيا فإن أبيت إلا جوابا على فرض أنه أول داخل وهو ما ورد في أحاديث أخرى فدونك جوابا يثلج الفؤاد بعون الرؤوف الجواد وهو أنه قد ثبت في خبر مسدد أن دخول المصطفى يتعدد فالدخول الأول لا يتقدم ولا يشاركه فيه أحد ويتخلل بينه وبين ما بعده دخول غيره...[فيض القدير(١/٣٩)].

قلت: جاءت آثار أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوَّلُ مَن يَقرَعُ بابَ الجنَّةِ المَملوكونَ». [ضعيف الترغيب(١١٨٨)]. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوَّلُ مَن يَقرَعُ بابَ الجَنَّةِ فيُفتَحُ لهُ:

المَملوكُ إذا أَطاعَ اللهَ وأَطاعَ سَيّدَهُ».[مسند أبي يعلى(٩٥) ضعيف فيه صدقة بن موسى كثير الأوهام صدوق وفرقد السبخي لين الحديث كثير الخطأ] وكل هذا يرده حديث أنس بن مالك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أنا أَكْثَرُ الأنْبياءِ تبَعًا يومَ القِيامَةِ، وأنا أوَّلُ مَن يَقْرَعُ بابَ الجَنَّةِ». [مسلم(١٩٦)].

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعيَ من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعيَ من باب الصدقة» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ «نَعَمْ. وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». [البخاري(١٨٩٧)، مسلم(١٠٢٧)].

في هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ مَن تصدَّق بعَدَد اثنين مِن أيِّ شيءٍ من الملبوساتِ أو النُّقودِ أو الطَّعام، فأَعطى دِرهمينِ، أو رَغيفين، أو ثوبينِ لِمَن هو في حاجةٍ إليهما؛ ابتغاءً لرضوانِ الله نادَتْه الملائكةُ مِن أبواب الجنة مرحِّبةً بقُدومِه إليها، وهي تقول: لقد قدَّمتَ خيرًا كثيرًا تُثاب عليه اليومَ ثوابًا كبيرًا.

وقد جعَل لكلِّ عبادةٍ في الجنَّة بابًا مخصوصًا؛ فالمُكثِرون من الصَّلاة يُنادَون مِن باب الصَّلاة، ويَدخُلون منه، وهكذا الأمرُ بالنِّسبةِ إلى سائرِ العباداتِ مِن جِهادٍ وصدَقة. والمُكثِرون من الصَّومِ تَستقبِلُهم الملائكةُ عند باب الريّان داعيةً لهم بالدُّخول منه، وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه مَن دخَله لم يَظمَأْ أبدًا. والمُكثِرون من الصَّدقةِ، يُدْعَونَ إلى دُخولِ الجَنَّةِ مِن بابِ الصَّدقةِ؛ فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي وأمِّي يا رسولَ اللهِ، ما على مِن دُعِي مِن تلكَ الأبوابِ من ضرورةٍ، أي: ليس على المدعوِّ مِن كلِّ الأبوابِ مَضرَّةٌ، أي: قدْ سَعِد مَن

دُعِيَ مِن أبوابِها جميعًا، وقيل: معناه أنَّه مَن دُعِي مِن بابٍ واحدٍ فقدْ حَصَل مُرادُه، وهو دخولُ الجَنَّة، وليس هناكَ ضرورةٌ عليه أنْ يدُعى مِن تِلك الأبوابِ كلِّها. ثم سألَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فهل يُدْعى أحدٌ مِن تلك الأبوابِ كلِّها؟ فأجابَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «نعم»، أيْ: يوجَد مِن المؤمنين مَن يُدْعى مِن أبواب الجنة الثَّمانيةِ؛ لكثرةِ عِباداتِه وتنوُّعِها واختلافِها، «وأرجو أنْ تكونَ منهم»؛ وذلك لاجتهادِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كلِّ العِبادات، وحِرصِه على فِعل الخيراتِ.

وفي الحديثِ: فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن عبد البر - رحمه الله تعالى -:

وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا فَضْلٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ كَبِيرٌ وَشَهَادَةٌ بِأَنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ نَصِيبًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[الاستذكار(١٤٩/٥)].

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». [مسلم(١٠٢٨)].

يُجلِّي هذا الحديثُ بعضَ الفضائلِ التي تكونُ سببًا في دُخولِ الجَنَّةِ لِمَن اجتَمَعَتْ فيه، وفيه توضيحٌ لفضلِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيثُ إنَّه فعَل كلَّ هذه الأعمالِ الصالحةِ واجتمَعَتْ فيه.

ومِن مَعالِمِ التَّوجيهِ والتَّربيَةِ النبويَّةِ: أنَّه يَلفِتُ العُقولَ والأنظارَ إلى مُرادِه؛ لِينتَبِهَ الحاضِرون لِأنَّ لكلِّ سُؤالٍ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَغْزًى وهدفًا يُعرَفُ بعدَ توضيحِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَجْلِيَتِه لِمُرادِه مِنَ السؤالِ.

فقد سأَل الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أصبَحَ منكم اليومَ صائمًا؟» و(مَن) استِفهامِيَّة، أي: مَن دخَل في الصَّباحِ صائمًا؟ «قال أبو بَكْرٍ: أنا» وذَكَر «أنا» هنا لِلتَّعيينِ في الإخبارِ لا للاعتِدادِ بنَفْسِه كما يُذكَرُ في مَقامِ المُفاخَرَةِ، ثُمَّ أَردَفَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا السؤالَ بأسئلةٍ أُخرى استِكمالًا لتوضيحِ أسبابِ دُخولِ الجنَّةِ، فقال: «فَمَن تَبِعَ منكم اليومَ جِنازَةً؟ قال أبو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: فَمَن أَطْعَمَ منكم اليومَ مِسكينًا؟ قال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا، قال: فَمَن عادَ مِنكم اليومَ مريضًا؟ قال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا»، أي: أنَّ كلَّ هذه الخِصالِ والأفعالِ التي سأَل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها كانَ قد فعَلها كلَّها أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أصبَح صائمًا مِن يومِه، وتَبِعَ جِنازَةً، وأطعَمَ مِسكينًا من مالِه، وزارَ مريضًا، فاجتمَعَتْ كلُّ هذه الأفعالِ الطيِّبةِ في أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلت: قد جمع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الفقر والهجرة والصديقية وهو أفضل العباد عند الله تعالى بعد الأنبياء بالإجماع فهو أول من يدخل من هذه الأمة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان جاء في ذلك حديث لكنه ضعيف لا يثبت فتأمل المفهوم فهو صحيح ولا تركن على المنطوق فإنه ضعيف.

وقد جاء بسند ضعيف عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « أتاني جبريل، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي»فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: يا رسول الله، وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي».[ضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة(١٧٤٥)].

أُمة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « نحن الآخِرون الأوَّلون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قَبْلِنا، وأُوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له قال: يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى». [مسلم(٨٥٥)].

يُبَيّنُ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه وأَمَتَّه الآخِرونَ في الزَّمانِ السّابِقونَ في الفَضْلِ والفَضيلة يَومَ القيامةِ، أُوتوا الكِتابَ، أي: التَّوراةَ والإنْجيلَ مِن قَبلِنا، وأُوتيناه، أي: القُرآنَ العَزيزَ مِن بَعدِهم، فَهَذا اليَوم، أي: يَوم الجُمُعة الَّذي اخْتَلَفوا فيهِ بَعدَ أنْ عُيّنَ لَهم، وأُمِروا بِتَعْظيمِه، فَتَرَكوه وغَلَّبوا القياسَ، فعَظَّمَت اليَهودُ السَّبتَ لِلْفَراغِ مِن الخَلْقِ، وظَنَّت ذَلِكَ فَضيلةً توجِبُ عِظَمَ اليَومِ، وعَظَّمَت النَّصارى الأَحَدَ؛ لَمّا كانَ ابْتِداءُ الخَلْقِ فيهِ، فَهَدانا اللهُ إلَيْه بالْوَحْيِ الوارِدِ في تَعظيمِه، أو بالِاجتِهادِ الموافِقِ لِلْمُرادِ. فغَدًا مُجتَمَع لِليَهودِ، وبَعدَ غَدٍ مُجتَمَع لِلنَّصارى.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى فصل القضاء وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة. [كما في فيض القدير(٤٠/١)].

الفقراء من هذه الأمة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَيْنَ فُقَرَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ ، فَيَقُومُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا عَمِلْتُمْ؟ ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا ، ابْتُلِينَا فَصَبَرْنَا، وَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ وَالسُّلْطَانَ غَيْرَنَا ، فَيَقُولُ اللهُ - عَزَّوَجَلَّ -: صَدَقْتُمْ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ، وَتَبْقَى شِدَّةُ الْحِسَابِ عَلَى ذَوِي الْأَمْوَالِ وَالسُّلْطَانِ، قَالُوا: فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ؟ ، قَالَ: يُوضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيُّ مِنْ نُورٍ، مُظَلَّلٌ عَلَيْهِمُ الْغَمَامُ، يَكُونُ ذَلِكَ الْيَوْمُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ». [صحيح الترغيب والترهيب(٣١٨٧)].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: « هل تدرون من أوَّلُ من يدخُلُ الجنَّةَ من خلقِ اللهِ؟. قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ ! قال: أوَّلُ من يدخُلُ الجنَّةَ من خلقِ اللهِ: الفقراءُ المهاجرون الَّذين تُسَدُّ بهم الثُّغورُ، وتُتَّقى بهم المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيعُ لها قضاءً، فيقولُ اللهُ لـ [من يشاءُ من]

ملائكتِه: ائتوهم فحيُّوهم، فتقولُ الملائكةُ: ربَّنا ! نحن سُكّانُ سماواتِك، وخيرتُك من خلقِك، أفتأمُرنا أن نأتيَ هؤلاء فنُسلِّمَ عليهم؟ ! قال: إنَّهم كانوا عبادًا لي، يعبدوني لا يُشرِكون بي شيئًا، وتُسَدَّ بهم الثُّغورُ، وتُتَّقى بهم المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيعُ لها قضاءً، قال: فتأتيهم الملائكةُ عند ذلك، فيدخلون عليهم من كلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدّارِ». [صحيح الموارد (٢١٧٥)].

للمُهاجرين الأوَّلين مَكانةٌ عَظيمةٌ، وفَضلٌ كبيرٌ عندَ اللهِ تعالى، وعندَ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وقد بشَّرهم النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالأجرِ والثَّوابِ، وأعلَمَهم بما لَهم مِن مَكانةٍ عِندَ اللهِ E، والمُجازاةِ لَهم بالسَّبقِ إلى دخولِ الجَنَّةِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا- عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «هل تَدرون أوَّلَ مَن يدخُلُ الجَنَّةَ مِن خلْقِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟»، أي: أوَّلَ طائفةٍ وجماعةٍ، «قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ»، وهذا مِن حُسنِ الأدبِ مع اللهِ ورسولِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وعدمِ التَّقدُّمِ عليهم بالقولِ، قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «الفقراءُ المُهاجرون» وهم الذينَ هاجَروا مِن مَكَّةَ إلى المدينةِ، ومِن صِفتِهم أنَّهم «الذين تُسدُّ بهم الثُّغورُ» جمعُ ثَغْرٍ، وهو: الحدُّ الفاصلُ بين بلادِ المُسلمين والكُفَّارِ، ويكونُ مَطْمَعًا للأعداءِ في المُرورِ منه، والمُرادُ: مُرابطتُهم وحِراستُهم لتلك الأماكنِ، «وتُتَّقى بهم المكارهُ»، أي: يُحتمى بهم في الشَّدائدِ والمصائبِ، «ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صَدرِه لا يَستطيعُ لها قَضاءً» أي: لا يستطيعُ أنْ ينالَ ما في نفْسِه لقِلَّةِ المالِ؛ فبيَّن أنَّهم يُدافِعون عن الإسلامِ، ويَموتون دُونَ أنْ تُقضى حوائجُهم،فيقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لمَن يشاءُ مِن ملائكتِه: ائْتوهم فحَيُّوهم» والمعنى: إلقاءُ التَّحيَّةِ والتَّرحيبُ بهم في الآخرةِ، «فتقولُ الملائكةُ: ربَّنا نحنُ سُكَّانُ سمائِك، وخِيرتُك مِن خَلْقِك أفتأمُرُنا أن نأتيَ هؤلاءِ فنسلِّمَ عليهم؟» والمُرادُ: أنَّ الملائكةَ يذكُرون مقامَهم، وعُلوَّ شأنِهم عندَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مقابلَ صورةِ هؤلاءِ الفقراءِ وحقيقةِ بَشَريَّتِهم، وهذا منهم على سبيلِ الاستفهامِ لا الكِبْرِ؛ فالملائكةُ مَعصومون عن هذه الصِّفاتِ، فقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «إنَّهم كانوا عبادًا يَعْبُدوني ولا يُشرِكون بي شيئًا» وهذا

مِن إخلاصِ توحيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ،وإخلاصِ العبادةِ للهِ، ونبذِ الشِّركِ، وهذا أعظمُ سببٍ لدخولِ الجَنَّةِ، «وتُسدُّ بهم الثُّغورُ، وتُتَّقى بهم المكارهُ، ويموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيعُ لها قضاءً»قال النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«فتَأْتِيهم الملائكةُ عندَ ذلك،فيدخُلون عليهم مِن كلِّ بابٍ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد:٢٤]»، والمعنى: تدخُلُ الملائِكَةُ يُهنِّئونَهم بهذا الثَّوابِ العظيمِ، فيُسلِّمون عليهم بما صَبَروا على الفَقرِ في الدُّنيا، وقيل: على الجِهادِ، وقيل: على مُلازمةِ الطاعةِ، ومُفارقةِ المعصِيَةِ، وقيل: على تركِهم الشَّهَواتِ.

ويُفهمُ مِن هذا أنَّ الإنسانَ إذا أفقَرَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ فلا ييْئَسُ ولا يحزَنُ ولا يحسُدُ غيرَه ممَّن آتاه اللهُ عَزَّوَجَلَّ مالًا، فالمالُ نعمةٌ مِن اللهِ سُبحانَه، فإذا تقوَّى به الإنسانُ على طاعةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى عملِ الخيرِ، كان نِعمةً، وإذا تقوَّى به على معاصي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، كان نِقْمةً.

وفي الحديثِ: مَنقبةٌ لفقراءِ المُهاجرين الأوَّلين.

مسألة: بكم يدخل الفقراء قبل الأغنياء؟

عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، نصف يوم». وفي لفظ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام». [صححه العلامة الألباني في صحيح الجامع(٤٢٢٨)].

الفَقْرُ مِنَ الأمورِ التي يَهْرُبُ منها الإنسانُ في الدُّنيا، ورُغْمَ ذلك فإنَّ مَنْ صَبَرَ على الفَقْرِ واحْتَسَبَ؛ فإنَّ فيه خيرًا كبيرًا للمُسلِمِ في الآخِرةِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ الرَّسولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَدْخُلُ «فقراءُ المسلمينَ» وَهُمْ مَنْ كانوا في عَوزٍ وحاجَةٍ، فلَمْ يَجِدوا ما يَكْفيهم في الدُّنيا «الجَنَّةَ قَبْلَ أغنيائِهِمْ بنِصْفِ يومٍ وهو خَمْسُ مئةِ عامٍ»، أي: يَدْخلونَ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغنياءِ بوَقْتٍ طويلٍ؛ ولعلَّ ذلك ليُسرِ حِسابِ الفقراءِ؛ لقِلَّةِ ما كان عِندَهم في الدُّنيا.

أمّا الأغنياءُ فيَطولُ حِسابُهم على ما كان عِندَهم من متاعِ الدُّنيا، وهذا يَعني البُشرى للفقراءِ بسرعةِ دُخولِ الجنَّةِ، وحثًّ للأغنياءِ على الاستعدادِ لذلك الموقفِ بتطييبِ مَكاسِبِهم، وتحديدُ الوقتِ بأنَّه نِصْفُ يومٍ مِنْ أيامِ يومِ القيامةِ، أي: خَمْسُ مئةِ عامٍ مِنْ أعوامِ الدُّنيا كما في قولِهِ تعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج:٤٧]، أمّا قولُه تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج:٤]، فالمُرادُ بذلك: يومُ القيامةِ على الأخصِّ يُطوِّلُهُ اللهُ فيكونُ كذلك، وإلّا فاليومُ عِنْدَ اللهِ كألَفِ سنَةٍ، وقيل: المُرادُ في الجَميعِ: يومُ القيامةِ، والاخْتِلافُ يكونُ بحَسَبِ حالِ المؤمنِ والكافِرِ.

وفيه: فَضيلةُ فُقراءِ المسلِمينَ.

وعن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً».[صححه الألباني في المشكاة(٥٢٥٨) وهو في صحيح الجامع الصغير(٢١١٨)].

في هَذا الحديثِ: بِشارةٌ لأَهْلِ الفَقرِ والصَّبرِ مِنَ المهاجِرينَ، وَما لَهم مِن مَكانةٍ عِندَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتَيسيرٍ في أَصعبِ المواقِفِ، وهُوَ مَوقفُ الحِسابِ والمُجازاةِ لَهم لصَبرِهم بالسَّبقِ بدُخولِ الجَنَّةِ؛ حيثُ يقولُ أَبو عَبدِ الرَّحمنِ الحُبُليُّ: جاءَ ثَلاثةُ نَفرٍ إلى عَبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ، فَقالوا: ما نَقدِرُ عَلى شيءٍ؛ لا نَفقَةٍ، ولا دابَّةٍ، ولا مَتاعٍ، فقالَ لَهم: «إنْ شِئتُم رَجِعتُم إلينا فأَعطَيناكُم ما يَسَّرَ اللهُ لَكُم» أي: إنْ شِئتُم أَن نُعطيَكُم شَيئًا رَجعْتم إلينا في وَقتٍ آخرَ؛ فإنَّ هذه السّاعةَ لَيسَ مَعنا ما تُريدونَ، «وَإن شِئتُم ذَكَرنا أَمرَكم للسُّلطانِ» أي: لِلمُتسلِّطِ عَلى خَزانةِ بَيتِ المالِ فيُعطيَكُم ما يُوَسِّعُ لكُمُ البالَ، ثُمَّ أَخبَرَهُم بالأَفضلِ لَهم فَقال:«وَإن شِئتُم صَبرتُم» مُستدِلًّا لَهم بِقولِ رَسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ فُقراءَ المهاجِرينَ يَسبِقونَ الأَغنياءَ، يَومَ القِيامةِ، إلى الجنَّةِ بأَربعينَ خَريفًا» أي: أَربعينَ سَنةً، فاختارَ الثَّلاثَةُ الأَفضلَ لَهم في الآخِرَةِ وَهُو الصَّبرُ.

قلت: والجمع بين الحديثين، والله أعلم: أن الفقراء منهم من يسبق الأغنياء بخمسمائة عام، ومنهم من يسبق بأربعين عام، بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، كما يتأخر مكث العصاة الموحِّدين بحسب أحوالهم. ولا يلزم من سبق الفقراء في الدخول ارتفاعُ منازلهم عليهم؛ بل قد يكون المتأخر أعلى منزلةً، وإن سبقه غيره في الدخول، فالغني إذا حوسب على غناه فوُجِدَ قد شكر الله تعالى فيه، وتقرّب إليه بأنواع البر، والخير، والصدقة، والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول، ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله، وزاد عليه فيها، والله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمزيَّة مزيتان: السبق، والرفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين، أو لأحدهما، وعدمه، وبالله التوفيق.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أتعلم أول زمرة تدخل الجنة من أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: فقراء المهاجرين، يأتون يوم القيامة إلى باب الجنة، ويستفتحون، فيقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟ فيقولون: بأي شيء نحاسب، وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟ قال: فيفتح لهم، فيقيلون فيه أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس ». [صحيح الجامع: (٩٦)].

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَبْدِ اللهِ بنِ عمرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ»، أي: أَوَّلَ طائِفَةٍ وجَماعةٍ «تَدخُلُ الجنَّةَ من أُمَّتي؟ فُقَراءُ المُهاجِرينَ» الذينَ هاجَروا مِنْ مَكَّةَ إلى المدينَةِ، «يَأْتونَ يوْمَ القيامَةِ إلى بابِ الجنَّةِ، ويَسْتَفْتِحونَ»، يعني: يَطْلُبونَ فَتْحَ البابِ لهم، «فيقولُ لهم الخَزَنَةُ» وهم حُرّاسُ الجنَّةِ: «أَوَقَدْ حُوسِبْتُم؟ قالوا: بأيِّ شَيْءٍ نُحاسَبُ، وإنَّما كانت أسْيافُنا على عَواتِقِنا في سَبيلِ اللهِ» والعاتِقُ ما بين المَنْكِبِ والعُنُقِ، أي: نُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، ومُسْتعِدُّون للقِتالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ حتى نَكادَ لا نَضَعُ سُيوفَنا ولا نَتْرُكُها، «حتى مِتْنا على ذلك»، أي: على الشَّهادَةِ في سَبيلِ اللهِ، أو قائِمينَ على

الجِهادِ حتى المَوْتِ. وفي رِوايَةِ الطَّبَرانيِّ: «الذين يُتَّقى بهم المكارِهُ، يَموتُ أحَدُهم، وحاجَتُه في صَدْرِه»؛ فبيَّن أنَّهم يُدافِعونَ عنِ الإسْلامِ، ويَموتونَ دُونَ أنْ تُقْضى حَوائِجُهم، قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيُفتَحُ لهم» فيَدْخُلونَ من أبْوابِ الجنَّةِ، «فيَقيلونَ» والقَيْلُولة الاسْتِراحَةُ نِصْفَ النَّهارِ، وإنْ لم يكُنْ معها نَوْمٌ، «فيها أَرْبَعينَ عامًا قبلَ أنْ يَدخُلَها الناسُ» وهذا من فَضْلِ اللهِ عليهم.

أول ثلاثة يدخلون الجنة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله، ونصح مواليه». [قال العلامة الألباني: ضعيف، التعليق الرغيب(١/٢٦٨)].

قلت: والخلاصة أنه أول من يدخل الجنة نبينا عليه الصلاة والسلام ثم بعده الأنبياء عليه الصلاة والسلام ثم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم سائر فقراء المهاجرين ثم الصحابة ثم سائر الفقراء من هذه الأمة ثم تتابع أمة الإسلام في الدخول ثم فقراء الأمم الأخرى ثم صالحيهم والله أعلم.

المبحث الثامن
كيفية دخول الجنة

أول زمرة تدخل من هذه الأمة الجنة هي القمم الشامخة في الإيمان والتقى والعمل الصالح والاستقامة على الدين الحق، يدخلون الجنة صفاً واحداً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم من صفاتهم:

أولاً: صورهم كصورة القمر ليلية البدر.

ثانياً: متماسكون.

ثالثاً: أولهم صفاً واحداً.

رابعاً: قلوبهم قلب رجل واحد.

خامساً: جماعات.

كل هذه الصفات تتكلم على أول زمرة ثم الذين يلونهم يختلفون في صفاتهم وهيئة دخولهم واختلاف مراتبهم والله أعلم

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - لا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ». [البخاري(٦٥٤٣)، مسلم(٢١٩)].

أكْرَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذه الأُمَّةَ وفضَّلها على غيرِها مِنَ الأممِ بأنْ بعثَ إليها أفضلَ

البَشَرِ وخاتَمَ الأنبياءِ، وجعلَها وسَطًا بَيْنَ الأممِ وشاهدًا عليهم، ومِن تَفضيلِه تعالى لهذه الأمَّةِ وكَرمِه لها أنْ كَتَبَ أنْ يَدخلَ منها سَبعون ألفًا أو سَبْعُ مئةِ ألفٍ - شَكَّ الرّاوي في أحدِهما - إلى الجنَّةِ بِغيرِ حسابٍ كما في الرِّواياتِ الأخرى، يَدخُلون كلُّهم صفًّا واحدًا، فلا يَدخُلُ أوَّلُهم حتّى يَدخُلَ آخرُهم، فَيدخلُ الجميعُ دَفْعةً واحدةً ووصَفَهم بِالأوَّليَّةِ والآخِريَّةِ باعتبارِ الصِّفةِ الَّتي جازُوا فيها على الصِّراطِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى سَعةِ البابِ الَّذي يَدخُلونَ منه الجنَّةَ، وجوهُهم على صُورةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ مِن حُسنِها وبهائِها.

قال القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي - رحمه الله تعالى -:

وقوله: « متماسكُون لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم » أي: بعضهم أخذٌ بيد بعض، ممسِكٌ له، كما قال: أخذ بعضهم بعضًا، وهذا يدل على عِظم الجنة وسَعة بابها، وقد يكون معنى متماسكين بالوقار والثبات، أي لا يخف بعضهم عن بعضٍ، ولا يُسابقه حتى يكون دخولهم جميعًا. [شرح مسلم(١/٦٠٥)].

وقوله: «وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»: في الإنارة والاستدارة.

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

وَقَوله: « على صُورَة الْقَمَر » أَي على ضوئه لَيْلَة الْبَدْر، لَيْلَة أَربع عشرَة. وَفِي تَسْمِيَتهَا بذلك قَولَانِ ذكرهمَا ابْن الْقَاسِم: أَحدهمَا: لأن الْقَمَر فِيهَا يُبَادر طلوعه غرُوب الشَّمْس. وَالثَّانِي: لامتلاء الْقَمَر وَحسنه وكماله. [مشكل الصحيحين(٢/٢٨١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً».[البخاري(٣٢٤٥) ومسلم(٢٨٣٤)].

قلت: ومعنى زمرة أي: جماعة. وهذا دليل أنهم يدخلون جماعات وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ فِي قَوْله تَعَالَى -:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ ﴾[الزمر:٧٣]، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْفَضْلِ وَتَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ فَمَنْ كَانَ أَفْضَلُ كَانَ إِلَى الْجَنَّةِ أَسْبَقُ.

وقد صح أن الله أعطى رسوله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - مع كل واحد من السبعين هؤلاء سبعين ألفاً، ففي مسند أحمد بإسناد صحيح عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله-صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: « أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي عَزَّوَجَلَّ، فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً ». [صحيح الجامع الصغير(١٠٥٧)].

وفي مسند [أحمد(٢٢٣٠٣) وسُنن الترمذي(٢٤٣٧)].: عن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ -: أن رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - قال: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون، وثلاث حثيات من حثيات ربي ... فذكر هذا الحديث زياد ثلاث حثيات». [وصححه الألباني المشكاة(٥٥٥٦)، السُنَّة لابن أبي عاصم(٧٨٨،٧٨٩)].

وقد وصف الرسول - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - السبعين ألفاً الأوائل وبيَّن علاماتهم، ففي [صحيح البخاري(٦٥٤١)]. عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا - قال: قال النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -: « عُرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي ؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: اللهم اجعله منهم. ثم قال إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة».

ولعل هؤلاء هم الذين سماهم الحق بالمقربين، وهم السابقون: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[الواقعة:١٠-١٢]،وهؤلاء ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلْأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة:١٣-١٤].

المبحث التاسع
الذين يدخلون من أبواب الجنة الثمانية

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قال: صعد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المنبر فقال: «لا أقسم، لا أقسم، لا أقسم ». ثم نزل فقال «أبشرُوا، أبشرُوا، إنه من صلى الصَّلوات الخمسَ، واجْتنبَ الكبائر، دخلَ من أيِّ أبوابِ الجنّة شاءَ: عقوقَ الوالدين، والشركَ بالله، وقتلَ النَّفس، وقَذْفَ المحصَنات، وأَكْلَ مالَ اليتيمِ، والفرارَ من الزَّحفِ. وأَكْلَ الربا». [السلسلة الصحيحة (٣٤٥١)].

عن عتبة بن عبد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل». [سُنن ابن ماجهْ(١٦٠٤) صحيح الجامع(٥٧٧٢)].

قال ابن حجر - رحمه **الله** تعالى -:

وخص الصغير بذلك لأن الشفقة عليه أعظم والحب له أشد والرحمة له أوفر، وعليه فمن بلغ الحنث لا يحصل لمن فقده ما ذكر من هذا الثواب وإن كان في فقد الولد أجر في الجملة. [فتح الباري(٢٧٤/٤)].

وعن عُبادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قالَ: «مَن شَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورَسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكَلِمَتُه ألْقاها إلى مريمَ وروح منهُ، والجَنَّةُ حق، والنارُ حقٌّ؛ أدخَلَهُ اللهُ [مِن أبوابِ] الجنَّةِ [الثمانيةِ أيهَا شاءَ] على ما كانَ مِن العَمَلِ». [البخاري(٣٤٣٥)،مسلم(٢٨)].

قال النووي - رحمه الله تعالى -:

هذا حديث عظيم الموقع، وهو أجمعُ أو من أجمعِ الأحاديث المشتملة على العقائد فإنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع فيه ما يُخرِج عن جميع ملل الكفر على اختلافِ عقائدهم وتباعدِها فاختصر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم. [شرح مسلم(١/٢٢٧)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». [البخاري(٣٤٦٦)، مسلم(١٠٢٧)].

قال البدر العيني - رحمه الله تعالى -:

قَوْله: «هَذَا خير» يَعْنِي: فَاضل لَا بِمَعْنى أفضل، وَإِن كَانَ اللَّفْظ يحْتَمل ذَلِك. قَوْله: «بَاب الريان»بدل أَو بَيَان عَمَّا قبله، وَذكر هُنَا أَرْبَعَة أَبْوَاب من أَبْوَاب الْجنَّة. وَقَالَ بَعضهم: وَتقدم فِي أَوَائِل الْجِهَاد أَن أَبْوَاب الْجنَّة ثَمَانِيَة، وَبَقِي من الْأَركان الْحَج فَلهُ بَاب بِلَا شكّ، وَأما الثَّلَاثَة الْأُخْرَى. فَمِنْهَا: بَاب الكاظمين الغيظ وَالْعَافِينَ عَن النَّاس، رَوَاهُ أَحْمد عَن روح بن عبَادَة عَن الْأَشْعَث عَن الْحسن مُرْسلا: إِن لله بَابا فِي الْجنَّة لَا يدْخلهُ إلاَّ من عَفا من مظْلمَة. وَمِنْهَا: الْبَاب الْأَيْمن وَهُوَ: بَاب المتوكلين الَّذِي يدْخل مِنْهُ من لَا حِسَاب عَلَيْهِ وَلَا عَذَاب. وَأما الثَّالِث فَلهُ بَاب الذّكر، فَإِن عِنْد التِّرْمِذِيّ مَا يومىء إِلَيْهِ، وَيحْتَمل أَن يكون بَاب الْعلم.

قلت: مَا فِيهِ من طَرِيق الظَّن والحسبان، وَلَا تنْحَصِر الْأَبْوَاب الَّتِي أعدت للدخول مِنْهَا لأَصْحَاب الْأَعْمَال الصَّالِحَة من أَنْوَاع شَتَّى، وَلَيْسَ المُرَاد مِنْهُ الْأَبْوَاب الثَّمَانِية الَّتِي

دلّ الْقُرْآن على أَرْبَعَة مِنْهَا، والْحَدِيث على أَرْبَعَة أُخْرَى، وَإِنَّمَا الْمُرَاد من تِلْكَ الْأَبْوَاب هِيَ الْأَبْوَاب الَّتِي هِيَ فِي دَاخل الْأَبْوَاب الثَّمَانِية. قَوْله: «مَا على هَذَا الَّذِي يدعى من تِلْكَ الْأَبْوَاب» أَي: من أحد تِلْكَ الْأَبْوَاب، وَفِيه إِضْمَار وَهُوَ من توزيع الْأَفْرَاد على الْأَفْرَاد، لِأَن الْجمع والموصول كِلَاهُمَا عامَّان وَكلمَة: مَا، للنَّفْي. قَوْله: «من ضَرُورَة» أَي: من ضَرَر، وَالْمَقْصُود دُخُول الْجنَّة، فَلَا ضَرَر لمن دخل من أَي بَاب دَخلهَا. فَإِن قلت: روى مُسلم من حَدِيث عمر: من تَوَضَّأ، ثمَّ قَالَ: أشهد أَن لَا إِلَه إِلاَّ الله ... الحَدِيث. . فتحت لَهُ أَبْوَاب الْجنَّة يدخلهَا من أَيهَا شَاءَ. قلت: لَا مُنَافَاة بَينه وَبَين مَا تقدم، وَإِن كَانَ ظَاهره الْمُعَارضَة، لِأَنَّهُ يفتح لَهُ أَبْوَاب الْجنَّة على سَبِيل التكريم، ثمَّ عِنْد دُخُوله لَا يدْخل إِلاَّ من بَاب الْعَمَل الَّذِي يكون أغلب عَلَيْهِ، وَالله أعلم. [عمدة القاري(١٦/١٨٣)] .

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ».[مسلم(٢٣٤)].

وفي رواية لمسلم « مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». [مسلم(٢٣٤)].

عن صعصعة بن معاوية - رحمه **الله** تعالى - قال لقيت أبا ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال قلت حدثني قال نعم قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «ما من عبد مسلم ينفق من كل مال له زوجين في سبيل الله إلا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعوه إلى ما عنده قلت وكيف ذلك قال إن كانت إبلا فبعيرين وإن كانت بقرا فبقرتين ». [سُنن النسائي(٣١٨٥) قال الألباني: صحيح] .

الزوجان كثوبين أو درهمين، أو شاتين ،والظاهر أنه زوجين من مال واحد . ولعل الأقرب أن المراد في قوله : في سبيل الله أنه طاعة الله ، وإن كان في الجهاد فهو أولى.
[انظر حاشية السنديّ(٤/١٦٩)].

عَنْ عُبَادَ ةَ بْنِ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَسَمِعَ وَأَطَاعَ، فَإِنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَمَنْ عَبَدَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَسَمِعَ وَعَصَى، فَإِنَّ اللهَ مِنْ أَمْرِهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ رَحِمَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ [أحمد(٢٢٧٦٨) بإسناد حسن] .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « من لقي الله لا يشرك به شيئاً، ولم يتندَّ بدم حرام، إِلَّا دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ ». [أحمد(١٧٣٣٩) بسند صحيح] .

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت». [صحيح ابن حبان(٤١٦٣) قال العلامة الألباني: حسن لغيره] .

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيقال: «يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[البخاري(٤٧١٢)، مسلم(٣٢٧)] .

قال العلامة القرطبي - رحمه الله تعالى -:

وقوله: «هم شركاء الناس بسائر الأبواب»يحتمل أن يعود هذا الضمير إلى الذين لا حساب عليهم، وهو الظاهر ويكون معناه أنهم لا يلجؤون إلى الدخول من الباب الأيمن، بل من أي باب شاؤوا، كما جاء في حديث أبي بكر، حيث قال: فهل على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: لا، وأرجو أن تكون منهم . وكما قال - عليه الصلاة والسلام - فيمن أسبغ الوضوء وهلّل بعده: أدخله الله من أي أبواب

الجنّة الثمانية شاء. [المفهم(١/٤٣٨)].

قلت: ووجه التكريم في تخييره بين أبواب الجنة الثمانية كما جاء في الآثار الواردة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إظهار الاعتناء به، ورفع الحجر عنه وبيان كرمه وأهمية ما جاء به من العمل الصالح وهذا دليل على رفعة العبد في ذلك الموطن العظيم إذ ينادى بالدخول منها جميعا إلا الريان كما جاء في الأثر بالمنع من الدخول إلا لمن كان من الصائمين وما جاء في حديث الريان لا يدخله إلا الصائمون فهو خارج من جملة هذه الثمانية هذا وجه.

والله أعلم أن هذا الباب يدخله حتى هؤلاء الذين نالوا هذه الصفات يدخلون من باب الريان لأن المقصود والله أعلم لا يدخلهم غيرهم من أصحاب الأعمال الأخرى إلا هؤلاء الذين سبق ذكرهم ممن يدعى من جميع الأبواب وهذا وجه قوي يجمع بين الأدلة هذا ما ظهر لي ولم أجد من قال بهذا القول من أهل العلم على حسب اطلاعي القاصر والله تعالى أعلم

المبحث العاشر

تسمية هذه الأبواب

الباب الأول: باب الجهاد:

عن عبادة بن الصامت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: « قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم». [السلسلة الصحيحة(١٩٤١)].

الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ هو ذِروَةُ سَنامِ الإسلامِ، ومَصدَرُ عِزِّ المُسلِمينَ، وهو بابٌ عظيمٌ من أبوابِ الجَنَّةِ، وقد كَثُرتِ النُّصوصُ في الحثِّ والحضِّ عليه، كما في هذا الحديثِ الذي يَحُثُّ فيه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجِهادِ فيقولُ: «عليكم بالجِهادِ في سَبيلِ اللهِ»، أي: الْزَموا الجِهادَ لإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ ونَشرِ الحَقِّ، ولا تَترُكوه، والجهادُ في سَبيلِ اللهِ شاملٌ لجميعِ أنواعِ الجِهادِ سواءٌ كان بالسَّيفِ في المعارِكِ، أو بالعِلمِ والبيانِ وإزالةِ شُبُهاتِ المُبطِلينَ، وغيرِ ذلك، ثُمَّ وضَّحَ لهم سَببَ ذلك بقولِه: «فإنَّه بابٌ من أبوابِ الجَنَّةِ»، أي: طَريقٌ مُوصِلٌ للجَنَّةِ لمن بَلَغَتْه الشَّهادةُ أوِ اشتَغَلَ به خالِصًا لوجهِ اللهِ، «يُذهِبُ اللهُ به الهَمَّ والغَمَّ»، أي: يُزيلُ اللهُ به الحُزنَ والكَمَدَ عمَّن جاهَدَ في سبيلِه لإعلاءِ كَلمتِه وعن صُدورِ المُؤمِنينَ؛ لأنَّ إعلاءَ كَلِمَةِ اللهِ تُزيلُ عن القَلْبِ هُمومَه وغُمومَه وأحزانَه؛ فالجِهادُ مِن أدويةِ الغَمِّ والهمِّ، وإنَّ الشقيَّ حقًّا مَن ترَك الجِهادَ بأنواعِه كلِّها مع قُدرتِه عليها، ومالَ إلى الدُّنيا، فتُصيبه بآلامِها وأحزانِها ويَشقىَ بها.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مَنْ أنفق زوجين في سبيل اللَّه نودي من أبواب الجنة: يا عبدَ اللَّه هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة

دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم». [البخاري(١٨٩٧)، مسلم(١٠٢٧)].

قال ابن هبيرة - رحمه الله تعالى -:

وفيه من الفقه أن أبواب الجنة ثمانية يدخل من أيها شاء؛ أي أن كل باب منها له أهل، فإن باب الصدقة يدخل منه المتصدقون، وباب الجهاد يدخل منه المجاهدون، والريان يدخل من الصائمون؛ فبين رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تلك الأعمال فرو على هذا الأصل من إقامة الشهادتين؛ فإذا أتى بهما كان مخيرًا في الفروع من أي أبواب الجنة شاء أن يدخل؛ من باب الصدقة أو من باب الجهاد أو غير ذلك. [الإفصاح(١/٢٢٠)].

الباب الثاني: بر الوالدين:

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ رحمه الله تعالى - عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ» فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ. [صحيح سُنن الترمذي(١٩٠٠) الصحيحة(٩١٤)].

أَمَرَنا الشَّرعُ الحَكيمُ بالعدْلِ والإنصافِ، وإيتاءِ كلِّ ذي حَقٍّ حقَّه، دونَ جَورٍ أو إجحافٍ بحقوقِ طرَفٍ على آخرَ؛ وذلك لأنَّ الحُقوقَ ربَّما تتداخَلُ أو يتنافَسُ فيها بعضُ أصحابِ الحقوقِ علينا، وفي هذا الخبرِ يروي شُعبةُ، عن عطاءِ بنِ السّائبِ، عن أبي عبدِ الرَّحمنِ السُّلميِّ: «أنَّ رجُلًا أمَرَه أبوه- أو أمُّه، شكَّ شُعبةُ- أنْ يُطلِّقَ امرأتَه»، أي: أمَرَه أحدُ والدَيْه أنْ يُطلِّقَ زوجتَه دونَ سبَبٍ شرعيٍّ، ولذلك جاء الرَّجلُ إلى أبي الدَّرداءِ يَستَفْتِيه في أمرِه

«فسأَلَه»، أي: طلَبَ فَتواهُ وفي روايةِ أحمدَ: «فقال له أبو الدَّرداءِ: ما أنا بالَّذي آمُرُك أنْ تُفارِقَ، وما أنا بالَّذي آمُرُك أنْ تُمْسِكَ»، ثمَّ قال:«سمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الوالِدُ أوسَطُ أبوابِ الجنَّةِ»، أي: خيرُها، أو أنَّه سببٌ لدُخولِ الولدِ مِن أحسَنِ أبوابِ الجنَّةِ، «فحافِظْ على والدَيْك أوِ اترُكْ»، وليس المُرادُ التَّخييرَ بين الأمرينِ، بل المُرادُ التَّوبيخُ على ترْكِ الوالدينِ وإضاعتِهما، والحثُّ على حِفْظِ حُقوقِهما، كما قال تعالى -: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]، ... ولكنْ طاعةُ الوالدينِ مُقيَّدةٌ بالمعروفِ؛ لقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ المُتَّفَقِ عليه: «إنَّما الطّاعةُ في المعروفِ»؛ فإذا كانتِ الزَّوجةُ مُستقيمةَ الأحوالِ وذاتَ دِينٍ، وإنَّما أَمَراه بطَلاقِها لهوًى في نفْسَيْهما، فلا طاعةَ لهما في ذلك، ولا يلزَمُه طلاقُ امرأتِه، وليس تطليقُ زوجتِه في هذه الحالِ مِن برِّ والدَيْه. ... وفي الحديثِ: الحَثُّ على طاعةِ الوالدينِ ومعرفةِ حقِّهما. ... وفيه: مُراعاةُ الشَّرعِ لحُقوقِ جميعِ أطرافِ الأُسرةِ دونَ جَورِ أحدٍ على حقِّ غيرِه.

قال العلامة اليماني محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «الوالد أوسط أبواب الجنة» أي: طاعته سبب لدخول الولد من ذلك الباب وهو يشمل الأم بل هي أولى لكثرة الحث على برها.[التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ(١١/٥٤)].

وقوله: «أوسط» أي: أفضل باعتبار أن الشيء كان بين الإفراط والتفريط فإنه أفضل مما سواه. ومنه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القلم:٢٨]، أي: خيرهم وأفضلهم.أو على ظاهره أنه من أوسطها كما أن لها باب أيمن كما مر ذكره فلها أوسط والله أعلم.

الباب الثالث: لا حول ولا قوة إلا بالله:

عن قيس بن سعد بن عبادة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أن أباه دفعه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخدمه، قال: فمر بي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صليت، فضربني برجله وقال: « ألا أدلك على باب من أبواب الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله». [السلسلة الصحيحة(١٧٤٦)].

وعن معاذ بن جبل - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة» قال: وما هو؟ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». [السلسلة الصحيحة(١٧٦٤)، وصحيح الترغيب(١٥٨١)].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

فَإِنَّهَا لما تَضَمَّنت بَرَاءَة النَّفس من حولهَا وقوتها إِلَى حول الله وقوته كَانَت موصلة إِلَيْهَا. [التيسير بشرح الجامع الصغير(١/٣٩٨)].

الباب الرابع: الباب الأيمن الذي يدخله من لا حساب عليهم

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيقال: «يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذي نفسي بيده إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى». [البخاري(٤٧١٢)، مسلم(٣٢٧)].

قال العلامة القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه» يعني به - والله أعلم -: السبعين ألفًا الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. ومن الباب الأيمن هو الذي عن يمين القاصد إلى الجنة بعد جواز الصراط - والله أعلم - وكأنه أفضل الأبواب.

وقوله: «هم شركاء الناس بسائر الأبواب» يحتمل أن يعود هذا الضمير إلى الذين لا حساب عليهم، وهو الظاهر ويكون معناه أنهم لا يلجؤون إلى الدخول من الباب الأيمن، بل من أي باب شاؤوا، كما جاء في حديث أبي بكر، حيث قال: فهل على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ فقال - عليه الصلاة والسلام -: لا، وأرجو أن تكون منهم . وكما قال - عليه الصلاة والسلام - فيمن أسبغ الوضوء وهلّل بعده: أدخله الله من أي أبواب الجنّة الثمانية شاء. [المفهم(١/٤٣٨)].

والظاهر أن الباب الأيمن مختص بهم أو بعباد الله المقربين. وهذا كناية عن الإسراع بدخولهم كما هو شأن الأبواب الخاصة والأبواب العامة.

والظاهر أن المراد بكونهم شركاء الناس أن حقهم ثابت في بقية الأبواب، لكن حصول مقصودهم بالدخول من الباب الأيمن يجعلهم في غنية عن الدخول من الأبواب المشتركة؛ إذ لا فائدة في تكرر الدخول. هذا ما ظهر في معنى الحديث والله أعلم.

الباب الخامس والسادس: **باب الصلاة وباب الصدقة**:

عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاة دُعيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعيَ من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعيَ من باب الصدقة».
[البخاري(٣٤٦٦)، مسلم(١٠٢٧)].

قال ابن عبد البر - رحمه **الله** تعالى -:

وَقَوْلُهُ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ» يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لَكَ فَأَقْبِلْ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ هَذَا خَيْرُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لَكَ لِأَنَّهُ فِي الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الَّذِي أُعِدَّ لَكَ ثُمَّ قَالَ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ أَغْلَبَ أَعْمَالِهِ وَأَكْثَرَهَا وَقَدْ تَغْلِبُ عَلَى عَمَلِ الرَّجُلِ الصَّلَاةُ فَتَكُونُ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ وَيَغْلِبُ عَلَى أَعْمَالِهِ الصَّوْمُ فَيَكُونُ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ وَكَذَلِكَ الْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ فَمَنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى عِبَادَتِهِ نَوْعٌ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ نُودِيَ مِنْ الْبَابِ الْمُخْتَصِّ بِهِ وَهَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيْ سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ مِنْ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ فَيَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ كَانَتْ عِبَادَتُهُ وَنَافِلَتُهُ الصَّلَاةَ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِسَبِيلِ اللَّهِ الْجِهَادَ خَاصَّةً وَيَكُونُ مَعْنَى مَنْ كَانَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ مَنْ تَنَفَّلَ فِي غَزْوَةٍ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ مَنْ صَامَ فِي غَزْوَةٍ وَأَهْلُ الصَّدَقَةِ مَنْ

تَصَدَّقَ فِي غَزْوَةٍ فَيَكُونُ هَذَا أَغْلَبُ عَلَيْهِ فِي الْغَزْوِ وَبِهِ يُنَادَى وَإِنْ كَانَتْ عِبَادَتُهُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ يَغْلِبُ عَلَيْهَا غَيْرُ ذَلِكَ. [التمهيد(٣/٢١٨)].

الباب السابع: **باب الريان** (**للصائمون**):

عن سهل بن سعد -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -قال: قال رسول الله-صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها بابٌ يُسمَّى الريَّان، لا يدخله إلا الصائمون». [البخاري(٣٢٥٧)، مسلم(١١٥٢)].

والريان ضد العطشان يعني أن الصائم بتعطشه في الدنيا يدخل من باب ليأمن من العطش كما في المرقاة.

قال العلماء رحمهم **الله** تعالى -:

سمي باب الريان تنبيهًا على أن العطشان بالصوم في الهواجر سيروى وعاقبته إليه وهو مشتق من الري وهو الشبع من الماء. [الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج(١٢/١٠٣)].

قال المناوي - رحمه **الله** تعالى -:

وذكر الصّفة إِشَارَة إِلَى قَوْله: الريان، لِأَنَّهُ صفة للباب الَّذِي يدْخل مِنْهُ الصائمون. فَإِن قلت: الْمَذْكُور فِي الحَدِيث يُسمى الريان. قلت: فِي الْحَقِيقَة صفة لذَلِك الْبَاب، لِأَن الصائمين الَّذين كابدوا الْعَطش فِي الدُّنْيَا إِذا دخلُوا من هَذَا الْبَاب إِلَى الْجنَّة يشربون من النَّهر الَّذِي فِيهِ فيروون، فَلَا يحصل لَهُم الظمأ بعد ذَلِك أبدا، فَغلبَتْ الإسمية على الصّفة، كَمَا فِي الْعَبَّاس والْحَارث وَنَحْوهمَا. [عمدة القاري(١٥/١٥٩)].

مسألة: أن كل داخل الجنة لا يظمأ أبدًا، فما الوجه في التخصيص؟

وأجيب: أنه لما كان الصائمون هم الذين يلقون مشقة الظمأ في دار الدنيا ويبس الشفاة وإصراف الأكباد ناسب بشراهم بذلك لأن بضدها تتبين الأشياء فهم أعرف الخلق بمقدار نعمة الري وغيرهم وإن شاركهم في عدم الظمأ فما له موقع عنده كما عند أولئك، وهذا كثير

في أحاديث البشرى والنعم من أنه يخص قوم بذكر شيء وهم مشاركون فيه لكن له عندهم أكمل موقع، وأما ما قاله السهيلي إنه لو قال: باب الري لدل على أن الري يختص بالباب فما بعده ولم يدل على ري قبله، وأما الريان ففيه إشعار بأنه لا يدخله إلا الريان بحيث لم يصبه من حر الموقف ما أصاب الناس من الظمأ ففيه مكانة يريد أنه أفاد أنه باب الشخص الريان أي الثابت له الري ولا يجزئ ذلك في باب الري.[التنوير شرح الجامع الصغير(٥٢٧/٧)].

تنبيه: قال ابن بطال رحمه **الله** تعالى -:

وأبواب الجنة ثمانية، وإنما ذكر منها في الحديث أربعة. وروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن من أبواب الجنة أبواب الواطئين» . ذكر إسماعيل بن أبى خالد، عن يونس بن خباب، قال: أخبرت أن رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن للجنة ثمانية أبواب منها: باب للصائمين، وباب للمجاهدين، وباب للمتصدقين، وباب للواطئين، وليس أحد من هذه الأصناف يمر بخزنة الجنة إلا كلهم يدعوه: هلم إلينا يا عبد الله».

ومن أبواب الجنة باب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس. وذكر ابن البراء فى كتاب الروضة، عن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا روح، عن أشعث، عن الحسن، قال: إن لله في الجنة بابًا لا يدخله إلا من عفا عن مظلمة، فقال أحمد لابنه: يا بنى ما خرجت من دار أبى إسحاق حتى أحللته ومن معه إلا رجلين: ابن أبى دؤاد، وعبد الرحمن بن إسحاق فإنهما طلبا دمى، وأنا أهون على الله من أن يُعَذِّبَ في أحدًا، أشهدك أنهم في حل.

ومنها: باب التوبة، روى عن ابن مسعود أنه سأله رجل عن ذنب ألم به، هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود، ثم التفت فرأى عينيه تذرقان، فقال: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكًا موكلاً به لا يغلق، فاعمل ولا تيأس. ووجه الإنفاق في ذلك ما يتقوى به على طاعة الله، ويتحلل من المحارم التي سلفت منه، ويؤدى المظالم إلى أهلها، ويمكن أن يكون الباب الباقي، باب المتوكلين الذين يدخلون الجنة في سبعين ألفا من باب واحد، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم كالبدر: الذين

لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، ووجه الإنفاق في ذلك أنهم ينفقون على أنفسهم في حال المرض المانع لهم من التصرف في طلب المعاش، صابرين على ما أصابهم، وينفقون على من أصابه ذلك البلاء من غيرهم.

ومنها: باب الصابرين لله على المصائب، المحتسبين الذين يقولون عند نزولها: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ [البقرة:١٥٦] .

ومنها: باب الحافظين فروجهم والحافظات المستعفين بالحلال عن الحرام، وغير المتبعين للشهوات. [شرح البخاري(١٩/٤-١٨)].

قلت: وقد تتبعتها فلم يسلم منها حديث من الانتقاد من أهل الحديث ولكن ما ثبت أثبتناه في المبحث هذا وما ذكره بعض أهل العلم لا مستند لقوله من كتاب الله ولا من سُنَّة رسوله وهذه أمور غيبية لا تثبت إلا بدليل ولا دليل عليها والله أعلم.

المبحث الحادي عشر
الجنة تفتح قبل يوم القيامة في مواطن

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال:« إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين». [أخرجه مسلم(١٠٧٩)].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «تُفتَحُ أَبوابُ الجَنةِ يَوم الإثنَينِ ويَوم الخَمِيس، فَيُغفَرُ لِكل عَبدٍ لَا يُشركُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجلٌ كَانَت بَينهُ وبَين أَخيهِ شَحناءَ فَيُقالُ: انظِروا هَذينِ حَتى يَصطَلِحَا». [مسلم (٢٥٦٥)] .

مسألة: معنـى فتـح أبواب الجـنة.

قال القاضي عياض اليحصبي - رحمه الله تعالى -:

قيل: يحتمل الحقيقة، وأن فتح أبواب الجنة وتغليق أبواب النار، علامة لدخول الشهر، وعظم قدره، وكذلك تصفيد الشياطين ليمتنعوا من أذى المؤمنين وإغوائهم فيه.

وقيل: يحتمل المجاز لكثرة الثواب والعفو، والاستعارة لذلك بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار.

وقيل: وقد يكون فتح أبواب الجنة هنا عبارة عما يفتح الله على عباده من الطاعات المشروعة في هذا الشهر الذي ليست في غيره، من الصيام، والقيام، وفعل الخيرات، وأن ملك أسباب لدخول الجنة، وأبواب لها. [إكمال المعلم(٤/ ٦-٧)].

وقال ابن الأمير الصنعاني اليماني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «فتحت أبواب الجنة» وهي ثمانية، وكأن تفتيحها استبشار بفضل رمضان،

وإعلام بأنهم يُدخلون الصائمون الجنة، وبأنَّه علامة للملائكة بدخول الشهر العظيم، وتعظيم حرمته، وبمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب، والعفو، وأنَّ الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

قوله: «وغلقت أبواب النار» كأنه لا يدخلها أحد ممن كتب عليه العذاب.

وقيل: إنّه عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار. [التحبير لإيضاح معاني التيسير(١٨٧/٦)].

وقال أبو الفضل القاضي عياض - رحمه الله تعالى -:

يحتمل أن الحديث على ظاهره وحقيقته وأن ذلك كله علامة لدخول الشهر وتعظيم حرمته ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين ويحتمل أن يكون إشارةَ إلى كثرة الثواب والعفو وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين قال: ويؤيد هذا الاحتمال الثاني قوله في رواية يونس عن الزهري عند مسلم «فتحت أبواب الرحمة» قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنّة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنّة وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيله بأصحابها إلى النار وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات قال الزين ابن المنير: والأول أوجه ولا ضرورة إلى صرف اللفظ عن ظاهره. [كما في الفتح (١١٤/٤)].

قال المفسر الشهير القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «فتحت أبواب الجنّة» الخ بتخفيف التاء وتشديدها يصح حمل هذا الحديث على الحقيقة ويكون معناه أن الجنّة قد فتحت وزخرفت لمن مات في شهر رمضان لفضيلة هذه العبادة الواقعة فيه وغلقت عنهم أبواب النار فلا يدخلها منهم أحد مات فيه وصفدت الشياطين أي غلت وقيدت والصفد الغل وذلك لئلا تفسد الشياطين على الصائمين...

وقيل: إن فتح أبواب الجنّة وإغلاق أبواب النار علامة على دخول هذا الشهر العظيم

للملائكة وأهل الجنّة حتَّى يستشعروا عظمة هذا الشهر وجلالته ويحتمل أن يقال: إن هذه الأبواب المفتحة في هذا الشهر هي ما شرع الله فيه من العبادات والأذكار والصلوات والتلاوة إذ هي كلها تؤدي إلى فتح أبواب الجنّة للعاملين فيه وغلق أبواب النار عنهم وتصفيد الشياطين عبارة عن كسر شهوات النفوس التي بسببها تتوصل الشياطين إلى الإغواء والإضلال ويشهد لهذا «الصوم جُنَّة» رواه أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان من حديث عثمان بن أبي العاص وقوله: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش اهـ [المفهم(١٣٦/٣-١٣٧)].

قلت: والراجح أنها على ظاهرها تفتح ويقتضي من فتحها في رمضان ويلزمها حصول كثرة الثواب وطلب العبادات من العباد من الصيام والقيام والصدقة وسائر البر والإحسان ففتحها بشارة للمؤمن بالخير والعفو من الله تعالى ومغفرة الذنوب فيكون هذا محفزاً له على المبادرة للعبادة والحرص على الوقت والشح به والله أعلم.

فائدة: فإن قيل: فنرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرًا فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شر؟

فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تغل عن الصائمين الصوم الَّذي حوفظ على شروطه وروعيت آدابه أما من لم يحافظ عليه فلا يغل عن فاعله الشيطان.

والثاني: أنَّا لو سلَّمنا أنها صُفِّدَت عن كل صائم لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين أن لا يقع شر لأن لوقوع الشر أسبابًا أخر غير الشياطين وهي النفوس الخبيثة والعادات الركيكة والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبار عن غالب الشياطين والمردة منهم وأن من ليس من المردة فقد لا يصفد والمقصود تقليل الشرور وهذا موجود في شهر رمضان لأن وقوع الشرور والفواحش فيها قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور. [المفهم(١٣٧/٣)].

المبحث الثاني عشر
المكتوب على أبواب الجنة

ما هو الشيء المكتوب على أبواب الجنة ؟

الجواب:

أولاً: الجنة ليس لها باب واحد، وإنما لها أبواب كثيرة، كما قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر :٣٧] . وقد ورد في السُنَّة ما يدل على عدد تلك الأبواب، فمن ذلك قول النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لا يَدْخُلُهُ إِلا الصَّائِمُونَ » [رواه البخاري (٣٢٥٧)، ومسلم(١١٥٢)]. فدل هذا الحديث على أن عدد هذه الأبواب ثمانية .

ثانيًا : المكتوب على باب الجنة، قد وردت فيه بعض الروايات، وأقوى ما وقفنا عليه منها ما رواه الطبراني والبيهقي عن أبي أُمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « دخل رجل الجنة فرأى مكتوبًا على بابها الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر » حسنه الألباني. [انظر صحيح الترغيب والترهيب (٩٠٠) ، والصحيحة (٣٤٠٧)].

وهذا الحديث وإن مال بعض العلماء إلى قبول نسبته إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد ضعفه آخرون منهم ابن الجوزي والعراقي والمناوي وغيره ، لأن الرواة الذين نقلوه عن النبي، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم راو شديد الضعف .

وقد وردت رواية أخرى تقول : « مكتوب على باب الجنة : لا إله إلا الله ، محمد

رسول الله ، علي أخو رسول الله ؛ قبل أن تخلق السماوات والأرض بألفي عام »لكنها رواية مكذوبة ، لا تصح عن رسول الله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[انظر السلسلة الضعيفة (٤٩٠١/١٠)]. .

وعن مالك بن دينار: مكتوب على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، ربحنا ما قدّمنا، خسرنا ما خلفنا. [الكشاف (٥٠٨/٤)بدون سند].

عَن ابْن عَبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: أَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَكْتُوب على بَاب الْجنَّة: إِنَّنِي أَنا الله لَا إِلَه إِلَّا أَنا لَا أعذب من قَالَهَا». [الدر المنثور(٦٥٠/٥)].

قلت: ومكتوب على باب الجنة لا يدخلها كذا كقوله: مكتوب على باب الجنة لا يدخلها نمام وكقوله: مكتوب على باب الجنة لا يدخلوها ديوث. ومكتوب على باب الجنة من صبر عبر.ومكتوب على باب الجنة محمد رسول الله أيدته بعلي. ومكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي أخو رسول الله قبل أن يخلق السموات بألفي عام.ومَكْتُوْبٌ فِي العَرْشِ: مُحَمَّدٌ، وَفِي الإِنْجِيْلِ: أَحْمَدُ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ: مَحْمُوْدٌ، وَعَلَى الصِّرَاطِ: حَمَّادٌ، وَعَلَى بَابِ الجَنَّةِ: حَامِدٌ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيْلَ، وَهُوَ قُرَشِيٌّ. [كلها باطلة لا دليل عليها] .

وينبغي أن نعلم أن الكلام في هذه المسألة أو غيرها مما يتعلق بالجنة ، أو النار ، أو غير ذلك من أمور الغيب ، لا يصح إلا بوحي ثابت من عند الله ، على لسان رسوله الصادق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب العاشر

حـــجاب الجنة

كيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العَظِيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جَمِيع الْخَيْر بحذافيره، وطهرها من كُلّ عيب وآفة ونقص.

فعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لَمَّا خلق الله الجنة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فجاءها فنظر إليها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: وعِزَّتِكَ لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها، فأمر بها فَحُفَّتْ بالمكاره، فقال: ارجعْ إليها، فانظرْ إليها، وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فرجع إليها، فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعِزَّتِكَ لقد خفتُ أن لا يدخلَها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع فانظر إليها، [فرجع إليها] فنظر إليها فإذا هي قد حُفَّت بالشهوات، فرجع وقال: وعِزَّتِكَ لقد خشيتُ أن لا ينجوَ منها أحدٌ إلادخلها». [سُنن النسائي(٣٧٦٣) وقال العلامة الألباني: صحيح] .

قال العلامة صديق حسن خان - رحمه الله تعالى-:

والمراد بالشهوات مرادات النفوس ومستلذاتها وأهويتها. [يقظة أولي الاعتبار(٢٢٠)].

وقال القرطبي- رحمه الله تعالى-:

الشهوات كل ما يوافق النفس ويلائمها، وتدعو إليه، ويوافقها، وأصل الحفاف الدائر بالشيء المحيط به، الذي لا يتوصل إليه بعد أن يتخطى. [المصدر السابق]

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى-:

فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَكَارِهِ هُنَا مَا أُمِرَ الْمُكَلَّفُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فِيهِ فِعْلًا وَتَرْكًا كَالْإِتْيَانِ بِالْعِبَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا الْمَكَارِهَ لِمَشَقَّتِهَا عَلَى الْعَامِلِ وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِ وَمِنْ جُمْلَتِهَا الصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا وَالْمُرَادُ بِالشَّهَوَاتِ مَا يُسْتَلَذُّ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مِمَّا مَنَعَ الشَّرْعُ مِنْ تَعَاطِيهِ إِمَّا بِالْأَصَالَةِ وَإِمَّا لِكَوْنِ فِعْلِهِ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ شَيْءٍ مِنَ الْمَأْمُورَاتِ وَيُلْتَحَقُ بِذَلِكَ الشُّبُهَاتُ وَالْإِكْثَارُ مِمَّا أُبِيحَ خَشْيَةَ أَنْ يُوقِعَ فِي الْمُحَرَّمِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا يُوصَلُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَشَقَّاتِ الْمُعَبَّرِ عَنْهَا بِالْمَكْرُوهَاتِ وَلَا إِلَى النَّارِ إِلَّا بِتَعَاطِي الشَّهَوَاتِ وَهُمَا مَحْجُوبَتَانِ فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ اقْتَحَمَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْخَبَرُ وَإِنْ كَانَ بِلَفْظِ الْخَبَرِ فَالْمُرَادُ بِهِ النَّهْيُ. [فتح الباري(١١/٣٢٠)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «حُجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره». [البخاري(٦٤٨٧)، مسلم(٢٨٢٣)].

قال العلامة النووي- رحمه الله تعالى-:

ومعناه لايوصل الْجَنَّةَ إِلَّا بِارْتِكَابِ الْمَكَارِهِ وَالنَّارَ بِالشَّهَوَاتِ وَكَذَلِكَ هُمَا مَحْجُوبَتَانِ بِهِمَا فَمَنْ هَتَكَ الْحِجَابَ وَصَلَ إِلَى الْمَحْجُوبِ فَهَتْكُ حِجَابِ الْجَنَّةِ بِاقْتِحَامِ الْمَكَارِهِ وَهَتْكُ حِجَابِ النَّارِ بِارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ فَأَمَّا الْمَكَارِهُ فَيَدْخُلُ فِيهَا الِاجْتِهَادُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمُوَاظَبَةُ عَلَيْهَا وَالصَّبْرُ عَلَى مَشَاقِّهَا وَكَظْمُ الْغَيْظِ وَالْعَفْوُ وَالْحِلْمُ وَالصَّدَقَةُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمُسِيءِ وَالصَّبْرُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الَّتِي النَّارُ مَحْفُوفَةٌ بِهَا فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا الشَّهَوَاتُ الْمُحَرَّمَةُ كَالْخَمْرِ وَالزِّنَا وَالنَّظَرِ إِلَى الْأَجْنَبِيَّةِ وَالْغِيبَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْمَلَاهِي وَنَحْوِ

ذَلِكَ وَأَمَّا الشَّهَوَاتُ الْمُبَاحَةُ فَلَا تَدْخُلُ فِي هَذِهِ لَكِنْ يُكْرَهُ الْإِكْثَارُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ يَجُرَّ إِلَى الْمُحَرَّمَةِ أَوْ يُقَسِّي الْقَلْبَ أَوْ يَشْغَلَ عَنِ الطَّاعَاتِ أَوْ يُحْوِجَ إِلَى الِاعْتِنَاءِ بتحصيل الدنيا. [شرح مسلم(١٧/١٦٥)].

قال العلامة العلم ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

أنه قد استقرّت حكمته سبحانه أنّ السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلاَّ على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلاَّ من باب المكاره والصبر وتحمّل المشاقّ.

ولذلك حفّ الجنة بالمكاره والنار وبالشهوات.

ولذلك أخرج صفيّه آدم من الجنة وقد خلَقها له، واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار إلاَّ بعد التعب والنصب، فما أخرجه منها إلاَّ ليُدخله إليها أتمّ دخول. فلله كم بين الدخول الأول والدخول الثاني من التفاوت.

وكم بين راحة المؤمنين ولذّتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبي لذّتهم لو خلقوا فيها. وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد شتاته وفرحة من لم يذق تلك المرارات. [شفاء العليل(١/٢٣٤)].

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

يا سلعةَ الرحمن لِست رخيصة ∴ بل أنتِ غاليةٌ على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالُها ∴ في الألفِ إلا واحدٌ لا اثنان
يا سلعة الرحمن أين المشتري ∴ فلقد عُرِضتِ بأيسر الأثمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب ∴ فالمهرُ قبل الموتِ ذو إمكان
يا سلعة الرحمن لولا أنّها ∴ حُجِبَتْ بكلِّ مكارِه الإنسان
ما كان قطُّ من متخلفٍ ∴ وتَعَلتْ دارُ الجزاءِ الثاني

لكنَّها حُجِبَتْ بكلِّ كريهةٍ ∴ ليُصدَّ عنها المبطلُ المتواني
وتنالها الهممُ التي تَسْمُو ∴ إلى ربِّ العلا بمشيئةِ الرحمن
فاتْعَبْ ليوْم مِعادِك الأدنى ∴ تَجِدْ راحاتهِ يومَ المعادِ الثاني

الباب الحادي عشر

أهل الجنة يعرفون مساكنهم ومنازلهم ومراتبهم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَاقْتَصَّ لَهُمْ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذبوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَهُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ مِنْهُ بِمَسْكَنِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[البخاري(٢٤٤٠)].

في هذا الحديثِ مَشْهَدٌ مِن مَشاهِدِ يومِ القِيامَةِ المَهُولَةِ العَظِيمَةِ، حَيْثُ يُحبَسُ المؤمنون بعدَ أن يَتجاوزوا الصِّراطَ ويُنَجِّيَهم الله تعالى بفضلِه ورحمتِه مِن النارِ، فتُوقِفُهم الملائكةُ على قَنْطَرَةٍ أو جِسْرٍ بينَ الجنَّة والنارِ، فيَتقاصُّونَ مَظالِمَ كانت بَيْنَهم في الدُّنيا، يعني: يَقْتَصُّ المظلومُ مِن ظالِمِه حقَّه الَّذي اعتدى عليه في الدُّنيا، حتّى إذا طُهِّروا وتخلَّصوا من حقوقِ الناس أُدخِلوا الجنَّةَ، وهم أعرَفُ بمنازِلِهم فيها مِن أهلِ الدُّنيا بمنازِلِهم.

وفي الحديثِ: التَّحذِيرُ مِن المظالِمِ، والتَّأْكِيدُ على أنَّه ما مِن حَقٍّ إلَّا سَيرجِعُ لِصاحِبِه يومَ القِيامَةِ؛ فَلْنَعْمَلْ لِمِثْلِ هذا اليومِ العظيمِ.

قال ابن بطال - رحمه الله تعالى -:

وقوله: «فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا » وإنما عرفوا منازلهم في الجنة بتكرير عرضها عليهم بالغداة والعشى، فقد أخبرنا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن المؤمن إذا كان من أهل الجنة عرض عليه مقعده منها بالغداة والعشى، فيقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة. [شرح البخاري(٥٦٩/٦)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي، فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا. وَكُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَيَكُونُ لَهُ حَسْرَةً» [البخاري(٦٥٦٩)].

عن ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال: رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إذا ماتَ أحدُكُمْ عُرِضَ عليهِ مَقْعَدُهُ بالغَداةِ والعَشِيِّ إنْ كانَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أهْلِ الجَنَّةِ وإنْ كانَ مِنْ أهْلِ النَّارِ فَمِنْ أهْلِ النَّارِ يُقالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ الله إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ». [البخاري(١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦)].

قال العلامة المناوي - رحمه **الله** تعالى -:

قوله: «إذا مات أحدكم» أيها المؤمنون الأبرار والكافرون الفجار وفي عصاة المؤمنين «عرض عليه مقعده»أي محل قعوده من الجنة أو النار بأن تعاد الروح إلى بدنه أو إلى بعض منه يدرك به حال العرض ولا مانع منه وشاهده ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٦] ، وقيل العرض إنما هو على الأرواح لا الأشباح ورجح ابن حجر أن العرض يقع على الروح حقيقة وعلى ما يتصل به من البدن «بالغداوة والعشي» أي: وقتهما «إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار» أي: إن كان من أهل الجنة فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه وإن كان من أهل النار فمقعده من مقاعد أهل النار يعرض عليه فليس الجزاء والشرط متحدين معنى بل لفظا ولا ضير فيه بل يدل على الفخامة «ثم يقال له من قبل الله» أي: يأمر الله الملك أو من شاء من خلقه يقول له ذلك «هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه» أي: إلى ذلك المقعد «يوم القيامة» أي: لا تصل إليه إلا بعد البعث ويحتمل رجوع الضمير إلى الله.

كذا قرره التوربشتي وقال الطيبي: يجوز كون معناه فمن كان من أهل الجنة فيبشر بما لا يكنه كنهه ولا يقدر قدره وإن كان من أهل النار فبالعكس لأن هذا القول طليعة

تباشير السعادة الكبرى. ومقدمة بتاريخ الشقاوة لأن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل الجزاء على الفخامة قال: والضمير في إليه يرجع إلى المقعد فالمعنى هذا مقعد يستقر فيه حتى يبعث إلى مثله من الجنة أو النار كقوله تعالى ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة:٢٥] ، أي: مثل الذي أويرجع إلى الله أو إلى لقاء الله أو إلى المحشر أي هذا الآن مقعده إلى يوم المحشر فترى عند ذلك كرامة أو هوانا تنشيء عنده هذا المقعد وفيه إثبات عذاب القبر لأن عرض مقعده من النار عليه نوع عظيم من العذاب. [فتح القدير(١/ ٤٣٨-٤٣٩)].

وعَنْ عَاصِمِ بْنِ ضُمْرَةَ قَالَ : قَرَأَ عَلِيٌّ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- هَذِهِ الآيَة ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ [الزمر :٧١] ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الهمزة: ٩] ، فَتَعَجَّبَ مِنَ النَّارِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَعْجَبْ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر :٧٣] ، اسْتَقْبَلَتْهُم شَجَرَة فِي سَاقِهَا عَيْنَانِ فَتَوَضَّأوا وَاغْتَسَلُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا -شَكَّ أَبُو يَحْيَى- فَلَمْ تشْعَث رُءوسُهُمْ وَلَمْ تَشْحَب جُلُودهُمْ وَجَرَتْ عَلَيْهِمْ ﴿ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المطففين: ٢٤] ، ثُمَّ شَرِبُوا مِنَ الْعَيِنِ الأُخْرَى فَلَمْ تَدَعْ فِي بُطُونِهِمْ قَذَى وَلاَ أَذَى وَلاَ سُوءا ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر :٧٣]، قَالَ: وَيَسْتَقْبِلُهُمْ الْوِلْدَان كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ وَكَاللُّؤْلُؤِ الْمَنْثُورِ يُنَادُونَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، يُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْكَرَامَة يَلُوذُونَ بِهِمْ كَمَا يَلُوذُ النَّاسُ بِالْحَمِيمِ إِذَا كَانَ لَهُمْ غَائِباً فَقَدِمَ ، فَيَنْطَلِقُ الْغُلاَمُ إِلَى زَوْجَتِهِ فَيُبَشِّرُهَا فَتَقُولُ : أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ : أَنَا رَأَيْتهُ فَتَقُولُ : أَنْتَ رَأَيْتهُ؟ فَيَقُولُ : أَنَا رَأَيْتهُ ، ثَلاَثاً فَيَسْتَخِفُّهَا الْفَرَح حَتَّى تَأْتِي أُسْكُفَّةِ بَابِهَا فَيَقْدُمُ عَلَى مَنْزِلٍ قَدْ بُنِي لَهُ عَلَى جَنْدَل الدُّرِّ فَيَرَى النَّمَارِق الْمَصْفُوفَة وَالزَّرَابِي الْمَبْثُوثَة ، وَفَوْقَ ذَلِكَ صَرح أَخْضَر وَأَصْفَر وَأَحْمَر مِنْ كُلِّ لَون ، فَيَرْفَعُ رَأْسهُ إِلَى ذَلِكَ الصَّرح فَلَوْلاَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جَعَلَهَا لَهُ دَاراً وَمَنْزِلاً لاَلْتَمَعَ بَصَرُهُ فَذَهَبْ ، فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا

كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الزمر :٤٣]. [تعليق ابن حجر: هذا حديث صحيح وحكمه حكم المرفوع إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور. [المطالب العالية(١٣/ ١٢٠) رقم (٤٧٢٥)] أسكفة بابها: أي : عتبت بابها.

الباب الثاني عشر

تحية أهل الجنة

المبحث الأول

معنى التحية والسلام

قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالى -:

وَمَعْنَى السَّلَامِ: الدُّعَاءُ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ.وَالتَّحِيَّةُ: مَصْدَرُ حَيَّاكَ اللَّهُ، بِمَعْنَى أَطَالَ حَيَاتَكَ. [أضواء البيان(٢/١٥٢)].

قال ابن الجوزي- رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى -: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ قال الزجاج: أُضمر القول ها هنا، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السلام قولان: أحدهما: أنه التحية المعروفة، يدخل الملَك فيسلِّم وينصرف.[زاد المسير(٢/٤٩٣)].

قال ابن الأنباري- رحمه الله -:وفي قول المسلِّم:﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾، قولان:

أحدهما: أن السلام: الله عَزَّوَجَلَّ، والمعنى: الله عليكم، أي: على حفظكم.

والثاني: أن المعنى: السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة. وأن معناه:إنما سلَّمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرِّها بصبركم في الدنيا. [زاد المسير (٢/٤٩٣)].

المبحث الثاني
تحية أهل الجنة من الله

قال تعالى :﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٤].

قال السعدي- رحمه الله تعالى -: وأما رحمته بهم في الآخرة، فأجل رحمة، وأفضل ثواب، وهو الفوز برضا ربهم، وتحيته، واستماع كلامه الجليل، ورؤية وجهه الجميل، وحصول الأجر الكبير، الذي لا يدري ولا يعرف كنهه، إلا من أعطاهم إياه، ولهذا قال: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ . [تيسير الكريم الرحمن(٦٦٧)].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[يس:٥٥-٥٨].

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى -:

ولهم أيضاً ﴿ سَلَامٌ ﴾حاصل لهم ﴿ مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿ قَوْلًا ﴾ وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرءوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك.

فنرجو ربنا أن لا يحرمنا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم. [تيسير الكريم الرحمن(٦٩٧)].

المبحث الثالث
تحية أهل الجنة من الملائكة

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد :٢٠-٢٤].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ المهاجرون الذين تُسدُّ بهم الثغور وتُتَّقى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مَنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وتُسَد بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً». قَالَ: «فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ ». [رواه أحمد(٦٥٧٠) بأسناد صحيح وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (٣١٨٣)].

قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فتَأْتيهم الملائكةُ عندَ ذلك، فيدخُلون عليهم مِن كلِّ بابٍ

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ » والمعنى: تدخُلُ الملائِكَةُ يُهنِّئونَهم بهذا الثَّوابِ العظيمِ، فيُسلِّمون عليهم بما صَبَروا على الفَقرِ في الدُّنيا، وقيل: على الجِهادِ، وقيل: على مُلازمةِ الطاعةِ، ومُفارقةِ المعصِيَةِ، وقيل: على تركِهم الشَّهَواتِ.

ويُفهمُ مِن هذا أنَّ الإنسانَ إذا أفقرَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ فلا ييْئَسُ ولا يحزَنُ ولا يحسُدُ غيرَه ممَّن آتاه اللهُ عَزَّوَجَلَّ مالًا، فالمالُ نعمةٌ مِن اللهِ سبُحانَه، فإذا تقوَّى به الإنسانُ على طاعةِ اللهِ سبُحانَه وتعالى وعلى عملِ الخيرِ، كان نِعمةً، وإذا تقوَّى به على معاصي اللهِ E، كان نِقْمةً.

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢ ﴾[النحل :٣٢] .

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى -:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ مستمرين على تقواهم ﴿طَيِّبِينَ ﴾ أي: طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم ويخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبته وألسنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ﴾ أي: التحية الكاملة حاصلة لكم والسلامة من كل آفة.

وقد سلمتم من كل ما تكرهون﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ من الإيمان بالله والانقياد لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم لا بحولهم وقوتهم. [تيسير الكريم الرحمن(٤٣٩)].

وقال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ ﴾[الزمر :٧٣] .

قال العلامة السعدي- رحمه الله تعالى -:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ تهنئة لهم وترحيبا: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: سلام من كل آفة وشر حال عليكم ﴿ طِبْتُمْ ﴾ أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبته وخشيته، وألسنتكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. ﴿ فـ﴾ بسبب طيبكم ﴿ ٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون. [تيسير الكريم الرحمن(٧٣١)].

قال الفخر الرازي- رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُمْ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُبَشِّرُونَهُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْ كُلِّ الْآفَاتِ

وَثَانِيهَا: قَوْلُهُمْ طِبْتُمْ وَالْمَعْنَى طِبْتُمْ مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي وَطَهُرْتُمْ مِنْ خُبْثِ الْخَطَايَا .

وَثَالِثُهَا: قَوْلُهُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ فَادْخُلُوها يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ ذَلِكَ الدُّخُولُ مُعَلَّلًا بِالطِّيبِ وَالطَّهَارَةِ، قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا إِذَا كَانَ طَاهِرًا عَنْ كُلِّ الْمَعَاصِي، قُلْنَا هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُونَ طَيِّبِينَ طَاهِرِينَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى.[مفاتيح الغيب(٢٧/٤٨٠)].

المبحث الرابع

تحية أهل الجنة من أهل الأعراف

قال الله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) ﴾ [الأعراف:٤٦] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

أي: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حجاب يقال له: ﴿ الْأَعْرَافِ ﴾ لا من الجنة ولا من النار، يشرف على الدارين، وينظر مِنْ عليه حالُ الفريقين، وعلى هذا الحجاب رجال يعرفون كلا من أهل الجنة والنار بسيماهم، أي: علاماتهم، التي بها يعرفون ويميزون، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نَادَوْهم ﴿ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يحيونهم ويسلمون عليهم، وهم - إلى الآن - لم يدخلوا الجنة، ولكنهم يطمعون في دخولها، ولم يجعل الله الطمع في قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته.[تيسير الكريم الرحمن(٢٩٠)].

المبحث الخامس

تحية أهل الجنة بعضهم بعضا

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾ [يونس:٩-١٠] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى -: ﴿ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض وتحيَّة الملائكة لهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن الله تعالى يُحَيِّيهم بالسلام.

والثالث: أن التحية: المُلْك، فالمعنى: مُلكهم فيها سالم، ذكرهما الماوردي. [زاد المسير(٣١٨/٢)].

قال السعدي-رحمه الله تعالى -:

﴿ وَتَحِيَّتُهُمۡ ﴾ فيما بينهم عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي: كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه ﴿ سَلَٰمٞۚ ﴾ . [تيسير الكريم الرحمن (٣٥٨)].

قال العلامة الشنقيطي- رحمه الله تعالى -:

ذَكَرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ سَلَامٌ، أَيْ يُسَلِّمُ بَعْضُهُمْ عَلَى

بَعْضٍ بِذَلِكَ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ، وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى هَذَا فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ ﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الْآيَةَ ، وَقَوْلِهِ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

[أضواء البيان(١٥٢/٢)].

قال الله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[يونس: ١٠] .

قال العلامة القرطبي- رحمه الله تعالى -:

أَيْ تَحِيَّةُ اللَّهِ لَهُمْ أَوْ تَحِيَّةُ الْمَلَكِ أَوْ تَحِيَّةُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ. [الجامع لأحكام القرآن(٣١٣/٨)].

الباب الثالث عشر
ريح الجنة ونورها

المبحث الأول
ريح الجنة

جعل الله تعالى الدُّنيا دار ابتلاءٍ واختبارٍ كي يجزي الناس يوم القيامة كلٌّ بما فعل، فإمّا أن يفوز المؤمن الذي صبر في الدّنيا وعمل بما أمر به الله تعالى وابتعد عمّا نهى عنه بالجنة، وإمّا أن تكون النار جزاءً من كفر به تعالى وعصاه، واتّبع شهواته ووساوس الشيّطان، ولكي يصبر المؤمن في الدّنيا على ما ابتلاه به الله فإنّه تعالى وصف الجنة ونعيمها في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعندما يعلم الإنسان ما أعدّ الله تعالى للصّابرين من نعيمٍ في الجنّة آمن به تعالى ابتغاء الفوز بها.

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] .

قال السعدي رحمه الله تعالى -:

﴿ فـ ﴾ لهم ﴿ فَرَوْحٌ ﴾ أي: راحة وطمأنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والروح، ﴿ وَرَيْحَانٌ ﴾ وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المآكل والمشارب وغيرهما، وقيل:

الريحان هو الطيب المعروف، فيكون تعبيرا بنوع الشيء عن جنسه العام[تيسير الكريم الرحمن(٨٣٦)].

عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يقرأُ : ﴿ **فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ** ﴿٨٩﴾ ﴾.[صحيح الترمذي (٢٩٣٨)].

كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلِّمُ أصحابَه القرآنَ، ويَهتَمُّ بذلك جدًّا حتّى يُتِمُّوا إتقانَه، وكان يَقرَؤُه عليهم بالقِراءاتِ والأَوْجُه.

وفي هذا الحَديثِ تخبرُ عائشةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأُ، مِن سورَةِ الواقعَةِ مبيِّنًا درجاتِ المؤمِنين في الجنَّةِ وتفاوُتَها، فقال: ﴿ **فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ** ﴿٨٨﴾ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ** ﴿٨٩﴾ ﴾، أي: قرَأ: (فَرُوحٌ) بضَمِّ الرّاءِ، أي: له رحمَةٌ، وقيل: أي: حياةٌ وبقاءٌ لهم، وقيل: أي: تَخرُجُ رُوحُه في الرَّيحانِ، وأنَّ أرْواحَ المقرَّبين تَخرُجُ مِن أبدانِهم عند الموتِ بريحانٍ تَشَمُّه، والقِراءةُ المشهورَةُ بالفتْحِ، ومعناها: أي: له راحَةٌ، وقيل: فرَحٌ، وقيل: رحمَةٌ ومغفِرةٌ، وقيل: الرَّوْحُ: الفرَحُ، والرَّيْحانُ: الرِّزقُ.

وقوله: ﴿ **وَجَنَّتُ نَعِيمٍ** ﴾، أي: وللمُقرَّبينَ مع ذلك بُستانُ نعِيمٍ يتَنعَّمون فيه.

وعن البراء بن عازب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: كنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغرقدِ ، فأتانا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقعدَ وقعَدنا حولَهُ ، كأنَّ على رؤوسِنا الطَّيرَ ، وهو يُلحَدُ لهُ ، فقال : «أعوذُ باللَّهِ من عذابِ القبرِ ، ثلاثَ مرَّاتٍ ، ثم قالَ : إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في إقبالٍ منَ الآخرةِ وانقطاعٍ منَ الدُّنيا ، نزلَت إليْهِ الملائِكَةُ ، كأنَّ على وجوهِهِمُ الشَّمسُ ، معَهم كفنٌ من أكفانِ الجنَّةِ ، وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنَّةِ » ... إلى قوله: «فينادي منادٍ منَ السَّماءِ أن صدقَ عبدي ، فأفرِشوهُ منَ الجنَّةِ ، وافتحوا لهُ بابًا إلى الجنَّةِ ، قال فيأتيهِ من رَوحِها وطيبِها ويُفسَحُ لهُ في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ ،....» الحديث [صحيح أبي داود (٤٧٥٣)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إن في الجنة

لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُسناً وجمالاً». [مسلم(٢٨٣٣)].

في هذا الحديثِ يَصِفُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعضَ نَعيمِ الجَنَّةِ وصِفاتِ أهلِها وصِفةِ عَيشِهم فيها، فيقول: إنَّ في الجنَّةِ لَسوقًا، أي: مُجتمعًا يَجتَمِعونَ فيه كما يَجتَمِعونَ للسُّوقِ في الدُّنيا، يَأتونَها كُلَّ جُمُعةٍ، وهو يَومُ السُّوقِ، فتَهُبُّ ريحُ الشَّمالِ، وخَصَّ رِيحَ الجنَّةِ بالشَّمالِ؛ لأنَّها ريحُ المطَرِ عِندَ العَرَبِ كانت تَهُبُّ مِن جِهةِ الشّامِ، وبِها يَأتي سَحابُ المطَرِ، وَكانوا يَرجونَ السَّحابةَ الشّاميَّةَ، فتَحْثو في وُجوهِهِم وثِيابِهِم، أي: تُثيرُ، المِسكَ والزَّعفرانَ وَما في الجنَّةِ مِن نَعيمٍ، فيَزدادون حُسنًا وجَمالًا، فكَما أنَّ ريحَ الشَّمالِ تَأتي أَهلَ الدُّنيا بِما يُسعِدُهم مِنَ المطَرِ والماءِ، فكَذلكَ هَذه الرِّيحُ تَأتيهم بِما يُسعِدُهم منَ النَّعيمِ والرَّوائحِ الطَّيِّبةِ، فيَرجِعون إلى أهليهم وقدِ ازْدادوا حُسنًا وجَمالًا، أي: أَكثَرَ مِمّا كانوا عليه قَبلَ أنْ يَخْرُجوا مِن عندِ أَهليهِم، فيَقولُ لَهم أَهلوهُم: واللهِ لَقَدِ ازْدَدتُم بَعدَنا حُسنًا وجَمالًا، فيَقولونَ: وأَنتُم، واللهِ لقَدِ ازْدَدتُم بَعدَنا حُسنًا وجَمالًا.

وفي الحديثِ: أنَّ نَعيمَ الجنَّةِ لا يَزالُ في زِيادةٍ أَبدًا.

مسألة: مسافة ريح الجنة.

وعن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال:«من قتل نفسا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام». [صحيح الترغيب(٣٠٠٨)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: « ألا من قتل نفسا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً». [صحيح الترغيب والترهيب(٣٠٠٩)].

عن عبد الله بن عمرو - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ«من قتل

قتيلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» . [صحيح الجامع (٦٤٥٧)وهو في البخاري(٢٩٩٥)].

كما ترى في هذه الأحاديث ذكر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مسافة ريح الجنة مائة عام وسبعين عام وأربعين عام وكلها صحيحة ولكن ليس فيها تعارض بل هي تدل على أن أعلى مسافة لريح الجنة مائة عام .

والمعنى أن من المؤمنين من يجد ريح الجنة على مسافة بعيدة على قدر عمله وصلاحه كما يجدها من كان أقل منه عملاً على مسافة سبعين عام وكذلك من هو أدنى منه على مسافة أربعين عام ومنهم من لا يجدها لذنوب ومعاصي قارفها وارتكبها في الدنيا حالت بينه وبين أن يجد ريح الجنة سياتي بيانها في بابها والله تعالى أعلم .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

والريح يوجد من مسيرة أربعين ∴ وان تشأ مائة فمرويان
وكذا روي سبعين أيضاً صح هـ ∴ ـذا كله وأتى به أثران
ما في رحالهما لنا من مطعن ∴ والجمع بين الكل ذو إمكان
ولقد أتى تقديره مائة بخمس ∴ ضربها من غير ما نقصان
إن صح هذا فهو أيضاً والذي ∴ من قبله في غاية الإمكان
اما بحسب المدركين لريحها ∴ قربا وبعدا ما هما سيان
أو بختلاف قرارها وعلوها ∴ أيضاً وذلك واضح التبيان
أو باختلاف السير أيضاً فهو ∴ أنواع بقدر إطاقة الإنسان
ما بين ألفاظ الرسول تناقض ∴ بل ذاك في الإفهام والأذهان

المبحث الثاني

ريح أهل الجنة

وعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشأ ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس». [مسلم(٢٨٣٥)].

قال الحافظ العراقي - رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ «وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ» بِفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَبِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ إنَّ الْعَرَقَ الَّذِي يَتَرَشَّحُ مِنْهُمْ رَائِحَتُهُ كَرَائِحَةِ الْمِسْكِ، وَهُوَ قَائِمٌ مَقَامَ التَّغَوُّطِ، وَالْبَوْلِ مِنْ غَيْرِهِمْ كَمَا قَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ «لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَإِنَّمَا هُوَ عَرَقٌ يَجْرِي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ مِثْلُ الْمِسْكِ» يَعْنِي مِنْ أَبْدَانِهِمْ وَلَمَّا كَانَتْ أَغْذِيَةُ الْجَنَّةِ فِي غَايَةِ اللَّطَافَةِ، وَالِاعْتِدَالِ لَا عَجْمَ لَهَا وَلَا تَفْلَ لَمْ يَكُنْ لَهَا فَضْلَةٌ تُسْتَقْذَرُ، بَلْ تُسْتَطَابُ وَتُسْتَلَذُّ فَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْمِسْكِ الَّذِي هُوَ أَطْيَبُ طِيبِ أَهْلِ الدُّنْيَا.[طرح التثريب(٢٦٩/٨)].

المبحث الثالث
مجامر أهل الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ: - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنْ أَلُوَّةِ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ وَبِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَى مُخَّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ وَاحِدٍ وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً». [البخاري(٣٢٤٥)].

قوله: «وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلُوَّةِ » قَالَ فِي النِّهَايَةِ الْمَجَامِرُ جَمْعُ مِجْمَرٍ وَمُجْمَرٍ فَالْمِجْمَرُ بِكَسْرِ الْمِيمِ هُوَ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ النَّارُ لِلْبَخُورِ وَالْمُجْمَرُ بِالضَّمِّ الَّذِي يُتَبَخَّرُ بِهِ وَأُعِدَّ لَهُ الْجَمْرُ وَهُوَ الْمُرَادُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَيْ إِنَّ بَخُورَهُمْ بِالْأَلُوَّةِ وَهُوَ الْعُودُ انْتَهَى

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الْأَلُوَّةُ فَعَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ الْمَجَامِرُ جَمْعُ مِجْمَرٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ أَيْ مَا يُوقَدُ بِهِ مَبَاخِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ وَهِيَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَيَجُوزُ ضَمُّهَا وَبِضَمِّ اللَّامِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ. وَحَكَى بن التِّينِ كَسْرَ الْهَمْزَةِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ هُوَ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ. [كما في تحفة الأحوذي(٢٠٦/٧)].

مَجامِرِهم الأَلُوَّةُ؛ يعني أنَّ بَخُورَهم الذي تتَّقدُ به مجامرُهم هو العُودُ الهنديُّ، الذي هو مِن أطيبِ الطِّيبِ وأزكى البَخور.

مسألة: كيف تكون المجامر للبخور ولا نار في الجنة.

قال المباركفوري - رحمه الله تعالى -:

وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ رَائِحَةَ الْعُودِ إِنَّمَا تَفُوحُ بِوَضْعِهِ فِي النَّارِ وَالْجَنَّةُ لَا نَارَ فِيهَا وَيُجْلَبُ بِاحْتِمَالِ أَنْ يَشْتَعِلَ بِغَيْرِ نَارٍ بَلْ بِقَوْلِهِ كُنْ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مِجْمَرَةً بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ فِي الْأَصْلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَشْتَعِلَ بِنَارٍ لَا ضَرَرَ فِيهَا وَلَا إِحْرَاقَ أَوْ يَفُوحَ بِغَيْرِ اشْتِعَالٍ. [كما في تحفة الأحوذي(٢٠٦/٧)].

قال الحافظ العراقي - رحمه الله تعالى -:

قَدْ يَشْتَعِلُ بِغَيْرِ نَارٍ، وَقَدْ تَفُوحُ رَائِحَتُهُ بِلَا اشْتِعَالٍ وَلَيْسَتْ أُمُورُ الْآخِرَةِ عَلَى قِيَاسِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَهَذَا الطَّيْرُ يَشْتَهِيهِ الْإِنْسَانُ فَيَنْزِلُ مَشْوِيًّا بِلَا شَيِّ نَارٍ وَلَا غَيْرِهَا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. [طرح التثريب(٢٦٩/٨)].

قلت: بيَّن الله تعالى الحكمة من وجود النار في الدنيا ولحاجة العبد لها ، والله تعالى قد يجعل شيء يقوم مقامها في الدنيا وليس ذلك على الله بعزيز ولكن جعلها الله ذكرى يتذكر العبد حرها وشدة إحراقها وجعل منها منافع للعبد فأما الجنة فلا نار فيها لأن العلة أنتهت من خلق النار في الدنيا ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ** ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة :٧٣] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ **نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً** ﴾ للعباد بنعمة ربهم، وتذكرة بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين، وجعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم،﴿ **وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ** ﴾ أي: [المنتفعين أو] المسافرين وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك، لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعا للمسافرين في هذه الدار، وتذكرة لهم بدار القرار، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده وشكره وعبادته. [تيسير الكريم الرحمن(٨٣٥)].

المبحث الرابع

ريح نساء أهل الجنة

وعن أنس وأبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قالا: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولَقابُ قوسِ أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها - يعني خمارها - خير من الدنيا وما فيها». [البخاري(٦٥٦٧)].

«ولو أنَّ امرأةً مِن نساءِ أهلِ الجنَّةِ اطَّلعتْ إلى الأرضِ لَأضاءتْ ما بينهما، ولَمَلأتْ ما بينهما رِيحًا»؛ لِحسنهنَّ ونُورهنَّ وليست هذه الريح الطيبة الذكية من استعمال الطيب بل مخلوق معها وخلق الله ريحها على هذا الحسن والقوة والطيب.

المبحث الخامس

ريح حصبائها وترابها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: «لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، مِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، حَصْبَاؤُهَا الْيَاقُوتُ وَاللُّؤْلُؤُ، وَتُرْبَتُهَا الْوَرْسُ وَالزَّعْفَرَانُ». [أحمد (٩٧٤٤) قال الألباني: صحيح].

قوله: «ومِلاطُها » والمِلاطُ: هو التُّرابُ الَّذي يُمزَجُ بالماءِ، فيكونُ طِينًا يُستخدَمُ لِربْطِ اللَّبِناتِ بعضِها ببعضٍ؛ حتَّى يَملَأَ ما بيْنها مِن فراغاتٍ، فأخبَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هذا المِلاطَ الَّذي يكونُ بيْن لَبِناتِ الجنَّةِ يكونُ مِن «المِسكِ الأَذْفَرِ »، أي: يكونُ مَخلوطًا بالمِسكِ شَديدِ الرَّائحةِ الطَّيِّبةِ، «وحَصباؤُها »، أي: إنَّ حصى الجنَّةِ الصَّغيرَ هو «اللُّؤلؤُ والياقوتُ، وتُربَتُها الزَّعفرانُ »، أي: إنَّ تُربةَ أرْضِها في شَكْلِها تكونُ مِن الزَّعفرانِ الطَّيِّبِ.

والزعفران: اسم شجر يتخذ منه الصبغ الأحمر له رائحة طيبة.

والورس: نبت أصفر مثل نبات السمسم طيب الريح يصبع به بين الصفرة والحمرة، أشهر طيب في بلاد اليمن .

المبحث السادس

سيد رياحين الجنة

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ ريحانِ أهلِ الجنّةِ الحناءُ.» [السلسلة الصحيحة(١٤٢٠)].

كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبُّ الأشياءَ الحسنةَ والجميلةَ، ويُرشِدُنا إليها، وما فيها مِن المنافِعِ، كما يقولُ في هذا الحديثُ: «سيِّدُ رَيحانِ أهْلِ الجَنَّةِ الحِناءُ» والمعنى أنَّ نَوْرَ الحِناءِ وزَهرتَها برائحتِها الطيِّبةِ تكونُ أعلى أنواعِ الروائِحِ الطيِّبةِ في الجَنَّةِ، ويُسمِّيها النّاسُ الفاغيةَ أو التَّمرَ حِنّا؛ وهذا لأنَّ الحِنّاءَ تُستخدَمُ في خَضبِ الشَّيبِ عِندَ الرِّجالِ، وهي للزّينةِ عندَ النِّساءِ، وهذا مِن الحثِّ على اتخاذِها واستعمالِها.

المبحث السابع

من وجد ريح الجنة؟

عن أنس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن عمه غاب عن بدر فقال غبت عن أول قتال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لئن أشهدني الله مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرين الله ما أجد فلقي يوم أُحد فهزم الناس ، فقال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ فقال أين يا سعد إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة ، أو ببنانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم. [البخاري(٤٠٤٨)].

ثُمَّ تَقدَّمَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا سعدُ بنَ معاذٍ الجنَّةُ، وربِّ النَّضْرِ، إنِّي أجدُ رِيحها مِن دُونِ أُحدٍ، أي: أجدُ رِيحَ الجنَّةِ وطِيبَها عندَ جبلِ أُحدٍ.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى -:

يحتمل أن يكون ذلك - أي شم ريح الجنة - على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها ريح الجنة ، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنه صار محسوسًا عنده ، والمعنى : أن الموضع الذي أقاتل فيه يئول بصاحبه إلى الجنة .[فتح الباري(٣٥٥/٧)].

قلت : بل هو على الحقيقة هذا ظاهر اللفظ وليس ذلك على الله بعزيز ، فقد أطلعه الله على ذلك وأكرمه .

المبحث الثامن
لا يجد ريح الجنة

أولاً: معنى لا يجد ريحها:

قال أبو حاتم- رحمه الله تعالى -

هذه الأخبار كلها معناها : لا يدخل الجنة يريد جنة دون جنة القصد منه الجنة التي هي أعلى وأرفع يريد من فعل هذه الخصال أو أرتكب شيئا منها حرم الله عليه الجنة أو لا يدخل الجنة التي هي أرفع التي يدخلها من لم يكن تلك الخصال لأن الدرجات في الجنان ينالها المرء بالطاعات وحطه عنها يكون بالمعاصي التي ارتكبها. [صحيح ابن حبان(١١/ ٢٤٠)].

قلت: والمعنى في ذلك والله أعلم لا يجد ريحها ابتداء لمن استحق النار ثم يجد ريحها بعد خروجه من النار أو لا يجد ريحها البعيد الذي يوجد من مسافات بعيدة أو لا يجد ريحها على ظاهر الحديث الذي هو ريح الجنة الخارج عنها ولكن إذا دخلها تمتع بروائحها الموجودة فيها ولعل هذا أقرب وهو ظاهر الحديث في مفهومه ومنطوقه وإن كانت الأفهام تختلف والله أعلم

ثانياً: من لا يجد ريحها بسبب ذنوب ومعاصي:

١- قتل المعاهد وأهل الذمة:

عن رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً».[صحيح الجامع (٦٤٤٨)].

وعن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما».[صحيح الجامع (٦٤٥٧) وهو في البخاري(٣١٦٦)].

أَمَرَ اللهُ تعالى بالوَفاءِ بالعُهودِ وشنَّع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مَنْ نَقَضَ العَهْدَ الذي أعطاه الشارعُ الحكيمُ للكُفارِ غَيْرِ المُحارِبينَ من أَهْلِ الذِّمَّةِ والمُسْتَأْمَنينَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ قَتيلًا» يعني: قَتَلَه بغيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ، «من أَهْلِ الذِّمَّةِ» وهم غيرُ المُسلِمينَ الذين أَعْطاهم المسلِمونَ عهدًا وأمانًا، «لم يَرِحْ رائِحَةَ الجنَّةِ» يَعني لم يَشَمَّ رِيحَها، « وإنَّ ريحَها يُوجَدُ من مَسيرةِ أَرْبَعينَ عامًا » يَعني: أنَّه لنْ يَقتَرِبَ منها، وقد أَمَرَ اللهُ تعالى بالوَفاءِ بالعُهودِ فقال: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل:٦١] ، وفي ذلك بَيانُ عَظَمةِ الإسْلامِ، ورِفْعَةُ مَكانَتِه، حيثُ إنَّه يُراعي حُقوقَ كُلِّ الناسِ، ولو كانوا غيْرَ مُسْلِمينَ، ما داموا مُسالِمينَ لأهْلِ الإسْلامِ، واعتِبارُه الاعْتِداءَ عليهم جَريمةً كُبْرى، بحيثُ يَسْتحِقُّ به المُسْلِمُ -إذا ارْتَكَبَه- حِرْمانَ الجَنَّةِ التي ثَبَتَتْ له بإسْلامِه، فلما اعْتَدى في الإسْلامِ، ولم يَحْتَرِمْ حُدودَه عاقَبَه اللهُ تَعالى بمَنْعِه عن الفَوْزِ بالجنَّةِ.

وفي الحديثِ: مَشْروعيَّةُ مُعاهَدَةِ الكُفارِ، وعَقْدِ الذِّمَّةِ لهم.

٢- عدم الإخلاص في طلب العلم:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله -تعالى- لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». [صحيح أبي داود (٣٦٦٤)].

الأَصْلُ في جَميعِ العِباداتِ أنْ تكونَ جميعُها خالِصَةً للهِ تَعالى، فهذا شَرْطٌ في جَميعِ الأعمالِ الصّالحةِ؛ فمَنِ ابتَغى بالعَمَلِ وَجْهَ النّاسِ كان شَرًّا ووَبالًا عليه في الآخِرَةِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن تعلَّمَ عِلمًا»، أي: من العِلمِ النّافِعِ

الذي يَنتفِعُ به الخَلْقُ سَواءٌ كانتْ عُلومًا شَرعيَّةً أو غيرَ ذلك؛ ممّا فيه مَنفَعةٌ للخَلْقِ «يُبتغى -يعني: به- وَجهُ اللهِ»، أي: هذا العِلمُ الذي تعلَّمَه كان من المُفترَضِ أنْ يَطلُبَه للهِ، «لا يتعلَّمُه إلّا لِيُصيبَ به عَرَضًا من الدُّنيا»، أي: أنَّه تعلَّمَ العِلمَ لِيُصيبَ به مَتاعَ الدُّنيا وعَرَضَها وزينتَها، أو سُمعةً أو رِياءً أو ظُهورًا أو لِمَنصِبٍ أو مَنزِلَةٍ أو مالٍ، فإنْ كان حالُه ذلك، «لم يَجِدْ عَرفَ الجَنَّةِ يومَ القِيامَةِ -يعني: رِيحَها-».

وقيل: العَرْفُ: الطِّيبُ من كُلِّ شَيءٍ، وهو كِنايةٌ عن عَدَمِ دُخولِه الجَنَّةَ، والمُرادُ: أنَّه لن يَنفَعَه عِلمُه يومَ القِيامَةِ بل يُحبِطُه اللهُ، وفي حديثِ ابنِ عُمَرَ عندَ التِّرمذِيِّ: «مَن تعلَّمَ عِلمًا لغَيرِ اللهِ، أو أرادَ به غَيرَ اللهِ، فلْيَتبوَّأْ مَقعَدَه من النّارِ».

وفي الحديثِ: الحثُّ على طَلَبِ العِلمِ لوَجْهِ اللهِ.

وفيه: أنَّ مَدارَ الجَزاءِ على الأعمالِ يكونُ على النِّيَّةِ

٣- طلب المرأة الطلاق من غير ضرورة:

عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لا تسأل المرأة زوجها الطلاق في غير كنهه فتجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً». [شرح البخاري لابن الملقن (٢٥/ ٣١٨) إسناده جيد قال الألباني :ضعيف: ابن ماجه (٢٠٥٤)].

وعن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيُّما امرأةٍ سألت زوجَها طلاقًا في غيرِ ما بأسٍ فحرامٌ عليها رائحةُ الجنةِ». [صحيح أبي داود (٢٢٢٦)].

العَلاقةُ الزَّوجيَّةُ بينَ الزَّوجَينِ من أوثقِ العَلاقاتِ وآكدِها، وخاصَّةً إذا أنجَبا وكوَّنا أُسرةً؛ فينبَغي على الزَّوجَينِ المحافظةُ على هذا الكِيانِ الجديدِ، ولهُما في تَربيةِ أبنائِهما الأجرُ الكبير والثَّوابُ الجَزيل، وقد حذَّرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المرأةَ الَّتي تَترُكُ هذا الكِيانَ وتَطلُبُ الطَّلاقَ دونَ سبَبٍ ودونَ ضررٍ، كما في هذا الحديثِ، حيثُ يَقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيُّما امرأةٍ سألَت زوجَها طَلاقًا في غيرِ ما بأسٍ فحَرامٌ عليها رائحةُ الجنَّةِ»، أي: إنَّ أيَّ

امرأةٍ طلَبَت الطَّلاقَ مِن زوجِها دونَ وُقوعِ ضَرَرٍ أو أذًى عليها مِن زوجِها، ودونَ سببٍ واضحٍ ومقبولٍ، فلْتَحْذَرْ؛ لأنَّها سيَكونُ جَزاؤُها أنَّها تُمنَعُ مِن رائحةِ الجنَّةِ، وهذا كنايةٌ عن بُعدِها من الجَنَّةِ ومَنْعِها من أنْ تَجِدَ رِيحَها وعَدمِ دخولِها الجَنَّةَ، وهذا في حقِّ مَن ماتتْ على الإسلامِ مَحمولٌ على أنها لا تَجِدُ رائحةَ الجنَّةِ أوَّلَ ما يَجِدُها المُحسِنون، ولا تدخُلها مع أوَّلِ الدّاخلين، لا أنَّها لا تَجِدها ولا تَدخلُها أصلًا، وهذا مِن المبالغةِ في التَّهديدِ؛ ففي صحيح البخاريّ أخبرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الجنَّةِ، فقال: «وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ مِن مَسيرَةِ أربَعين عامًا».

وفي الحَديثِ: التَّحذيرُ الشَّديدُ مِن طلَبِ المرأةِ للطَّلاقِ دُونَ سببٍ ودونَ ضررٍ وقَع عليها.

وعن ثوبان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ المُخْتَلِعاتِ والمنتزعاتِ هُنَّ المُنافِقاتُ، وما مِن امرأةٍ تَسْأَلُ زَوْجَها الطَّلاقَ من غَيْرِ بَأْسٍ؛ فتَجِدُ رِيحَ الجنةِ، أوْ قال: رائِحَةَ الجنةِ». [صحيح الترغيب (٢٠١٨)].

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإنَّ المُختلِعاتِ» أي: اللَّواتي يَلتمِسْنَ الخُلْعَ ويَطلُبْنَ الطَّلاقَ مِن أزواجِهنَّ مِن غيرِ سَببٍ مُوجِبٍ لذلك، «والمُنتزِعاتِ» المُرادُ: اللّاتي يَنتزِعْنَ أنفُسَهنَّ مِن أزواجِهنَّ، ويَنشُزْنَ عليهم بعدَمِ الطّاعةِ، «هنَّ المُنافِقاتُ» وجعَلَهنَّ مُنافِقاتٍ؛ تَغليظاً وتَشديدًا؛ لأنَّهنَّ يُظهِرْنَ بذلك كراهةَ الزَّوجِ، وفي الباطنِ أنَّهنَّ يُرِدْنَ سِواهُ يَتزوَّجْنَ به بعدَ الخُلْعِ، والمُرادُ الزَّجرُ والتَّهويلُ، «وما مِن امرأةٍ تسأَلُ زوجَها الطَّلاقَ مِن غيرِ بأسٍ»، أي: مِن غيرِ شِدَّةٍ تُلْجِئُها إلى سُؤالِ المُفارَقةِ، «فتَجِدُ رِيحَ الجنَّةِ- أو قال: رائحةَ الجنَّةِ-»، أي: لمْ تَشُمَّها، وذلك على طَريقةِ الوَعيدِ والمُبالَغةِ في التَّهديدِ، أو أنَّ وقوعَ ذلكَ مُتعلِّقٌ بوقتٍ دونَ وقتٍ، أي: لا تجدُ رائحةَ الجَنَّةِ أوَّلَ ما يجدُها المحسنونَ يومَ القِيامةِ، أو لا تَجدُه أصلًا؛ لأنَّها بطَلبِها الخُلعَ دون سَببٍ تكون قد تعدَّتْ حدودَ اللهِ الذي قال: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ [البقرة:٢٢٩]، ولأنه إضرارٌ بها وبزَوجِها، وإزالةٌ لمصالحِ النِّكاحِ من غيرِ حاجة، وقد عَدَّ كثيرٌ مِنَ العُلماءِ الوقوعَ

في ذلك كبيرةً من كبائرِ الذنوب.

٤- التبرج:

عن أبي هريرة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال : «صنفان من أمتي لم أرهما : قوم معهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن مثل أسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا». [مسلم (٢١٢٨)].

في هذا الحديثِ يُبيّنُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّ صِنفَينِ، أي: نَوعينِ مِن أهْلِ النّارِ لم يَرَهُما بعدُ، أي: في عَصْرِه، بل سيَأتيانِ بَعدَه؛ الصِّنف الأوَّل: قَومٌ معهم «سِياطٌ» جَمْعُ سَوطٍ كَأذنابِ البقرِ، يعني: أنَّها سِياطٌ طويلةٌ وله رِيشةٌ يَضرِبون بها النّاسَ، أي: بِغيرِ حقٍّ وهؤلاء هُمُ الشُّرَطُ الَّذينَ يَضرِبونَ النّاسَ بِغيرِ حقٍّ.

والصِّنف الثاني: نِساءٌ كاسياتٌ، أي: في نِعمةِ اللهِ، عارياتٌ مِن شُكرِها، وقيل: يَستُرْنَ بعضَ بَدنِهنَّ ويَكشِفْنَ بَعضَه؛ إظهارًا لجمالِهنَّ وإبرازًا لِكمالِهنَّ، وقيل: يَلبسْنَ ثَوبًا رقيقًا يَصفُ بَدنَهنَّ وإنْ كنَّ كاسياتٍ لِلثِّيابِ عارياتٍ في الحقيقةِ، أو كاسياتٍ بِالحُلى والحُلِيِّ، عارياتٍ مِن لباسِ التَّقوى .

«مُمِيلاتٌ»، أي: مُمِيلاتٌ قلوبَ الرِّجالِ إليهن، أوِ الْمَقانِعَ عَن رؤوسِهِنَّ؛ لِتظْهَرَ وُجوهُهنَّ، وقيل: مُميلاتٌ بِأكتافِهنَّ، وقيل: يُمِلْنَ غيرَهنَّ إلى فِعلِهنَّ المذمومِ، «مائلاتٌ»، أي: إلى الرِّجالِ بِقُلوبِهنَّ أو بِقوالبِهنَّ، أو مُتبختراتٌ في مَشْيِهنَّ، أو زائغاتٌ عَنِ العَفافِ، أو مائلاتٌ إلى الفُجورِ والهوى، وقيلَ: مائلاتٌ يَمْتَشِطْنَ مِشطَةَ الْمَيلاءِ، وقيلَ: مِشْطَةَ البَغايا، مُمِيلاتٌ يَمشطْنَ غيرَهنَّ بِتلكَ الْمِشطَةِ .

«رؤوسُهنَّ كَأسنِمةِ البُخْتِ»، والبُختِيُّ مِنَ الجِمالِ، والأُنثى بُختيَّةٌ جمْعُ بُخْتٍ وَبَخاتيّ، وهي جِمالٌ طِوالُ الأعناقِ، واللَّفظةُ مُعرَّبَةٌ، أي: يُعظِّمْنَها ويُكبِّرْنَها بِلفِّ عِصابةٍ ونحوِها،

وقيلَ: يَطمَحْنَ إلى الرِّجالِ لا يَغضُضنْ مِن أبصارهِنَّ، ولا يُنكِّسْنَ رؤوسَهنَّ، «المائلةِ» صِفةٌ لِلأسْنِمَةِ، وهي جمْعُ السَّنامِ، والمائلةُ مِنَ الْمَيلِ؛ لأنَّ أعْلى السَّنامِ يَميلُ لِكثرةِ شحْمِه، لا يَدخُلْنَ الجنَّةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَتُوجدُ مِن مَسيرةِ كذا وكذا، أي: مئةِ عامٍ مثلًا.

ومعناه: أنَّهنَّ لا يَدخلْنَها ولا يجِدْنَ رِيحَها حينَ ما يَدخُلُها ويَجِدُ رِيحَها العَفائفُ الْمُتورِّعاتُ، لا أنَّهنَّ لا يَدخُلْنَ أبدًا ويُمكنُ أنْ يكونَ محمولًا على الاستحلالِ، أو المرادُ منه الزَّجرُ والتَّغليظُ، ويمكنُ أنَّهنَّ لا يَجِدْنَ رِيحَها وإنْ دَخلْنَ في آخِرِ الأمرِ، واللهُ تعالى أعلمُ.

في الحديثِ: مُعجزةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلامةٌ مِن عَلاماتِ نُبوَّتِه .

وفيه: بيانُ بعضِ صفاتِ أهلِ النّارِ .

وعن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سيكونُ في آخرِ أمتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤوسِهن كأسنمةِ البُخْتِ، العنُوهن فإنهن ملعوناتٌ. زادَ في حديثٍ آخرٍ: لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحَها، وإن ريحَها لتوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا». [أحمد (٧٠٨٣) وصححه الألباني في جلباب المرأة (١٢٥)] .

٥- من ادعى لغير أبيه:

عن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة و إن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ».[الصحيح المسند للإمام الوادعي (٧٨٧) وصحيح الجامع(٥٩٨٨) بدون زيادة خمسمائة عام] .

قال العلامة السندي - رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ: « لَمْ يَرَحْ رِيحَ الْجَنَّةِ » أَيْ: لَمْ يَشُمَّ رِيحَهَا وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الدُّخُولِ فِيهَا ابْتِدَاءً بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَجِدُ لَهَا رِيحًا وَإِنْ دَخَلَهَا. [حاشية السندي على سُنن ابن ماجهْ (٢/ ١٣١)].

٦ - غش الرعية:

عن معقل بن يسار - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». [البخاري(٧١٥٠)، مسلم(١٤٢) , اللفظ لمسلم ولفظ البخاري إلا لم يجد ريح الجنة].

وفي رواية عند أحمد:«مَنِ استَرعي رَعيَّةً، فلمْ يُحِطْهم بنَصيحةٍ، لم يَجِدْ رِيحَ الجنَّةِ، ورِيحُها يُوجَدُ مِن مَسيرةِ مِئةِ عامٍ، قال ابنُ زيادٍ: ألا كنتَ حَدَّثتَني بهذا قبلَ الآن؟ قال: والآن لَولا الذي أنت عليه لم أُحدِّثْكَ به». [مسند أحمد (٢٠٣١٥) قال الأرناؤوط: صحيح].

فالنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما مِن عَبدٍ» يعني: كلَّ أَحَدٍ «يَسترعِيه الله»، أي: يجعلُه تعالى راعيًا ومسؤولًا «على رَعِيَّةٍ» مَهْما قلَّت، ويَشْمَلُ الأميرَ ولو على ثلاثةِ نَفَرٍ، ويَشملُ المرأةَ في بيتِها، «فلم يَحُطْها بنُصحِه» أي: لم يَكلأْها ويَرعَها ويَنصحْ لها، فضَيَّع حُقوقَها الدِّينيَّةَ والدُّنيويَّةَ؛ فعُقوبتُه: ألَّا يَشَمَّ رائحةَ الجنَّةِ التي تُشَمُّ مِن مَسافةِ سبعين سَنَةً، وهذا يدلُّ على بُعدِه عنها وعدَمِ دُخولِه إيَّاها، وإنْ كان مِن أهل التوحيدِ فيَدخُلها بأحدِ أسبابِ دخولِها: كالتَّطهيرِ بالعذابِ، أو المغفرة، أو غَلَبَةِ الحسناتِ.

٧ - الخضاب بالسواد:

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يكون قومٌ في آخرِ الزمان يُخْضِبون كحواصلِ الحمامِ لا يَجِدون ريحَ الجنةِ». [صحيح الجامع (٨١٥٣)].

في هذا الحَديثِ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يكونُ»، أي: سيَحدُثُ هذا في المستقبَلِ وسيُوجدُ «قوْمٌ يَخْضِبون»، أي: يُغيِّرون لوْنَ شَعْرِهم ولِحاهم أو أحَدِهما، وذلك «في آخِرِ الزَّمانِ»، أي: قبَيْلَ قيامِ السّاعَةِ بقليلٍ، «بالسَّوادِ»، أي: باللَّونِ الأسْوَدِ، «كحَواصِلِ الحَمامِ»، أي: لوْنُ شَعْرِهم أسوَدُ كصُدورِ الحَمامِ، فلَوْنُها أسْوَدُ في الغالِبِ، «لا يَريحُون رائحَةَ الجنَّةِ»، أي: هؤلاء القَومُ، وقيل: هذا إخْبارٌ عن هؤلاء القوْمِ وصِفَتِهم؛ كما

حدَثَ مع الخوارجِ، والإخْبارِ عنهم بحَلْقِ الرَّأسِ، فهنا كذلك أيضًا.

وذلك أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أمَرَ بتغييرِ الشَّيْبِ بالحِنّاءِ والكَتَمِ- وهو له لوْنٌ أصْفَرُ- ونَهى عن نتْفِه، ونهى عن صَبْغِ الشَّعْرِ باللَّونِ الأسْوَدِ؛ لأنَّ فيهِ تغْريرًا وخِداعًا.

وفي الحَديثِ: مُعجِزَةٌ ظاهِرَةٌ للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيثُ أخبَر بأمورٍ في المستقْبَلِ ووقعتْ كما أخبَر.

٨- اثني عشر منافق من أمة محمد:

عَنْ أَبِى نَضْرَةَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمَّار - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -: أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِى صَنَعْتُمْ فِى أَمْرِ عَلِيٍّ أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شَيْئًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُذَيْفَةُ أَخْبَرَنِى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « فِى أَصْحَابِى اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِى سَمِّ الخِيَاطِ. ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ، وَأَرْبَعَةٌ» لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ. [مسلم(٢٧٧٩)].

عن حذيفة بن اليمان - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنّ في أمتي اثني عشر منافقاً، لا يدخلون الجنّة ولا يجدون ريحها؛ حتى يلج الجملُ في سمّ الخياط؛ ثمانيةٌ منهم تكفيكهم الدّبيلة: سراجٌ من نار يظهرُ في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم». [السلسلة الصحيحة(٣٥٣٧)صحيح الجامع (٢١٣١)].

بَلَّغَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شَرائعَ الإسلامِ للنّاسِ كافَّةً ولم يَخُصَّ أحدًا بتَشريعٍ دونَ الأُمَّةِ.

فقول رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنَّ في أُمَّتي اثنا عَشَرَ مُنافقًا لا يَدخلونَ الجَنَّةَ ولا يَجِدونَ رِيحَها؛ لأنَّهم مِن أَهلِ النِّفاقِ الأَكبَرِ، حتّى يَلِجَ، أي: يَدخُلَ، الجَملُ في سَمِّ الخياطِ، أي: ثُقبِ الإبْرَةِ، والمَعنى لا يَدخُلون الجنَّةَ أَصلًا؛ فكَما أنَّ الجَملَ لا يَدخُلُ في ثُقْبِ الإِبرَةِ،

فكَذلكَ لا يَدخُلُ هَؤلاءِ الجَنَّةَ. تَكفيكَهمُ الدُّبَيلَةُ، ورُوي (تَكْفِتْهُمُ) منَ الكَفْتِ، وَهُو الجَمعُ والسَّترُ، أي: تَجمَعُهم في قُبورِهم وتَستُرُهم، والدُّبَيْلَةُ فَسَّرها في الحديثِ بسِراجٍ مِن نارٍ، وهي خُرّاجٌ عَظيمٌ يَكونُ في أَكتافِهم حتّى يَنجُمَ مِن صُدورِهم، أي: تَظهَرَ مِن صُدورِهم أَثَرُ تِلك الحَرارةِ وشِدَّةِ لَهبِها في صُدورِهم، فتَكونَ كالمِصباحِ.

الباب الرابع عشر
نور الجنة

لقد عرفنا الله الجنة.. ترغيباً فيها.. وبين لنا بعضاً من نعيمها وأخفى عنا بعضاً، زيادة في الترغيب والتشويق. لذلك فإن نعيم الجنة مهما وصف، لا تدركه العقول لأن فيها من الخير مالا يخطر على بال ولا يعرفه أحد.

المبحث الأول
نور الجنة وما ذكر فيها

قول الله تعالى -: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإنسان ١٣-١٤] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ تعالى -:﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾ فَيُؤْذِيهِمْ حَرُّها ولا ﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾وهو البَرْدُ الشَّدِيدُ. والمَعْنى: لا يَجِدُونَ فِيها الحَرَّ والبَرْدَ. وحُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ أنَّهُ قالَ: الزَّمْهَرِيرُ: القَمَرُ، وأنْشَدَ:

وَلَيْلَةٍ ظَلامُها قَدِ اعْتَكَرْ ∴ قَطَعْتُها والزَّمْهَرِيرُ ما زَهَرْ

أيْ: لَمْ يَطْلُعِ القَمَرُ.[زاد المسير(٤/ ٣٧٨)].

قال البقاعي - رحمه الله تعالى -:

ولَمّا كانَتْ بيُوتُ الدُّنْيا وبَساتِينُها تَحْتاجُ إلى الِانْتِقالِ مِنها مِن مَوْضِعٍ إلى مَوْضِعٍ لِأجْلِ الحَرِّ أوِ البَرْدِ، بَيْنَ أنَّ جَمِيعَ أرْضِ الجَنَّةِ وغُرَفِها سَواءٌ في لَذَّةِ العَيْشِ وسُبُوغِ الظِّلِّ واعْتِدالِ الأمْرِ، فَقالَ نافِيًا ضُرَّ الحَرِّ ثُمَّ البَرْدِ: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا ﴾ أيْ بِأبْصارِهِمْ ولا بَصائِرِهِمْ أصْلًا ﴿ شَمْسًا ﴾ أيْ ولا قَمَرًا ﴿ وَلَا ﴾ أيْ ولا يَرَوْنَ فِيها أيْضًا بِبَصائِرِهِمْ أيْ لا يُحِسُّونَ بِما يُسَمّى ﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾ أيْ بَرْدًا شَدِيدًا مُزْعِجًا ولا حَرًّا، فالآيَةُ مِنَ الِاحْتِباكِ: دَلَّ بِنَفْيِ الشَّمْسِ أوَّلًا عَلى نَفْيِ القَمَرِ، لِأنَّ ظُهُورَهُ بِها لِأنَّ نُورَهُ اكْتِسابٌ مِن نُورِ الشَّمْسِ، ودَلَّ بِنَفْيِ الزَّمْهَرِيرِ الَّذِي هو سَبَبُ البَرْدِ ثانِيًا عَلى نَفْيِ الحَرِّ الَّذِي سَبَبُهُ الشَّمْسُ، فَأفادَ هَذا أنَّ الجَنَّةَ غَنِيَّةٌ عَنِ النَّيِّرَيْنِ، لِأنَّها نَيِّرَةٌ بِذاتِها وأهْلِها غَيْرُ مُحْتاجِينَ إلى مَعْرِفَةِ زَمانٍ لِأنَّهُ لا تَكْلِيفَ فِيها بِوَجْهٍ، وأنَّها ظَلِيلَةٌ ومُعْتَدِلَةٌ دائِمًا لِأنَّ سَبَبَ الحَرِّ الآنَ قُرْبُ الشَّمْسِ مِن مُسامَتَةِ الرُّؤُوسِ، وسَبَبُ البَرْدِ بُعْدَها عَنْ ذَلِكَ. [نظم الدرر(٨/ ٢٧٠)].

والمَعْنى عَلى هَذا: أنَّهم لا يَرَوْنَ في الجَنَّةِ ضَوْءَ الشَّمْسِ ولا ضَوْءَ القَمَرِ، أيْ ضَوْءَ النَّهارِ وضَوْءَ اللَّيْلِ لِأنَّ ضِياءَ الجَنَّةِ مِن نُورٍ واحِدٍ خاصٍّ بِها. وهَذا مَعْنًى آخَرُ غَيْرُ نَفْيِ الحَرِّ والبَرْدِ.

ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: المُرادُ بِالشَّمْسِ حَقِيقَتُها وبِالزَّمْهَرِيرِ البَرْدُ وإنَّ في الكَلامِ احْتِباكًا، والتَّقْدِيرُ: لا يَرَوْنَ فِيها شَمْسًا ولا قَمَرًا ولا حَرًّا ولا زَمْهَرِيرًا وجَعَلُوهُ مِثالًا لِلِاحْتِباكِ في المُحَسِّناتِ البَدِيعِيَّةِ، ولَعَلَّ مُرادَهُ: أنَّ المَعْنى أنَّ نُورَها مُعْتَدِلٌ وهَواءَها مُعْتَدِلٌ.[التحرير والتنوير(٢٩/ ٣٦١)].

المبحث الثاني

نور الجمعة فيها

عن أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ يَبْعَثُ الأيامَ يومَ القيامةِ على هَيْئَتِها، ويَبْعَثُ يومَ الجمعةِ زَهْراءَ مُنِيرَةً، أهلُها يَحُفُّونَ بِها كالعَرُوسِ تُهْدى إلى كَرِيمِها، تُضِيءُ لهُمْ، يَمْشُونَ في ضَوْئِها، أَلْوانُهُمْ كالثَّلْجِ بَياضًا، ورِيحُهُمْ تسْطَعُ كالمِسْكِ، يَخُوضُونَ في جبالِ الكافُورِ ينظرُ إليهِمُ الثَّقَلانِ، ما يُطْرِقُونَ تَعَجُّبًا، حتى يَدْخُلوا الجنةَ، لا يُخالِطُهُمْ أحدٌ إلّا المؤذِّنُونَ المُحْتَسِبُونَ». [السلسلة الصحيحة (٧٠٦)].

بيَّن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله تعالى يجعل الأيام في ا لجنة يوم القيامة على هيئتها ، ويجعل يوم الجمعة مميزًا عن غيره ، فإن الله أكرم أهل الجمعة السابقين إلى الصف الأول، فيجعل الله تعالى ذلك اليوم مميزًا بالنور والإضاءة الحسية والمعنوية ، ويفرح بها أهل الجمعة كما يفرح أهل العروس بزفافها إلى زوجها ، فتهيئ لهم ويمشون في ضوءها المميز على غيره ، ويستنيرون بنورها حتى تتغير ألوانهم كالثلج ويزدادون جمالاً وريحًا وينثر عليهم جميع أنواع العطور ، ومن ضمها الكافاور يخوضون فيه أمثال ا لجبال، ولا ينال هذه ا لكرامة إلا أهل الجمعة والمؤذنون المحتسبون في أعمالهم وعبادتهم .

المبحث الثالث

نور الوجوه

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [المتحنة:٨].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ على إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضاءَةً، قُلُوبُهُمْ على قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلافَ بيْنَهُمْ ولا تَباغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتانِ، كُلُّ واحِدَةٍ منهما يُرى مُخُّ ساقِها مِن وراءِ لَحْمِها مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ، ووَقُودُ مَجامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ - قالَ أَبُو اليَمانِ: يَعْنِي العُودَ -، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ». [صحيح البخاري (٣٢٤٦)].

يَصِفُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلَ الجنَّةِ جميعًا بالحُسنِ والجمال، وأنَّهم يتفاوتونَ في ذلك حسَبَ درجاتِهم وأعمالهم؛ فأوَّلُ طائفةٍ تدخُلُ الجنَّةَ كالقمرِ ليلةَ البدر، وهي ليلةُ الرّابعَ عشرَ حين تكمُل استدارتُه، ويتِمُّ نورُه، فيكون أكثرَ إشراقًا، وأعظَمَ حُسنًا وبهاءً. أمّا الطّائفةُ الثّانية، فإنَّها تُشبِهُ في صورتِها أقوى الكواكبِ نورًا وضياءً.

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة». [أحمد(١١١٢٦) بسند صحيح لغيره].

قال الحافظ العراقي - رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ: «عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ » أَيْ: عَلَى صِفَتِهِ أَيْ إنَّهُمْ فِي إشْرَاقِ وُجُوهِهِمْ عَلَى صِفَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ وَهِيَ لَيْلَةُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَمَرُ بَدْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يَقْتَضِي مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَرْفُوعًا «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ» ..

واقْتَصَرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَلَى ذِكْرِ صِفَةِ الزُّمْرَةِ الْأُولَى وَبَيَّنَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى أَنَّ الثَّانِيَةَ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءَةً، وَفِي الدُّرِّيِّ ثَلَاثُ لُغَاتٍ قُرِئَ بِهِنَّ فِي السَّبْعِ (الْأَكْثَرُونَ) دُرِّيٌّ بِضَمِّ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَالْيَاءِ بِلَا هَمْزٍ (وَالثَّانِيَةُ) بِضَمِّ الدَّالِ مَهْمُوزٌ مَمْدُودٍ (وَالثَّالِثَةُ) بِكَسْرِ الدَّالِ مَمْدُودٌ مَهْمُوزٌ، وَهُوَ الْكَوْكَبُ الْعَظِيمُ.

قِيلَ سُمِّيَ دُرِّيًّا لِبَيَاضِهِ كَالدُّرِّ وَقِيلَ لِإِضَاءَتِهِ وَقِيلَ لِشَبَهِهِ بِالدُّرِّ فِي كَوْنِهِ أَرْفَعَ مِنْ بَاقِي النُّجُومِ كَالدُّرِّ أَرْفَعُ الْجَوَاهِرِ وَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ [أَيْ] إنَّ دَرَجَاتِهِمْ فِي إشْرَاقِ اللَّوْنِ مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ عُلُوِّ دَرَجَاتِهِمْ وَتَفَاوُتِ فَضْلِهِمْ. [طرح التثريب(٨/ ٢٦٨)] .

مسألة: النور الذي يكون لكل مسلم في المحشر حتى دخول الجنة.

عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يُجْمَعُ الناسُ يومَ القيامةِ إلى، أن قال: فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْرِ أعمالِهم، وقال: فمنهم مَن يُعْطى نُورَه مِثْلَ الجبلِ بينَ يَدَيْهِ، ومنهم مَن يُعْطى نُورَه فوقَ ذلك، ومنهم مَن يُعْطى نُورَه مِثْلَ النخلةِ بيمينِهِ، ومنهم مَن يُعْطى دون ذلك بيمينِه، حتى يكونَ آخرُ مَن يُعْطى نُورَه على إبهامِ قَدمِه، يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مَرَّةً، وإذا أضاء قَدَّمَ قَدَمَه، وإذا طَفِئَ قام...الحديث». [صححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (٣٧٠٤)].

المبحث الرابع

نور التيجان

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ القرآنَ وتعلَّمه وعمِل به؛ أُلبِسَ والداه يومَ القيامةِ تاجًا من نورٍ، ضوؤه مثلُ ضوءِ الشمسِ، ويُكسى والداه حُلَّتانِ لا تقوم لهما الدُّنيا، فيقولان: بمَ كسبْنا هذا؟ فيقال: بأخْذِ ولدِكما القرآنَ». [صحيح الترغيب (١٤٣٤) حسن لغيره] .

المبحث الخامس

نور الأساور

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ» [صحيح الجامع(٣٧٦٥)].

قوله: «ولو أنَّ رجُلًا مِن أهلِ الجنَّةِ اطَّلَع فبدا»، أي: ظَهَر على الدُّنيا، «أساوِرُه»، أي: بعضٌ منها، والسِّوارُ: هو ما يُلبَسُ مِن حلقاتٍ باليدِ، «لطَمَسَ ضوءَ الشَّمسِ»، أي: غَطّى عليها ومحا ضَوْءَها، «كما تطمِسُ الشَّمسُ ضوءَ النُّجومِ»، أي: كما تمحو الشَّمسُ بضَوئِها ضوءَ النُّجومِ.

المبحث السادس

نور المنابر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ من عبادِ اللهِ عبادًا ليسوا بأنبياءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشهداءُ. قيل: من هم؟ لعلنا نحبُّهم ! قال: هم قومٌ تحابَّوا بنور اللهِ، من غير أرحامٍ ولا أنسابٍ، وجوهُهم نورٌ، على منابر من نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ، ثم قرأ أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ». [صحيح الموارد (٢١٢٦) صحيح] .

أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جزائِهم ومَنزلتِهم قائلًا: « فواللهِ إنَّ وُجوهَهم لَنورٌ »، أي: مُنيرةٌ يَعْلوها النُّورُ، وهي مُبالَغةٌ من شِدَّةِ النُّورِ، « وإنَّهم على نورٍ »، أي: على مَنابِرَ من نورٍ، فهُمْ نورٌ على نورٍ، وهي بيانٌ لحالِهم ومنزلتِهم عِندَ اللهِ، «لا يَخافونَ إذا خافَ النّاسُ، ولا يَحزَنونَ إذا حزِنَ النّاسُ »، أي: يومَ القيامةِ، ثمَّ قرأ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآيةَ استشهادًا على قولِه الأخيرِ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢] ، أي: إنَّ المُحبِّينَ المُتَّقينَ أولياءَ اللهِ تعالى لا خَوْفٌ عليهم من عقابٍ يَلْحَقُ بهم، ولا هُمْ يَحزَنونَ من فَواتِ ثَوابِهِمْ .

المبحث السابع
بماذا ينال النور يوم القيامة

١ - الحب في الله :

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ من عبادِ اللهِ عبادًا ليسو بأنبياءَ، يغبِطُهم الأنبياءُ والشُّهَداءُ قيل: من هم؟ لعلنا نحبُّهم؛ قال: هم قوم تحابّوا بنورِ اللهِ، من غيرِ أرحامٍ ولا أنسابٍ، وجوهُهم نورٌ على منابرَ من نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ، ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[يونس:٦٢] » [صحيح الترغيب (٣٠٢٣) صحيح].

عن أبي الدرداء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيبعثَنَّ اللهُ أقوامًا يومَ القيامةِ في وجوهِهم النُّورُ، على منابرِ اللؤلؤِ، يغبِطُهم الناسُ، ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ قال: فجثى أعرابيٌّ على ركبتَيه، فقال: يا رسولَ اللهِ ! جَلِّهم لنا نعرفْهم؟ قال: هم المتحابُّون في اللهِ من قبائلِ شتَّى، وبلادٍ شتَّى يجتمعون، على ذكرِ اللهِ يذكرونه.»[صحيح الترغيب (٣٠٢٥) حسن] .

٢ - إقامة العدل :

عن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ المقسِطين عند اللهِ يومَ القيامةِ على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمنِ، وكلتا يدَيه يمينٌ: الذين يعدِلون في حكمِهم، وأهليهم وما وَلُوا». [مسلم (١٨٢٧) صحيح الجامع (١٩٥٣) صحيح] .

يُبيِّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ العادِلِينَ في حُكمِهم وخِلافَتِهم في أَهلِيهم وفِيمَن ولَّاهم اللهُ عليه؛ عند الله، مُقرَّبون إليه ومُكرَّمون لَدَيْهِ؛ مُرتَفِعون على مَنابِرَ :وهي الأماكِن العاليَةُ

الغاليَةُ. مِن نُورٍ، أي: خُلِقَتْ مِن نُورٍ؛ عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وكِلْتا يَدَيْهِ سُبحانَه يَمِينٌ. وقد رَوى مُسلِمٍ في صحيحِه من حديثِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: يَطوِي الله عَزَّوَجَلَّ السَّمواتِ يومَ القيامةِ، ثُمَّ يَأخُذُهُنَّ بيدِه اليُمنى، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ ! أين الجبّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثُمَّ يَطوِي الأَرَضِينَ بشِمالِه، ثُمَّ يقول...، فالله سُبحانَه تُوصَفُ يَداه باليَمِين والشِّمالِ مِن حيثُ الاسْمِ، كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ، وكِلْتاهُما يَمِينٌ مُبارَكَةٌ مِن حيثُ الشَّرَفِ والفضلِ، كما في هذا الحديثِ.

في الحديثِ: فضلُ العَدْلِ في الأهلِ، وكذلك في الأولاد، وكذلك أيضًا في كلِّ مَن ولّاك الله عليه.

٣- الصلاة:

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إسباغُ الوضوءِ شطرُ الإيمانِ والحمدُ للهِ تملأ الميزانَ، وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ أو تملأ ما بين السماءِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليك، كلُّ الناسِ يَغدو، فبائعٌ نفسَه، فمُعتِقُها أو موبِقُها». [مسلم (٢٢٣) صحيح الترغيب (١٨٩) صحيح].

قوله: «والصَّلاةُ نورٌ»، أي: يُهْتدى بها إلى الطَّريقِ يومَ القِيامةِ كما يُهْتدى بالنُّورِ في الدُّنيا.

٤- الشيب في الإسلام:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تنتِفوا الشيبَ؛ فإنه نورُ المسلمِ، من شاب شيبةً في الإسلامِ؛ كتب اللهُ له بها حسنةً، وكفَّر عنهُ بها خطيئةً، ورفعهُ بها درجةً». [مشكاة المصابيح (٤٤٥٨) إسناده حسن].

الشَّيْبُ إذا ظهَرَ على المسلِمِ فهو علامَةُ الوَقارِ والجَمالِ والبَهاءِ؛ فلا يَنبَغي للمسلِمِ أن يُزيلَ هذا الشَّيبَ من رأسِهِ ولا مِن لِحيتِهِ؛ لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهى عن ذلك.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْتِفوا»، أي: لا تُزيلوا ولا تَقطَعوا،

«الشَّيْبَ»، أي: الشَّعراتِ البِيضِ الَّتي تَظهَرُ في رأْسِ الإنسانِ أو لحيَتِه؛ وسبَبُ ذلك أنَّه «ما مِن مسلِمٍ»؛ من رجلٍ أو امْرأةٍ، «يَشيبُ شيْبَةً»، أي: تظهَرُ عليهِ شَعرَةٌ واحِدةٌ بيْضاءُ، «في الإسْلامِ»؛ وهو من المسلِمين ومُلتزِمٌ بهذا الدِّينِ، «إلّا كانت» شيْبَتُه، «له نُورًا»، أي: سببًا للنُّورِ الَّذي يحصُل له، «يومَ القِيامَةِ»، «إلّا كتبَ اللهُ» من الأجْرِ، «له»، أي: للمسلِمِ، «بها»، أي: بهذه الشَّيبَةِ،«حسنَةً» من الحسنَاتِ، «وحَطَّ عنه»، أي: أزالَ وغفَرَ وكفَّرَ عن صاحِبِ الشَّيبَةِ، «بها»، أي: بالشَّيبَةِ، «خَطيئةً» من الخَطايا؛ وهي السَّيِّئاتُ.

وقد أمَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتغييرِ الشَّيبِ بالحِنّاءِ والكَتَمِ- وهو له لوْنٌ أصفَرُ- ونَهى عن نتْفِه، ونَهى عن صبْغِ الشَّعرِ باللَّونِ الأسْوَدِ؛ لأنَّ فيهِ تَغريرًا وخِداعًا.

وفي الحَديثِ: تَوْقيرُ الكبيرِ وفضْلُه؛ لأنَّه شابَ رأسُه في هذا الدِّينِ.

عن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهى عن نتفِ الشَّيبِ وقالَ: «إنَّهُ نورُ المسلِمِ ». [صحيح الترمذي (٢٨٢١) صحيح] .

٥- كثرة الخطى إلى المساجد :

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بشِّرِ المشّائينَ في الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بالنُّورِ التّامِّ يومَ القيامةِ ». [صحيح ابن ماجه (٧٨٢) صحيح].

٦- الوضوء :

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ترِدُ عليَّ أُمَّتي الحوضَ، وأنا أذودُ الناسَ عنه، كما يذادُ الرجلُ إبلَ الرجلِ عن إبلِه، قالوا: يا نبيَّ اللهِ تعرفُنا؟ قال: نعم، لكم سيمًا ليست لأحدٍ غيرِكم، ترِدون عليَّ غُرًّا محجَّلين من آثارِ الوضوءِ، وليصدَّنَ عني طائفةٌ منكم، فلا يصِلون، فأقول: يا ربِّ هؤلاءِ مِن أصحابي ! فيجيبُني ملَكٌ فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدَك؟ ». [مسلم (٢٤٧)].

في هذا الحديثِ يُبشِّرُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّته؛ أمَّةَ الإجابة، بأنَّ اللهَ تعالى يُميِّزُهم

بعلامةٍ يومَ القيامة، ويُنادَوْنَ على رُؤوس الأشهاد غُرًّا مُحَجَّلِينَ من آثار الوضوء، والغُرَّةُ بياضٌ في الجبهة، والتَّحجيلُ بياضٌ في السّاق؛ فإنَّ الوضوء يترُكُ أثرًا في الوجهِ والسّاق واليدينِ يكون بياضًا ونورًا يوم القيامة تَختصُّ به هذه الأُمَّةُ من بين الأُمم، ولمّا كان للوضوء هذا الأثرُ، أَوْصى أبو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإطالة الغُرَّةِ، فقال: فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ، فَلْيَفْعَلْ.

٧- قراءة القرآن وتعليمه للابن :

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ القرآنَ وتعلَّمه وعمِل به؛ أُلبِسَ والداه يومَ القيامةِ تاجًا من نورٍ، ضوؤه مثلُ ضوءِ الشمسِ، ويُكسى والداه حُلَّتانِ لا تقوم لهما الدُّنيا، فيقولان: بمَ كسبْنا هذا؟ فيقال: بأخْذِ ولدِ كما القرآنَ » . [صحيح الترغيب(٤٣٤)].

٨- تبليغ العلم :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : «نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً ، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ».[صحيح ابن حبان(٦٩) قال العلامة الألباني: صحيح].

نضر الله: النضارة هي في الأصل حسن الوجه وبريقة ، كما جاء في قوله تعالى -: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ، أي: حسَنَةٌ بهية مشرقة مسرورة، وقال بعض العلماء في معنى نضر الله: قال أي: بيض الله وجهه.

وقال بعض العلماء إنه يحشر يوم القيامة ابيض الوجه مشرق مستنيرا بهذا العلم، وقال البعض: إن الله يُنَضِّرُ لأهل الحديث وجوههم في الدنيا والآخرة، وتقديره عند بعض العلماء: جمله الله وزينه، وأحسن من فسرها هو القرآن ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: كما تقدم: مشرقة حسَنَةٌ بهية ناعمة، وهذا التفسير يوافق قول من قال من العلماء: جمله الله وزينه.

المبحث الخامس عشر

أكثر أهل الجنة

أولاً: أمة محمد - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يقول الله تعالى -: ياآدم! فيقول: لبيك وسَعْدَيكَ والخيرُ في يديكَ، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بِسُكارى، ولكن عذاب الله شديد»، فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله! وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف». ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة». فكبرنا فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة»،فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلدِ ثورٍ أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلدِ ثور أسودَ» [البخاري(٣٣٤٨)، مسلم(٢٢١)].

قال ابن الملقن- رحمه الله تعالى -:

وتكثيرهم للسرور بما ذكره لهم، وإنما ذكر الربع أولاً ثم النصف؛ لأنه أوقع في النفس وأبلغ في الإكرام، فإن تكرار الإعطاء والتدريج دال على الملاحظة والاعتناء، ويجوز أن يكون أخبر أولاً بالربع ثم بالنصف ثم بأكثر وقوله: «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» هو من العدد الذي تسامح فيه العرب عادة. [التوضيح لشرح الجامع الصحيح(٣٤٧/١٩)].

وعن بريدة بن الحُصَيب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«أَهلُ

الجنّة عشرون ومائة صف، هذه الأُمّة منها ثمانون صفًّا، وأَربعون من سائر الأُمم». [رواه الترمذي(٢٥٤٦) وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير(٢٥٢٦)صحيح]

وعن ابن مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنّة؟» قال: فكبّرنا. ثمّ قال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنّة؟» قال: فكبّرنا. ثمّ قال: «إنّي لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنّة. وسأخبركم عن ذلك. ما المسلمون في الكفّار إلّا كشعرة بيضاء في ثور أسود. أو كشعرة سوداء في ثور أبيض». [رواه البخاري(٦٥٢٨)، مسلم(٢٢١)].

مسألة مهمة: كيف نجمع بين قوله تعالى -: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) ﴾ .... الآيات، وبين الحديث السابق؟.

الجواب:

أولاً: قد يكون المعنى أنهم أكثر سبقاً من هذه الأمة في إجابة أنبيائهم بمعنى أن مجموع أصحاب الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام أكثر من مجموع الصحابة لنبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام والذين عاينوا جميع الأنبياء أكثر من الذين عاينوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الشوكاني- رحمه الله تعالى-:

لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ (١٤) ﴾إنما هو تفصيل لِلسَّابِقِينَ فَقَطْ كَمَا سَيَأْتِي فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أَنَّهُمْ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ، فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَيَجْتَمِعُ مِنْ قَلِيلِ سَابِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ وَمِنْ ثُلَّةِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ مِنْهَا مَنْ يَكُونُ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، والمقابلة بين الثلثين فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ لَا تَسْتَلْزِمُ اسْتِوَاءَهُمَا لِجَوَازِ أَنْ يُقَالَ: هَذِهِ الثُّلَّةُ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الثُّلَّةِ، كَمَا يُقَالُ: هَذِهِ الْجَمَاعَةُ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ

الْفِرْقَةِ، وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ أَكْثَرُ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ. [فتح القدير(١٧٩/٥)].

ثانياً: قد تكون هذه الآية منسوخة بالحديث النبوي الذي بين فيه النبي عليه الصلاة والسلام أنهم ثلثي الجنة وقد رده الإمام الشوكاني وأبطله [كما في فتح القدير(١٧٩/٥)].

ثالثاً: أن المقصود بالأولين الصحابة وليس الأمم السابقة وأن المقربين من الصحابة أكثر من المقربين ممن بعدهم لشرف الصحبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن جاء من بعدهم أكثرهم من أصحاب اليمين قال ابن عباس السابقون إلى الهجرة هم السابقون إلى الآخرة.

والراجح والله أعلم: أن المعنى عام والمشار إليه يوم القيامة بقوله وكنتم إي أيها الناس يوم القيامة على أحوال ثلاثة فلا يختص بالصحابة ولا بغيرهم من المعاني وأن الآية ليست منسوخة لأن شروط النسخ لم تتوفر ومع إمكان الجمع بين الأدلة وعلى هذا يكون الراجح هو القول الأول والله أعلم.

ثانياً: الفقراء:

أما الجنة فأكثر أهلها الفقراء، أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ وعوضهم تعويضاً عظيماً جداً؛ لأن الدنيا لا قيمة لها، فيوم القيامة وهم في جنة الله عَزَّوَجَلَّ يعطيهم حتى إن أبأس إنسان منهم في الدنيا ليغمس غمسة في الجنة ويسأل: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: ما رأيت بؤساً قط وهذه غمسة فقط، كيف وهو ينعم فيها إلى أبد الآبدين!.

وكان فقراء الدنيا، الذين عاشوا عابدين طائعين متقين مستقيمين على صراط الله أكثر أهل الجنة، وكان أغنياء الدنيا قليلين في الجنة، لأنهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم عن الصراط المستقيم، ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى الكفاح، ومجاهدة النفس، ومجاهدة الشهوات، والتقلل من التنعم والطيبات أكثر من دعوته إلى الغنى والتنعم.

وأكثر من يدخل الجنة الضعفاء الذين لا يأبه الناس لهم، ولكنهم عند الله عظماء، لإخباتهم لربهم ، وتذللهم له، وقيامهم بحق العبودية لله،فعن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ قَالَ

سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ« أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». [البخارى (٤٩١٨) مسلم(٧٣٦٦)].

قال النووي - رحمه الله تعالى -:

وَمَعْنَاهُ : يَسْتَضْعِفهُ النَّاس وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَيْهِ لِضَعْفِ حَاله فِي الدُّنْيَا ، يُقَال : تَضَعَّفَه وَاسْتَضْعَفَهُ ، وَأَمَّا رِوَايَة الْكَسْر فَمَعْنَاهَا : مُتَوَاضِع مُتَذَلِّل خَامِل وَاضِع مِنْ نَفْسه ، قَالَ الْقَاضِي : وَقَدْ يَكُون الضَّعْف هُنَا : رِقَّة الْقُلُوب وَلِينهَا وَإِخْبَاتهَا لِلْإِيمَانِ ، وَالْمُرَاد أَنَّ أَغْلَب أَهْل الْجَنَّة هَؤُلَاءِ ، كَمَا أَنَّ مُعْظَم أَهْل النَّار الْقِسْم الْآخَر ، وَلَيْسَ الْمُرَاد الِاسْتِيعَاب فِي الطَّرَفَيْنِ. [شرح النووي على مسلم - (٢٣٤/٩)] .

وعَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ »[البخاري(٥١٩٦)وسلم(٢٧٣٦)].

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «اطَّلعت في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار فرأيتُ أكثر أهلها النساء ». [البخاري(٣٢٤١) ومسلم(٢٧٣٧)].

قال ابن الملقن- رحمه الله تعالى-:

وكذلك ليس قوله: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » لا يوجب فضل الفقير، وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك، كما تقول: أكثر أهل الدنيا الفقراء. لا من جهة التفضيل، وإنما هو إخبار عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، إنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر، أرأيت الفقير إذا لم يكن صالحًا فلا فضل له في الفقر. [التوضيح لشرح الجامع الصحيح(٤٦٢/٢٩)].

وقال ابن الجوزي- رحمه الله تعالى-:

لما كَانَ الْفَقِير فاقدا لِلْمَالِ الَّذِي يتسبب بِهِ إِلَى الْمعاصِي وَيحصل بِهِ البطر والشبع وَالْجهل وَاللَّهْو، بعد عَمَّا يقرب إِلَى النَّار. وَلما كَانَ الْأَغْلَب على النِّسَاء الشِّبَع والبطر وَالْجهل وَاللَّهْو لازمهن مَا يحمل إِلَى النَّار. [شرح المشكل من حديث الصحيحين(١/ ٤٧٨)].

ثالثاً: النساء:

ففي صحيح مسلم أن ابن عُلية قال: أخبرنا أيوب عن محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا وإما تذاكروا: الرجالُ في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال أبو هريرة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -: أو لم يقل أبو القاسم - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشدّ كوكب دُرِيٍّ في السماء إضاءة، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان، يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب ». [مسلم(٢٨٣٤) واللفظ له] .

قال القرطبي- رحمه الله تعالى-:

قال علماؤنا: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنقذن بصائرها إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها ولميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى لما لهم فيهن من الهوى والميل لهن، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارفات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعيهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة لمن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين. [التذكرة (٨١٨)].

قلت: ما أحسن ما أجاب به النبي الحبيب صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن هذا السؤال أنهن يكفرن العشير والإحسان وهذا هو والله السبب، إبطال الأعمال الصالحة التي تعملها المرأة من طاعة زوج وتربية ولد وإحسان إلى والد، ولكنها تأتي وتكفر الإحسان فالمرأة تقع في كفران العشير، وتقع في التفريط في حق الله وفي حق زوجها، فكن أكثر أهل الناروهذا

من أعظم أسباب بطلان الأعمال الصالحة فتنبه لهذا تدرك المطلوب مع ما سبق من المعاني التي ذكرها أهل العلم رحمهم الله.

قال ابن بطال- رحمه الله تعالى-:

قال المهلب: إنما استحق النساء النار بكفرانهن العشير من أجل أنهن يكثرن ذلك الدهر كله، ألا ترى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد فسره، فقال: « لو أحسنت إلى إحداهن الدهر »، لجازت ذلك بالكفران الدهر كله، فغلب استيلاء الكفران على دهرها، فكأنها مصرة أبدًا على الكفر، والإصرار من أكبر أسباب النار. [شرح البخاري(٣١٩/٧)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قَالَ : «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ثَلاَثَةً يُعَذَّبُونَ : امْرَأَةً مِنْ حِمْيَرَ طُوَالَةً رَبَطَتْ هِرَّةً لَهَا لَمْ تُطْعِمْهَا ، وَلَمْ تَسْقِهَا ، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، فَهِيَ تَنْهَشُ قُبُلَهَا وَدُبُرَهَا وَرَأَيْتُ فِيهَا أَخَا بَنِي دَعْدَعٍ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا فُطِنَ لَهُ ، قَالَ : إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي ، وَالَّذِي سَرَقَ بَدَنَتَيْ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ». [صحيح ابن حبان (٧٤٨٩) بسند صحيح].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -:

وَقَدْ صَحَّ لِكُلِّ رَجُل مِنْ أَهْل الْجَنَّة زَوْجَتَانِ مِنَ الانسيَّات سِوَى الْحُور الْعِين وَذَلِكَ لأَنَّ مَنْ فِي الْجَنَّة مِنَ النِّسَاء أَكْثَر مِنَ الرِّجَال وَكَذَلِكَ فِي النَّار فَيَكُون الْخَلْق مِنْهُم أَكْثَر وَاللَّفْظ الْعَام لا يَجُوز أَنْ يُحْمَل عَلَى الْقَلِيل مِنَ الصُّور دُونَ الْكَثِير بِلاَ قَرِينة مُتصِلة لأَنَّ ذَلِك تَلْبِيس يُنَزَّه عَنْهُ كَلاَم الشَّارِع. [مجموع الفتاوى (٤٣٢/٦)].

رابعاً: البله :

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أكثر أهل الجنة البلة». [ضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (٦١٤٥) وضعيف الجامع(١٠٩٦)].

قلت: فالحديث لا يصح ولو كان صحيحاً لكان توجيهه أن المسلم يظنه الناس أبله لأنه انشغل بالعبادة والطاعة لربه تعالى وإقامة التوحيد والدعوة إلى الله وسخر نفسه لهذا، فالناس يظنونه أبلهً لأنه لم يحرص على الدنيا وجمعها وزخرفتها كما ترون في مثل هذه الأيام، بل وفي كل زمان أن المؤمن الذي حافظ على دينه بإقامة الحلال والحرام في جميع شؤونه عملا وتركاً ، وكان منشغلاً لنصرة الدين ، والدعوة إلى الله تعالى ، وأنفق ماله وتفرغ في جميع أوقاته ، يعتبره الناس من هذا الجنس ، وكم نسمع من هذا الاستهزاء والسخرية واعتقاد من العوام أن طلاب العلم الدعاة إلى الله الناصحون الصابرون على الفقر من أجل تعليم الناس أنهم ضائعون مفرطون ، لا مستقبل لهم ولا حياة لهم ، بل يعدونهم من جنس الهبلان كما ترى ، وهذا المعنى يتقوى بحديث اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء قد يكون المعنى من هذا الباب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا إنما هو توجيه فقط وإلا فالحديث لا حجة فيه فهو ضعيف ، لم يثبت عن نبينا عليه الصلاة والسلام والله أعلم.

الباب السادس عشر
صفات أهل الجنة

الدُّنيا بما فيها عرَضٌ زائلٌ، والنَّعيمُ الكاملُ والدائمُ في الآخِرَةِ؛ فاللهُ سبُحانه يُجزِلُ العَطاءَ والمثوبةَ لعِبادِه الطّائعين في الجنَّةِ، ويُعطيهم اللهُ مِن الجَمالِ والقوَّةِ ما يتلَذَّذون به بالنَّعيمِ أضعافًا مُضاعَفةً، ولا وجْهَ للمقارَنةِ بينَ نَعيمِ الدُّنيا ونعيمِ الآخِرَةِ.

وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا ما يُخْبِرُ عنِ الجنَّةِ بِما يُشوِّقُ النُّفوسَ إليها ويَشحَذُ الهِمَمَ لَها، ولِيُشَمِّرَ لها الطّالِبونَ، ويَرْغَبَ فيها الرّاغِبونَ.

المبحث الأول
صفات أهل الجنة

أولاً: الصفات الخُلقية:

١ ـ طولهم:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ ». [البخاري(٣٣٢٦) مسلم(٢٨٤١)].

قال ابن الملقن - رحمه الله تعالى -:

قال ابن التين: قيل المراد: بذراعنا؛ لأن ذراع كل أحد مثل ربعه، ولو كانت بذراعه لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده كالإصبع والظفر. وقيل: هي ستون بذراعه. وقيل: إنه كان يقارب أعلاه السماء، وإن الملائكة كانت تتأذى بنفسه فخفضه الله إلى ستين ذراعًا.

وظاهر الحديث خلافه، فإنه خلق وطوله ستون ذراعًا، نعم روى ابن جرير من حديث جرير خَتن عطاء، عن عطاء بن أبي رباح قال: لما أهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ويأنس إليهم، فهابته الملائكة حتى شكت إلى الله ذلك في دعائها فخفضه الله إلى الأرض. وقاله قتادة وأبو صالح عن ابن عباس وأبو يحيى القتات عن مجاهد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه ابن أبي شيبة في كتاب «العرش» من حديث طلحة بن عمرو الحضرمي عن ابن عباس

وقال الثوري: خلق الله آدم في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض، وتوفي عنها وهي ستون ذراعًا، ولم ينتقل أطوارًا كذريته، وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير.

وقال القرطبي: إن الله يعيد أهل الجنة إلى خلقة أصلهم الذي هو آدم، وعلى صفته وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة، وكان طوله فيها ستين ذراعًا في الارتفاع من ذراع نفسه.

قال: ويحتمل أن يكون هذا الذراع مقدرًا بأذرعتنا المتعارفة عندنا. [التوضيح لشرح الجامع الصحيح(١٩/٢٧٨)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

والطول طول أبيهم سِتُّونَ ∴ لَكِن عرضهمْ سبع بِلَا نُقْصَان
الطول صَحَّ بغير شك فِي ∴ الصَّحِيحَيْنِ اللَّذين هما لنا شمسان
وَالْعرض لم وَلَا يخفى التناسب بَين ∴ هَذَا الْعرض والطول البديع الشان
كل على مِقْدَار صَاحبه وَذَا ∴ تَقْدِير متقن صنعة الإنسان

قال ابن الأمير الصنعاني اليمني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «خلق الله آدم على صورته » أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته لم يتفاوت هيئته بخلاف بنيه فإن كلا منهم يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما وأعصاباً عارية ثم يكسوها لحما ثم حيواناً مخبأ لا يأكل ولا يشرب ثم يكون مولودًا رضيعاً ثم طفلاً مترعرعاً ثم مراهقاً ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا، والمعنى: خلق الله آدم أي صوّره أو نفخ فيه الروح حال كونه على صورته التي هو عليها وفي قوله: «وطوله ستون ذراعًا » ما يدل على ذلك ويدل له أيضاً ما في رواية أحمد ولم ينتقل أطوارا كذريته والمراد بذراع نفسه.

قوله: «فكل من يدخل الجنة » أي من بنيه. «على صورة آدم » حسنًا وضاحة ولون. [التنوير شرح الجامع الصغير(٤٩٦/٥-٤٩٧)].

قال القاضي أبو الفضل- رحمه الله تعالى -:

وقوله هنا: « طوله ستون ذراعًا » يبين الإشكال، ويزيح التشابه، ويوضح أنّ الضمير راجع إلى آدم نفسه، وأنّ المراد على هيئته التي خلقه عليها، لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطوارًا. وقد مرّ من هذا، ويكون معناه: على الصورة التي كان بها في الأرض وأنه لم يكن في الجنة على صورة أخرى، ولا اختلفت صفاته وتصوراته اختلاف تصورات الملائكة في أصول صورهم. وفى الصور التي يتراءون فيها غالباً للخلق. [إكمال المعلم (٣٧٣/٨-٣٧٤)].

٢ـ جمالهم:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين:٢٢-٢٤] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، ﴿ تَعْرِفُ ﴾ أيها الناظر إليهم ﴿ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: بهاء النعيم ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذة والسرور يكسب الوجه نورًا وحسنًا وبهجة. [تيسير الكريم الرحمن(٩١٦)].

عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كل من يدخل الجنة على صورة آدم، وطوله ستون ذراعاً ». [البخاري(٣٣٢٦) مسلم(٢٨٤١)].

فأنهم على صورة أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام، قالوا: لا أكمل ولا أتم من هذه الصورة، لأنه خلقه الله بيده، وصوره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

[ولمسلم(٢٨٣٤)] : أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجمٍ في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل».

في هذا الحديث ما يدل على أن أكثر المؤمنين نورًا؛ أولهم دخولًا الجنة، وأن أهل الجنة على كون الجنة تجمعهم؛ فإنهم ليسوا سواء في دخولها، فإنمنازلهم على حسب منازلهم، والذين يكونون على صورة القمر ليلة البدر، ينتشر نورهم حتى يضيء لهم ولغيرهم، ومعنى تشبيههم بنور القمر؛ لأنه نور لا ضرر فيه، ولا وهج.

وفي أخرى من رواية محمد بن سيرين قال: إما تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة، أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن أول زمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكبٍ دري في السماء، لكل أمريء منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»؟. [مسلم(٢٨٣٤)].

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على مثل صورة القمر ليلة ». [أحمد(١١١٢٦) بسند صحيح لغيره] .

قال الحافظ العراقي - رحمه **الله** تعالى -:

قَوْلُهُ: «عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ » أَيْ عَلَى صِفَتِهِ أَيْ إنَّهُمْ فِي إشْرَاقِ وُجُوهِهِمْ عَلَى صِفَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ وَهِيَ لَيْلَةُ أَرْبَعَ عَشَرَةَ وَبِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَمَرُ بَدْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يَقْتَضِي مَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَرْفُوعًا «لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرَهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ »[صحيح الجامع(٥٢٥١)].

اقْتَصَرَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَلَى ذِكْرِ صِفَةِ الزُّمْرَةِ الْأُولَى وَبَيَّنَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى أَنَّ الثَّانِيَةَ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءَةً، ... وَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ [أَيْ] إنَّ دَرَجَاتِهِمْ فِي إشْرَاقِ اللَّوْنِ مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ عُلُوِّ دَرَجَاتِهِمْ وَتَفَاوُتِ فَضْلِهِمْ. [طرح التثريب(٢٦٨/٨)].

عَنِ الْمِقْدَام بْنِ مَعْدِي كَرِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ سَقْطاً وَلاَ هَرَماً وَإِنَّمَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ ، إِلاَّ بُعِثَ ابْن ثَلاَثِينَ سَنَةً ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَانَ عَلَى مَسحةِ آدَمَ ، وَصُورَةِ يُوسُفَ وَقَلْبِ أَيُوب ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، عُظِّمُوا وَفُخِّمُوا كَالْجِبَالِ». [السلسلة الصحيحة (٢٥١٢)].

فائدة: أقوام لم يعملوا خيراً قط - الجهنميون - يجعلهم الله كاللؤلؤ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « .. فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلاَئِكَة وَالْمُؤْمِنُون ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ : بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدْ امْتَحَشُوا ، فَيُلْقَونَ فِي نَهَر بَأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، يُقَالُ لَهُ : مَاءَ الْحَيَاةِ ،

فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَة وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَر ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَض، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤْ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُالرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ : لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». [البخاري(٧٤٣٩)].

٣ـ أعمارهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ». [مسلم(٢٨٣٦)].

ولا يفنى شبَابُه، أي: لا يَهْرَمُ؛ لأَنَّ أهلَ الجنَّةِ على سِنٍّ واحدَةٍ سِنِّ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ سَنةً. وفي هذا ما يُشوِّقُ النُّفوسَ إليها ويرغبها فيها، ويَشحَذُ الهِمَمَ للعَملِ لَها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ** ﴾[الأعراف:٤٣]». [رواه مسلم(٢٨٣٧)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ ». [أحمد(٧٩٣٣) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن بطرقه وشواهده دون قوله « في عرض سبع أذرع » تفرد بها علي بن زيد وهو ضعيف] .

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ». [الترمذي(٢٥٤٥) قال الإمام الألباني: حسن] .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن هذا السِّن:

إن فيه مِن الحكمة ما لا يخفى؛ فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذَّات؛ لأنه أكمل سن القوة. [حادي الأرواح (١١١)].

فدلَّ الحديثُ على أن عُمر الثلاثين من أفضل سنيِّ عمر الإنسان في القوة والنضارة وغيرها؛ مما هو مَظان التمتع بالحياة، وبلا شك كلُّ هذا له مردودٌ مباشرٌ في سعادة الإنسان.

٤ـ قوتهم :

وعن أنس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يُعطَى المؤمنُ في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع. قيل: يا رسول الله أوَ يُطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة ». [سُنن الترمذي (٢٥٣٦) وحسنه الإمام الألباني].

فهذا تمثيل من نبينا - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على نوعية الجماع وأنه يعطى العبد في الدنيا قوة كقوة مائة رجل فكيف سيكون قوة الطعام والشراب والبدن لا شك أنه أقوى من الجماع والأكل فلا يؤتى هذه القوة في الجماع إلا من قوة البدن والجسم والله أعلم.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعطى المؤمِنُ في الجنَّةِ قوَّةَ كذا وكذا مِن الجِماعِ» وفي هذا كنايةٌ عن كَثْرةِ عَددِ النِّساءِ الَّتي يجامِعُها، وقيل: هو كنايةٌ عن عددِ مرّاتِ الجِماعِ؛ وذلك لأنَّه لَمّا كانتِ النِّساءُ مِن أضرِّ الفِتنِ على الرِّجالِ في الدُّنيا، جعَل اللهُ لِمَن يَتَّقيها في الدُّنيا ما يُقابِلُها في الجنَّةِ مِن الأجرِ والثَّوابِ عِوَضًا عنها؛ حيثُ جعَلَ له مِن الحُورِ العِينِ ومِن جمالِها ما لا يُضاهيه في نِساءِ الدُّنيا وأعطاه هذه القُوَّةَ العظيمةَ؛ ليتمتَّعَ المتعةَ الكاملةَ.

«قيل»، أي: مِن بعضِ الصَّحابةِ: «يا رسولَ اللهِ، أوَيُطِيقُ ذلك؟»، أي: هل سيَقدِرُ على هذا القدْرِ مِن الجِماعِ؟! وذلك تَعجُّبًا منهم على ما قارَنوه بما يَقدِرُ عليه الإنسانُ في الدُّنيا وما يُصيبُه مِن فُتُورٍ، فقال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعطى قوَّةَ مئةٍ»، أي: إنَّ بِنْيَتَه الجِسميَّةَ في الجنَّةِ تكونُ في قوَّةِ مِئةِ رجُلٍ مِن أهلِ الدُّنيا، فإذا كان له تِلك القوَّةُ في الجنَّةِ كان له ما

يقابِلُها مِن جِماعٍ، ولا فُتورَ في الجَنَّةِ.

وعن زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَالشَّهْوَةِ وَالْجِمَاعِ » [الصحيح المسند (٣٥٠) للإمام الوادعي وصحيح الجامع (١٦٢٧) للإمام الألباني]

٥ـ ريح عرقهم وجشائهم مسك:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء ». [مسلم(٢٨٣٤)].

مذهب أهل السُنَّة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون ويشربون فيها يتنعمون بما ذكر وبغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعما دائما لا آخر له ولا انقطاع أبدا وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم الدنيا فيها إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون وقد دلت دلائل القرآن والسُنَّة في هذه الأحاديث أن نعيم الجنة دائم لا انقطاع له أبداً.

وعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ » قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ ». [مسلم(٢٨٣٥)].

في هذا الحديثِ يَصِفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضَ نَعيمِ الجَنَّةِ وصِفاتِ أهلِها وصِفةِ عَيشِهم فيها، فيقول: إنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَأكُلون فيها وَيشرَبون، أي: تَنعُّمًا لا جُوعًا ولا عَطشًا، ولا

يَتْفُلون مِن أَفواهِهم، ولا يَبُولونَ ولا يتغوَّطون، ولا يَتمخَّطون، والمعنى: أنهَّم لا يكونُ مِنهم شَيءٌ مِن أَوساخِ الدُّنيا النّاتجةِ عنِ الأَكْلِ والشُّربِ، قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ أي: إذا كانوا يَأْكُلون ويَشرَبون ثُمَّ إنَّهم لا يبولُون ولا يتغوَّطون؛ فأَيْنَ يَذهبُ طَعامُهم؟ فقال: جُشاءٌ ورَشْحٌ كرَشْحِ المِسكِ، والجُشاءُ الصَّوتُ يَخرجُ منَ الفَمِ عندَ امْتلاءِ المَعِدَةِ، ورَشْحٌ، أي: عَرَقٌ، كرَشْحِ المِسكِ كرِيحِه وطِيبِه، يُلهَمونَ التَّسبيحَ والتَّحميدَ، كَما يُلهَمونَ النَّفَسَ.

في الحديثِ: أنَّ نَعيمَ الجنَّةِ دائمٌ لا يَنفَدُ .

٦ ـ ليس لهم لحى :

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً». [سُنن الترمذي(٢٥٤٥) قال الألباني: حسن] .

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ». [سُنن الترمذي(٢٥٣٩) قال الألباني: حسن] .

وعَدَ اللهُ سبُحانه أَهْلَ الإيمانِ والتَّقوى بالجَنَّة وبالنَّعيمِ المُقيمِ فيها، وقد أَخْبَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بَعضِ أوصافِ أهْلِ الجَنَّة كما يَروي أبو هُريرةَ في هذا الحديث؛ حيث قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ جُرْدٌ »، جَمعُ أَجْرَد، وهو مَن لا شَعرَ على بَدنِه، «مُرْدٌ»، جَمعُ أَمْرَد وهو مَن لا لِحْيةَ له، والمرادُ: جُردٌ من الشَّعرِ القَبيحِ، ما عدا شَعر الحَواجِبِ ونَحوها؛ فإنَّه فيه جَمالٌ.

والجرد : جمع أجرد، وهو الذي ليس على بدنه شعر. و «المرد » : جمع أمرد، وهو الذي لا شعر في وجهه. و «الجعاد » : جمع جعد، وهو هنا القوي الجسم الشديد الأسر. و«كحلى »: جمع كحيل، مثل قتلى وقتيل.

قال ابن القيم - رحمه **الله** تعالى -:

ألـوانهـم بيـض وَلَـيْـسَ لَـهُـم لحى ∴ جعـد الـشُّـعُـور مكحلو الأجفـان

هَـذَا كَمَال الْحسن فِي أبشـارهم ∴ وشـعـورهم وَكَـذَلِكَ العينـان

٧ـ مكحلين:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ». [سُنن الترمذي (٢٥٤٥) قال الألباني: حسن] .

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلُ الجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ ». [سُنن الترمذي (٢٥٣٩) قال الألباني: حسن] .

قال ابن الأثير - رحمه **الله** تعالى -:

«الكحل» سواد في أجفان العين خلقة، والرجل أكحل وكحيل. وقال في جامع الأصول: الكحيل: الذي تبين أجفانه كأنها مكحولة من غير كحل. [النهاية (١٥٤/٤)].

٧ـ غير مختونين:

قال تعالى -: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾ [الأنعام:٩٤] .

عن عبد الله بن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّكُمْ مُلاقُوا اللَّهِ حُفاةً عُراةً مُشاةً غُرْلًا ». [البخاري(٦٥٢٤) مسلم(٢٨٦٠)].

وعن عائشة أم المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«تُحْشَرُونَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا » قالَتْ عائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، الرِّجالُ والنِّساءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ؟ فقالَ: «الأَمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يُهِمَّهُمْ ذاكِ ». [البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩)].

قوله: «حُفاةً عُراةً غُرْلًا»، أيْ: وهم حُفاةُ الأقدامِ بلا أحذيةٍ ولا نِعالٍ، وعُراةُ الأجسادِ

بلا ثيابٍ ولا سُتُورٍ، غُرْلًا غير مَخْتونِين، قد ذهَب عنهم كلُّ ما كانوا فيهِ في الدُّنيا وعادُوا كما خَلَقَهم اللّهُ؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء :١٠٤] .

قال النووي - رحمه الله تعالى -:

الغرل -بضم الغين وإسكان الراء- معناه: غير مختونين، جمع أغرل، وهو الذي لم يُختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته، وهي الجلدة التي لم تُقطع في الختان. [شرح مسلم (١٩٣/١٧)].

قلت: والمقصود: أنهم يُحشرون كما خُلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء، أي: أنه ليس لهم زيادة ولا نقصان، حتى الغرلة تكون معه.

وإنما شُرع الختان في الدنيا لتكميل الطهارة والتنزّه من البول، وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون. إذاً: هناك ضرورة في الدنيا ليست في الآخرةفإذا قطعت القلفة للضرورة فضلاً عن ورود النص؛ ولعدم احتباس البول والمني في القلفة وفي فرج المرأة، فليس هناك نجاسة تُصيب الغرلة فيحتاج إلى التحرج منها، كما أن القلفة لا تمنع لذة الجماع، هذا إن قُدّر استمرارهم على الحالة التي هم عليها، فلا يبعد أن يتغير داخل الجنة على غير هذه الهيئة التي نعلمها، والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

ولم يأتي دليل في تغيرهم في الجنة بعد رجوعهم غرلاً يوم القيامة فالأصل البقاء على ما رجعوا عليه وكذلك ما رجعوا على تلك الهيئة إلا وهي هيئة يكونون عليها في الجنة وهذا ليس من النقص كما مر بل هو من الكمال ولا يمنع اللذة في الجماع وإنما جعل الختان في الدنيا لما يعرض على ذلك الموضع من الأوساخ والجراثيم التي يتضرر بها وتسبب له أمراض كثيرة وأهل الجنة يمتنع أن يحصل لهم ما يحصل لأهل الدنيا والله تعالى أعلم.

٨ـ مطهرون من الأذى:

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أول زمرةٍ يدخلون الجنة: على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكبٍ دري في السماء

إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة أزواجهم الحور العين، على خلق رجلٍ واحدٍ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء ». [البخاري(٣٢٥٤)،ومسلم (٢٨٣٤)].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «لا يبولون ولا يتغوطون» أي لا يخرج منهم البول والغائط، وإنَّما لم تصدر وتخرج هذه الفضلات من أهل الجنَّة لأنَّها أقذار مستخبثة والجنة منزهة عن مثل ذلك، ولما كانت أغذية أهل الجنَّة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن لها فضلة تستقذر بل تستطاب وتستلذ وهي التي عبر عنها بالمسك كما قال: «ورشحهم المسك » وقد جاء في لفظ آخر: «لا يبولون ولا يتغوطون وإنَّما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك » رواه أحمد والبيهقيّ يعني من أبدانهم: [المفهم(١٧٩/٧)].

قال الإمام الطيبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «ولا يمتخطون ولا يتفلون» بكسر الفاء وضمها أي لا يبصقون من التفل وهو البصاق، والتفل رميك الشيء من الفم، والمخاط ما يسيل من الأنف، والمعنى أي ليس في أنفهم ولا فمهم من المياه الزائدة والمراد الفاسدة فيحتاجوا إلى إخراجها ولأن الجنَّة مساكن طيبة للطيبين فلا يلائمها الأدناس والأنجاس. [المرقاة(٣٥٨١/٩)].

قال العلامة المباركفوري - رحمه الله تعالى -:

قَالَ ابن الْجَوْزِيّ لَمَّا كَانَتْ أَغْذِيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي غَايَةِ اللَّطَافَةِ وَالِاعْتِدَالِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا أَذًى وَلَا فَضْلَةٌ تُسْتَقْذَرُ بَلْ يَتَوَلَّدُ عَنْ تِلْكَ الْأَغْذِيَةِ أَطْيَبُ رِيحٍ وَأَحْسَنُهُ. [كما في تحفة الأحوذي (٢٠٥/٧)].

قوله: «أمشاطهم » التي يسرحون بها الشعر «الذهب » أي من الذَّهب «ورشحهم» أي عرقهم «المسك » أي كالمسك في طيب الرائحة.

قال العيني - رحمه الله تعالى -:

«ومجامرهم»جمع مجمرة وهي المبخرة سميت مجمرة لأنَّها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور. وقوله: ومجامرهم مبتدأ خبره الألوة. [عمدة القاري(١٥٤/١٥)].

والألوة العود الذي يتبخر به يعني العود الهندي، والمعنى أن مجامرهم يبخر فيها مثل العود الهندي، ووقع في رواية وقود مجامرهم الألوة.

وقال علي القاري - رحمه الله تعالى -:

وهذا كله من اللذات المتوالية والشهوات المتعالية وإلا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ ولا عفونة لأبدانهم وثيابهم بل ريحهم أطيب من المسك فلا حاجة لهم إلى التمشط والتبخر إلَّا لزيادة الزينة والتلذذ بأنواع النعم الحسية. [المرقاة (٣٢٤/١)].

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قد يقال هنا أي حاجة في الجنَّة إلى الامتشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ، وأي حاجة إلى البخور وريحهم أطيب من المسك فيجاب عن ذلك أن نعيم أهل الجنَّة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم فليس أكلهم عن جوع ولا شرابهم عن ظمإ ولا تطيبهم عن نتن، وإنَّما هي لذات متوالية ونعم متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾[طه:١١٨-١١٩] ، وحكمة ذلك أن الله تعالى نعمهم في الجنَّة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدُّنيا وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلَّا الله تعالى. [المفهم(١٨٠/٧)].

وعن جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون » قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشأ ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفس ». [مسلم (٢٨٣٥)].

قال العلامة المباركفوري: - رحمه الله تعالى -:

وَقَالَ النَّوَوِيُّ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ تَنَعُّمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى هَيْئَةِ تَنَعُّمِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَّا مَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاضُلِ فِي اللَّذَّةِ وَدَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَنَّ نَعِيمَهُمْ لَا انْقِطَاعَ لَهُ كَذَا فِي الْفَتْحِ. [كما في تحفة الأحوذي(٢٠٦/٧)].

١٠ ـ لا يمرضون ولا يموتون:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى -: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف:٤٣] »[مسلم(٢٨٣٧)].

في هذا الحديثِ يَصِفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعضَ نَعيمِ الجَنَّةِ وصِفاتِ أهلِها وصِفةِ عَيشهِم فيها، فيقول:

يُنادي مُنادٍ، أي: عَلى أَهْلِ الجنَّةِ، وهَذا النِّداءُ فِيه مِنَ السُّرورِ والفَرَحِ لأَهْلِ الجنَّةِ ما فيه؛ فَهُو وحْدَه نَعيمٌ؛ لِما فيه منَ البِشارَةِ العَظيمَةِ: إنَّ لَكُم أنْ تَصِحُّوا فَلا تَسقَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُم أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتوا أبدًا، وإنَّ لَكُم أن تَشِبُّوا فَلا تَهرَموا أبدًا، وإنَّ لَكُم أن تَنْعَموا فَلا تَبْأَسوا أبدًا، أي: إنَّهم في نَعيمٍ دائمٍ لا يَخافونَ المَوتَ وَلا السَّقَمَ ولا انْقِطاعًا لِما هُم فيه منَ النَّعيمِ.

قوله: «إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً» أي: أن تعيشوا أصحاء بغير مرض، إذاً: الذي يدخل الجنة لا يمرض قط، بل يدخل صحيحاً، قوياً، فتياً، لا يصيبه الهرم، ولا كبر السن.

قوله: «وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا» أي: حياة أبدية سرمدية، ليس بعدها موت- وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً -أي: تكونون شباباً فلا يصيبكم الهرم- وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً -أي: لا يصيبكم البؤس-.

ثانياً: الصفات الخَلقية:

١ـ صفاء القلوب:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ فتبقى قلوبهم سالمة من كل دغل وحسد متصافية متحابة ﴿ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾.

دل ذلك على تزاورهم واجتماعهم وحسن أدبهم فيما بينهم في كون كل منهم مقابلا للآخر لا مستدبرا له متكئين على تلك السرر المزينة بالفرش واللؤلؤ وأنواع الجواهر. [تيسير الكريم الرحمن(٤٣١)].

وقال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الواقعة: ١١-١٦].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا ﴾ أي: على تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار. ﴿ مُتَقَٰبِلِينَ ﴾وجه كل منهم إلى وجه صاحبه، من صفاء قلوبهم، وحسن أدبهم، وتقابل قلوبهم. [تيسير الكريم الرحمن(٨٣٣)].

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[الأعراف: ٤٣]

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين، وأخلاء متصافين.

قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه. [تيسير الكريم الرحمن(٢٨٩)].

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أول زمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكبٍ دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلبٍ واحدٍ، لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لك أمرئ زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم». [البخاري(٣٢٥٤)].

قال العلامة محمد الأمين الهرري - رحمه الله تعالى -:

قوله: «على خلق رجل واحد » روي بضمتين وبفتح الخاء وسكون اللام، والمعنى على الأوَّل أنهم يشابه بعضهم بعضًا في الأخلاق الفاضلة، فيكون المعنى أن أخلاقهم متساوية في الحسن والكمال كلهم كريم الخلق إذ لا تباغض ولا تحاسد ولا نقص، ويؤيده ما سيأتي في رواية همام «أن لا اختلاف بينهم ولا تباغض وأن قلوبهمقلب واحد » والمعنى على الثَّاني أنهم متشابهون فيما بينهم في الخلقة ويؤيده ما جاء في نفس هذه الرِّواية أنهم على طول أبيهم آدم عليه السَّلام وعلى صورته، والحاصل أنهم متشابهون في الخلق والخلق جميعًا. [الكوكب الوهاج(٢٥/٤٩٥)].

يصِفُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلَ الجنَّةِ جميعًا بالحُسنِ والجمال، وأنَّهم يتفاوَتونَ في ذلك

حسَبَ درجاتِهم وأعمالِهم؛ فأوَّلُ طائفةٍ تدخُلُ الجنَّةَ كالقمرِ ليلةَ البدر، وهي ليلةُ الرّابعَ عشرَ حين تكمُل استدارتُه، ويتِمُّ نورُه، فيكون أكثرَ إشراقًا، وأعظَمَ حُسنًا وبهاءً. أمّا الطّائفةُ الثّانية، فإنَّها تُشبِهُ في صورتِها أقْوى الكواكبِ نورًا وضياءً. أمّا صِفاتُهم النَّفسيَّة والخُلقيَّةُ، فهم كما وصَفَهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: على قَلْبِ رجُلٍ واحد، أي: في غايةِ الاجتماعِ والاتِّفاق، حتّى كأنَّ قلوبَهم جميعًا قلبٌ واحد، لا اختِلافَ بينهم ولا تباغُضَ، أي: إنَّ نفوسَهم صافيةٌ نقيَّة خاليةٌ مِن العداوة والبَغضاء، عامرةٌ بالحبِّ والمودَّة.

٢ـ قوة العقول والأفهام:

عقول أهل الجنة وعلومهم لا تزول، بل تزداد قوة وصفاء وإدراكًا، وإنما الذي يزول هو آفاتها التي إن بقيت كدرت تنعمهم في الجنة والحاصل: أن الطوائف الإسلامية -على اختلاف مذاهبهم وتباين طرقهم- متفقون على أن عقول أهل الجنة تزداد صفاء وإدراكًا لذهاب ما كان يعتريهم من الكدورات الدنيوية، وكيف يسلبون ما هو عندهم من أعظم النعم، وأوفر القسم، وهم في دار فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ به الأعين، مما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومن أدلة ذلك: تحاور أهل الجنة وأهل النار، وتخاصمهم بتلك الحجج التي لا تصدر إلا عن أكمل الناس عقلًا، وأوفر الخلائق فهما! وما يذكرونه من حالهم الذي كانوا عليه في أهليهم، بل ما يودّونه من إبلاغ الأحياء عنهم ما صاروا فيه من النعم، قال: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يس:٢٦] ، كما ثبت في الصحاح تركيب الحديث عن أولئك الشهداء بلفظ: «بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» وكذلك ما ثبت من اجتماع أهل الجنة ومذاكرتهم، مما كانوا فيه في الدنيا، وما صاروا إليه في الجنة. ولا يتم هذا النعيم ولا بعضه إلا وهم ذو عقول صحيحة بالضرورة العقلية، كما ثبت بالضرورة الدينية. ومعلوم أنهم إذا كانوا ذوي عقول فهما وجدت معهم فهي بالإمكان العام والخاص قادرة على كسب ما تحدد لها من العلوم، ذاكرة لما حصل لها منها من قبل، هذا ما لا يحتاج

إلى بيان، ولا يفتقر إلى برهان. ولو فقدوها لفقدوا الإنسانية الكاملة. وإذا تقرر لك هذا علمت أن أهل الجنة لهم العقول الفائقة، والحواس الكاملة إلى حد يتقاصر عنه ما كان لهم من العقول والمشاعر في دار الدنيا.

٣ـ ألسنتهم ذاكرة لله تعالى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُوَرُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ فِيهَا آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنْ أَلُوَّةٍ وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ وَبِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يَرَى مُخَّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنْ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ وَاحِدٍ وَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً». [صحيح ابن حبان(٧٤٣٩) قال الأرنؤوط: صحيح].

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ - رحمه الله تعالى -:

هَذَا التَّسْبِيحُ لَيْسَ عَنْ تَكْلِيفٍ وَإِلْزَامٍ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَتْ بِمَحَلِّ تَكْلِيفٍ وَإِنَّمَا هِيَ مَحَلُّ جَزَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ تَيْسِيرٍ وَإِلْهَامٍ كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ، وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ وَوَجْهُ التَّشْبِيهِ أَنَّ تَنَفُّسَ الْإِنْسَانِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ وَلَا كُلْفَةَ عَلَيْهِ وَلَا مَشَقَّةَ فِي فِعْلِهِ وَآحَادُ التَّنَفُّسَاتِ مُكْتَسَبَةٌ لِلْإِنْسَانِ وَجُمْلَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ فِي حَقِّهِ إذْ يَتَمَكَّنُ مِنْ ضَبْطِ قَلِيلِ الْأَنْفَاسِ وَلَا يَتَمَكَّنُ مِنْ جَمِيعِهَا فَكَذَلِكَ يَكُونُ ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَلْسِنَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَسِرُّ ذَلِكَ أَنَّ قُلُوبَهُمْ قَدْ تَنَوَّرَتْ بِمَعْرِفَتِهِ، وَأَبْصَارَهُمْ، قَدْ تَمَتَّعَتْ بِرُؤْيَتِهِ، وَقَدْ غَمَرَتْهُمْ سَوَابِغُ نِعْمَتِهِ، وَامْتَلَأَتْ أَفْئِدَتُهُمْ بِمَحَبَّتِهِ، فَأَلْسِنَتُهُمْ مُلَازِمَةٌ ذِكْرَهُ، وَرَهِينَةُ شُكْرِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، انْتَهَى. [كما في طرح التثريب(٢٧١/٨)].

٤ـ لا ييأسوا أو يبأسوا أو يقلقوا أو تضطرب قلوبهم أو يخافوا:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف:٤٣] ». [مسلم(٢٨٣٧)].

المبحث الثاني

جمال الوجوه يوم القيامة

١ - النظرة:

قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة :٢٢-٢٣] .

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

قَالَ اللَّيْثُ: نَضَرَ اللَّوْنُ وَالشَّجَرُ وَالْوَرَقُ يَنْضُرُ نَضْرَةً، وَالنَّضْرَةُ النِّعْمَةُ، وَالنَّاضِرُ النَّاعِمُ، وَالنَّضِرُ الْحَسَنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلَّوْنِ إِذَا كَانَ مُشْرِقًا: نَاضِرٌ، فَيُقَالُ: أَخْضَرُ نَاضِرٌ، وَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَلْوَانِ، وَمَعْنَاهُ الَّذِي يَكُونُ لَهُ بَرْقٌ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ: شَجَرٌ نَاضِرٌ، وَرَوْضٌ نَاضِرٌ. وَمِنْهُ

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَضَرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا» الْحَدِيثَ.

أَكْثَرُ الرُّوَاةِ رَوَاهُ بِالتَّخْفِيفِ، وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ فِيهِ التَّشْدِيدَ، وَأَلْفَاظُ الْمُفَسِّرِينَ مُخْتَلِفَةٌ فِي تَفْسِيرِ النَّاضِرِ، وَمَعْنَاهَا وَاحِدٌ قَالُوا: مَسْرُورَةٌ، نَاعِمَةٌ، مضيئة، مسفرة، مُشْرِقَةٌ بَهِجَةٌ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: نَضَرَتْ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ،كَمَا قَالَ:﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المطففين :٢٤] [مفاتيح الغيب(٣٠/٧٣٠)].

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم قيام الساعة نَاضِرَةٌ طرية بهية مشرقة يتلالأ منها أنوار اليقين والعرفان وآثار الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية ألا وهي وجوه أرباب العناية الموفقين على صلاح الدارين وفلاح النشأتين لذلك حينئذ.

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

ثم ذكر ما يدعو إلى إيثار الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ ﴾ أي: حسنَّة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرة وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم. [تيسير الكريم الرحمن(٩٠٠)].

وقال الله تعالى : ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾[المطففين :٢٤] .

قوله: ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾ فيها ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها الطراوة والغضارة ، قاله ابن شجرة. الثاني: أنها البياض ، قاله الضحاك. الثالث: أنها عين في الجنة يتوضؤون منها ويغتسلون فتجري عليهم نضرة النعيم ، قاله عليّ. [تفسير الماوردي (٢٢٩/٦)].

قال الشوكاني - رحمه الله تعالى -:

﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ ﴾ أي: إِذارَأَيْتَهُمْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النِّعْمَةِ لِمَا تَرَاهُ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ النُّورِ وَالْحُسْنِ وَالْبَيَاضِ وَالْبَهْجَةِ وَالرَّوْنَقِ، وَالْخِطَابُ لِكُلِّ رَاءٍ يَصْلُحُ لِذَلِكَ، يُقَالُ: أَنْضَرَ النَّبَاتُ إِذَا أَزْهَرَ وَنَوَّرَ. قَالَ عَطَاءٌ: وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ زَادَ فِي جَمَالِهِمْ وَفِي أَلْوَانِهِمْ مَا لَا يَصِفُهُ وَاصِفٌ. [فتح القدير(٤٨٨/٥)].

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ ﴾ [الإنسان: ١١] .

قال السعدي - رحمه الله تعالى -:

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان: ١١] ، نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم. [تيسير الكريم الرحمن(١٤٢)].

٢- بيضاء:

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[آل عمران : ١٠٦-١٠٨] .

قال ابن عاشور - رحمه الله تعالى -:

وَالْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ حَقِيقِيَّانِ يُوسَمُ بِهِمَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ خَاصَّانِ لِأَن هَذَا من أَحْوَالِ الْآخِرَةِ فَلَا دَاعِيَ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ. [التحرير والتنوير(٤/٤٤)].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾.

يخبر تعالى عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل،ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب للخوف والرجاء فقال:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ وهي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وأولئك ابيضت وجوههم، لما في قلوبهم من البهجة والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم. [تيسير الكريم الرحمن(١٤٢)].

وقال الرازي - رحمه الله تعالى -:

الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ إِذَا رَأَوُا الْبَيَاضَ فِي وَجْهِ إِنْسَانٍ عَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الثَّوَابِ فَزَادُوا فِي تَعْظِيمِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ الْفَرَحُ بِذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ السَّعِيدَ يَفْرَحُ بِأَنْ يُعْلِمَ قَوْمَهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، قَالَ تعالى مخبراً عنهم: ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ٢٧ ﴾.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ إِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ خَصُّوهُ بِمَزِيدِ التَّعْظِيمِ فَثَبَتَ أَنَّ ظُهُورَ الْبَيَاضِ فِي وَجْهِ الْمُكَلَّفِ سَبَبٌ لِمَزِيدِ سُرُورِهِ فِي الْآخِرَةِ وَبِهَذَا الطَّرِيقِ يَكُونُ ظُهُورُ السَّوَادِ فِي وَجْهِ الْكُفَّارِ سَبَبًا لِمَزِيدِ غَمِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَهَذَا وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَالْمُكَلَّفُ حِينَ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا إِذَا عَرَفَ حُصُولَ هَذِهِ الْحَالَةِ فِي الْآخِرَةِ صَارَ ذَلِكَ مُرَغِّبًا لَهُ فِي الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ لِكَيْ يَكُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَبِيلِ مَنْ يَبْيَضُّ وَجْهُهُ لَا مِنْ قَبِيلِ مَنْ يَسْوَدُّ وَجْهُهُ، فَهَذَا تَقْرِيرُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ.[مفاتيح الغيب(٣١٨/٨)].

وعن صهيب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتُنجّنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم -عَزَّ وَجَلَّ-». [مسلم(١٨١)].

قال القاضي - رحمه الله تعالى -:

ذكر في هذا الحديث نظر أهل الجنة إلى ربهم، مذهب أهل السُنَّة بأجمعهم جواز رؤية الله عقلاً ووجوبها في الآخرة للمؤمنين سمعاً، نطق بذلك الكتاب العزيزوأجمع عليه سلف الأمَّةِ ورواه بضعَة عشر من الصحابة بألفاظ مختلفةٍ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلافاً للمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة، إذ نفوا ذلك عقلاً بناءً على شروط يشترطونها من البنية

والمقابلة واتصال الأشعة، وزوال الموانع في تخليط لهم طويل، وأهل الحق لا يشترطون شيئاً من ذلك سوى وجود المرئي، وأن الرؤية إدراك يخلقها الله للرائي فيرى المرئي، لكن مجرى العادة تكون على صفاتٍ وليست بشروط. [إكمال المعلم(١/٥٤٠-٥٤١)].

٣- مسفرة:

قال الله تعالى :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[عبس:٣٨-٣٩].

قال القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ تعالى -: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي مشرقة مضيئة، قد علمت مالها مِنَ الْفَوْزِ وَالنَّعِيمِ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ. ضاحِكَةٌ أَيْ مَسْرُورَةٌ فَرِحَةٌ. مُسْتَبْشِرَةٌ: أَيْ بِمَاآتَاهَا اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَةِ. وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَاسَانِيُّ: مُسْفِرَةٌ مِنْ طُولِ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ. ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ. الضَّحَّاكُ: مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ. ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، لِمَا رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ: [مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ[موضوعات الصنعاني (٥٥) موضوع] يُقَالُ: أَسْفَرَ الصُّبْحُ إِذَا أَضَاءَ. [الجامع لأحكام القرآن(١٩/٢٢٦)].

٤- ناعمة:

قال الله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الغاشية:٨-١٠].

لما ذكر الله تعالى وجوه أهل النار، عقّب ذلك بذكر وجوه أهل الجنة، ليبين الفرق، فقال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ ﴾ أي ووجوه يوم القيامة ذات نعمة وبهجة، ونضرة وحسن، يعرف النعيم فيها، أو متنعمة، كما قال الله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾[المطففين :٢٤] .

وهي وجوه السعداء، لما شاهدوا من عاقبة أمرهم وقبول عملهم، فهي لعملها الذي عملته في الدنيا ولطاعتها راضية، أي رضيت عملها، لأنها قد أعطيت من الأجر ما أرضاها.

ثم وصف الله تعالى دار الثواب وهي الجنة أن أصحاب الوجوه الناعمة (المتنعمة) وهم المؤمنون السعداء في جنة رفيعة المكان، بهية الوصف، آمنة الغرفات، أي إن علو الجنة: من جهة المسافة والمكان، ومن جهة المكانة والمنزلة أيضاً، لأن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، كما أن النار دركات بعضها أسفل من بعض.[الوسيط للزحيلي(٢٨٦٧/٣)].

٥- مستنيرة:

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - لا يَدْرِى أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ». [البخاري(٦٥٤٣) ومسلم(٢١٩)].

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في [مشكل الصحيحين(٢٨١/٢)] :

وَقوله: « على صُورَة الْقَمَر » أَي على ضوئه لَيْلَة الْبَدْر، لَيْلَة أَربع عشرَة.وَفِي تَسْمِيَتهَا بذلك قَولَانِ ذكرهمَا ابْن الْقَاسِم: أَحدهمَا: لأن الْقَمَر فِيهَا يُبَادر طلوعه غرُوب الشَّمْس. وَالثَّانِي: لامتلاء الْقَمَر وَحسنه وكماله.

وروى البخاري في [صحيحه(٣٢٤٥)]عن أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون،ولا يتغوطون،آنيتهم فيها الذهب،أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً».

٦- لا يرهقها قتر ولا ذلة:

قال الله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦] .

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَرَحَ مَا يَحْصُلُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ السَّعَادَاتِ، شَرَحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْآفَاتِ الَّتِي صَانَهُمُ اللَّه بِفَضْلِهِ عَنْهَا، فَقَالَ: وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ وَالْمَعْنَى: لَا يَغْشَاهَا قَتَرٌ، وَهِيَ غَبَرَةٌ فِيهَا سَوَادٌ وَلا ذِلَّةٌ وَلَا أَثَرُ هَوَانٍ وَلَا كُسُوفٍ.

فالصفة الأولى: هي قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: ٤٠-٤١].

وَالصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: هِيَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الغاشية: ٢-٣]، وَالْغَرَضُ مِنْ نَفْيِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، نَفْيُ أَسْبَابِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ وَالذُّلِّ عَنْهُمْ، لِيُعْلَمَ أَنَّ نَعِيمَهُمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّه تَعَالَى خَالِصٌ غَيْرُ مَشُوبٍ بِالْمَكْرُوهَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ مَا إِذَا حَصَلَ غَيَّرَ صَفْحَةَ الْوَجْهِ، وَيُزِيلُ مَا فِيهَا مِنَ النَّضَارَةِ وَالطَّلَاقَةِ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَخَافُونَ الِانْقِطَاعَ. [مفاتيح الغيب(٢٤١/١٧)].

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: «قَتَرٌ» وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه السواد. قال ابن عباس. سواد الوجوه من الكآبة. وقال الزجاج. القتر: الغبرة التي معها سواد.

والثاني: أنه دخان جهنم، قاله عطاء. والثالث: الخزي، قاله مجاهد. والرابع: الغبار، قاله أبو عبيدة. وفي الذلة قولان:

أحدهما: الكآبة، قاله ابن عباس. والثاني: الهوان، قاله أبو سليمان. [زاد المسير(٣٢٧/٢)].

٦- أثر السجود على وجوههم:

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٢٩﴾ [الفتح:٢٩] .

قال السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ أي: قد أثرت العبادة -من كثرتها وحسنها- في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت [بالجلال] ظواهرهم.[تيسير الكريم الرحمن(٧٩٥)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -:«حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ ». [البخاري(٦٥٧٣) ومسلم (١٨٢)].

الباب السابع عشر
خصائص هذه الأمة في الجنة

الجنة شيء عظيم. ومغنم كبير. وسلعة غالية. وهي روح وريحان. ذكرها يريح القلب، وينشر في المكان عطرا. ذكرت في القرآن كثيرا، وذكر معها طرائقها، وعدًا يعد الله بها من أحسن عملاً، يسلي الحزين، ويحط عن المهموم، ويرغب النافر، ويذكر الناسي ومن خصائص هذه الأمة في الجنة ما يأتي:

أولاً: أنهم أول من يدخل الجنة:

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «نحن الآخِرون الأوَّلون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قَبْلِنا، وأُوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له قال: يوم الجمعة، فاليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارى ». [البخاري(٨٧٦) بدون لفظة «ونحن أول من يدخل الجنة» مسلم واللفظ له(٨٥٥)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى فصل القضاء وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة. [كما في فيض القدير(١/٤٠)].

وأن أول من يدخل الجنة من الأنبياء والرسل محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «آتي باب الجنة يوم

القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أُمِرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلك ». [مسلم(١٩٧)].

وعنه - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «أنا أكثر الأنبياء تَبَعاً يومَ القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة ». [مسلم(١٩٦)].

قال المناوي - رحمه الله تعالى -:

أي يطرقه للاستفتاح فيفتح له فيكون أول داخل كما سبق والقرع بالسكون الطرق يقال طرقت الباب بمعنى طرقته ونقرت عليه. [فيض القدير(٤٠/٣)].

وعن حذيفة بن اليمان - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قال أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إبراهيم خليل الله وعيسى كلمة الله وروحه وموسى كلمه الله تكليما، فماذا أعطيت يا رسول الله؟ قال: ولد آدم كلهم تحت لوائي يوم القيامة، وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة ». [السلسلة الصحيحة(٢٤١١)].

وأن أول من يدخله من هذه الأمة هو أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثم يتتابع الفقراء المهاجرين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وقد أسلفنا ذكر هذا في أبواب الجنة فراجعها.

ثانياً: أنهم أكثر أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قال: «يقول الله تعالى -: ياآدم! فيقول: لبيك وسَعْدَيكَ والخيرُ في يديكَ، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارى وما هم بِسُكارى، ولكن عذاب الله شديد »، فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله! وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف ». ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة ». فكبرنا فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة »، فكبرنا، فقال: «أرجو أن

تكونوا نصف أهل الجنة » فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلدِ ثورٍ أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلدِ ثور أسودَ ». [البخاري(٣٣٤٨) ومسلم(٢٢١)].

وعن بريدة بن الحُصَيب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

«أَهلُ الجنّة عشرون ومائة صف، هذه الأُمّة منها ثمانون صفًّا، وأَربعون من سائر الأُمم» [الترمذي(٢٥٤٦) وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير(٢٥٢٣). صحيح - المشكاة (٥٦٤٤)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وَلَقَد أَتَانَا فِي الصَّحِيح بِأَنَّهُم ∴ شطر وَمَا اللفظان مُخْتَلِفَانِ
أَذْ قَالَ أَرْجُو أَن تَكُونُوا شطرهم ∴ هَذَا الرَّجَاء مِنْهُ للرحمن
أعطَاهُ رب الْعَرْش مَا يَرْجُو وزاد ∴ من الْعَطاء فعال ذِي الاحسان

وعن ابن مسعود - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنّة؟» قال: فكبّرنا. ثمّ قال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنّة؟» قال: فكبّرنا. ثمّ قال: «إنّي لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنّة. وسأخبركم عن ذلك. ما المسلمون في الكفّار إلّا كشعرة بيضاء في ثور أسود. أو كشعرة سوداء في ثور أبيض». [البخاري(٦٥٢٨) مسلم(٢٢١)].

قال النووي - رحمه الله تعالى -:

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يَكُونُونَ ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَكُونُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَوَّلًا بِحَدِيثِ الشَّطْرِ ثُمَّ تَفَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالزِّيَادَةِ فأعلم بحديث الصفوف فأخبر النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ فِي الْحَدِيثِ مَعْرُوفَةٌ كَحَدِيثِ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْمُنْفَرِدِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَبِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً عَلَى إِحْدَى التَّأْوِيلَاتِ فِيهِ وَسَيَأْتِي تَقْرِيرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ وَصَلْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [شرح مسلم(٣/٩٦)].

ثالثاً : **أن فيهم سيدا شباب أهل الجنة** :

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ». [السلسلة الصحيحة(٧٩٦)].

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال عن الحسن والحسين: «إنهما سيدا شباب أهل الجنة » فليس ذلك لأنهما من آل البيت، وإنما لكونهما من أهل الإيمان، وقد كان من آل البيت من هم كفار، وأبو النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إن أبي وأباك في النار ».

قد يتفضَّل الله لآل البيت المؤمنين بدرجات لقربهم من رسول الله، فهذا يقع، ولكن موجبات الإيمان هي العبودية لله، لا أن هذا من آل البيت وهذا ليس من آل البيت .

مسألة: ما معنى سيدا شباب أهل الجنة؟ .

معلوم أن أهل الجنة كلهم شباب ومنهم الأنبياء والرسل والصحابة وغيرهم هلى معنى ذلك أنهم أفضل من الأنبياء؟ .

الجواب: هذا لا يقوله أحد باتفاق المسلمون إلا من شذ فقد شذ في النار ولكن توجيه الحديث على النحو الأتي:

❊ قال بعض العلماء أنهم سيدا شباب أهل الجنة في من مات شاباً وهذا القول غير صحيح لأنهما ماتا كبار في السن.

❊ قال السيوطي: سيد شباب أهل الْجنَّة سُئِلَ النَّوَوِيّ عَن معنى هَذَا الحَدِيث فَقَالَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمَا سيدا كل من مَاتَ شَابًّا وَدخل الْجنَّة فَإِنَّهُمَا توفيا وهما شَيْخَانِ وكل أهل الْجنَّة يكونُونَ أَبنَاء ثَلَاث وَثَلَاثِينَ وَلَكِن لَا يلْزم كَون السَّيِّد فِيمَن يسودهم فقد يكون أكبر سنا مِنْهُم وَقد يكون أَصْغَر سنا. [شرح السيوطي لسُنن ابن ماجة(١٢/١)].

❊ وقال بعض العلماء في سنهما في زمان النبي عليه من ربي الصلاة والسلام وهذا

غير صحيح فإنهما كانا صغار السن لما يبلغا.

❋ قال السيوطي: وقال النووي وَلَا يجوز أَن يُقَال وَقع الْخطاب حِين كَانَا شابين فَإِن هَذَا القَوْل جهل ظَاهر وَغلط فَاحش لِأَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفّي وَالْحسن وَالْحُسَيْن دون ثَمَان سِنِين فَلَا يسميان شابين. [شرحه على سُنن ابن ماجهْ(١٢/١)].

❋ قَالَ الطِّيبِيُّ وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ هُمَا الْآنَ سَيِّدَا شَبَابِ مَنْ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ شُبَّانِ هَذَا الزَّمَانِ. [تحفة الأحوذي(١٠/١٨٦)].

قال السندي - رحمه الله تعالى -:

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: عَدَّهُمَا شَابَّيْنِ نَظَرًا إِلَى شَبَابِهِمَا حِينَ الْخِطَابِ لِكَوْنِهِمَا كَانَا صَغِيرَيْنِ حِينَئِذٍ لَا شَابَّيْنِ. [حاشيته على ابن ماجهْ(١/٥٧)].

قلت: المعاني في هذا كثيرة منها:

❋ وقد يكون سيدا شباب أهل الجنة من أهل الأنبياء والرسل وقراباتهم.

❋ وقد يكون المعنى أيضاً: بل ما يفعل الشاب من المروءة، كما تقول فلان فتيٌّ، وإن كان شيخًا، تشير إلى مروءته.

❋ وقد يكون المعنى: فضل مَنْ مات شابًا في سبيل الله من أصحاب الجنة، بل هما أفضل أصحاب الجنة شبابهم وشيوخِهم غير الأنبياء والخلفاء الراشدين.

❋ وقد يكون المعنى أنهم من سادات أهل الجنة لا لأنهم أفضل من الأنبياء والرسل والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً بل يقال أهل الجنة فيهم سادات وذو شرف ومكانة رفيعة والحسن والحسين من سادات الناس في الجنة وهذا هو الراجح الذي تطمئن إليه النفس والله أعلم.

رابعاً : أن فيهم سيد كهول أهل الجنة :

قال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

السيادة هنا الرفعة عند الله تعالى والأفضلية والكهل كفلس جمعه كهول هو من وخطه الشيب، أو من جاوز الثلاثين أو أربعًا وثلاثين إلى إحدى وخمسين، قاله في القاموس وقريب منه في النهاية، وقيل: أراد بالكهل هنا الحليم العاقل، فإن أريد به الأول ورد أن الجنة لا كهل فيها، بل كلهم في سن واحدة أبناء ثلاث وثلاثين، كما جاءت به الأحاديث، ويدفع الإيراد بأن المراد هنا سيدا من أكهل في الدنيا، وهو من أهل الجنة، فلا ينافيه حديث: «الحسنين سيدا شباب أهل الجنة » وحديث: «لا يبلي شبابهم » سيأتي.

وحينئذ فالحسنان أفضل أهل الجنة إلا الأنبياء، وإلا أباهما فهو خير منهما. لما يأتي، وإن أريد بالكهل المعنى الثاني، والمراد: سيدا أهل الحلم والعقل في الجنة، عارضه حديث: «الحسنان سيدا شباب أهل الجنة » لأن أهلها كلهم شباب حلماء عقلاء، فيكون دالاً على أفضلية الشيخين على من عداهما إلا الحسنين.

وحديث الحسنين دال على أفضليتهما إلا على الشيخين، فالحديثان لا يدلان إلا على أفضلية من ذكر فيهما من الحسنين على من عداهما إلا الشيخين، وحديث الكتاب هذا دال على أفضلية الشيخين على من عداهما إلا الحسنين، ونظيره أن يقال: زيد أفضل أهل البلد إلا عمرًا، وعمر أفضل أهل البلد إلا زيدًا، فإنه يدل على أفضلية كل واحد منهما على أهل البلد،وأما أفضلية زيد على عُمَر وعكسه فإنه لا دليل عليه من هذا التركيب، ويأت لهذا نظائر في الحديث «من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » في هذا العطف دليل على مغايرة الرسول للنبي، خلافاً لمن زعم ترادفهما. [التنوير شرح الجامع الصغير(١/٢٥٩)].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «سيدا كهول أهل الجنة » يعني الكهول عند الموت لأنه ليس في الجنة كهل إذ

هو من ناهز الأربعين وخطه الشيب وأهل الجنة في سن ثلاث وثلاثين فاعتبر ما كانا عليه عند فراق الدنيا ودخول الآخرة كذا قرره القرطبي وغيره وهو غير قويم إذ لو اعتبر ما كانا عليه عند الموت لما قال كهول بل شيوخ لأنهما ماتا شيخين لا كهلين. [فتح القدير(٨٨/١)].

قلت: الكهولة في لغة العرب تدل على:

١- الكَهْل من الرِجال مَن زاد على ثلاثين سُنَّة إلى الأربعين وقيل من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين.

٢- الرئيس الحليمَ العاقِلَ.

٣- الذي يعتمد عليه في المهمات لحملها.

٤- هو المقدم يقال كواهل الليل إي: مقدماته.

والكهولة تدل على الوقار والعقل والرزانة والحكمة وهما سيدا أهل الجنة في هذه الصفات وفي غيرها من صفات الحلم والرجاحة وهذا دليل على أنهما أفضل من الحسن والحسين -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- جميعا فالكهل لا شك أفضل من الشاب من نواحي والشاب أفضل من الكهل من جوانب ولكن رجحان الكهل وأفضليته أفضل من الشاب وعلى هذا يكون المعنى الحلم والرزانة والوقار أنهم من سادات أهل الجنة في هذا الأمر كما مر ترجيحنا في سيدا شباب أهل الجنة والله تعالى أعلم

وقال المناوي - رحمه الله تعالى -:

فالأولى ما صار إليه بعضهم من أن المراد بالكهل هنا الحليم الرئيس العاقل المعتمد عليه يقال فلان كهل بني فلان وكاهلهم أي عمدتهم في المهات وسيدهم في الملمات على أن ما صار إليه أولئك من أن الكهل من ناهز الأربعين غير متفق عليه ففي النهاية الكهل من زاد عن ثلاثين إلى أربعين وقيل من ثلاث وثلاثين إلى خمسين وفي الصحاح من جاوز الثلاثين وخطه الشيب نعم ذكر الحراني أن الكهولة من نيف وأربعين إلى نيف وستين وعليه يصح اعتبار ما كانا عليه قبل الموت. [المصدر السابق(٨٩/١)].

خامساً: أن منهم سيدة نساء العالمين:

السيد الحق هو الذي يثني عليه ربه ويشهد له، والسيدة الفاضلة هي التي يرضى عنها ربها، ويتقبلها بقبول حسن، وأفضل النساء هن اللواتي يحزن جنات النعيم، ونساء أهل الجنة يتفاضلن.

عن ابن عباس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: خط رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الأرض أربعة أخطط، ثم قال: « تدرون ما هذا؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، فاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ». [الصحيحة(١٥٠٨)].

قال السيوطي - رحمه الله تعالى -:

لم يتعرض أحد للتفضيل بين مريم وفاطمة، والذي نختاره بمقتضى الأدلة تفضيل فاطمة عليها. [كما في شرح البخاري للقسطلاني (١٦٣/١)].

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران» [الصحيحة (٧٩٦)].

قولها: «ثم أخبَرني أنِّي سيدةُ نساءِ أهلِ الجنَّة إلا مريمَ بنتَ عِمْران، فضَحِكْتُ » فيه دليل على أن فاطمةَ خيرُ نساء العالَم إلا مريمَ أمَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

عن حذيفة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عَزَّ وَجَلَّ أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». [الصحيحة (٧٩٦)].

وعنه أيضاً: «أتاني ملك فسلم علي نزل من السماء لم ينزل قبلها فبشرني أن الحسن

والحسين: سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[الصحيحة(٨٤٣)].

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قلتُ لِفَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيتُكِ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ فبكيتِ ثُمَّ أكببتِ عَلَيْهِ الثَّانِيَةَ فضَحِكْتِ قَالَتْ: أكببتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ ميتٌ فبكَيْتُ ثُمَّ أكببتُ عَلَيْهِ الثَّانِيَةَ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقاً بِهِ وَأَنِّي سَيِّدةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجنة إلا مريم بنت عمران فضحِكتُ.[السلسلة الصحيحة(٢٩٤٨)].

قوله: «ألا ترضينَ أن تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ الجنة، أو نساء المؤمنين » دليلٌ على أنها خيرُ نساء المؤمنين وأفضلُهنَّ في الدنيا والآخرة، وإنما كان كذلك؛ لأنها بعضُ رسولِ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، كما قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن فوائد ما مضى: فضيلة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولا شك أن فاطمة أفضل بنات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها سيدة نساء أهل الجنة، لكن لا يعني ذلك أن نبالغ ونغلو فيها، فإن الغلو فيها أو في غيرها مما نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سادساً: **أن درجة الوسيلة لنبي هذه الأمة** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ بِهَا عَشْرًا. ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ. وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ. فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». [مسلم(٣٨٤)].

قال السيوطي - رحمه **الله** تعالى -:

قوله «ثم سلوا الله لي الوسيلة » هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشئ ويتقرّب به إليه. وقيل هي الشفاعة العظمى يوم القيامة. وقيل منزلة في الجنة كما في الحديث وهي المرادة هنا وقيل قبتان في أعلى عليين إحداهما يسكنها النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ وآله والأخرى من ياقوتة صفراء يسكنها إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ.

قوله «فإنها منزلة في الجنة » وهى أعلاها وأغلاها وسميت تلك المنزلة بالوسيلة لأن الواصل إليها يكون فائزا بلقائه تعالى مخصوصا من بين سائر الخلق بأنواع الكرامات

«قوله لا تنبغي الخ »أي: لا تتيسر ولا تكون إلا لعبد واحد من سائر عباد الله تعالى وأرجو أن أكون أنا هو. وقال ذلك صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يوحى إليه أنه صاحبها. ويحتمل أنه قاله بعد أن أوحى إليه بها فيكون ذلك تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم. وأمره للأمة بسؤال الوسيلة بعد لزيادة الرفعة والمقام كبقية الدعاء له ولنيل الأمة الأجر على الدعاء له «وقوله أنا هو » قيل هو خبر أكون وضع موضع إياه. ويحتمل أن يكون من باب وضع الضمير موضع اسم الإشارة أي: أكون ذلك العبد. وعليها فأنا تأكيد للضمير في أكون. [المنهل العذب(١٩٤/٤)].

وأولى التفاسير للوسيلة هنا أنها منزلة من منازل الجنة، لحديث الباب، لأن خير ما فُسِّرَ بهِ الوارد هو الوارد. والله أعلم.

سابعاً: أن فيهم سبعون ألف يدخلون الجنة بدون حساب :

عن ابن عبّاس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «عرضت عليّ الأمم. فرأيت النّبيّ ومعه الرّهيط والنّبيّ ومعه الرّجل والرّجلان. والنّبيّ ليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم. فظننت أنّهم أمّتي. فقيل لي: هذا موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقومه. ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت. فإذا سواد عظيم. فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر. فإذا سواد عظيم. فقيل لي: هذه أمّتك. ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب، ثمّ نهض فدخل منزله. فخاض النّاس في أولئك الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب». فقال بعضهم: فلعلّهم الّذين صحبوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال بعضهم: فلعلّهم الّذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله. وذكروا أشياء. فخرج عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ما الّذي تخوضون فيه؟» فأخبروه. فقال: «هم الّذين لا يرقون. ولا يسترقون. ولا يتطيّرون. وعلى ربّهم يتوكّلون»فقام عكّاشة بن محصن. فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «أنت

منهم» ثمّ قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكّاشة». [البخاري (٥٧٥٢) ومسلم(٢٢٠)].

قوله: «ومعهم سبعون ألفاً»يحتمل أن يكون معناه ومن أمتك غير هؤلاء سبعون ألفاً، ويحتمل أن يكون معناه وفي جملة هذه الأسودة سبعون ألفاً «يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب»ويؤيد الاحتمال الثاني رواية البخاري في «صحيحه» «هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً»فالسبعون ألفاً من أمته بلا شك. وعذاب بفتح المهملة وبالذال المعجمة، وفي نسخة عقاب بكسر المهملة وبالقاف، وجملة يدخلون الجنة الخ صفة أو حال من سبعون لتخصيصه بالظرف قبله.

فإن قلت: هل يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وإن كانوا أصحاب معاصي ومظالم؟ قلت: الذين كانوا بهذه الأوصاف الأربعة المذكورة في الحديث لا يكونون إلا عدولاً مطهرين من الذنوب أو ببركة هذه الصفات يغفر الله لهم ويعفو عنهم. [دليل الفالحين(٢/٢٦٧)].

قلت: الحديث فيه دليل أن هذا من خصائص هذ الأمة وليس أمة من الأمم تنال ما ينالون ودليله قوله عليه الصلاة والسلام: « ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب»إذ دليل الخصوصية تنال من مفهوم الحديث لأنه ذكر الخصوصية في كثرة من يدخل من أمته الجنة ومع هذه الخصوصية خصوصية أخرى لها فضل وقدر وهي دخول سبعون ألف من أمته من أصحاب السواد العظيم الذين مُثل له رؤيتهم عليه الصلاة والسلام وعليه فالسبعون الألف الذين يدخلون الجنة من أمته خاص به وبأمته والله تعالى أعلم.

الباب الثامن عشر

خدم أهل الجنة

المبحث الأول

خدم أهل الجنة من الأولاد

قال الله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزخرف:٧١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإنسان : ١٥-١٦] .

وقال الله تعالى :﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنسان : ١٩] .

قال العلامة الإمام صديق حسن خان - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ بالشراب ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ بكسر الواو باتفاق السبعة أي غلمان هم في سن من هو دون البلوغ، قال بعض المفسرين هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين، وقال بعضهم أطفال المؤمنين لأنهم ماتوا على الفطرة.

وقال ابن برحان: وأرى والله أعلم أنهم من علم الله تعالى إيمانه من أولاد الكفار،

ويكونون خدماً لأهل الجنة كما كانوا في الدنيا لنا سبباً وخدماً، وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم تأنساً وسروراً بهم.

وفي الخازن في سورة الواقعة والصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور ولم يولدوا، ولم يخلقوا عن ولادة انتهى.

قلت الله أعلم بهم، ولا أقول فيهم بشيء ظناً وتخميناً إذ لم يرد نص صريح صحيح في كتاب الله ولا في سُنَّة رسوله فالوقف أولى وأحوط.

وقوله: ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أي باقون على ما هم عليه من الشباب والطراوة والنضارة لا يهرمون ولا يتغيرون، وقيل المعنى لا يموتون، وقيل التخليد التحلية أي محلون.

﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[الإنسان : ١٩] . أي إذا نظرت إليهم ظننتهم لمزيد حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم، وانبثاثهم في مجالسهم، لؤلؤاً مفرقاً، قال عطاء يريد في بياض اللون وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً.

قال أهل المعاني إنما شبهوا الانتثار لأنهم في الخدمة ولو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم، قيل إنما شبههم بالمنثور لأنهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين فإنه شبههن باللؤلؤ المكنون لأنهن لا يمتهن بالخدمة. [فتح البيان(١٤/٤٧٢-٤٧٣)].

والطَّوافُ: المَشْيُ المُكَرَّرُ حَوْلَ شَيْءٍ وهو يَقْتَضِي المُلازِمَةَ لِلشَّيْءِ. ووُصِفُ الوِلْدانِ بِالمُخَلَّدِينَ أيْ دائِمَيْنِ عَلى الطَّوافِ عَلَيْهِمْ ومُناوَلَتِهِمْ لا يَنْقَطِعُونَ عَنْ ذَلِكَ. وإذْ قَدْ أَلِفُوا رُؤْيَتَهم فَمِنَ النِّعْمَةِ دَوامُهم مَعَهم. وقَدْ فُسِّر مُخَلَّدونَ بِأنَّهم مُخَلَّدونَ في صِفَةِ الوِلْدانِ، أيْ بِالشَّبابِ والغَضاضَةِ، أيْ لَيْسُوا كَوِلْدانِ الدُّنْيا يَصِيرُونَ قَرِيبًا فِتْيانًا فَكُهُولًا فَشُيُوخًا.

وقال الله سبحانه: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الطور : ٢٤] .

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ ﴾ أيْ بِالكُؤُوسِ، وقالَ تعالى-: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[الإنسان :١٩]. ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[الواقعة : ١٨]، وقَوْلُهُ ﴿ لَّهُمْ ﴾ أيْ مِلْكُهم إعْلامًا لَهم بِقُدْرَتِهِمْ عَلى التَّصَرُّفِ فِيهِمْ بِالأمْرِ والنَّهْيِ والِاسْتِخْدامِ، وهَذا هو المَشْهُورُ ويَحْتَمِلُ وجْهًا آخَرَ وهو أنَّهُ تَعالى لَمّا بَيَّنَ امْتِيازَ خَمْرِ الآخِرَةِ عَنْ خَمْرِ الدُّنْيا بَيَّنَ امْتِيازَ غِلْمانِ الآخِرَةِ عَنْ غِلْمانِ الدُّنْيا، فَإنَّ الغِلْمانَ في الدُّنْيا إذا طافُوا عَلى السّادَةِ المُلُوكِ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ لِحَظِّ أنْفُسِهِمْ إمّا لِتَوَقُّعِ النَّفْعِ أوْ لِتَوَفُّرِ الصَّفْحِ، وأمّا في الآخِرَةِ فَطَوْفُهم عَلَيْهِمْ مُتَمَحِّضٌ لَهم ولِنَفْعِهِمْ ولا حاجَةَ لَهم إلَيْهِمْ والغُلامُ الَّذِي هَذا شَأْنُهُ لَهُ مَزِيَّةٌ عَلى غَيْرِهِ ورُبَّما يَبْلُغُ دَرَجَةَ الأوْلادِ. وقَوْلُهُ تعالى -: ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ ﴾ أيْ في الصَّفاءِ، و﴿ مَّكْنُونٌ ﴾ لِيُفِيدَ زِيادَةً في صَفاءِ ألْوانِهِمْ أوْ لِبَيانِ أنَّهم كالمُخَدَّراتِ لا بُرُوزَ لَهم ولا خُرُوجَ مِن عِنْدِهِمْ فَهم في أكْنافِهِمْ.[مفاتيح الغيب(٣١٨/٢٨)].

عن أنس بن مالك وسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطفالُ المشركينَ خَدَمُ أهلِ الجنةِ» . [صحيح الجامع (١٠٢٤)].

قلت: وهذه المسألة تابعة لمسألة هل أولاد المشركين تبع لآبائهم أم أنهم في الجنة وقد اختلف فيها السلف اختلافا قويا ولكن الراجح في هذا الحديث أن المقصود من كان من أهل الجنة أو علِم الله فيه الخير أو نجى من الامتحان والله تعالى أعلم.

ولكن شيخ الإسلام قد أنكر أن يكون خدم أهل الجنة من أبناء الدنيا بل هم خلق ينشأهم الله تعالى حيث قال: والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة: خلق من خلق الجنة ليسوا من أبناء الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة، على صورة أبيهم آدم. [مجموع الفتاوى(٢٧٩/٤)].

ومال ابن القيم إلى كلام شيخ الإسلام حيث قال: والأشبه أن هؤلاء الولدان

مخلوقون من الجنة كالحور العين خدما لهم وغلمانا ...إلى قوله وهؤلاء غير أولادهم فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمانا لهم.[حادي الأرواح(١٤٨)].

قلت: ولكن ما دام النص قد جاء فهو القاضي على كل الأقوال فيكون المعنى أيضاً أن أولاد المشركين يكونون خدما من جملة الخدم الذين ينشأهم الله تعالى فنعمل بالحديث وأبناء المسلمين يجعلهم الله تعالى كبار ويعطون ما يعطاه الكبار فنعمل بالآيات التي جاءت في إلحاقهم بأبائهم فهناك فرق بين المسلمين والكفار فالجمع بين الأدلة ظاهر وهو المراد والله تعالى أعلم.

وقال **الله** تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[الإنسان :١٩].

قال ابن كثير - رحمه **الله** تعالى -:

قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أَيْ: مُخَلَّدُونَ عَلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَكْبُرُونَ عَنْهَا وَلَا يَشِيبُونَ وَلَا يَتَغَيَّرُونَ.[التفسير(١١/٨)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -قَالَ:إِنَّ أَدْنَى أَهْل الْجَنَّة مَنْزِلا مَنْ يَسْعَى إِلَيهِ أَلف خَادِمٍ كُل خَادِمٍ عَلَى عَمَلٍ لَيسَ عَلَيهِ صَاحِبهُ. قَالَ : وَتَلاَ هَذهِ الآيَة : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[الإنسان :١٩]. [الترغيب والترهيب (٣٧٠٥)صحيحه الألباني].

المبحث الثاني
خدم أهل الجنة من الملائكة

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر : ٧٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الرعد :٢٣] .

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: لَهم خَيْمَةٌ مِن دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها فَرْسَخٌ وعَرْضُها فَرْسَخٌ، لَها ألْفُ بابٍ مَصارِيعُها مِن ذَهَبٍ، يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِن كُلِّ بابٍ يَقُولُونَ لَهم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد :٤٢] على أمْرِ اللَّهِ. وقالَ أبُو بَكْرٍ الأصَمُّ: مِن كُلِّ بابٍ مِن أبْوابِ البِرِّ كَبابِ الصَّلاةِ وبابِ الزَّكاةِ وبابِ الصَّبْرِ، ويَقُولُونَ: ونِعْمَ ما أعْقَبَكُمُ اللَّهُ بَعْدَ الدّارِ الأُولى.

واعْلَمْ أنَّ دُخُولَ المَلائِكَةِ إنْ حَمَلْناهُ عَلى الوجه الأوَّلِ فَهو مَرْتَبَةٌ عَظِيمَةٌ، وذَلِكَ لِأنَّ اللَّهَ تَعالى أخْبَرَ عَنْ هَؤُلاءِ المُطِيعِينَ أنَّهم يَدْخُلُونَ جَنَّةَ الخُلْدِ، ويَجْتَمِعُونَ بِآبائِهِمْ وأزْواجِهِمْ وذُرِّيّاتِهِمْ عَلى أحْسَنِ وجْهٍ، ثُمَّ إنَّ المَلائِكَةَ مَعَ جَلالَةِ مَراتِبِهِمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ لِأجْلِ التَّحِيَّةِ والإكْرامِ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ يُكْرِمُونَهم بِالتَّحِيَّةِ والسَّلامِ ويُبَشِّرُونَهم بِقَوْلِهِمْ: ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ ولا شَكَّ أنَّ هَذا غَيْرُ ما يَذْكُرُهُ المُتَكَلِّمُونَ مِن أنَّ الثَّوابَ مَنفَعَةٌ خالِصَةٌ دائِمَةٌ

مَقْرُونَةٌ بِالإجْلالِ والتَّعْظِيمِ، وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ كانَ يَأْتِي قُبُورَ الشُّهَداءِ رَأْسَ كُلِّ حَوْلٍ فَيَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكم بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدّار. والخُلَفاءُ الأرْبَعَةُ هَكَذا كانُوا يَفْعَلُونَ، وأمّا إنْ حَمَلْناهُ عَلى الوجه الثّاني فَتَفْسِيرُ الآيَةِ أنَّ المَلائِكَةَ طَوائِفُ، مِنهم رُوحانِيُّونَ، ومِنهم كَرُوبِيُّونَ، فالعَبْدُ إذا راضَ نَفْسَهُ بِأنْواعِ الرِّياضاتِ كالصَّبْرِ والشُّكْرِ والمُراقَبَةِ والمُحاسَبَةِ، ولِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِن هَذِهِ المَراتِبِ جَوْهَرٌ قُدُسِيٌّ ورُوحٌ عُلْوِيٌّ يَخْتَصُّ بِتِلْكَ الصِّفَةِ مَزِيدَ اخْتِصاصٍ؛ فَعِنْدَ المَوْتِ إذا أشْرَقَتْ تِلْكَ الجَواهِرُ القُدُسِيَّةُ تَجَلَّتْ فِيها مِن كُلِّ رُوحٍ مِنَ الأرْواحِ السَّماوِيَّةِ ما يُناسِبُها مِنَ الصِّفَةِ المَخْصُوصَةِ بِها فَيَفِيضُ عَلَيْها مِن مَلائِكَةِ الصَّبْرِ كِمالاتٌ مَخْصُوصَةٌ نَفْسانِيَّةٌ لا تَظْهَرُ إلّا في مَقامِ الصَّبْرِ، ومِن مَلائِكَةِ الشُّكْرِ كِمالاتٌ رُوحانِيَّةٌ لا تَتَجَلّى إلّا مِن مَقامِ الشُّكْرِ وهَكَذا القَوْلُ في جَمِيعِ المَراتِبِ.[مفاتيح الغيب(٣٧/١٩)].

مسألة: هل الخدمة من حاجة ؟

قلت: وليست الخدمة من حاجة تكون لهم، بل هم في غنى من الله تعالى عن تلك الخدمة كيف وكل ما تشتهي نفوسهم يكون بين أيديهم وما تتخيله عقولهم يكون في متناول أيدهم فضلا من الله وكرما لهم ولكن هؤلاء الخدم الذين جعلهم الله تعالى لأهل الجنة هم من مزيد النعيم الذي يبين الله تعالى لأهل الجنة مزيدا من الإكرام والعناية بهم في الجنة وأن الخدم يكونون في الجنة لعرض النعيم على المؤمن وليس للإعانة في الخدمة إذ أن الله تعالى قد أكرمهم بتلبية طلباتهم لعلم الله تعالى بما تشتهيه أنفسهم ويخطر ببالهم فله الحمد وله النعمة جَلَّوَعَلَا ونسأل الله من فضله كرمه وخيره إنه جواد كريم.

عن البراءِ بنِ عازبٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- في قولِه تعالى﴿ وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴾ [الإنسان: ١٤]. قال: إن أهلَ الجنةِ يأكلون من ثمارِ الجنةِ قيامًا وقعودًا ومضطجعين على أي حالٍ شاؤوا. [صحيح الترغيب(٣٧٣٤)].

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

وَأَمَّا حَالَةُ الشَّرَابِ فَجَازَ أَنْ يَطُوفَ بِهَا الْوِلْدَانُ، فَيُنَاوِلُوا الْفَوَاكِهَ الْغَرِيبَةَ وَاللُّحُومَ الْعَجِيبَةَ لَا لِلْأَكْلِ بَلْ لِلْإِكْرَامِ، كَمَا يَضَعُ الْمُكْرِمُ لِلضَّيْفِ أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ بِيَدِهِ عِنْدَهُ وَإِنْ كَانَ كُلُّوَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشَارِكًا لِلْآخَرِ فِي الْقُرْبِ مِنْهَا. [مفاتيح الغيب (٣٩٦/٢٩)].

وقال العلامة القنوجي - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الطور: ٢٢] أي وزدناهم على ما كان لهم من مبادىء التنعم، وقتاً فوقتاً، بفاكهة متنوعة، ولحم من أنواع اللحمان، مما تشتهيه أنفسهم، ويستطيبونه من فنون النعماء وأنواع الآلاء، وإن لم يقترحوا ولم يصرحوا بطلبه، بل بمجرد ما يخطر على قلوبهم يقدم إليهم [فتح البيان(٢٢٦/١٣)].

الباب التاسع عشر
شراب أهل الجنة وأنهارها

المبحث الأول
أول شراب يشربه المؤمن

أعلم رحمك الله أن الشراب يمر على حالتين:

١- في المحشر:

ويسقى أهل الصلاح والإتباع من أحواض الأنبياء كل أمة تشرب من حوض نبيها.

مسألة: هل كل المؤمنين يشربون من حوض نبيهم؟

الجواب: لا يشرب منه أولا إلا المتبعون المستحقون دخول الجنة أولاً أما من يدخل النار لذنوب أو بدع فلا يشرب منها أولاً وإن كان يشرب من الجنة.

٢- في الجنة:

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ حَبْرًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن مَسَائِلَ، فكَانَ مِنْهَا أَنْ قَالَ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ؟ -يَعْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ-قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ». قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى أَثَرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا». قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا». [مسلم (٣١٥)].

المبحث الثاني
شراب أهل الجنة

١ - الكافور :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ ﴾ [الإنسان:٥-٦] .

قال العلامة صديق حسن خان القنوجي رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ أي ما يخالطها وتمزج به، يقال مزجه يمزجه مزجاً أي خلطه يخلطه خلطاً ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الإخلاط، والكافور قيل هو اسم عين في الجنة يقال لها الكافور أي تمزج خمر الجنة بماء هذه العين، وقال قتادة ومجاهد: تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك، وقال عكرمة: مزاجها طعمها، وقيل إنما الكافور في ريحها لا في طعمها، وقيل إنما أراد الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده، لأن الكافور لا يشرب كما في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ أي كنار، وقال ابن كيسان: طيبها المسك والكافور والزنجبيل، وقال مقاتل: ليس هو كافور الدنيا وإنما سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب.. [فتح البيان(٤٦٠/١٤)].

فقوله تعالى -: ﴿ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ ﴾، أي: يشربون من كأس فيه شراب كان مزاجه كافوراً: وقد عُلِمَ ما في الكافور من الرائحة الطيبة والتبريد، مع ما يُضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة . وقيل: يمزج بالكافور، ويختم بالمسك.

﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ : يقودونها، ويتصرفون فيها حيث شاءوا من قصورهم ومجالسهم.

٢- الزنجبيل:

وقال الله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإنسان:١٥-١٨] .

﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ : أي يسقون في هذه الأكواب خمراً ممزوجاً بالزنجبيل، فتارةً يُمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارةً بالزنجبيل، وهو حارّ.

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾ : اسم عين في الجنة، سلسلة، منقادة لهم، يُصَرِّفُونها حيث شاءوا.

عن سعيد بن جبير-رحمه الله تعالى- عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: التسنيمُ يعلو شرابَ أهلَ الجنةِ، وهو صَرْفٌ للمقربين، ويُمزّجُ لأصحابِ اليمين. [فتح الباري لابن حجر (٦/٣٧٠) إسناده صحيح].

٣- الرحيق:

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين:٢٥-٢٨] .

قال العلامة القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾ أي من شراب لاش فِيهِ. قَالَهُ الْأَخْفَشُ وَالزَّجَّاجُ. وَقِيلَ الرَّحِيقُ الْخَمْرُ الصافية. وفي الصحاح: لرحيق صَفْوَةُ الْخَمْرِ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. الْخَلِيلُ: أَقْصَى الْخَمْرِ وَأَجْوَدُهَا وَقَالَ مُقَاتِلٌ وَغَيْرُهُ: هِيَ الْخَمْرُ الْعَتِيقَةُ الْبَيْضَاءُ الصَّافِيَةُ مِنَ الْغِشِّ النَّيِّرَةُ .

قَالَ حَسَّانُ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-:

يسقون من ورد البريص عليهم ∴ بردى يصفق بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

وَقَالَ آخَرُ:

أَمْ لَا سَبِيلَ أَلَى الشَّبَابِ وَذِكْرِهِ ∴ أَشْهَى أَلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

[الجامع لأحكام القرآن(١٩/٢٦٥)].

٤- المسك:

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

وَلِلْمُفَسِّرِينَ في قَوْلِهِ تعالى -: ﴿ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ أَرْبَعَةُ أقْوالٍ.

أحَدُها: خَلْطُهُ مِسْكٌ، قالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، ومُجاهِدٌ.

والثّانِي: أنَّ خَتْمَهُ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ الإناءُ مِسْكٌ. قالَهُ ابْنُ عَبّاسٍ.

والثّالِثُ: أنَّ طَعْمَهُ ورِيحَهُ مِسْكٌ، قالَهُ عَلْقَمَةُ.

والرّابِعُ: أنَّ آخِرَ طَعْمِهِ مِسْكٌ. قالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والفَرّاءُ، وأبُو عُبَيْدَةَ، وابْنُ قُتَيْبَةَ، والزَّجّاجُ في آخَرِينَ.[زاد المسير(٤/٤١٧)].

المبحث الثالث

عيون الجنة

العيون هي: العين الجاريةُ النّابعة من عيون الماء، وإنّما سمّيت عيناً تشبيهاً لها بالعين النّاظرةِ لصفائها ومائها. ويقال: قد عانَت الصّخرةُ، وذلك إذا كانَ بها صَدعٌ يخرج منه الماء. ويقال: حَفَر فأعْيَن وأعان. [مقاييس اللغة (١٦٢/٤)].

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥] . وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [المُرسلات: ٤١]. وقال الله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[المطففين: ٢٨].

ومن تلك العيون التي ذكرت في الكتاب والسُّنَّة :

١ - السلسبيل :

قال الله تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾[الإنسان: ١٧].

قال العلامة صديق حسن خان - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ وَيُسْقَوْنَ ﴾ أي يسقيهم من أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة ﴿ فِيهَا ﴾ أي في الجنة أو الأكواب ﴿ كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ قد تقدم أن الكأس هو الإناء الذي فيه الخمر، وإذا كان خالياً عن الخمر فلا يقال له كأس.

والمعنى أن أهل الجنة يسقون في الجنة كأساً من الخمر ممزوجة بالزنجبيل، وقد كانت العرب تستلذ مزيج الشراب بالزنجبيل لطيب رائحته، وقال مجاهد وقتادة الزنجبيل اسم

للعين التي يشرب بها المقربون، وقال مقاتل هو زنجبيل لا يشبه الدنيا أي يلذع الحلق فتصعب إساغته.

قلت: وكذلك ما في الجنان من الأشجار والثمار والقصور والنساء والحور والمأكولات والمشروبات والملبوسات لا يشبه ما في الدنيا إلا في مجرد الاسم، لكن الله سُبۡحَانَهُ‌وَتَعَالَىٰ يرغب الناس ويطمعهم بأن يذكر لهم أحسن شيء وألذه وأطيبه مما يعرفونه في الدنيا لأجل أن يرغبوا ويسعوا فيما يوصلهم إلى هذا النعيم المقيم.. [فتح البيان(٤٧١/١٤)].

٢ـ التسنيم :

قال الله تعالى : ﴿ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[المطففين: ٢٧].

قال العلامة القرطبي - رحمه الله تعالى -:

﴿ مِن تَسۡنِيمٍ ﴾ وَهُوَ شَرَابٌ يَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ عُلُوٍّ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ. وَأَصْلُ التَّسْنِيمِ فِي اللُّغَةِ: الِارْتِفَاعُ فَهِيَ عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ، وَمِنْهُ سَنَامُ الْبَعِيرِ لِعُلُوِّهِ مِنْ بَدَنِهِ، وَكَذَلِكَ تَسْنِيمُ الْقُبُورِ. وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: تَسْنِيمٌ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَيُمْزَجُ مِنْهَا كَأْسُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَتَطِيبُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ قَالَ: هَذَا مِمَّا قَالَ اللَّهُ تعالى -: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[السجدة : ١٧].

وَقِيلَ: التَّسْنِيمُ عَيْنٌ تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَنْصَبُّ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ مَائِهَا، فَإِذَا امْتَلَأَتْ أُمْسِكَ الْمَاءُ، فَلَا تَقَعُ مِنْهُ قَطْرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِاسْتِقَاءِ، قَالَهُ قَتَادَةُ. [الجامع لأحكام القرآن(٢٦٦/١٩)].

المبحث الرابع

أنهار الجنة

النهر هو: هو الماء الكثير الجاري الذي يدوم سيلانه.

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [البقرة :٥٢].

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى -:

﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار. [تيسير الكريم الرحمن(٤٦)].

وقال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾[آل عمران : ١٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ ﴾[الأعراف: ٤٣].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

وقوله: ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ أي: يفجرونها تفجيرا، حيث شاءوا، وأين أرادوا، إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات،

من تحت تلك الحدائق الزاهرات. أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات ليس لها حد محدود ﴿ و﴾ لهذا لما رأوا ما أنعم الله عليهم وأكرمهم به ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ بأن من علينا وأوحى إلى قلوبنا، فآمنت به، وانقادت للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعم، وأسدى من النعم الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى منَّ بهدايته واتباع رسله. [تيسير الكريم الرحمن(٢٨٩)].

عن حَكِيم بْنِ مُعَاوِيَةَ عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الْخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ». [السلسلة الصحيحة (٢٥١٣)].

قلت: والآيات التي ذكرت الأنهار فيها كثيرة والناظر المتمعن في هذه الآيات يرى أن الله تعالى ذكر الأنهار في بعض الآيات وأشار أنها تجري في كل مكان معد لها وذكر أن الأنهار تجري من تحت أهل الجنة وذكر أن أهل الجنة يفجرونها حيث أرادو ولك أن تتخيل أخي المسلم كيف أن هذه الأنهار قد أجرها الله تعالى حيث أراد هو وجعل للمؤمن في الجنة تفجير لها وإجراء لها حيث أراد المؤمن لأن من تمام النعمة أن العبد يجريها حسب أرادته هو لأنه يحب المناظر الطيبة التي يتمناها هو فأوكل الله له هذا النعيم حيثما أراد وكيفما أراد وعلى أي هيئة شاء فنسأل الله تعالى من فضله ومن تلك الأنهار التي أشار الله تعالى إليها في القرآن والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السُّنَّة:

أولاً: تتشقق أنهار الماء والعسل واللبن والخمر من البحار:

قال الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ : أي غير متغير.

عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ في الجنَّةِ بحرَ الماءِ، وبحرَ العسَلِ،وبحرَ اللَّبنِ، وبحرَ الخمرِ، ثمَّ تشقَّقُ الأنهارُ بعدُ». [صحيح الترمذي (٢٥٧١)].

تَحدَّثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابِه الكريمِ عَن أنهارِ الجنَّةِ، وذكَر أنَّ مِنها أنهارَ لبَنٍ، وأنهارَ خَمرٍ، وأنهارَ عسَلٍ، وأنهارَ ماءٍ؛ وذلك لِحَثِّ المؤمِنين على الاجتِهاد؛ للظَّفَرِ بدُخولِ الجنَّةِ، والتَّمتُّعِ بتِلْك الأنهارِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ في الجنَّةِ»، أي: إنَّ مِن جُملَةِ نَعيمِ الجنَّةِ: «بَحْرَ الماءِ»، أي: أنهارًا مِن ماءٍ عذْبٍ تَجْري تحتَ قُصورِ سُكّانِ الجنَّةِ، «وبَحْرَ العسَلِ»، أي: أنهارًا مِن عسَلٍ مُصفًّى كما ذكَر اللهُ تعالى في كِتابِه، «وبحرَ اللَّبنِ»، أي: وأنهارًا مِن لبَنٍ لم يتَغيَّرْ طَعمُه؛ كما ذَكَر اللهُ في كتابِه، «وبحرَ الخمرِ»، أي: وأنهارًا مِن خمرٍ لذَّةٍ للشّارِبينَ يتلذَّذُ بها أهلُ الجنَّةِ، فيَجِدون فيها تَمامَ اللَّذَّةِ مِن غيرِ سُكْرٍ، «ثمَّ تُشقَّقُ الأنهارُ بعدُ»، أي: ثمَّ تتفرَّعُ مِن تلك البُحورِ الأنهارُ الجاريةُ ومَجاري الماءِ الصَّغيرةُ والقَنَواتُ، وكلُّ ذلك مُسخَّرٌ يتَلذَّذُ به المؤمِنون ويتَنعَّمون به، ومِثالُ ذلك ما ذَكَره اللهُ في قولِه تعالى -: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾.

ثانياً: نهر الكوثر الذي أُعطيه النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ:

عن ثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النّاسَ لأَهْلِ اليَمَنِ، أَضْرِبُ بعَصايَ حتّى يَرْفَضَّ عليهم. فَسُئِلَ عن عَرْضِهِ فَقالَ: مِن مَقامِي إلى عَمّانَ وَسُئِلَ عن شَرابِهِ فَقالَ: أَشَدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلى مِنَ العَسَلِ، يَغُتُّ فيه مِيزابانِ يَمُدّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ، أَحَدُهُما مِن ذَهَبٍ، والآخَرُ مِن وَرِقٍ. وفي روايةٍ: أَنا، يَومَ القِيامَةِ، عِنْدَ عُقْرِ الحَوْضِ». [مسلم(٢٣٠١)].

يَحكي ثَوبانُ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنِّي لبعُقْرِ حَوضِي»، وَهوَ مُؤخَّرُ الحوضِ أَو مَقامُ الشّارِبِ، و«الحوضُ» هوَ مُجتمَعُ الماءِ في الجنَّةِ، «أَذودُ النّاسَ»، أي: أَطرُدُهم وأَدفعُهم لأَهلِ اليَمنِ، أي: لأَجلِ أَهلِ اليَمنِ حتّى يَتقدَّموا ويَشْرَبوا قَبلَ غَيرِهم.

ولعلَّ ذلكَ لأنَّ أَهلَ اليَمنِ دَخَلوا في الإسلامِ دونَ حَربٍ أو قِتالٍ، ثُمَّ نَصَروا الإسلامَ نَصرًا مُؤزَّرًا، أو لأنَّ الأَنصارَ مِن أهلِ اليَمنِ، وقَد تَقدَّموا إلى الإسلامِ ونَصروا النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودافَعوا عَنه، أَضرِبُ بِعصايَ حتّى «يَرْفَضَّ عليهم» أي: يَسيلَ عَليهم، من الارفِضاضِ وَهوَ السَّيلانُ مُتفرِّقًا؛ فسُئِلَ عن عَرضِه، أي: عَرضِ الحَوضِ، فَقال: مِن مَقامي إلى عَمّانَ، وهيَ عاصمَةُ الأُردُنِّ اليومَ، وسُئِلَ عن شَرابِه فَقالَ: أَشدُّ بَياضًا منَ اللَّبنِ وأَحلى منَ العَسلِ، «يَغُتُّ فيه مِيزابانِ» أي: يَتدَفَّقان فيهِ دَفقًا شَديدًا مُتواصلًا مُتتابعًا.

«والميزابُ»: ما يُركَّبُ في السَّقفِ ويُمَدُّ منهُ؛ ليَسيلَ منهُ الماءُ؛ «يَمُدّانِه» أي: يَزيدانه ويُكثِرانِه «منَ الجنَّةِ»، أي: مِن أَنهارِها، أحدُهما مِن ذهبٍ والآخَرُ مِن وَرِقٍ، أي: مِن فِضَّةٍ.

في الحديثِ: ثُبوتُ الحَوضِ. وفيه: وَصفُ الحوضِ.

وفيه: إخبارُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الغيبيّاتِ.

عن عبد الله بن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لمّا أُنزِلَتْ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، قال رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو نَهَرٌ في الجَنَّةِ، حافَتاه من ذَهَبٍ، يَجْري على جَنادِلِ الدُّرِّ والياقوتِ، شَرابُه أحْلى من العَسَلِ، وأشَدُّ بَياضًا من اللَّبَنِ، وأبْرَدُ من الثَّلجِ، وأطيَبُ من ريحِ المِسكِ».[مسند أحمد(٥٩١٣) قال الأرناؤوط:اسناده قوي] .

عن أنس بن مالك- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بينا أَنا أسيرُ في الجنَّةِ، إذ عَرَضَ لي نَهَرٌ حافَّتاهُ قِبابُ اللُّؤلؤِ، قلتُ للملَكِ: ما هذا ؟ قالَ: هذا الكوثَرُ الَّذي أعطاكَهُ

اللَّهُ، قالَ: ثمَّ ضَربَ بيدِهِ إلى طينةٍ فاستَخرجَ مِسكًا، ثمَّ رُفِعَت لي سدرةُ المنتهى فرأيتُ عندَها نورًا عَظيمًا». [صحيح الترمذي(٣٣٦٠)].

ثالثًا - نهر البيدخ:

عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعْجِبُه الرؤيا، فربما رأى الرجلُ الرؤيا فسأل عنهُ إذا لم يكن يعرفُه، فإذا أثنى عليه معروفًا كان أعجبَ لرؤياه إليهِ، فأتتْهُ امرأةٌ فقالت: يا رسولَ اللهِ ! رأيتُ كأني أتيتُ فأُخرجتُ من المدينةِ وأُدخلتُ الجنةَ، فسمعتُ وجبةً ارتجَّتْ لها الجنةُ، فنظرتُ فإذا فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ - فسمَّت اثنيْ عشرَ رجلًا، كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث سريةً قبل ذلكَ -، فجيءَ بهم عليهم ثيابُ طلسٍ تشخُبُ أوداجُهم، فقيل اذهبوا بهم إلى نهرِ (البيدخِ) قال: فغُمِسُوا فيه، قال: فخرجُوا ووجوهُهم كالقمرِ ليلةَ البدرِ، فأُتُوا بصحفةٍ من ذهبٍ فيها بُسْرَةٌ، فأكلوا من بُسْرِه ما شاؤوا، ما يقلبُونها من وجهٍ إلا أكلوا من الفاكهةِ ما أرادوا، وأكلتُ معهم. فجاء البشيرُ من تلك السريةِ فقال: كان من أمْرِنا كذا وكذا، فأُصيبَ فلانٌ وفلانٌ، حتى عدَّ اثنيْ عشرَ رجلًا، فدعا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمرأةِ فقال: قُصِّي رؤياكِ؛ فقصَّتْها وجعلت تقولُ: جيءَ بفلانٍ وفلانٍ كما قال الرجلُ . [صحيح الموارد (١٥١٣)].

رابعًا: نهر الحياة:

عن يَزِيدُ الفقيرُ، قالَ: كُنْتُ قدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِن رَأْيِ الخَوارِجِ، فَخَرَجْنا في عِصابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ على النّاسِ، قالَ: فَمَرَرْنا على المَدِينَةِ، فإذا جابِرُ بنُ عبدِ اللهِ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جالِسٌ إلى سارِيَةٍ، عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: فإذا هو قدْ ذَكَرَ الجَهَنَّمِيِّينَ، قالَ: فَقُلْتُ له: يا صاحِبَ رَسولِ اللهِ، ما هذا الذي تُحَدِّثُونَ؟ واللَّهُ يقولُ: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾[آل عمران:١٩٢] و﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ ﴾ [السجدة :٢٠]، فَما هذا الذي تَقُولونَ؟ قالَ: فقالَ: أتَقْرَأُ

القُرْآنَ؟ قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: فَهلْ سَمِعْتَ بمَقامِ مُحَمَّدٍ s، يَعْنِي الذي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟ قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: فإنَّه مَقامُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المَحْمُودُ الذي يُخْرِجُ اللَّهُ به مَن يُخْرِجُ، قالَ: ثُمَّ نَعَتَ وضْعَ الصِّراطِ، ومَرَّ النّاسِ عليه، قالَ: وأَخافُ أنْ لا أكُونَ أحْفَظُ ذاكَ، قالَ: غيرَ أنَّه قدْ زَعَمَ أنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النّارِ بَعْدَ أنْ يَكونُوا فيها، قالَ: يَعْنِي، فَيَخْرُجُونَ كَأنَّهُمْ عِيدانُ السَّماسِمِ، قالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِن أنْهارِ الجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأنَّهُمُ القَراطِيسُ. فَرَجَعْنا قُلْنا: ويْحَكُمْ أتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ على رَسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟ فَرَجَعْنا فلا واللَّهِ ما خَرَجَ مِنّا غَيْرُ رَجُلٍ واحِدٍ، أوْ كما قالَ: أبو نُعَيْمٍ. [مسلم (١٩١)].

خامسًا - نهر بارق:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- قَالَ:قَالَ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - :«الشُّهَدَاء عَلَى بَارِق، نَهْر بِبَاب الْجَنَّة فِي قُبَّة خَضْرَاء،يَخْرُجُ إِلَيهِم رِزقهُم مِنَ الْجَنَّة بُكْرَة وَعَشِيًّا». [صحيح الجامع (٣٧٤٢)].

سادسًا: أنهار الدنيا في الجنة:

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «رُفِعتُ إلى سِدْرةِ المنْتهى مُنتَهاها في السماءِ السابعةِ نَبَقُها مِثلُ قِلالِ هَجَرَ وورَقُها مِثلُ آذانِ الفِيلَةِ فإذا أربعةُ أنْهارٍ نِهْرانِ ظاهِرانِ، ونهرانِ باطِنانِ. فأمّا الظّاهِرانِ: فالنِّيلُ والفُراتُ. وأمّا الباطِنانِ: فنَهْرانِ في الجنةِ، وأُتِيتُ بثلاثةِ أقْداحٍ قدَحٌ فيه لَبَنٌ وقدَحٌ فيه عسَلٌ وقدَحٌ فيه خمْرٌ، فأخذتُ الّذي فيه اللَّبَنَ فشَرِبْتُ فقِيلَ لِي: أجَبْتَ الفِطرةَ أنتَ وأُمَّتُكَ». [صحيح الجامع (٣٥١٦)].

يَروي أنسُ بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في رحلةِ المِعراجِ رُفِعَ إلى سِدرةِ المُنتهى، وسُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ عِلمَ الملائكةِ ينتهي إليها فلا يتعدَّوْنَها، وعندما رُفِع صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى السِّدرةِ رأى أربعةَ أنهارٍ، يخرُجُ منها نهرانِ ظاهرانِ لأهل الأرضِ، وهما: نهرُ النِّيل ونهرُ الفُرات.

يخرُجانِ مِن أصل سدرةِ المنتهى ثمَّ يسيرانِ حيث أراد اللهُ تعالى، ثمَّ يخرُجانِ مِن

الأرضِ ويسيرانِ فيها، وهذا لا يمنَعُه شرعٌ ولا عقلٌ، ونهرانِ باطنانِ مِن أنهار الجنَّة، قيل: إنَّهما نهرُ السَّلسبيلِ ونهرُ الكوثرِ.

ثمَّ أُتِيَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاثةِ أقداحٍ، أي: آنية، إناءٌ فيه خمرٌ، وإناءٌ فيه لبنٌ، وإناءٌ فيه عسَلٌ، فشرِب النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن إناء اللَّبنِ، فقال له جبريلُ: أَصَبْتَ الفطرةَ أنت وأمَّتُك.

وهذا مِن توفيقِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنَبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإرادتِه الخيرَ به وبهذه الأمَّةِ، وقد قال جبريلُ له في روايةٍ أخرى: لو شرِبْتَ مِن الخمرِ غوَيْتَ وغوتْ أمَّتُك، وقد عصَم اللهُ نبيَّه مِن الغيِّ، وجعَل أمَّته خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَت للنّاس، فعصَمها في مجموعِها مِن الغيِّ أيضًا، وفي هذا الحديثِ تفضيلُ اللَّبَنِ على العسَل؛ لأنَّه الأيسرُ والأنفَعُ، وهو بمجرَّده قُوتٌ، وليس مِن الطيِّباتِ الَّتي تدخُلُ في السَّرَفِ بوجهٍ، وهو أقربُ إلى الزُّهد، وأمّا ما ورد مِن محبَّتِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعسَل، فعلى وجهِ الاقتصاد في تناوُلِه، لا لكثرة التَّشهِّي له، وإنَّما كان يأكُلُ منه إذا قُدِّم إليه.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربعةُ أنهارٍ من أنهارِ الجنةِ: سَيْحانُ، وجَيْحانُ، والنيلُ، والفراتُ». [صحيح الجامع (٨٧٦)].

في هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَيْحانُ وجَيْحانُ، والفُراتُ والنِّيلُ، كُلٌّ مِن أَنْهارِ الجَنَّةِ، والمعنى: أنَّ هَذه الأَنْهارَ أَصْلُها مادَّةٌ تُغَذِّيها منَ الجنَّةِ، أو لِأنَّ بِلادَها منَ المُسلِمينَ يَتغذَّوْن عَليها وَيكونُ مَآلُهم إلى الجنَّةِ، وهَذه الأَنْهارُ بِبِلادِ العَرَبِ والمسلِمينَ؛ فسَيحانُ وجَيحانُ بِبلادِ الأَرْمَنِ بالقُربِ مِنَ الشّامِ، والفُراتُ بِبلادِ العِراقِ، والنِّيلُ بِبلادِ مِصْرَ.

وفي الحديثِ: فَضيلَةُ هَذه الأَنْهارِ، وأنَّها مِن أَعْظَم نِعَمِ اللهِ عَلى عِبادِه وعَلى أَهْلِ تِلكَ البِلادِ.

الملحق

المسألة الأولى: **صفة هذه الأشربة**:

١ - أنها طاهرة:

قال الله تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإنسان: ٢١].

وقوله: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى وقذى.

قال العلامة صديق حسن خان القنوجي رحمة الله عليه -:

قوله: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ هذا نوع آخر من الشراب الذي يمن الله عليهم به يفوق على النوعين المتقدمين، ولذلك أسند سقياه إلى الله ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية، والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله، متلذذاً بلقائه باقياً ببقائه، وهو منتهى درجات الصديقين.

قال الفراء يقول هو طهور ليس بنجس كما كان في الدنيا موصوفاً بالنجاسة أي لم تمسه الأيدي ولم تدنسه الأرجل، وقيل لا يستحيل بولاً، وطهور صيغة مبالغة في الطهارة والنظافة.

والمعنى أن ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا، فشتان ما بين الشرابين والآنيتين والمنزلتين، قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد.

قال أبو قلابة وإبراهيم والنخعي يؤتون بالطعام فإذا كان آخره أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك. [فتح البيان (٤٧٧/١٤)].

٢- أنها لذيذة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تُرْبَتَهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبيضُ مِنَ الثَّلْجِ». [الترمذي (٣٣٦١)وصححه العلامة الألباني].

٣- أنهم يشربونها من غير عطش:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» [مسلم(٢٣٠٠)].

فمن شرب من الحوض وهو من ماء الجنة لم يذق العطش والظمأ بعدها فلا إله إلا الله ما أعظمه.

٤- سهلة المنال والوصول إليها:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيَشْتَهِي الشَّرَابَ مِنْ شَرابِ الْجَنَّةِ فَيَجِيءُ الإبْرِيقُ فَيَقَعُ فِي يَدِهِ فَيَشْرَبُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَكَانِهِ». [صفة الجنة لابن أبي الدنيا (١٢٨) تعليق الألباني: حسن. الترغيب والترهيب (٣٧٣٨)].

٥- أنها سائحة في الأرض:

عن أنسِ بنِ مالكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال:أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :« أظنكم تظنون أَنَّ أنهارَ الجنةِ أُخدودٌ في الأرضِ، لا واللهِ، إنها لسائحةٌ على وجهِ الأرضِ، إحدى حافَّتَيها

اللؤلؤُ والأُخرى الياقوتُ، وطينُها المسكُ الأذْفرُ، قال: قلتُ: ما الأَذْفرُ؟ قال: الذي لا خِلطَ له». [صحيح الترغيب (٣٧٢٣)].

٦- شديدة البياض:

عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«دَخَلْتُ الْجَنَّة فَإِذَا أَنَا بِنَهْر يَجْرِي ، بَيَاضُهُ بَيَاضُ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَحَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ ، فَضَرَبتُ بِيَدِي ، فَإِذَا الثَّرَى مِسْكٌ أَذْفَرُ ، فَقُلتُ لِجِبْرِيلَ : مَا هَذَا فَقَالَ : هَذَا الْكَوْثَر الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ».

[أحمد (١٢١٧٢) تعليق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين].

المسألة الثانية: من أين تفجر الأنهار؟

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن آمَنَ باللَّهِ ورَسولِهِ، وأَقامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضانَ، كانَ حَقًّا على اللَّهِ أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هاجَرَ في سَبيلِ اللَّهِ، أوْ جَلَسَ في أرْضِهِ الَّتي وُلِدَ فيها، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أفَلا نُنَبِّئُ النّاسَ بذلكَ؟ قالَ: إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ، أعَدَّها اللَّهُ لِلْمُجاهِدِينَ في سَبيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ ما بيْنَهُما كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ، وأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ». [البخاري (٧٤٢٣)].

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنهارُ الجنَّةِ تَخرجُ من تحتِ تلالٍ أو من تَحتِ جبالِ المِسكِ». [صحيح الترغيب (٣٧٢١)].

وعن سمرة بن جندب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الفِرْدَوسُ رَبْوَةُ الجنةِ وأعْلاها وأوْسَطُها، ومنها تَفَجَّرُ أنهارُ الجنةِ » . [صحيح الجامع (٤٢٨٣)].

وعن معاذ بن جبل و عبادة بن الصامت و أبي هريرة و أبي عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالوا: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الجنةُ مائةُ درجةٍ، ما بين كلِّ درجتَينِ كما بين السماءِ والأرضِ، والفردوسُ أعلى الجنةِ، وأوسطُها، وفوقَه عرشُ الرَّحمنِ، ومنها يتفجَّرُ

أنهارُ الجنَّةِ، فإذا سألْتُمُ اللهَ فاسألوه الفِرْدَوسَ». [صحيح الجامع (٣١٢١) صحيح الترمذي (٢٥٣١)].

في هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن الجنَّةِ وما فيها مِن دَرَجاتٍ ومَنازِلَ عاليةٍ، ونَعيمٍ مُقيمٍ؛ فيقولُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «في الجنَّةِ مِئةُ درَجةٍ»، والدَّرجةُ هي المنزِلةُ والمكانةُ العاليةُ، وقيل: يَعْني بالعدَدِ مِئةٍ أنَّه يُفيدُ كَثْرتَها، «ما بينَ كلِّ درَجتَينِ»، أي: المسافةُ الَّتي تكونُ بينَ الدَّرَجتَين، ومِقْدارُ ارتِفاعِ كلِّ درَجةٍ عَن الأخرى «كما بيْنَ السَّماءِ والأرضِ»، أي: تكونُ مِثلَ المسافةِ بينَ السَّماءِ والأرضِ في البُعدِ.

وهذه الدَّرَجاتُ بحسَبِ إيمانِ الإنسانِ وأعمالِه الصّالحةِ، ثمَّ قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «والفِرْدَوسُ»-وهو البستانُ يكونُ فيه الشَّجَرُ والزُّهورُ والنَّباتاتُ- وهو اسمٌ لأعْلى الجَنَّةِ، «أَعْلاها درَجةً»، أي: أفضَلُ وأعلى منزلةٍ في الجنَّةِ، وفي الفردوسِ مَنازِلُ الأنبياءِ.

«ومنها»، أي: مِن الفِرْدَوسِ «تَفَجَّرُ»، أي: تَخرُجُ «أنهارُ الجنَّةِ الأربعةُ»، المذكورةُ في قولِه تعالى -: ﴿ **فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ** ﴾، أي: يَكونُ هذا الماءُ صافيًا لا يتَكدَّرُ، ولا يكونُ فيه قذَرٌ، ﴿ **وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ** ﴾، أي: لا يَكونُ حامِضًا بطولِ الْمُقامِ، كما تتغيَّرُ الألبانُ في الدُّنيا، بل يكونُ في مُنتَهى البياضِ، مَذاقُه طيِّبٌ، ﴿ **وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ** ﴾، أي: ليسَت كريهةَ الرّائحةِ والطَّعمِ.

بل هي طيِّبةُ الطَّعمِ والرّائحةِ، ولا تَسلِبُ العقولَ كما هي الحالُ في خمرِ الدُّنيا،﴿ **وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗى** ﴾ أي: عسَلٍ يكونُ صافيًا مِن الشَّمعِ، «ومِن فَوقِها يكونُ»، أي: يكونُ أعلى الفِرْدَوسِ «العَرشُ»، أي: عرشُ الرَّحمنِ يَكونُ سَقفًا لها، «فإذا سَألْتُم اللهَ»، أي: إذا دَعَوتُم اللهَ أن يُدخِلَكم في جَنَّتِه «فاسْأَلوه»، أي: فادْعُوه أن يُدخِلَكم «الفِرْدوسَ»؛ لِما لها مِن فَضلٍ ومكانةٍ عاليةٍ في الجنَّةِ.

وفي الحديثِ: تَفاوُتُ أهلِ الجنَّةِ في مَنازِلِهم.

وفيه: الحَثُّ على سُؤالِ اللهِ الفِردوسَ الأعْلى مِنَ الجَنَّةِ.

المسألة الثالثة : **من ذكر أنه على أنهار الجنة** :

عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي مَجْرَى الْمَاءِ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ أَوْ أَعْطَاكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ» [أحمد (١٢١٧٢) تعليق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين] .

و عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إذا أَنَا بِنَهْرٍ حافتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينهُ أَوْ طِيبهُ مِسْكٌ أَذْفَرَ» [البخاري (٦٥٨١)].

المسألة الرابعة : **أرض الأنهار**:

عن أبي هريرةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قالَ: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«حائطُ الجنَّةِ لَبنةٌ من ذَهبٍ ولبنةٌ من فضَّةٍ ودَرَجُها الياقوتُ واللُّؤلؤُ قال: وَكنّا نحدَّثُ أنَّ رَضراضَ أنهارِها اللُّؤلؤُ وترابُها الزَّعفران». [صحيح الترغيب(٣٧١٢)].

قوله: «وملاطُها» والمِلاطُ: هو التُّرابُ الَّذي يُمزَجُ بالماءِ، فيكونُ طِينًا يُستخدَمُ لِربْطِ اللَّبِناتِ بعضِها ببعضٍ؛ حتَّى يملأَ ما بيْنها مِن فراغاتٍ، فأخبَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ هذا المِلاطَ الَّذي يكونُ بيْن لَبِناتِ الجنَّةِ يكونُ مِن «المِسكِ الأَذْفرِ» أي: يكونُ مَخلوطًا بالمِسكِ شَديدِ الرَّائحةِ الطَّيِّبةِ، «وحَصباؤُها »، أي: إنَّ حصى الجنَّةِ الصَّغيرَ هو «اللُّؤلؤُ والياقوتُ، وتُربتُها الزَّعفرانُ » أي: إنَّ تُربةَ أرْضِها في شَكْلِها تكونُ مِن الزَّعفرانِ الطَّيِّبِ.

الباب العشرون
وصف نساء الجنة وحورها

المبحث الأول
الحور العين

الحور العين نساء لا يعلم مقدار حسنهن وجمالهن إلا الذي خلقهن، ولكنهن جميلات طيبات حسنات الأخلاق والسيرة، وإذا رآها المؤمن عرف حالها بعد ذلك إذا دخل الجنة رآهن وعرفهن، وعرف أخلاقهن وجمالهن، لكن الآن يعرفن بإخبار النبي عليه الصلاة والسلام، وما ذكر عنهن في القرآن وأنهن حور عين والحوراء البيضاء جميلة وحسنة العين هذا من جمالها، وأما كمال جمالها يعرفه الإنسان إذا دخل الجنة، جعلنا الله وإياكم من أهلها. فالمقصود أنهن نساء خلقهن الله جَلَّوَعَلَا لإكرام أهل الجنة ولنعيم أهل الجنة من الرجال، ولا يعلم المادة التي خلقن منها إلا الذي خلقهن الله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف نساء الدنيا فهن من ماء مهين معروفات ويكن في الجنة في غاية من الجمال، وتزوج النساء في الجنة على حسب ما تقتضيه أعمالهن الصالحة، فالله جَلَّوَعَلَا هو الكريم الجواد وهو الذي يزوجهن في الجنة، سواءً كن لأزواجهن في الدنيا أو لغير أزواجهن في الدنيا، أما أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فهن له في الآخرة عليه الصلاة والسلام.[موقع العلامة ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ] .

لهاك النوم عن طلب الأماني ∴ وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ∴ وتلهو في الخيام مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيراً ∴ من النوم التهجد بالقرآن

يزوج الله المؤمنين في الجنة بزوجات جميلات غير زوجاتهم اللواتي في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الطور:٥٤] .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في النونية:

وَأَذَا بَدَتْ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا ∴ وَتَمَايَلَتْ كَتَمَايُلِ النَّشْوَانِ
تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ ∴ وَرْدٌ وَتُفَّاحٌ عَلَى رُمَّانِ
وَتَبَخْتَرَتْ فِي مَشْيِهَا وَيَحِقُ ذَا ∴ كَ لِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا ∴ وَعَلَى شَمَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
كَالْبَدْرِ لَيْلَةَ تِمِّهِ قَدْ حُفَّ فِي ∴ غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
فَلِسَانِهِ وَفُؤَادِهِ وَالطَّرْفُ فِي ∴ دَهَشٍ وَأَعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ ∴ وَالْعُرْسُ أَثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلانِ
حَتَّى أَذَا مَا وَاجَهَتْهُ تَقَابَلا ∴ أَرَأَيْتَ أَذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
فَسَلِ الْمُتَيَّمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ ∴ ضَمٍّ وَتَقْبِيلٍ وَعَنْ فُلْتَانِ
وَسَلْ الْمُتَيَّمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ ∴ فِي أَيِّ وَادٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ
وَسَلْ الْمُتَيَّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ ∴ مُلِئَتْ لَهُ الأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجْـ ∴ ـهٍ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ
وَسَلْ الْمُتَيَّمَ كَيْفَ عِيشَتُهُ أَذَا ∴ وَهُمَا عَلَى فُرَشَيْهِمَا خَلَوَانِ
يَتَسَاقَطَانِ لَئَآلِئًا مَنْثُورَةً ∴ مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ

وَسَلْ الْمَتَيَّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الْـ ∴ مَحْبُوبَ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَانِ
وَتَدُورُ كَاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا ∴ بِأَكُفِّ أَقْمَارٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
يَتَنَازَعَانِ الْكَاسَ هَذَا مَرَّةً ∴ وَالْخُودُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَّكِئَانِ
فَيَضُمُّهَا وَتَضُمُّهُ أَرَأَيْتَ مَعْـ ∴ ـشُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنَكِّدٍ ∴ وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلانِ
أَتَرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لا ∴ وَحَيَاةِ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَجِرَانِ
وَيَزِيدُ كُلٌّ مِنْهُمَا حُبًّا لِصَا ∴ حِبِهِ جَدِيدًا سَائِرَ الأَزْمَانِ
وَوِصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ ∴ مُتَسَلْسِلاً لا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
فَالْوَصْلُ مَحْفُوفٌ بِحُبٍّ سَابِقٍ ∴ وَبِلاحِقٍ وَكِلاهُمَا صِنْوَانِ
فَرْقٌ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ ذَا ∴ يَدْرِيهِ ذُو شُغْلٍ بِهَذَا الشَّانِ
وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ ∴ سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ

فمن صفاتهن التي رودت في القرآن والسُنَّة النبوية -:

حـــور:

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الطور:٥٤] ، وقال الله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[الطور:٢٠]، وقال تعالى -: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن :٧٢] ،وقال تعالى -: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[الواقعة:٢٢] .

وفي «الحُور العِين» لغتان: حُور عِين، وحور عين، وأنشد:

أزمانَ عيناء سرور المسير ∴ وحَوْراء عيناء مِنَ العِين الحِير

وقال أبو عبيدة- رحمه الله تعالى-:

الحوراء: الشديدة بياض بياض العَيْن، الشديدة سواد سوادها. [زاد المسير(٩٥/٤)].

وقول البخاري- رحمه الله تعالى-:

«شديدة سواد العين وبياضها» زاد غيره: إذا كانت بيضاء. وأصل الحَوَر البياض، وكذلك قيل لنساء الحاضرة: الحواريات «لبيض»ألوانهن وثيابهن إلا أن العرب لا تستعمله إلا للبيضاء الشديدة سواد الحدقة في شدة بياضها.

قَالَ ابن سيده في «محكمه» الحور هو أن يشتد بياضُ بياضِ العين وسوادُ سوادِها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حواليها، وقيل: الحور: شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد ولا تكون الأدماء حوراء.

وقال أبو عمرو- رحمه الله تعالى-:

الحور أن تسود العين كلها مثل الظباء والبقر، وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العيون؛ لأنهن يشبهن بالظباء والبقر. وقال كراع: الحور أن يكون البياض محدقًا بالسواد كله، وإنما يكون هذا في البقر والظباء ثم يستعار للناس، وهذا إنما حكاه أبو عبيد في البرج غير أنه لم يقل إنما يكون في الظباء والبقر. وقال الأصمعي: لا أدري ما الحور في العين؟ وقد حَوِر حَوَرًا واحْور، وهو أَحْور، وامرأة حَوْراء، وعين حوراء، والجمع حُور. [التوضيح لشرح الجامع الصحيح(٣٥٩/١٧)].

قاصرات الطرف :

قوله تعالى -: ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ [الصافات:٤٨] .

قوله«عِنْدَ» ظَرْفُ مَكانٍ قَرِيبٍ و«قاصِراتِ الطَّرْفِ» أيْ: نِساءٌ قاصِراتُ النَّظَرِ. و«الطَّرْفُ»: النَّظَرُ بِالعَيْنِ، وقَصْرُ الطَّرْفِ تَوْجِيهَهُ إلى مَنظُورٍ غَيْرِ مُتَعَدِّدٍ، فَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ

المَعْنى: أنهُنَّ قاصِراتٌ أطْرافَهُنَّ عَلى أزْواجِهِنَّ. فالأطْرافُ المَقْصُورَةُ أطْرافُهُنَّ هن.

وإسْنادُ قاصِراتُ إلى ضَمِيرِ «هُنَّ» إسْنادٌ حَقِيقِيٌّ، أيْ: لا يُوَجِّهْنَ أنْظارَهُنَّ إلى غَيْرِهِمْ وذَلِكَ كِنايَةٌ عَنْ مَحَبَّتِهِنَّ عَلى أزْواجِهِنَّ.

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ المَعْنى: أنَّهُنَّ يَقْصُرْنَ أطْرافَ أزْواجِهِنَّ عَلَيْهِنَّ فَلا تَتَوَجَّهُ أنْظارُ أزْواجِهِنَّ إلى غَيْرِهِنَّ اكْتِفاءً مِنهم بِحُسْنِهِنَّ وذَلِكَ كِنايَةٌ عَنْ تَمامِ حُسْنِهِنَّ في أنْظارِ أزْواجِهِنَّ بِحَيْثُ لا يَتَعَلَّقُ اسْتِحْسانُهم بِغَيْرِهِنَّ، فالأطْرافُ المَقْصُورَةُ أطْرافُ أزْواجِهِنَّ، وإسْنادُ «قاصِراتُ» إلَيْهِنَّ مَجازٌ عَقْلِيٌّ إذْ كانَ حُسْنُهُنَّ سَبَبُ قَصْرِ أطْرافِ الأزْواجِ فَإنَّهُنَّ مُلابِساتٌ سَبَبَ القَصْرِ. [التحرير والتنوير(١٧٥/٢٣)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى-:

وهذا معنى ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الصافات:٤٨] . لكن أولئك قاصرات بأنفسهن، وهؤلاء مقصورات، وقوله: ﴿ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن:٧٢] على هذا القول: صفة الحور.

أي : هن ﴿ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾. وليس معمول لمقصورات، وكأن أرباب هذا القول فسروه بأن يكن محبوسات في الخيام لا يفارقنها إلى الغرف والبساتين.

وأصحاب القول الأول: يجيبون عن هذا: بأن الله سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات. وذلك أجمل في الوصف. ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين، كما أن نساء الملوك ومن دونهن من النساء المخدرات المصونات يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى متنزه وبستان ونحوه فوصفهن اللازم لهن: هو القصر في البيت، وإن كان يعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها.

وأما مجاهد فقال: مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ.

وقد تقدم وصف النسوة الأول. بكونهن قاصرات الطرف، وهؤلاء بكونهن مقصورات.

والوصفان لكلا النوعين، فإنهما صفتا كمال. فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج، وهذه الصفة قصرهن عن التبرج والبروز والظهور للرجال.[التفسير القيم(٥٠٧-٥٠٨)].

عيــن:

وفي العِين ثلاثة أقوال: أحدها: حِسانُ العُيون، قاله مجاهد. والثاني: عِظام الأعيُن، قاله السدي. وابن زيد. والثالث: كِبار العُيون حِسانُها، وواحدتُهنَّ عَيْناء، قاله الزجاج.

﴿ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴾:

قوله تعالى -: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات:٤٩] ، في المراد بالبيض ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللؤلؤ، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والثاني: بَيْضُ النَّعام، قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. قال جماعة من أهل اللغة: والعرب تُشَبِّه المرأةَ الحسناءَ في بياضها وحُسْن لونها بِبَيْضَة النَّعامة، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاءَ مُشَرَّبَةٍ صُفْرَةً. والثالث: أنه البَيْض حين يُقْشَر قبل أن تَمَسَّه الأيدي، قاله السدي، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير.

فأما المكنون، فهو المصون. فعلى القول الأول: هو مكنون في صَدَفِهِ، وعلى الثاني: هو مكنون بريش النَّعام، وعلى الثالث: هو مكنون بقشره. [زاد المسير(٥٤١/٣)].

كــواعــب:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النبأ :٣١-٣٣] .

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ قال ابن عباس: الكواعب: النواهد.

ولهم فيها زوجات على مطالب النفوس ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر

ثديهن من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن.وكواعب: أي شابات تكعبت ثديهن الواحدة كاعب والجمع كواعب.

وقال الله تعالى -: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النبأ :٣١-٣٤] أي: إن للذين اتقوا ربهم بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه فوزا وظفرا بالمطلوب، ونجاة من النار، بالاستمتاع بالبساتين ذات الأشجار والأثمار والأعناب اللذيذة الطعم، وبالنساء الحور الكواعب ذوات الأثداء القائمة على صدورهن لم تتكسر ولم تتدلّ، المتساويات في السن، وبتناول الكؤوس المترعة المملوءة بالخمر غير المسكرة.

وعد الله تعالى المتقين الذين اتقوا مخالفة أمر الله بالاستمتاع بالحور الكواعب ذوات النواهد التي تكعبت أثداؤهن، اللدات الأقران في السن، وهذا هو الإشباع الجنسي أو الغريزي.

عن البَرَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الجَنَّةِ». [البخاري(١٣٨٢)].

أترابا :

قال الله تعالى : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة :٣٧]، وقال الله تعالى :﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾[ص :٥٢] .

قال العلامة صديق حسن خان - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ أي متحدات في السن والشباب، أو متساويات في الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى أنهن متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن، بنات ثلاث وثلاثين سنة، وقيل لدات آي متقاربات في الولادة، لأن التحاب بين الأقران أثبت أو بعضهن لبعض أو نصف لا عجوز فيهن ولا صبية، قال الشهاب: لدات جمع لدة كعدة أصلها ولد، وهو كالترب من يولد معك في وقت واحد، كأنهما وقعا على التراب في زمن

واحد، والأتراب جمع ترب، واشتقاقه من التراب، لأنه يمسهن في وقت واحد، لاتحاد مولدهن والمعاني متقاربة. [فتح البيان(٥٧/١٢)].

وقال: والأتراب جمع ترب وهو المساوي لك في سنك، لأنه يمس جلدهما التراب في وقت واحد، وهو آكد في الائتلاف، وهو من الأسماء التي لا تنعرف بالإضافة لأنه في معنى الصفة، إذ معناه مساويك، ومثله خدنك لأنه في معنى صاحبك، يقال في النساء أتراب وفي الرجال أقران. [المصدر السابق].

عن عائشة أم المؤمنين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: أنَّ نبيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتتْهُ عجوزٌ من الأنصارِ فقالتْ: يا رسولَ اللهِ، ادعُ اللهَ أنْ يُدخِلَني الجنَّةَ، فقال نبيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الجنَّةَ لا يدخُلُها عجوزٌ» فذهب نبيُّ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم فصلّى، ثمَّ رجع إلى عائشةَ فقالتْ: لقد لقِيَتْ من كلمتكَ مشقَّةً وشدةً. فقال نبيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ ذاك كذاك، إنَّ اللهَ تعالى إذا أدخلهنَّ الجنةَ، حولَهنَّ أبكارًا». [السلسلة الصحيحة(٢٩٨٧)].

قال ابن عاشور: والظّاهِرُ أنَّ أتْرابَ وصْفٌ قائِمٌ بِجَمِيعِ نِساءِ الجَنَّةِ مِن مَخْلُوقاتِ الجَنَّةِ ومِنَ النِّساءِ اللّاتِي كُنَّ أزْواجًا في الدُّنْيا لِأصْحابِ الجَنَّةِ، فَلا يَكُونُ بَعْضُهُنَّ أحْسَنَ شَبابًا مِن بَعْضٍ فَلا يَلْحَقُ بَعْضَ أهْلِ الجَنَّةِ غَضٌّ إذا كانَتْ نِساءُ غَيْرِهِ أجَدُّ شَبابًا، ولِئَلّا تَتَفاوَتَ نِساءُ الواحِدِ مِنَ المُتَّقِينَ في شَرْخِ الشَّبابِ، فَيَكُونُ النَّعِيمُ بِالأقَلِّ شَبابًا دُونَ النَّعِيمِ بِالأجَدِّ مِنهُنَّ. [التحرير والتنوير(١٧٥/٢٣)].

عرباً:

قال الله تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة :٣٧].

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنى «عُرُبًا» خَمْسَةُ أقْوالٍ.

أحَدُها: أنَّهُنَّ المُتَحَبِّباتُ إلى أزْواجِهِنَّ، رَواهُ العَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، وبِهِ قالَ سَعِيدُ

ابْنُ جُبَيْرٍ، وابْنُ قُتَيْبَةَ، والزَّجّاجُ.

والثّانِي: أنَّهُنَّ العَواشِقُ، رَواهُ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، وبِهِ قالَ الحَسَنُ، وقَتادَةُ، ومُقاتِلٌ، والمُبَرِّدُ؛ وعَنْ مُجاهِدٍ كالقَوْلَيْنِ.

والثّالِثُ: الحَسَنَةُ التَّبَعُّلِ، رَواهُ أبُو صالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، وبِهِ قالَ أبُو عُبَيْدَةَ.

والرّابِعُ: الغَنِجاتُ، قالَهُ عِكْرِمَةُ. والخامِسَةُ: الحَسَنَةُ الكَلامِ، قالَهُ ابْنُ زَيْدٍ. [زاد المسير(٤/٢٢٤)].

قلت: وكل هذه المعاني صالحة لهن فقد جمعن الحسن الخلقي والخُلقي.

أبكــارا :

قال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الواقعة :٣٦] صغارهن وكبارهن.

قال العلامة الرازي - رحمه الله تعالى -:

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ أَبْكَارًا ﴾ يَدُلُّ عَلى الثّانِي؛ لِأنَّ الإنْشاءَ لَوْ كانَ بِمَعْنى الِابْتِداءِ لَعُلِمَ مِن كَوْنِهِنَّ أبْكارًا مِن غَيْرِ حاجَةٍ إلى بَيانٍ ولَمّا كانَ المُرادُ إحْياءَ بَناتِ آدَمَ قالَ: ﴿أبْكارًا﴾ أيْ نَجْعَلُهُنَّ أبْكارًا وإنْ مِتْنَ ثَيِّباتٍ، فَإنْ قِيلَ: فَما الفائِدَةُ عَلى الوَجْهِ الأوَّلِ ؟ نَقُولُ: الجَوابُ مِن وجْهَيْنِ:

الأوَّلُ: أنَّ الوَصْفَ بَعْدَها لا يَكُونُ مِن غَيْرِها إذا كُنَّ أزْواجَهم بَيِّنُ الفائِدَةِ؛ لِأنَّ البِكْرَ في الدُّنْيا لا تَكُونُ عارِفَةً بِلَذَّةِ الزَّوْجِ فَلا تَرْضى بِأنْ تَتَزَوَّجَ مِن رَجُلٍ لا تَعْرِفُهُ وتَخْتارُ التَّزْوِيجَ بِأقْرانِها ومَعارِفِها، لَكِنَّ أهْلَ الجَنَّةِ إذا لَمْ يَكُنَّ مِن جِنْسِ أبْناءِ آدَمَ وتَكُونُ الواحِدَةُ مِنهُنَّ بِكْرًا لَمْ تَرَ زَوْجًا ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بِغَيْرِ جِنْسِها فَرُبَّما يُتَوَهَّمُ مِنها سُوءُ عِشْرَةٍ فَقالَ: ﴿ أَبْكَارًا ﴾ فَلا يُوجَدُ فِيهِنَّ ما يُوجَدُ في أبْكارِ الدُّنْيا.

الثّانِي: المُرادُ «أبْكارًا» بَكارَةً تُخالِفُ بَكارَةَ الدُّنْيا، فَإنَّ البَكارَةَ لا تَعُودُ إلّا عَلى بُعْدٍ.[مفاتيح الغيب(٢٩//٤٠٧)].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ؟، قَالَ: « نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ ، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا ، رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا ». [الصحيحة(٣٦٧)].

قوله: نصل إلى نسائنا: كناية عن الجِمَاع.

والدَّحْمُ: النكاح والوطء ، ودَحَمَ المرأة ، يَدْحَمُها دَحْماً: نكحها.[لسان العرب(١٩٦/١٢)].

أزواجٌ مُطَهَّـــرة :

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

[البقرة :٢٥] .

قال ابن القيّم -رحمه الله تعالى -:

فتأمّلْ جلالة المُبَشِّر ومنزلته وصدقه، وعظمة مَن أرسله إليك بهذه البشارة، وقدر ما بشّرك به وضمنه لك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه في هذه البشارة بين نعيم البدن بالجِنان وما فيها مِن الأنهار والثمار، ونعيم النفس بالأزواج المُطَهَّرة، ونعيم القلب وقرّة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه. [حادي الأرواح(٢٨٣)].

وقال الله تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ

وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾

[آل عمران :١٤-١٧] .

وقال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

[النساء :٥٧].

فهذه بشارةٌ عظيمة بشّر الله تعالى بها عباده المؤمنين المتّقين فأزواجهم في الجنّة طاهرات مِن كلّ قذرٍ وخبث وآفة، سواء في ذلك ظاهرهنّ وباطنهنّ.

وقال الإمام ابن القيّم - رحمه الله تعالى -:

والُمطَهَّرة التي طُهِّرتْ مِن الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكلّ قذر وكلّ أذى يكون مِن نساء الدنيا فطُهِّر مع ذلك باطنها مِن الأخلاق السيّئة والصفات المذمومة وطُهِّر لسانها مِن الفحش والبذاء وطُهِّر طرفها مِن أن تطمح به إلى غير زوجها وطُهِّرتْ أثوابها مِن أن يعرض لها دنس أو وسخ. [حادي الأرواح(٢٨٣-٢٨٤)].

وقال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى -:

وقال الله تعالى : ﴿ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ ﴾ أي: مِن الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط لا يصدر منهنّ شيءٌ مِن ذلك وكذلك طُهِّرتْ أخلاقهنّ وأنفاسهنّ وألفاظهنّ ولباسهنّ وسجيّتهنّ [النهاية في الفتن والملاحم(٥٠٩/٢)].

وإذا كان هذا وَصْف نساء الجنّة فيا أيّها العاقل اللبيب حيّ على الجنّة بالعمل الصالح، أُبذل جهدك في طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عسى أن تنجو مِن المرهوب، وتفوز بالمرغوب.

وتأمّل قوله تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ

﴿١٤﴾ لِيُرشد تعالى عباده إلى ثواب الآخرة ويرغّبهم فيه، وليَعلموا أنّ الآخرة خيرٌ وأبقى فيتّقوا الله.

قال الإمام ابن القيّم - رحمه الله تعالى - في[عدّة الصابرين(١٦٩-١٧٠)]. بعد أن ذكر قوله تعالى -: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَاتِ ﴾ الآية: فأخبر سبحانه أنّ هذا الذي زيّن به الدنيا مِن ملاذّها وشهواتها، وما هو غاية أماني طُلابها ومُؤثريها على الآخرة، وهو سبعة أشياء: النساء اللاتي هنّ أعظم زينتها وشهواتها وأعظمها فتنة والبنين الذين بهم كمال الرجل وفخره وكرمه وعزّه والذهب والفضّة اللذَين هما مادّة الشهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها والخيل المُسَوَّمة التي هي عزّ أصحابها وفخرهم وحصونهم وآلة قهرهم لأعدائهم في طلبهم وهربهم والأنعام التي مِنها ركوبهم وطعامهم ولباسهم وأثاثهم وأمتعتهم وغير ذلك مِن مصالحه والحرث الذي هو مادّة قوتهم وقوت أنعامهم ودوابّهم وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك.

ثمّ أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّ ذلك كلّه متاع الحياة الدنيا ثمّ شوّق عباده إلى متاع الآخرة، وأعلَمهم أنّه خيرٌ مِن هذا المتاع وأبقى فقال: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران :١٥].

ثمّ ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَن يستحقّ هذا المتاع ومَن هم أهله الذين هم أولى به فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ [آل عمران :١٦-١٧]

فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنّ ما أعدّ لأوليائه المتّقين مِن متاع الآخرة خير مِن متاع الدنيا وهو نوعان: ثواب يتمتّعون به، وأكبر منه وهو رضوانه عليهم. [مُشَوِّقُ الأَزْوَاح إِلَى نِسَاءِ بِلادِ الأَفْرَاح(٤-٥)].

متحببات لأزواجهن :

عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: أنَّ رجلًا أسودَ أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ إنِّي رجلٌ أسودُ منتنُ الريحِ قبيحُ الوجهِ لا مالَ لي، فإن أنا قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا ؟ قال: «في الجنة». فقاتَل حتى قُتِلَ. فأتاه النبيُّ فقال: «قد بيَّضَ اللهُ وجهَك، وطيَّبَ ريحَك، وأكثَرَ مالَك وقال لهذا أو لغيرِه فقد رأيتُ زوجتَه من الحُورِ العِينِ نازعَتْه جُبَّةً له من صوفٍ، تدخلُ بينه وبين جُبَّتِه»[صحيح الترغيب (١٣٨١) صحيح] .

الصِّدْقُ مع اللهِ مِن أعظَمِ أنواعِ الصِّدْقِ، وإخلاصُ النِّيَّةِ له في جَميعِ الأعمالِ يَكونُ فيه الخيرُ الكثيرُ، والثَّوابُ الجزيلُ مِنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ أنسُ بنُ مالكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أنَّ رَجُلًا أتى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ، إنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ قَبيحُ الوَجْهِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ» أي: هذه صِفاتي الخُلُقيَّةُ والجَسَديَّةُ، وهي صِفاتٌ مُستَقْبَحَةٌ عندَ الناسِ، «لا مالَ لي»، أي: لا أَملِكُ مالًا يُغْنيني، والمالُ الزائدُ هو مَظِنَّةُ التَّرَفِ أو الإنْفاقُ في وُجوهِ الخَيْرِ، «فإنْ قاتلْتُ هؤلاءِ»، أي: الكُفارَ والمُشْرِكينَ «حتى أُقْتَلَ؛ أَدْخُلُ الجَنَّةَ ؟»، أي: إنْ قاتلْتُ بعدَ إسلامي مُحْتَسِبًا، فاسْتُشْهِدْتُ هل أَدْخُلُ الجنَّةَ ؟ وهذا سُؤالُ مَنْ أرادَ أنْ يَستَوْثِقَ لنَفْسِهِ، فقال له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ»، أي: إنْ قاتلْتَ وقُتِلْتَ في سَبيلِ اللهِ مُحْتَسِبًا دَخَلْتَ الجنَّةَ، «فتَقَدَّمَ فقاتَلَ حتى قُتِلَ، فأَتى عليه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مَقْتولٌ، فقال: لقد أَحْسَنَ اللهُ وَجْهَكَ، وطيَّب رُوحكَ، وكثَّر مالَكَ»، أي: أعْطاكَ هذه النِّعَمَ من جَمالِ الوَجْه، والرائحَةِ الطَّيِّبةِ، وكَثْرَةِ المالِ، جزاءً لك على الشَّهادةِ في سَبيلِهِ بصِدْقِ نِيَّةٍ؛ ولأنَّه صَدَقَ اللهَ فيما قال صادِقًا مُخلِصًا؛ فَصدَقَهُ اللهُ وأَنْجَزَ له ما تَمنّاهُ من الاسْتِشْهادِ في سَبيلِه.

قال أنسٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «وقال لهذا أو لغيْرِه»، أي: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبَر عن حالِ هذا الرَّجلِ أو حالِ رجُلٍ غيرِه في الجَنَّةِ، والشكُّ مِن أنسِ بنِ مالكٍ راوي الحديثِ: «لقد رَأَيْتُ زَوْجتيْهِ من الحُورِ العِينِ» مِن نِساءِ الجنَّةِ «يَتَنازَعانِه» تَتَجاذبانِ «جُبَّتَهُ عنه»

لخَلْعِها أو إزاحتِها عن بَعضِ جِلدِه وجَسَدِه، «تَدْخُلانِ فيما بين جِلْدِهِ وجُبَّتِهِ»، أي: تتجاذَبُ المرأتانِ مِن الحُورِ العِينِ ثِيابَه فيما بينهما وتتسابقانِ في الدُّخولِ بين ثِيابِه وجِلدِه، تحبُّبًا وتقربًا إليه، كما تتحبَّبَ الزوجاتُ إلى أزواجهنَّ وتُداعِبْنَه، والجُبَّةُ هي نوْعٌ من الثِّيابِ التي تُغطِّي الجَسَدَ كُلَّهُ.

وفي الحديثِ: حِرْصُ الصَّحابةِ على كُلِّ ما يُقرِّبُ مِن اللهِ.

خَيْـراتٌ حِسـان:

قال الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الرحمن :٧٠] .

فالخيرات جمع خَيْرة.وهي مخففة مِن خَيّرة.كسيّدة وليّنة.وحِسان جمع حسنة.فهنّ خيرات الصفات والأخلاق والشيم.حِسان الوجوه. [حادي الأرواح لابن القيّم (٢٩٠-٢٦١)].

وقال ابن القيّم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في[روضة المحبّين (٢٤٣)] :

وهي التي قد جمعتْ المَحاسن ظاهراً وباطناً، فكمل خَلْقها وخُلُقها.فهنّ خيرات الأخلاق حِسان الوجوه .

ومما يبيّن حُسنهنّ ما ورد في البخاريّ[سيأتي تخريجه] مِن حديث أنس بن مالك -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عن النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال:«لَروحةٌ في سبيل الله أو غَدوةٌ خيرٌ مِن الدنيا وما فيها.ولَقَابُ قوْسِ أحدكم مِن الجنّة أو موضع قِيدٍ يعني سَوْطَه خيرٌ مِن الدنيا وما فيها. ولو أنّ امرأةً مِن أهل الجنّة اطَّلَعَتْ إلى أهل الأرض لأضاءتْ ما بينهما ولَمَلأته ريحاً.ولَنَصِيْفهاعلى رأسها خيرٌ مِن الدنيا وما فيها».

وقد ورد ما يدلّ على أنّ نساء الجنّة يزدادون حسناً وجمالاً، ففي [صحيح مسلم(٢١٧٨)]. عن أنس بن مالك -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أنّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إنّ في الجنّة لَسُوْقاً يأتونها كلّ جمعة، فتهبّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا

حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً».[مُشَوِّقُ الأَرْوَاح إِلَى نِسَاءِ بِلادِ الأَفْرَاح(٦)].

كأمْثال اللؤلؤ المَكْنون :

قال الله تعالى: في وصفهنّ وبيان حُسْنِهنّ: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾[الواقعة :٢٢-٢٣] . أي: كأنّهنّ اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه.[تفسير ابن كثير(٤/٢٨٧)].

والمكْنون هو المَصُون المستور في صَدَفه.

قال ابن القيّم -رحمه الله تعالى - في [روضة المحبّين(٢٤٥)] :

فَخُذْ مِن اللؤلؤ صفاء لونه.وحُسْن بياضه.ونعومة مَلْمَسه. [مُشَوِّقُ الأَرْوَاح إِلَى نِسَاءِ بِلادِ الأَفْرَاح(٩)].

كأنّهنّ بَيْضٌ مَكْنون :

قال الله تعالى:﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات:٤٨- ٤٩].

شبّهَهُنّ الله تعالى بالبَيْض الذي يكنّه الريش مثل بيض النّعام الذي يحضنه الطائر ويستره بريشه مِن الريح والغبار.

وقيل في معنى« البَيْض المكْنون» إنّه بَطْن البيض وهو الذي داخل القشر.فهذا قول ثان.

وقيل إنّه اللؤلؤ.وبه شُبِّهْنَ في بياضه وصفائه.وهذا قول ثالث.

والمختار هو القول الأوّل.ورجّحه الشوكاني في (فتح القدير).وهو اختيار الآلوسي في (روح المعاني).ولم يذكر الشنقيطي في (أضواء البيان) غيره ، والله تعالى أعلم.[مُشَوِّقُ الأَرْوَاح إِلَى نِسَاءِ بِلادِ الأَفْرَاح(١٠)].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [ص:٥٢] .

وقال تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ ﴾[الرحمن :٥٦-٥٧] .

كأنّهنّ الياقوتُ والمَرجان:

قال الله تعالى في وَصْفِهِنّ : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الرحمن :٧٠] .

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى- في [حادي الأرواح(٢٨٩)] :

قال الحسن وعامّة المفسّرين: أراد صفاء الياقوت في بَياض المَرْجان.شبّهَهُنّ في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمَرجان.

وقال ابن القيّم -رحمه الله تعالى- في [روضة المحبّين(٢٤٥)]:

وخُذْ مِن الياقوت والمرجان حُسْنَ لونه في صفائه وإشرابه بيسيرٍ مِن الحُمْرة.

عَنْ عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ : قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -«أولُ زُمرةٍ يدخلون الجنةَ كأنَّ وجوهَم ضوءُ القمرِ ليلةَ البدرِ، والزمرةُ الثانيةُ على لونِ أحسنَ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ، لكلِّ واحد منهم زوجتان من الحُورِ العِينِ، على كل زوجةٍ سبعون حُلَّةً، يُرى مُخُّ ساقِها من وراءِ لحومِها وحُلَلِها؛ كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاءِ». [صحيح الترغيب (٣٧٤٥) صحيح لغيره].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَّكِئُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيهِ الْمَرْأَةُ ، فَتَقْرُبُ مِنْهُ ، فَيَنْظُرُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلاَمَ ، وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ ، وَإِنَّهُ يَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا ، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ

ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَلَيْهِنَّ التِّيجَانَ ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». [صحيح ابن حبان (٧٣٩٧)].

يُغَنِّينَ أزواجهنّ بأحسن أصوات:

وقد أخبرنا الرسول-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الحور العين في الجنان يغنين بأصوات جميلة عذبة.

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلالُ لَوْ أَنَّهُ ∴ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
أَنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وَأَنْ هِيَ حَدَّثَتْ ∴ وَدَّ الْمُحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهَرًا طُولَ الْجَنَّةِ ، حَافَّتَاهُ الْعَذَارَى، قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٌ ، وَيُغَنِّينَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى مَا يَرَوْنَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَذَّةً مِثْلَهَا » قُلْنَا: يَا أَبَا هُرَيْرَة مَا ذَاكَ الْغِنَاءُ؟ قَالَ: « إِنْ شَاءَ اللهُ التَّسْبِيحُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَالتَّقْدِيسُ ، وَثَنَاءٌ عَلَى الرَّبِّ - عَزَّ وَجَلَّ - ». [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٥١)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ« إنّ أزواج أهل الجنّة لَيُغَنِّينَ أزواجهنّ بِأحسن أصواتٍ سمعها أحَدٌ قطّ.إنّ مما يُغَنِّينَ به: نحن الخَيرات الحِسان. أزواج قومٍ كِرام.يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أعْيان.وإنّ مما يُغَنِّينَ به: نحن الخالدات فلا يَمُتْنه.نحن الآمِنات فلا يَخَفْنه.نحن المُقيمات فلا يَظْعَنَّه». [الصحيحة (٣٠٠٢)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الحُورَ في الجنةِ يُغَنِّينَ يَقُلْنَ: نحنُ الحُورُ الحِسانُ، هُدِينا لِأَزْواجٍ كِرامٍ» . [صحيح الترغيب (٣٧٥٠)].

أعَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لعِبادِه الصّالِحيَن في الجَنَّةِ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ؛ ففيها النَّعيمُ الذي لا يَنقطِعُ، ومن هذه النِّعَمِ ما وَرَدَ في هذا الحديثِ، حيث يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الحُورَ العِينَ» والحُورُ العِينُ هُنَّ نِساءُ أهلِ الجَنَّةِ، والحُورُ جَمعُ حَوراءَ، وهي: الشَّديدةُ بَياضِ العَينِ، الشَّديدةُ سَوادِها، والعَينُ جَمعُ عَيناءَ، وهي الواسعةُ العَينِ؛ فهذه النِّساءُ الجميلةُ «لَتُغنِّينَ في الجَنَّةِ»، أي: تَنشُدْنَ الأغانيَ في الجَنَّةِ،

فتقولُ«: نحن الحُورُ الحِسانُ .. خُبِئْنا لِأزَواجٍ كِرامٍ »، أي: خَلَقَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لأهلِ الطّاعةِ في الدُّنيا الذين عاشوا على طاعةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وخرَّج البَيهَقيُّ في البَعثِ والنُّشورِ عن أبي هُرَيرَةَ رضِيَ اللهُ عنه، قال: «إنَّ في الجَنَّةِ نَهَرًا طُولَ الجَنَّةِ، حافَّتاهُ العَذارى قِيامٌ مُتقابِلاتٌ، ويُغنِّينَ بأحسَنِ أصواتٍ يَسمَعُها الخَلائِقُ، حتى ما يَرَونَ أنَّ في الجَنَّةِ لَذَّةً مِثلَها، قُلنا: يا أبا هُرَيرَةَ، وما ذلك الغِناءُ؟ قال: «إنْ شاءَ اللهُ التَّسبيحُ، والتَّحميدُ، والتَّقديسُ، وثَناءٌ على الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ».

وفي الحديثِ: بيانُ النَّعيمِ الذي أعدَّه اللهُ للمُتَّقينَ في الجَنَّةِ؛ لحَثِّ النّاسِ على العَمَلِ الصالِحِ؛ للفَوزِ بنَعيمِ اللهِ وجَنَّتِه .

ما ظن سامعه بصوت أطيب ∴ الأصوات من حور الجنان حسان

نحن النواعم والخوالد خيرا ∴ ت كاملات الحسن والإحسان

لسنا نموت ولا نخاف وما لنا ∴ سخط ولا ضغن من الأضغان

طوبى لمن كن له وكذاك طو ∴ بى للذي هو حظنا لفظان

لا يموتن أبداً :

قال أبو حنيفة - رحمه الله تعالى -:

والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبدا، ولا تموت الحور العين أبدا، ولا يفنى عقاب الله وثوابه سرمدا. [الفقه الأكبر(٣٠٥)].

قوة جمالها وطيب ريحها وحسن منظرها وطيب تبعلها :

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: « لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ ، لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَطَابَ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ». [البخاري(٦١٩٩)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى-:

والمُخّ - بضمّ الميم وتشديد المعجمة: ما في داخل العظم.والمراد به وصفها بالصفاء البالغ. وأنّ ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد. [فتح الباري (٤٠١/٦)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «لِلرَّجُل مِن أهل الجنّة زوجتان مِن الحُوْر العِيْن على كلّ واحدةٍ سبعون حُلَّة يرى مُخّ ساقها مِن وراء الثياب» [أحمد (٣٤٥/٢) وإسناده صحيح].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما في الجنّة أحدٌ إلا لَهُ زوجتان.إنّه ليرى مخّ ساقها مِن وراء سبعين حُلَّة ما فيها مِن عزب». [السُنن(٩٣١)وإسناد صحيح] .

فَلَوْ أَنَّ حُورًا فِي الديَّاجِي تَبَسَّمَتْ ∴ تَجَلى دُجَى الظَّلْمَاءِ فِي الأَرْضِ نُورُهَا
وَلَوْ مُزِجَ الْمَاءُ الأُجَاجُ بِرِيقِهَا ∴ لأَصْبَحَ عَذْبًا سَلْسَبِيلاً بُحُورُهَا

يلبسن أجمل الملابس:

يَا عَاشِقًا لِلْغَوَانِي مُغْرَمًا بِهَوَى ∴ دَارِ الْغُرُورِ وَعَيْشٍ شِيبَ بِالْكَدَرِ
أَنَّ الْغَوَانِي الْحِسَانَ الْحُورَ مَسْكَنُهَا ∴ دَارُ السُّرورِ عَلَى فُرشٍ عَلَى السُّرُرِ
فِي سُنْدُس الْفُرْشِ أَقْمَارٌ عَلَى سُرُرٍ ∴ مِن الْيَواقِيتِ فِي قَصْرٍ مِن الدُّرَرِ
يُشَاهِدُ الْمُخَّ فِي السَّاقَينِ نَاظِرُهَا ∴ مِنْ فَوْقِ سَبْعِينَ مَلْبُوسًا مِن الْحِبَرِ
قَدْ طِلْنَّ شَوْقًا أَلَى أَزْوَاجِهِنَّ كَمَا ∴ يَشْتَاقُ لِلْغَائِبِ الْمَحْبُوبِ فِي السَّفَرِ

١ ـ خمارها :

عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ

فِي الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى» وَقَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[البخاري(٦٥٦٧)].

قال الإمام ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة » إلى الأرض كأنه ضمن اطلع معنى نظر أي اطلعت ناظرة إلى الأرض ويحتمل أنه يتعدى اطلع بإلى اطلع إلى إله موسى ولعلي أطلع عليه. «لملأت ما بينهما » أي بين السماء والأرض وإن لم يتقدم ذكر للسماء إلا أنه يعرف بذكر مقابلتها أعني الأرض أو ما بين الجنة والأرض «ريحاً » عرفاً طيباً. «ولأضاءت » أنوار جمالها ما بينهما «ولنصيفها » بفتح النون وكسر المهملة فمثناة تحتية ففاء الخمار على رأسها «خير من الدنيا وما فيها » أخبر عن طيب ريحها ثم عن أنوار جمالها ثم عن ظاهر ملبوسها فكيف بجمالها وباطن ملبوسها اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل. [التنوير شرح الجامع الصغير(٦٥/٩)].

قوله: «ولَنَصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها» قال في الصحاح: (النَّصيف): الخِمَار، قال النابغة:

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ∴ فَتَنَاوَلَتْه واتَّقتْنا باليدِ

أي: أمسكته بيدها. [المفاتيح شرح المصابيح(٦/٦)].

هذا النصيف خير من الدنيا وما فيها فكيف بصاحبة النصيف وجمالها وطيب ريحها وحلاوة مذاقها بل فكيف بالجنة والله أنه لا يتغافل بالدنيا عن الجنة إلا محروم. نسأل الله من فضله.

٢- الحلل:

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ على إثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضاءَةً، قُلُوبُهُمْ على قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلافَ بيْنَهُمْ ولا تَباغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتانِ، كُلُّ واحِدَةٍ منهما يُرى مُخُّ ساقِها مِن وراءِ لَحْمِها مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ، ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ، ووَقُودُ مَجامِرِهِمُ الأَلُوَّةُ - قالَ أَبُو اليَمانِ: يَعْنِي العُودَ -، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ». [البخاري (٣٢٤٦)].

يَصِفُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلَ الجنَّةِ جميعًا بالحُسنِ والجمال، وأنَّهم يتفاوَتونَ في ذلك حسَبَ درجاتِهم وأعمالِهم؛ فأوَّلُ طائفةٍ تدخُلُ الجنَّةَ كالقمرِ ليلةَ البدر، وهي ليلةُ الرّابعَ عشرَ حين تكمُلُ استدارتُه، ويتِمُّ نورُه، فيكون أكثرَ إشراقًا، وأعظَمَ حُسنًا وبهاءً. أمّا الطّائفةُ الثّانية، فإنَّها تُشبِهُ في صورتِها أقوى الكواكبِ نورًا وضياءً. أمّا صِفاتُهم النَّفسيَّة والخُلُقيَّةُ، فهم كما وصَفَهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على قَلْبِ رجُلٍ واحد، أي:في غايةِ الاجتماع والاتِّفاق، حتّى كأنَّ قلوبَهم جميعًا قلبٌ واحد، لا اختِلافَ بينهم ولا تباغُضَ، أي: إنَّ نفوسَهم صافيةٌ نقيَّة خاليةٌ مِن العداوة والبَغضاء، عامرةٌ بالحبِّ والمودَّة. لكلِّ امرئٍ منهم زوجتانِ،أي: لكلِّ واحدٍ منهم زَوجتانِ، يُرى مُخُّ ساقِها مِن وراءِ اللَّحمِ مِن الحُسن؛فهي- لِصفاء جسدِها، ورقَّة بَشَرَتِها- جِسمٌ شفّاف يَكشِفُ عمّا بداخِلِه، فيَرى النّاظرُ إليها مُخَّ عظامِ ساقِها مِن وراءِ لحمِها. يُسبِّحونَ اللهَ بُكرةً وعشيًّا، أي: في أوَّل النَّهار وآخِرِه، والمراد أنَّهم يُسبِّحونَ في وقتِهما، وإلّا فلا بُكرةَ ثَمَّةَ ولا عشيَّةَ. أمّا هذا التَّسبيحُ، فإنَّه ليس عن تكليف؛ وإنَّما يُلهَمونَه كما يُلهَمونَ النَّفَس. لا يَسقَمونَ، أي: لا يَمرَضونَ فيها، ولا يَمْتخِطونَ ولا يَبصُقونَ؛ لأنَّ اللهَ طهَّرَ أهلَ الجنَّةِ مِن هذه الأقذارِ، آنيتُهم الذَّهبُ والفِضَّة،أي: بعضُ أوانيهم فضِّيَّةٌ، وبعضُها ذهبيَّةٌ، وأمشاطُهم الذَّهبُ، أي: مِن الذَّهب الخالِص، وَقُودُ مَجامِرِهم الأَلُوَّةُ؛ يعني أنَّ بَخُورَهم الذي تتَّقدُ به مجامرُهم هو العُودُ الهنديُّ، الذي هو مِن أطيبِ الطِّيبِ وأزكى البَخور.

٣- حلة لا تقوم لها الدنيا :

عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم كأحسن كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقها من رواء لحومها وحللها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء». [صحيح الترغيب (٣٧٤٥)].

كيفية جماع الحور العين :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ ﴾[يس:٥٠].

قال العلامة صديق حسن خان رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى -: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ ﴾ لما هم فيه من اللذات التي هي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، عن الاهتمام بأمر الكفار ومصيرهم إلى النار، وإن كانوا من قراباتهم، والأولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه، لكونه أهم عنده من الكل، إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة، أو كمال المساءة والغم، والمراد هنا هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان.

وقال قتادة ومجاهد: شغلهم ذلك اليوم بافتضاض العذارى وبه قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة، وعن ابن عمر: « أن المؤمن كلما أراد زوجة وجدها عذراء « وقد روي نحوه مرفوعاً. وعن ابن عباس أيضاً قال في ضرب الأوتار، وقال أبو حاتم: هذا لعله خطأ من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار على شط الأنهار تحت الأشجار.

وقال وكيع: شغلهم بالسماع، وقال ابن كيسان بزيارة بعضهم بعضاً، وقيل: شغلهم كونهم ذلك اليوم في ضيافة الله الجبار، وقيل: شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق أو عن

أهاليهم في النار، لا يهمهم أمرهم، ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم، والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية.

وأما أن المراد به افتضاض الأبكار أو السماع أو ضرب الأوتار أو التزاور أو ضيافة الجبار كما روي كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط، بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم من تلك الأمور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان إياه. قرىء: شغل بضمتين وبضم الشين وسكون الغين وهما لغتان كما قال الفراء، وقرىء: بفتحتين وبفتح الشين وسكون الغين.

﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ وقرىء فاكهين وفكهون قال الفراء: هما لغتان كالفارة والفرة والحاذر والحذر، وقال الكسائي وأبو عبيدة: الفاكه والفاكهة مثل تامر، ولابن، والفكه والمتفكه المتنعم.

وقال قتادة: الفكهون المعجبون، وقال أبو زيد: يقال: رجل فكه إذا كان طيب النفس ضحوكاً، وقال مجاهد والضحاك كما قال قتادة، وقال السدي كما قال الكسائي، وقال ابن عباس: فاكهون فرحون. وقيل: ناعمون متلذذون في النعمة من الفكاهة وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفاكهة وفسرها زاده بطيب العيش والنشاط. [فتح البيان(٣٠٨/١١)].

أولاً: الرجل يعطى قوة عجيبة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْجِمَاعِ »، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَيُطِيقُ ذَلِكَ؟ ، قَالَ: « يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ ». [المشكاة(٥٦٣٦) صحيح].

ثانياً: يكون ذلك بعنف وقوة للذته وطيبه:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ ؟، قَالَ: « نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ

فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ ، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا ، رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا » [الصحيحة(٣٣٥١)].

(دحم) الدال والحاء والميم ليس بشيءٍ. على أنّهم يقولون: دَحَمَه، إذا دَفَعَه دفعاً شديداً. وبه سُمّي الرَّجُل دَحْمانَ ودُحَيْماً. [مقاييس اللغة(٢/٢٧٤)].

ثالثاً: لذة الجماع متصلة ليس فيها ملل:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال سُئِل رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل يمَسُّ أهلُ الجنةِ أزواجَهم قال : فقال : نعم «بذَكَرٍ لا يَمَلُّ وفرجٌ لا يحْفى وشهوةٌ لا تنقطِعُ». [السلسلة الصحيحة (١٧/١٠٦)].

رابعاً: تكون بكراً وترجع بكراً:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هَلْ نَصِلُ إِلَى نِسَائِنَا فِي الْجَنَّةِ ؟، قَالَ: « نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا إِنَّ الرَّجُلَ لَيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْرَاءَ ، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا ، رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا». [الصحيحة(٣٣٥١)].

خامساً: كثرة الجماع:

قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى -:

وقَوْلُهُ: ﴿ فِى شُغُلٍ ﴾ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا:

أحَدُها: في شُغُلٍ عَنْ هَوْلِ اليَوْمِ بِأخْذِ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنَ الثَّوابِ، فَما عِنْدَهم خَبَرٌ مِن عَذابٍ ولا حِسابٍ، وقَوْلُهُ: ﴿ فَـٰكِهُونَ ﴾ يَكُونُ مُتَمِّمًا لِبَيانِ سَلامَتِهِمْ فاللَّهُ لَوْ قالَ: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ جازَ أنْ يُقالَ هم في ﴿ شُغُلٍ ﴾ عَظِيمٍ مِنَ التَّفَكُّرِ في اليَوْمِ وأهْوالِهِ، فَإنَّ مَن يُصِيبُهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ أمْرٌ مِن أُمُورِهِ ويُخْبَرُ بِخُسْرانٍ وقَعَ في مالِهِ، يَقُولُ أنا مَشْغُولٌ عَنْ هَذا بِأهَمَّ مِنهُ، فَقالَ: ﴿ فَـٰكِهُونَ ﴾أيْ شُغِلُوا عَنْهُ بِاللَّذَّةِ والسُّرُورِ لا بِالوَيْلِ والثُّبُورِ.

وثانيها: أنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَيانًا لِحالِهِمْ ولا يُرِيدُ أنَّهم شُغِلُوا عَنْ شَيْءٍ بَلْ يَكُونُ مَعْناهُ هم في عَمَلٍ، ثُمَّ بَيَّنَ عَمَلَهم بِأنَّهُ لَيْسَ بِشاقٍّ، بَلْ هو مُلِذٌّ مَحْبُوبٌ.

وثالِثُها: في شُغُلٍ عَمّا تَوَقَّعُوهُ فَإنَّهم تَصَوَّرُوا في الدُّنْيا أُمُورًا، وقالُوا: نَحْنُ إذا دَخَلْنا الجَنَّةَ لا نَطْلُبُ إلّا كَذا وكَذا، فَرَأوْا ما لَمْ يَخْطُرْ بِبالِهِمْ فاشْتَغَلُوا بِهِ.[مفاتيح الغيب(٢٦/٢٩٤)].

وقال: وفِيهِ لَطِيفَةٌ أيْضًا، وهي أنَّ حالَ المُكَلَّفِ، إمّا أنْ يَكُونَ اخْتِلالُها بِسَبَبِ ما فِيهِ مِنَ الشُّغُلِ، وإنْ كانَ في مَكانٍ عالٍ كالقاعِدِ في حَرِّ الشَّمْسِ في البُسْتانِ المُتَنَزَّهِ، أوْ يَكُونَ بِسَبَبِ المَكانِ، وإنْ كانَ الشُّغُلُ مَطْلُوبًا كَمُلاعَبَةِ الكَواعِبِ في المَكانِ المَكْشُوفِ، وإمّا أنْ يَكُونَ بِسَبَبِ المَأْكَلِ كالمُتَفَرِّجِ في البُسْتانِ إذا أعْوَزَهُ الطَّعامُ، وإمّا بِسَبَبِ فَقْدِ الحَبِيبِ، وإلى هَذا يُشِيرُ أهْلُ القَلْبِ في شَرائِطِ السَّماعِ بِقَوْلِهِمْ: الزَّمانُ والمَكانُ والإخْوانُ فَقالَ تعالى -: ﴿ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴾ إشارَةً إلى أنَّهم لَيْسُوا في تَعَبٍ وقالَ: ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ ﴾ إشارَةً إلى عَدَمِ الوَحْدَةِ المُوحِشَةِ وقالَ: ﴿ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ إشارَةً إلى المَكانِ وقالَ: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يس: ٥٥-٥٧] ، إشارَةً إلى دَفْعِ جَمِيعِ حَوائِجِهِم. [المصدر السابق] .

قال المباركفوري - رحمه الله تعالى -:

قَالَ فِي اللَّمَعَاتِ : أَيْ قُوَّةَ جِمَاعِ كَذَا وَكَذَا مِنْ النِّسَاءِ ، فَكَذَا وَكَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عَدَدِ النِّسَاءِ كَعِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ مَثَلًا فَافْهَمْ اِنْتَهَى . وَقِيلَ كِنَايَةٌ عَنْ مَرَّاتِ الْجِمَاعِ كَعِشْرِينَ مَرَّةً أَوْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَوْ مِائَةً وَنَحْوِهَا

قوله: «أَوَيُطِيقُ ذَلِكَ »بِفَتْحِ الْوَاوِ أَيْ يُعْطَى تِلْكَ الْقُوَّةَ وَيَسْتَطِيعُ ذَلِكَ الْمِقْدَارَ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى مَضْمُونِ قَوْلِهِ كَذَا وَكَذَا مِنْ الْجِمَاعِ «يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ» أَيْ مِائَةِ رَجُلٍ . وَالْمَعْنَى فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ يُطِيقُ ذَلِكَ .[تحفة الأحوذي(٦/٣٢٧)].

قلت: المتبادر لمعنى الآية ولما ذكره الفخر أن الشغل والانشغال بالنعم الكثيرة من

صفات أهل الجنة وأنهم في شغل والذي لفت أنتباهي المعنى العظيم لهذه الآية الكريمة فقد بينت بعض أحوال أهل الجنة أنهم في ضلال خارج القصور والخيام تحت الأشجار الجميلة مع الأزواج في جلسة جميلة شهية ممتعة منشغلون بالخير الذي وهبه الله لهم مع سائر المطاعم والمشارب الذي يتخلل ذلك الجماع على تلك الحالة الجميلة والجلسة المؤنسة فلا إله إلا الله نسأل الله من فضله.

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعْطى المؤمنُ في الجنةِ قُوَّةَ مِائةٍ في النساءِ » [صحيح الجامع (٨١٠٦) صحيح] .

المبحث الثاني
أسباب نيل الحور العين

١ - الشهادة في سبيل الله :

عن المقدام بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «للشهيدِ عندَ اللهِ سبعُ خِصالٍ: يُغفَرُ لهُ في أوَّلِ دُفعةٍ من دَمِه، ويُرى مَقعدَهُ من الجنةِ، ويُحلّى حُلَّةَ الإيمانِ، ويُزوَّجُ اثنينِ وسبعينَ زوجةً من الحُورِ العينِ، ويُجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمَنُ الفزعَ الأكبرَ، ويُوضَعُ على رأسِه تاجُ الوقارِ،الياقُوتةُ مِنهُ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُشفَّعُ في سبعينَ إنْسانًا من أهلِ بيتِهِ».[صحيح الجامع (٥١٨٢) وصححه الإمام الوادعي في كتاب الشفاعة (١٤٨)].

وكان عَمّارَ بنَ ياسرٍ بصِفّينَ باليَومِ الَّذي قُتِلَ فيه وهو يُنادي: أُزلِفَتِ الجَنَّةُ، وزُوِّجَتِ الحُورُ العِينُ، اليَومَ نَلْقى حبيبَنا محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي روايةٍ: نَلقى الأَحِبَّه، محمَّدًا وحِزْبَه. عَهِدَ إليَّ أنَّ آخِرَ زادِكَ مِنَ الدُّنيا ضَيْحٌ مِن لَبَنٍ. [السلسلة الصحيحة (٣٢١٧)].

عن يزيدِ بنِ شجَرةَ قال: يا أيها الناسُ ! اذكُروا نعمةَ اللهِ عليكم، ما أحسنَ نعمةَ اللهِ عليكم، ترى من بين أخضرَ وأحمرَ وأصفرَ وفي الرِّحالِ، ما فيها. وكان يقولُ: إذا صَفَّ الناسُ للصلاةِ، وصُفُّوا للقتالِ، فُتِحَتْ أبوابُ السماءِ وأبوابِ الجنَّةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النّارِ، وزُيِّنَ الحورُ العينُ واطَّلَعْنَ، فإذا أقبلَ الرجُلُ قلنَ: اللهمَّ انصُرْه، وإذا أدْبَر احتجَبْن منه وقلنَ اللهمَّ: اغفِرْ له، فأَنهَكوا وجوهَ القومِ فداءً لكم أبي وأمي، ولا تُخزوا الحورَ العِينَ فإنَّ أولَ قطرةٍ تنضَحُ من دمِه يُكفِّرُ عنه كلُّ شيءٍ عمِلَه، وتنزلُ إليه زوجتانِ من الحورِ العِينِ يمسحانِ التُّرابَ عن وجهِه، ويقولان: قد آنَ لك، ويقول: قد آن لكما. ثم يُكسى مئةَ حُلَّةٍ، ليس من نسيجِ بني آدمَ، ولكن من نبْتِ الجنَّةِ، لو وُضِعْنَ بين إصبِعَينِ لوَسِعْنَ. وكان يقول: نُبِّئتُ

أنَّ السيوفَ مفاتيحُ الجنَّةِ.[صحيح الترغيب (١٣٧٧) صحيح] .

٢- كتم الغيظ :

عن معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كتَمَ غيظًا، وهو قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ، دعاه اللهُ على رؤوسِ الخلائِقِ، حتّى يخيِّرَهُ مِنَ الحورِ العينِ يُزَوِّجُهُ منها ما يشاءُ». [صحيح الجامع (٦٥١٨) صحيح].

أثْنى **الله** تعالى على الكاظِمينَ الغيظَ والعافِين عِن النّاسِ، وأحبَّهم بإحسانِهم، وفي هذا الحَديثِ يُبيِّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضْلَ مَن يكْظِم غيظَه فيقول: «مَن كظَم غيظًا » أيْ: احتملَ الغضبَ في نفسِه وأمسَك عليه ولَم يُخرِجْه، «وهُو قادِرٌ على أن يُنْفِذه »أيْ: وهو قادِرٌ على أن يَنتَصِر لنفسِه، وإمضاءِ غضبِه، «دعاه الله عَزَّوَجَلَّ على رُؤوس الخَلائِق يومَ القيامةِ » أيْ: تباهى اللهُ به يومَ القيامةِ، وشهَرَه بيْن النّاسِ بأنَّه صاحِبُ هذه الخَصْلَةِ العظيمةِ؛ وذلك لأنَّه قهَر النفسَ الأمّارةَ بالسُّوءِ، وتغلَّب عليها، وتجرَّع مرارَةَ الصَّبرِ في ذاتِ الله، «حتّى يُخَيِّرَه الله مِن الحُورِ ما شاءَ » أي: حتّى يُدْخِلَه الجَنَّة، ويأْخُذَ ما أَعْجبَه مِن نِساءِ أهلِ الجَنَّةِ، وفي هذا مِن الرِّفْعة والمَكانَة ما لا يعلمُه إلا اللهُ.

الملحق

المسألة الأولى: زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الآخرة إذا كانت مؤمنة:

إذا دخل المؤمن الجنة، فإن كانت زوجته صالحة، فإنها تكون زوجته في الجنة أيضاً: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ﴾[الرعد:٢٣]،وهم في الجنات مُنعمون مع الأزواج، يتكئون في ظلال الجنة مسرورين فرحين ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يس:٥٥-٥٦] .

المسألة الثانية: المرأة لآخر أزواجها:

عن أبي الدرداء -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « المرأة في آخر أزواجها، أو قال: لآخر أزواجها »[السلسلة الصحيحة(١٢٨١) صحيح الجامع (٦٦٩١)].

وعن حذيفة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال لزوجته: « إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا » [قال شعيب الأرناؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٨) رجاله ثقات].

فلذلك حرم الله على أزواج النبي-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن ينكحن من بعده، لأنهن أزواجه في الآخرة.

والمرأة لا تخرج عن هذه الحالات في الدنيا فهي:

١ - إما أن تموت قبل أن تتزوج.

٢ - وإما أن تموت بعد طلاقها قبل أن تتزوج من آخر.

٣ - وإما أن تكون متزوجة ولكن لا يدخل زوجها معها الجنة - والعياذ بالله -.

٤ - وإما أن تموت بعد زواجها.

٥ - وإما أن يموت زوجها وتبقى بعده بلا زوج حتى تموت.

٦ - وإما أن يموت زوجها فتتزوج بعده غيره.

هذه حالات المرأة في الدنيا ولكل حالة ما يقابلها في الجنة:

١ - فأما المرأة التي ماتت قبل أن تتزوج فهذه يزوجها الله - D - في الجنة من رجل من أهل الدنيا لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما في الجنة أعزب» [مسلم(٢٨٣٤)].

قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله تعالى-:

إذا لم تتزوج - أي المرأة - في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر بها عينها في الجنة .. فالنعيم في الجنة ليس مقصورا على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج.

٢ - ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة.

٣ - ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة.

وقال الشيخ ابن عثيمين-رحمه **الله** تعالى -: فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال. أي فيتزوجها أحدهم.

٤ - وأما المرأة التي ماتت بعد زواجها فهي - في الجنة - لزوجها الذي ماتت عنه.

٥ - وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهي زوجة له في الجنة.

٦ - وأما المرأة التي مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما كثروا لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : المرأة لآخر أزواجها.

المسألة الثالثة: ورد في الدعاء للجنازة أننا نقول «وأبدلها زوجا خيرا من زوجها» فإذا كانت متزوجة .. فكيف ندعوا لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها في الدنيا هو زوجها في الجنة وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها؟! .

والجواب:

إن كانت غير متزوجة فالمراد خيرا من زوجها المقدر لها لو بقيت وأما إذا كانت متزوجة فالمراد بكونه خيرا من زوجها أي خيرا منه في الصفات في الدنيا لأن التبديل يكون بتبديل الأعيان كما لو بعت شاة ببعير مثلا ويكون بتبديل الأوصاف كما لو قلت بدل الله كفر هذا الرجل بإيمان وكما في قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[إبراهيم:٤٨] ، والأرض هي الأرض ولكنها مدت والسماء هي السماء لكنها انشقت وتغيرت.

المسألة الرابعة: أفضل نساء أهل الجنة:

عن ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا - قال: قال: رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ -: «أفضلُ نِساءِ أَهْلِ الجَنّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وفاطِمَةُ بِنْتُ محمَّدٍ ومَرْيمُ بِنْتُ عِمْرانَ وآسيَةُ بِنْتُ مُزاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» [صحيح الجامع(١١٣٥)].

قال العلامة المناوي -رحمه الله تعالى -:

قوله: «أفضل نساء أهل الجنة » ذكربأن هؤلاء الأربع أفضل حتى من الحور العين ولو قال النساء لتوهم أن المراد نساء الدنيا فقط «خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ »، «ومريم بنت عمران » الصديقة بنص القرآن «وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » والثانية والثالثة أفضل من الأولى والرابعة والأولى أفضل من الأخيرة وفي الثانية والثالثة خلاف مشهور فرجح البعض تفضيل فاطمة لما فيها من البضعة الشريفة وبعضهم مريم لما قيل بنبوتها ولأنه تعالى ذكرها مع الأنبياء في القرآن .

قال القرطبي: ظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة عليها ويؤيده أنها صديقة ونبية بلغتها الملائكة الوحي من الله بالتكليف والأخبار والبشارة وغيرها كما بلغت جميع الأنبياء قال فهي نبية خلافا لبعضهم وحينئذ فهي أفضل من فاطمة لأن النبي أفضل من الولي.

قال ابن حجر في الفتح هذا نص صريح في تفضيل خديجة على عائشة لا يحتمل التأويل.

وسئل السبكي هل قال أحد إن أحدا من نساء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير خديجة وعائشة أفضل من فاطمة فقال قال به من لا يعتد بقوله وهو ابن حزم فضل نساءه على جميع الصحابة لأنهن في درجته في الجنة قال وهو قول ساقط مردود قال ونساؤه بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل. [فتح القدير(٥٣/٢)].

قلت: لا شك أن هؤلاء الأربع أفضل نساء أهل الجنة بدليل الحديث على اختلاف أيهن أفضل وليس بصحيح أن مريم عليها السلام بنبيه فلا نبوة في النساء ولا نبوة لكل من نزل عليه جبريل وكلمه لأنه إنما بشرها بالولد لاغير ولم يوحي إليها بشرع أو دين أو أمرت بتبليغ حكم شرعي وعليه لا يصح حمل هذا على النبوة والله تعالى أعلم.

وقد أوحى الله إلى إبراهيم وامرأته معه وبشرته الملائكة وامرأته قائمة فضحكة وهل هذا يقتضي رسالتها والبشارة لهما جميعا وجملة هذا القول وتفصيله وهو نبوة مريم مردود بأدلة أقوى وأصرح من دليل من استدل برسالتها.

المسألة الخامسة: لماذا لم يكن أهل الجنة مختونين:

أخرج [البخاري(٦٥٢٦)]. من حديث ابن عباس-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -مرفوعاً: «إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلاً يوم القيامة» والأغرل: هو الأقلف التي لم تُقطع غُرلته أو قلفته أو جلدته.

وعندهما برواية أخرى : « يا أيها الناس! إنكم تُحشرون إلى الله حفاة عراة غُرلاً: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤]»

وذكر الحديث.وعند [مسلم من حديث عائشة (٦٥٢٧)]. بنحوه.

قال النووي رحمه الله تعالى -:

الغرل -بضم الغين وإسكان الراء- معناه: غير مختونين، جمع أغرل، وهو الذي لم يُختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته، وهي الجلدة التي لم تُقطع في الختان.

والمقصود: أنهم يُحشرون كما خُلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء، أي: أنه ليس لهم زيادة ولا نقصان، حتى الغرلة تكون معه. [شرح مسلم(١٩٣/١٧)].

إنما شُرع الختان في الدنيا لتكميل الطهارة والتنزّه من البول، وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون.

إذاً: هناك ضرورة في الدنيا ليست في الآخرة.

إذاً: قطعت القلفة للضرورة فضلاً عن ورود النص؛ ولعدم احتباس البول والمني في القلفة وفي فرج المرأة، فليس هناك نجاسة تُصيب الغرلة فيحتاج إلى التحرج منها، كما أن القلفة لا تمنع لذة الجماع، هذا إن قُدّر استمرارهم على الحالة التي هم عليها، فلا يبعد أن يتغير داخل الجنة على غير هذه الهيئة التي نعلمها، والعلم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

المسألة السادسة: يُعطى المؤمن في الجنة قوة مائة رجل:

عن أنس-رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قال: « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا من الجماع ». قيل: يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟ قال: « يعطى قوة مائة رجل ». [صحيح الترمذي (٢٥٣٦)].

الدُّنيا بما فيها عرَضٌ زائلٌ، والنَّعيمُ الكاملُ والدائمُ في الآخِرَةِ؛ فاللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُجزِلُ العَطاءَ والمثوبةَ لعِبادِه الطّائعين في الجنَّةِ، ويُعطيهم اللهُ مِن الجَمالِ والقوَّةِ ما يتَلذَّذون به بالنَّعيمِ أضعافًا مُضاعَفةً، ولا وجْهَ للمقارَنةِ بينَ نَعيمِ الدُّنيا ونعيمِ الآخِرَةِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يُعطى المؤمِنُ في الجنَّةِ قوَّةَ كذا وكذا مِن الجِماعِ» وفي هذا كنايةٌ عن كَثْرةِ عَددِ النِّساءِ الَّتي يجامِعُها، وقيل: هو كنايةٌ عن عددِ مرّاتِ الجِماعِ؛ وذلكلأنَّه لَمّا كانتِ النِّساءُ مِن أضرِّ الفِتنِ على الرِّجالِ في الدُّنيا، جعَل اللهُ لِمَن يتَّقيها في الدُّنيا ما يُقابِلُها في الجنَّةِ مِن الأجرِ والثَّوابِ عِوَضًا عنها؛ حيثُ جعَلَ له مِن الحُورِ العِينِ ومِن جمالِها ما لا يُضاهيه في نِساءِ الدُّنيا وأعطاه هذه القُوَّةَ العظيمةَ؛ ليتمتَّعَ المتعةَ الكاملةَ.

«قيل»، أي: مِن بعضِ الصَّحابةِ: «يا رسولَ اللهِ، أوَيُطِيقُ ذلك؟» أي: هل سيَقدِرُ على هذا القدْرِ مِن الجِماعِ؟! وذلك تَعجُّبًا منهم على ما قارَنوه بما يَقدِرُ عليه الإنسانُ في الدُّنيا وما يُصيبُه مِن فُتُورٍ، فقال النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يُعطى قوَّةَ مئةٍ»، أي: إنَّ بِنْيَتَه الجِسميَّةَ في الجنَّةِ تكونُ في قوَّةِ مِئةِ رجُلٍ مِن أهلِ الدُّنيا، فإذا كان له تِلك القوَّةُ في الجنَّةِ كان له ما يقابِلُها مِن جِماعٍ، ولا فُتورَ في الجنَّةِ.

المسألة السابعة: هل تتزوج المرأة في الجنة أكثر من رجل؟

إن الله تعالى وصف أهل الجنة ﴿ طِبْتُمْ ﴾ فلا يدخل الجنة إلا من أصبح طيبا والنفس الطيبة لاتميلأاو ترغب بالشذوذ فلا يشتهي أهل الجنة إلا الطيب بالفطرة السليمة وعليه فلا يطلبون الشذوذ -والعياذ بالله- وعلى ضوء ذلك يقال إن فطرة المرأةأن تكون لرجل واحد وهو نعيمها والتعدد شقاءوخلاف متطلبات النفس الطيبة ففي الجنة يكون نعيم المرأة كذلك برجل واحد ومما يؤكد هذا الفهم أن من تتزوج أكثر من واحد بين النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها تكون في الجنة لأحدهم ومن المهم التوضيح بأن النعيم والسعادة لا تتوقف على العدد بل هي منحة من الله والله تعالى قادر على أن يكرم المؤمنات الصالحات بأنواع الكرم تعويضا ومقابلة لجانب الحورالعين للرجال فقدرة الله أكبر مما نتصور وفي الجنة ما لاخطر على قلب بشر.

وختاما فالحكمة الاهتمام والسعي لدخول الجنة ونيل عالي الدرجات فيها أما تفاصيل النعيم فكرم الله أكبر مما نتصور ومن هنا وصف نعيم الجنة أنه ما لاعين رات و لاأذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر لأنها ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[فصلت:٣٢] ، والقرآن صور جانبا وعرض لقطات من نعيمها تشويقا ليهون بذل كل شيء مقابلها.

قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله تعالى -:

إنما ذكر - أي الله عَزَّوَجَلَّ - الزوجات للأزواج لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج .. بل لهن أزواج من بني آدم. [مجموع الفتاوى(٥٣/٢)].

المسألة الثامنة: غيرة الحور العين على أزواجهنّ في الدنيا:

أخبرنا الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن الحور العين يغرن على أزواجهن في الدنيا إذا آذى الواحد زوجته في الدنيا ففي سُنن الترمذي بإسناد صحيح عن معاذ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو دخيل عندك، يوشك أن يفارقك إلينا ». [صحيح الترمذي (١١٧٤)].

كان النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائمًا ما يُحذِّرُ النِّساءَ مِنْ إغضابِهِنَّ لأزوجِهِنَّ بما لَهُنَّ في الآخِرةِ مِنْ عقابٍ على كُفرانِهِنَّ للعشيرِ، أو لَعْنِ الملائكةِ لعاصيةِ زَوْجِها، وما للرَّجُلِ في الجَنَّةِ مِنَ الحُورِ العِينِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تُؤذِي امرأةٌ زَوجَها في الدُّنيا»، أي: تتسبَّبُ أو تُصيبُ زوجَها المؤمنَ بشرٍّ، بقولٍ أو فعلٍ يَنهى عنه الشَّرعُ، «إلّا قالت زوجتُه»، أي: مِن أهلِ الجنَّةِ، وهي «مِن الحُورِ العِينِ»، والحَوْراءُ هي شديدةُ بياضِ العَيْنِ، والعِينُ- بالكَسرِ- هي واسعةُ العَيْنِ: «لا تُؤذيه، قاتَلَكِ اللهُ»، أي: عاداكِ أو قتَلَكِ أو لعَنَكِ، وهي غالبًا كلمةٌ تُستخدَمُ على اللِّسانِ ولا يُرادُ حَقيقةُ معناها، كـ«ثَكِلَتْك أُمُّك» ونحوِ ذلك، «فإنَّما هو عندَكِ دخيلٌ»، أي: ضيفٌ غريبٌ نَزيلٌ عندَكِ، «يُوشِكُ أن يفارِقَكِ

إلينا»، أي: قريبًا يتركُكِ ويدخُلُ الجنَّةَ فيكونُ معنا.

وفي الحديثِ: التَّرهيبُ الشَّديدُ مِنْ إيذاءِ الزَّوجةِ لزَوْجها.

وفيه: دَلالةٌ على أنَّ الملَأَ الأعلى يَطَّلِعونَ على أعمالِ أَهْلِ الدُّنيا.

وفيه: غَيرةُ الحُورِ العِينِ على أزْواجِهِنَّ في الدُّنيا.

المسألة التاسعة: فرح الحور العين بنجاة المؤمن من النار:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلًا رجلٌ صرف اللهُ وجهَه عن النارِ قبلَ الجنةِ، ومَثَّلَ له شجرةً ذاتَ ظِلٍّ، فقال: أيْ ربِّ قدِّمْني إلى هذه الشجرةِ فأكونُ في ظلِّها، فقال اللهُ: هل عسيتَ أنْ تسألَني غيرَه؟ قال: لا وعزَّتِك، فقدَّمَه اللهُ إليها، ومَثَّلَ له شجرةً ذاتَ ظِلٍّ وثمرٍ، فقال: أيْ ربِّ قدِّمْني إلى هذه الشجرةِ فأكونُ في ظلِّها، وآكلُ من ثمرِها، فقال اللهُ: هل عسيتَ إن أعطيتُك ذلك أن تسألَني غيرَه؟ فيقولُ: لا وعزَّتِك، فيُقدِّمُه اللهُ إليها فيُمثِّلُ اللهُ له شجرةً أخرى ذاتَ ظِلٍّ وثمرٍ وماءٍ، فيقول: أيْ ربِّ قدِّمْني إلى هذه الشجرةِ فأكونُ في ظلِّها، وآكلُ من ثمرِها، فقال اللهُ: هل عسيتَ إن أعطيتُك ذلك أن تسألَني غيرَه؟ فيقولُ: لا وعزَّتِك لا أسألُك غيرَه، فيُقدِّمُه اللهُ إليها، فيبرزُ له بابُ الجنةِ، فيقولُ: أيْ ربِّ قدِّمْني إلى بابِ الجنةِ فأكونُ تحتَ سِجافِ الجنةِ فأرى أهلَها، فيقدِّمُه اللهُ إليها فيرى الجنةَ وما فيها، فيقولُ: أيْ ربِّ أدخلْني الجنةَ، فيدخلُ الجنةَ، فإذا دخل الجنةَ قال: هذا لي؟ فيقولُ اللهُ له تَمَنَّ: فيتمنى، ويذكِّره اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَلْ من كذا وكذا حتى إذا انقطعتْ به الأمانيُّ، قال اللهُ: هو لك وعشرةَ أمثالِه، ثم يُدخلُه اللهُ الجنةَ، فيُدْخِلُ عليه زوجتاه من الحورِ العينِ؛ فيقولان: الحمدُ للهِ الذي أحياك لنا، وأحيانا لك. فيقولُ: ما أُعطِيَ أحدٌ مثلَ ما أُعطيتُ. وأدنى أهلِ النارِ عذابًا ينْعلُ من نارٍ بنعلينِ يغْلي دماغُه من حرارةِ نعْلَيْه» [صحيح الجامع (١٥٥٧) صحيح].

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعوا لي النَّجديَّ، فوالذي نفسي بيدِه إنه لمن ملوكِ الجنةِ. قال: فلقوا العدوَّ، فاستُشْهِد، فأُخبِرَ بذلك النبيُّ، فأتاه فقعد عند رأسِه مُستبشرًا - أو قال: مسرورًا - يضحكُ، ثم أعرض عنه. فقلنا: يا رسولَ اللهِ ! رأيناك مُستبشِرًا، تضحكُ، ثم أعرضتَ عنه؟ فقال: أما مارأيتُم من استبْشاري - أو قال من سُروري - فلما رأيتُ من كرامةِ رُوحِه على اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وأما إعراضي عنه؛ فإنَّ زوجتَه من الحورِ العِينِ الآنَ عند رأسِه ». [صحيح الترغيب (١٣٨٢) حسن] .

المسألة العاشرة: هل النساء أكثر في الجنة أم في النار؟:

فاختلف العلماء - لأجل هذا - في التوفيق بين الأحاديث السابقة: أي هل النساء أكثر في الجنة أم في النار؟.

فقال بعضهم: بأن النساء يكن أكثر أهل الجنة وكذلك أكثر أهل النار لكثرتهن. قال القاضي عياض: النساء أكثر ولد آدم.

وقال بعضهم: بأن النساء أكثر أهل النار للأحاديث السابقة. وأنهن - أيضاً - أكثر أهل الجنة إذا جمعن مع الحور العين فيكون الجميع أكثر من الرجال في الجنة.

وقال آخرون: بل هن أكثر أهل النار في بداية الأمر ثم يكن أكثر أهل الجنة بعد أن يخرجن من النار - أي المسلمات -.

قال القرطبي -رحمه الله تعالى -تعليقا على قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأيتكن أكثر أهل النار» يحتمل أن يكون هذا في وقت كون النساء في النار وأما بعد خروجهن في الشفاعة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال: لا إله إلا الله فالنساء في الجنة أكثر. [التذكرة(٣٦١)].

الحاصل: أن تحرص المرأة أن لا تكون من أهل النار.

المسألة الحادية عشر: الحكمة من وعد الله للرجال بالحور العين في الجنة وعدم وعد النساء بالرجال:

الحكمة في ذلك والله أعلم أن الرجال هم القوامون على النساء، وأنهم إذا وعدوا بهذه الأشياء صار هذا أقرب إلى نشاطهم في طلب الآخرة، وحرصهم على طلب الآخرة، وعدم ركونهم إلى الدنيا الركون الذي يحول بينهم وبين المسابقة إلى الخيرات، والنساء تابعات للرجال في الأغلب، فإذا رزق الرجل الحور العين في الجنة مع ما وعد الله به النساء المؤمنات من الخير العظيم، والدرجات العالية في الجنة، فلهن من الأجر ما يجعلهن زوجات للخيرين من الرجال في الجنة، والرجل يعطى زيادة من الحور العين، وليس في الجنة أذى ولا منافسة ولا ضرة، كما يفعل الضرات في الدنيا.[موقع العلامة ابن باز] .

وقال العلامة العثيمين -رحمه الله تعالى -:

ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس، فهو حاصل في الجنة لأهل الجنة ذكورا كانوا أم إناثا، فالمرأة يزوجها الله - عَزَّوَجَلَّ - في الجنة بزوجها الذي كان زوجا لها في الدنيا، كما قال الله - عَزَّوَجَلَّ - : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر:٨] [مجموع الفتاوى(٢/٥٢)].

وقال: إنما ذكر الزوجات للأزواج؛ لأن الزوج هو الطالب، وهو الراغب في المرأة؛ فلذلك ذكرت الزوجات للرجال في الجنة، وسكت عن الأزواج للنساء، ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج، بل لهن أزواج من بني آدم. [المصدر السابق] .

المسألة الثانية عشر: صفات نساء الجنة من أهل الدنيا :

عن كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ برجالِكم مِنْ أهلِ الجنةِ؟ النبيُّ في الجنةِ، والشهيدُ في الجنةِ، والصِّدِّيقُ في الجنةِ والمولودُ في الجنةِ،

والرجلُ يزورُ أخاه في ناحيةِ المصرِ في اللهِ في الجنةِ. ألا أُخْبِرُكُمْ بنسائِكم مِنْ أهلِ الجنةِ؟ الودودُ الولودُ، العؤودُ؛ التي إذا ظُلِمَتْ قالت: هذه يدي في يدِكَ، لا أذوقُ غُمْضًا حتى تَرْضى». [صحيح الجامع (٢٦٠٤) حسن].

المسألة الثالثة عشر: من كانت له نساء في الجنة:

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دخلْتُ الجنةَ فاسْتَقْبلَتْني جارِيَةٌ شابَّةٌ، فقُلْتُ: لِمَنْ أنْتِ؟ قالتْ: أنا لِزَيْدِ بنِ حارِثَة». [السلسلة الصحيحة (١٨٥٩)].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «رأيتني دخلتُ الجنةَ، فإذا أنا بالرُّميصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعْتُ خشْفًا مِنْ أمامي، فقلْتُ: مَنْ هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصْرًا أبيضَ بفنائِهِ جاريةً، فقلْتُ: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لعُمَرِ بنِ الخطابِ فأردتُّ أنْ أدخلَهُ فأنظرَ إليه، فذكَرْتُ غَيْرَتَكَ». [صحيح الجامع (٣٤٧٨)].

المسألة الرابعة عشر: شوق الصالحين للحور العين:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

والصالحون في هذه الدار بعدما علموا بما جاء في كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنهن ، يكونون في أشد الشوق والحب لهن مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعة مولاهم وأن يُقِر أعينهم بهنّ .

قال ربيعة بن كلثوم رحمه الله تعالى -:

نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : يا معشر الشباب أَما تشتاقون إلى الحور العين ؟ .

وقال لي ابن أبي الحواري -رحمه الله تعالى -: حدثني الحضرميُ قال رحمه الله تعالى -:

نمت أنا وأبو حمزة على سطح، فجعلتُ أنظر اليه يتقلب على فراشه إلى الصباح، فقلت يا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال إني لمّا اضطجعتُ تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها وقد مس جلدي، قال: فحدثت به أبا سلمان فقال: هذا رجلٌ كان مشتاقاً.

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار -رحمهم الله تعالى -:

يا أبا يحيى شوّقنا، قال: يا عطاء: إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها، لولا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا، لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين يوماً. [ذكره القرطبي في التذكرة (ص٥٥٦)].

فعلى المؤمن إذا أراد هذا النعيم من الجنّة أن يجتهد في طاعة الله ويحافظ على دينه فإن سلعة الله غالية.

المسألة الخامسة عشر: أيهما أجمل الحور العين أم نساء الدنيا؟:

قال القرطبي - رحمه الله تعالى -:

واختلف أيهما أكثر حسنًا وأبهر جمالاً: الحور أو الآدميات؟ فقيل:الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسنَّة ولقوله-عليه الصلاة والسلام- في دعائه على الميت في الجنازة: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا ، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ». [مسلم(٢٢٧٦)].

وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف ...ثم ذكر قول حبان بن أبي جبلة : إن نساء الدنيا من دخل منهنّ الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا. [تفسير القرطبي: (١٤٣/١٧)].

الباب الحادي والعشرون

درجات الجنة

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

درجاتها مائة وما بين اثنتيـ ∴ ـن فذاك في التحقيق للحسبان
مثل الذي بين السماء وبين هذي ∴ الأرض قول الصادق والبرهان
لكن عاليها هو الفردوس مسـ ∴ ـقوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كا ∴ نت قبة من أحسن البنيان
منه تفجر سائر الأنهار فالـ ∴ ـينبوع منه نازل بجنان

المبحث الأول

درجات الجنة

قال الله عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣ ﴾ [آل عمران:١٦٢-١٦٣] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى -: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ ﴾ قال الزجاج: معناه: هم ذوو درجات. وفي معنى درجات قولان:

أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتيبة.

وفيمن عنى بهذا الكلام قولان:

أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل. [زاد المسير(١/٣٤٣)].

قال ابن كثير- رحمه الله تعالى -:

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: يَعْنِي: أَهْلُ الْخَيْرِ وَأَهْلُ الشَّرِّ دَرَجَاتٌ، وَقَالَ

أَبُو عبيدةَ وَالْكِسَائِيُّ: مَنَازِلُ، يَعْنِي: مُتَفَاوِتُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَدَرَكَاتِهِمْ فِي النَّارِ، كَمَا قَالَ تعالى -: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ ﴾ [الأنعام :١٣٢] الْآيَةَ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران :١٣٢] أَيْ: وسيُوفيهم إِيَّاهَا، لَا يَظْلِمُهُمْ خَيْرًا وَلَا يَزِيدُهُمْ شَرًّا، بَلْ يُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ. [تفسير ابن كثير(١٥٨/٢)].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الإسراء :٢١] .

قال الإمام السعدي- رحمه الله تعالى -:

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ في الدنيا بسعة الأرزاق وقلتها، واليسر والعسر والعلم والجهل والعقل والسفه وغير ذلك من الأمور التي فضل الله العباد بعضهم على بعض بها.

﴿ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ فلا نسبة لنعيم الدنيا ولذاتها إلى الآخرة بوجه من الوجوه.

فكم بين من هو في الغرف العاليات واللذات المتنوعات والسرور والخيرات والأفراح ممن هو يتقلب في الجحيم ويعذب بالعذاب الأليم، وقد حل عليه سخط الرب الرحيم وكل من الدارين بين أهلها من التفاوت ما لا يمكن أحدا عده. [تيسير العزيز الكريم(٤٥٥)].

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو من المغرب لِتَفَاضُلِ ما بينهم». قالوا: يا رسولالله! تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذي نفسي بيده رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين»[البخاري(٣٢٥٦) مسلم(٢٨٣١)].

قال المناوي- رحمه الله تعالى -:

«إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون» أنتم يا أهل الدنيا فيها. «الكوكب الدري» نسبة إلى الدر لصفاء لونه وخلوص نوره.

«الغابر» بموحدة من الغبور أي الباقي في الأفق وهو من الأضداد ويقال للماضي وللباقي غابر والمراد الباقي بعد انتشار الفجر وحينئذ يرى أضوأ وفي الموطأ بالهمز بدل الموحدة من الغبور وهو السقوط والذهاب يعني الذاهب الذي قد تدلى للغروب ودنا منه وانحط إلى الجانب الغربي وفي الترمذي الغارب بتقديم الراء على الموحدة وفي التمثيل به دون بقية الكواكب المسامتة للرس وهي أعلى فائدتان:

إحداهما بعده عن العيون. والثانية أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وإن لم تسامت العُليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ذكره ابن القيم.

وبه يعرف أن ما زعمه التوربشتي من أن رواية الهمز تصحيف لما فيها من الركاكة لأن الساقط في الأفق لا يراه إلا بعض الناس وما الجنة يراه جميع أهلها غفلة عن هذا التوجيه الوجيه ومما يصرح برده خبر أحمد إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في الدرجات فقوله الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غاربا وبكونه طالعا وقد صرح في هذا خبر ابن المبارك عن أبي هريرة: إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات في رواية لمسلم من الأفق متعلق بمحذوف أي قريبه أو هو بيان للمحل الذي يقر فيه الكوكب والأفق بضمتين أو بضم فسكون كعسر وعسر كما في الصحاح وغيره.

فمن اقتصر على الأول كالمصباح لم يصب الناحية من السماء أو الأرض والأول هو المراد هنا

«من المشرق والمغرب» شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي

الكوكب المضيء في جانب الشرق والغرب في الإضاءة مع البعد «لتفاضل ما بينهم» يعني يرى أهل الغرف كذلك لتزايد درجاتهم على من عداهم وإنما قال من المشرق أو المغرب ولم يقل في السماء أي في كبدها لأنه لو قيل في السماء كان القصد الأولى بيان الرفعة ويلزم منه البعد وفي ذكر المشرق والمغرب القصد الأول منه البعد ويلزم منه الرفعة وفيه سمت من معنى التقصير بخلاف الأول فإن فيه نوع اعتذار. [فيض القدير(٢/٤٣٤)].

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف :١٩] .

قوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: منازل ومراتب بحسب ما اكتسبوه من إيمان وكفر، فيتفاضل أهل الجنة في الكرامة وأهل النار في العذاب، فإن درجات الجنة تذهب علواً، كلما ارتفعت تكون أعلى، ودركات النار تذهب إلى أسفل، فالجنة درجات كما أن النار دركات.

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ أي: مراتب من جزاء ما عملوا من صالح وسيئ، ﴿ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي: جزاءها، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، بنقص ثواب ولا زيادة عقاب.

المبحث الثاني

ارتفاع تلك الدرجات

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقكم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق -أي: الكوكب المضيء الذاهب بعيدًا في السماء من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم- قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين». [البخاري(٣٢٥٦) مسلم(٢٨٣١)].

قال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «إن أهل الجنّة» أي الذين ليسوا من سكان أعلاها كما يفيده سياقه وما يأتي فهو من العام الذي يراد به الخاص. «ليتراءون أهل الغرف في الجنّة»جمع غرفة في«القاموس» هي العلية والمراد بهم أهل الدرجات العلى من فوقهم.

وقوله: «إن أهل الجنّة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري» شديد الإنارة كأنه نسب إلى الدر نسبتها بصفائه، وقال الفراء: الكوكب الدري عند العرب هو العظيم المقدار وقيل هو أحد الكواكب الخمسة السيارة.

قوله: «الغابر» المراد به الذاهب في السماء المرتفع فيها جمع له بين الوصفين أفاده كونه جمع بين الإنارة الشديدة والارتفاع كذلك أهل الغرف اجتمع لهم السمو والظهور الكامل «من الشرق أو الغرب»، بيان محلالكواكب «لتفاضل ما بينهم» علة الارتفاع. [التنوير شرح الجامع الصغير(٥٩٢/٣)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ: فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، قَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». [سُنن النسائي(٣١٣١) قال الألباني: صحيح] .

المبحث الثالث

سعة درجات الجنة

قال الله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾[الحديد:٢١] .

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران :١٣٣-١٣٦].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا» فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى

أَكُونَ أَنَا دُونَهُ» فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ» قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ » قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا» فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِل. [مسلم (١٩٠١)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، لَوْ أَنَّ العَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ». [الترمذي(٢٥٣٢) قال الألباني: ضعيف].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

«إن فِي الْجنَّة مائَة دَرَجَة» يَعْنِي دَرَجَات كَثِيرَة جدا ومنازل عالية شامخة فَالْمُرَاد التكثير لَا التَّحْدِيد «لَو أَن الْعَالمين» بِفَتْح اللَّام أَي جَمِيع الْخلق «اجْتمعُوا» جَمِيعًا «فِي احداهن لوسعتهم» لسعتها المفرطة الَّتِي لَا يعلمهَا إِلَّا الله تَعَالَى. [التيسير بشرح الجامع الصغير(١/٣٢٥)].

المبحث الرابع

أعلى الجنان الفردوس وأعلى المنازل الوسيلة

١ - الوسيلة :

وأعلى درجات الجنة الوسيلة، لا ينالها إلا رجل واحد وهو نبينا عليه الصلاة والسلام.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ؛ فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله ليَ الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد ا لله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة» [مسلم(٣٨٤)].

وسُمّيت درجة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الوسيلة؛ لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله تعالى.

٢ - الفردوس:

جنّة الفردوس يحظى بها من آمن بالله تعالى وبكل ما أنزله على عباده في الحياة الدنيا، فالإنسان الذي أدّى الطاعات والعبادات التي أمر بها، سيحظى بجنّة الفردوس، أمّا الإنسان الذي أضاع حياته هدراً وهباءً منثورة في سبيل القيام باللهو والترف وارتكاب المعاصي والنواهي التي نهى عنها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقد خسر حياته الأبدية السعيدة والتي تكون بالفوز بجنان الفردوس. جنّة الفردوس ليس جنّة واحدة، بل هناك أكثر من جنّة كجنّة الفردوس الأعلى وجنّة الفردوس الأدنى، فكلّ إنسان حسب أعماله يجزى بنوع الجنّة التي يستحقها، فمن المؤمنين من يدخل في الفردوس الأعلى، ومنهم من يدخل في الفردوس

الأدنى، وذلك على قدر الأعمال التي كان يعملها في حياته الدنيا، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧] .

تتّصف جنّة الفردوس بجمالها الخلاب، فهي تقع في منتصف الغرف (الجنّة)، وتحتلّ أعلى وأوسط موقع في الجنّة، فجنّة الفردوس تنبع منها جميع أنهار الجنّة، فلا يمكن وصف جمالها، والمؤمن الذي يحظى بها، يحصل على أعلى غرف الجنّة وأوسطها وأجملها، وتختلف درجات جنّة الفردوس حسب مكانة ومنزلة المؤمن.

عَنْ أَنَسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى» وَقَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» [البخاري(٦٥٦٧)].

وعن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « دخلت الجنة، فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر ». [صحيح الجامع الصغير(٣٣٦٦)].

عن عمرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جنة الفردوس هي ربوة الجنة العليا التي هي أوسطها وأحسنها». [الصحيحة (٢٠٠٣)].

عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا سَأَلْتُمُ الله تَعَالَى فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ فإِنَّهُ سر الجنة». [صحيح الجامع(٥٩٢)].

قال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى -:

والسر جوف كل شيء ولبه خالصه والمراد أنه وسط الجنة وأوسعها وأعلاها وأفضلها والوسط أبعد من الخلل والآفات من الأطراف. قال ابن القيم: والجنة مقببة أعلاها أوسعها وكلما علت اتسعت وهذا الحديث ورد بألفاظ أخر منها ما في الصحيحين إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلا الجنة أي في الارتفاع وفوقه عرش الرحمن واستشكل بخبر أحمد عن أبي هريرة مرفوعا إذا صليتم علي فاسألوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجبة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو وفي حديث آخر الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فاسألوا الله لي الوسيلة فقضيته أن الوسيلة أعلى درجات الجنة وهي خاصة به فهي أعلى الفردوس وجمع بأن الفردوس أعلى الجنة وفيه درجات أعلاها الوسيلة ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض ثم إن مما ذكر من الأمر بسؤال الفردوس لا يعارضه خبر إذا سألتم الله فاسألوه العفو والعافية لأن المراد السؤال لكل مطلوب لكن الأول أخروي والثاني عام.

[فتح القدير (١/٣٦٨)].

٣- الغرف:

الغرفة: مكانة عالية في الجنة يراها أهل الجنة كأنها كوكب في السماء، يسكنها عباد الرحمن الذين ذكرتهم الآيات كما جاء في سورة الفرقان: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣]، وهي جزاء للصالحين كما قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [العنكبوت:٥٨].

قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ:٣٧].

قال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾[الزمر :٢٠].

عن عليٍّ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ - أن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ - قال: « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ». [صحيح الجامع الصغير(٢١١٩)].

المبحث الخامس

درجات أهل الجنة

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ [النساء:٦٩] .

من عمل بما أمره الله به ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقا لأصحاب الدرجات العليا وهم صفوة الله من عباده، وهم أربع مراتب:

الأنبياء، ثم الصدّيقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم، واللفظ يعم كل صالح وشهيد، فالمطيع يكون مع هؤلاء في دار واحدة ونعيم واحد، يستمتعون برؤيتهم والحضور معهم، لا أنهم يساوونهم في الدرجة، فإنهم يتفاوتون لكنهم يتزاورون للاتباع في الدنيا والاقتداء، وكل واحد فيها راض بحاله.

ثم أثنى الله تعالى عليهم فقال: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ أي: أن الأصناف الأربعة يكونون رفقاء له من شدة محبتهم إياه وسرورهم برؤيته. ورفيقا بمعنى المرافق والمراد به الجمع وهو رفقاء، فكأن المعنى: وحسن كل واحد منهم رفيقا، مثل: ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا أي نخرج كل واحد منكم طفلاً.

ويؤيد الآية: ما رواه الطبراني مرفوعا: «من أحب قوما، حشره الله معهم»وما أخرجه الشيخان عن أنس:«المرء مع من أحب»والمحبة تقتضي الطاعة،كما قال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ:

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ ﴾ [آل عمران :٣١] .

هذا الجزاء لمن يطيع الله والرسول هو الفضل الإلهي العظيم، والله أعلم بمن يستحقه، فهو أعلم بمن اتقى، وكفى به سبحانه عليما بالأتقياء المطيعين، وبالعصاة المنحرفين، وبالمنافقين المرائين.

والآية إخبار من الله تعالى أنهم لم ينالوا الدرجة بطاعتهم، بل نالوها بفضل الله تعالى وكرمه.

فليحذر المنافقون المصير المشؤوم إن لم يصلحوا حالهم، وليهنأ المؤمنون الطائعون الصادقون بفضل الله ونعمته، وليفرحوا بما أثابهم به. [المنير للزحيلي (١٤٧/٥)].

الدرجة هي الرتبة والمنزلة، ومنهَا الدرج بمعنى السلم، لأنه يُعلى عليه رتبة بعد رتبة، وأكثر ما تكون كلمة الدرجة في القرآن بمعنى المنزلة الرفيعة، ومن ذلك قوله تعالى -: ﴿ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾[الزخرف:٣٢] ، وأما المنزلة غير الرفيعة فيعبر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بالدركة؛ ولذا يقول الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ ﴾ [النساء:١٤٥]، ولقد قال الراغب الأصفهاني في المفردات: الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتبارا بالصعود، والدرك اعتبارا بالحدور، ولهذا قيل درجات الجنة، ودركات النار.

والضمير في قوله تعالى: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ ﴾ [آل عمران :١٦٣] يعود على الفريقين الذين اتبعوا رضوان الله تعالى، والذين اتبعوا سخطه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وإطلاقدرجات على الفريقين وفيهم الأشرار من قبيل التغليب، وهو تغليب له مغزاه؛ إذ هو تغليب الخير على الشر، وتغليب رضا الله على سخطه، وتغليب الأبرار على الفجار، وإن الآية الكريمة تشير إلى معنى جليل، وهو تفاوت درجات الأبرار، وتفاوت دركات الأشرار، فالذين يسيرون في الخط الذي رسمه الله تعالى لطاعته متفاوتون في مقدار ما يقطعونه من ذلك الطريق النوراني الذي ينتهي بطاعته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وهم بذلك درجات عند الله تعالى بمقدار اتباعهمْ ما فيه رضوانه، وهو الأوامر والنواهي، والآخرون متفاوتون في مقدار انهوائهم في الشر

بمقدار ما يخالفون أمر الله ونواهيه، وإن تلك الدرجات المتفاوتة هي نتيجة العمل، ولذا قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾[آل عمران :١٦٣] أي أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يعلم عمل كل إنسان علم من يراه ويبصره، فلا يغيب عنه سبحانه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، وإنه سبحانه سيجزي كل نفس بما كسبت، على مقتضى علمه الكامل، وإن هذه الدرجات التي يضع الناس فيها هي بمقتضى علمه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ .

وإن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - قد خولفت أوامره في غزوة أحد، فنزل بالمؤمنين فيها ما نزل، ولقد ناسب أن يبين الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ للمؤمنين نعمته عليهم في إرسال الرسول الأمين، ويشير إلى الهداية التي اشتملت عليها رسالته، وأن اتباعه اتباع رضوانِ الله، ومخالفته اتباع لسخط الله. وهذه الدرجات على النحو الآتي :

أولاً: درجة المرسلين والأنبياء:

قال الله تعالى:﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ ﴾ [البقرة :٢٥٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام :٨٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف :٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء٦٩:٧٠] .

ثانياً: الصديقون:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء٦٩: ٧٠].

قال ابن قتيبة - رحمه الله تعالى -:

والصدّيق: الكثير الصدق، كما يقال: فسّيق، وسكّير، وشرّيب، وخمّير، وسكيت، وفجّير، وعشّيق، وضلّيل، وظلّيم: إذا كثر منه ذلك. ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرّة، أو مرتين حتى يكثر منه ذلك، أو يكون عادة. [زاد المسير(٣٤٠/١)].

قال السعدي - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعلموا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولا وعملا وحالا ودعوة إلى الله.[تيسير الكريم الرحمن(١٥٨)].

﴿ وَٱلصِّدِّيقِينَ ﴾ جمع صدّيق: وهو الصادق في قوله واعتقاده، كأبي بكر الصديق وغيره من أفاضل الصحابة: أصحاب الأنبياء، لمبالغتهم في الصدق والتصديق، قال تعالى -: وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا. [المنير للزحيلي(١٤٥/٥)].

قال القرطبي - رحمه الله تعالى -:

وَالصِّدِّيقُ فِعِّيلٌ، الْمُبَالِغُ فِي الصِّدْقِ أَوْ فِي التَّصْدِيقِ، وَالصِّدِّيقُ هُوَ الَّذِي يُحَقِّقُ بِفِعْلِهِ مَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ. وَقِيلَ: هُمْ فُضَلَاءُ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَسْبِقُونَهُمْ إِلَى التَّصْدِيقِ كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. [الجامع لأحكام القرآن(٢٧٢/٥)].

قال القرطبي: وَالصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ، وَقَدْ صَدَقَ فِي الْحَدِيثِ. وَالصَّدْقُ: الصُّلْبُ مِنَ الرِّمَاحِ. وَيُقَالُ: صَدَقُوهُمُ الْقِتَالَ. وَالصِّدِّيقُ: الْمُلَازِمُ لِلصِّدْقِ. وَيُقَالُ: رَجُلُ صِدْقٍ، كَمَا يُقَالُ: نِعْمَ الرَّجُلُ. وَالصَّدَاقَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الصِّدْقِ في النصح والود. [الجامع لأحكام القرآن(١/٢٣٣)].

ثالثاً: درجة المجاهدين:

قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[التوبة:٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[الحديد:١٠-١١].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء:٦٩-٧٠].

فأما الشهداء، فجمع شهيد وهو القتيل في سبيل الله. وفي تسميته بالشهيد خمسة أقوال:

أحدها: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنّة، قاله ثعلب.

والثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده.

والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي.

والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والخامس: لأنه يشهد ما أعدّ الله له من الكرامة بالقتل، قاله شيخنا علي بن عبيد الله. [زاد المسير(٣٤٠/١)].

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها». قالوا: يا رسول الله! ألا ننبئ الناس بذلك؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة». [البخاري(٢٧٩٠)].

رابعاً: الصالحين:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[التوبة:٢-٤].

وقال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾[الإسراء:١٨-٢٢].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[الحجرات:١١] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[النساء:٦٩-٧٠] .

قال السعدي - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ الذين صلح ظاهرهم وباطنهم فصلحت أعمالهم، فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين. [تيسير الكريم الرحمن(١٥٨)].

فأما الصالحون، فهو اسم لكل من صَلُحَتْ سريرتُه وعلانيتُه.

خامساً : من دون الصالحين ممن خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً :

قَالَ الله تَعالَى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾[النساء: ٤٨] .

وقول الله تعالى -: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾[التوبة: ١٠٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الأنعام:١٣١-١٣٣] .

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: يا رب، أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا، يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها، قال: وربه عَزَّ وَجَلَّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب، أدنني من الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي أن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة، وهي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول:يا ابن آدم، ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى، يا رب لا أسألك غيرها - وربه عَزَّ وَجَلَّ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال:يا رب، أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ فقال: من ضحك رب العالمين، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر ». [مسلم(١٨٧)].

سادساً: من دونهم من عتقاء النار:

قال الله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٩] .

فنجد أن آخر قوم من الناس يخرجون من النار، ولعل هؤلاء من عصاة الموحدين ويدخلون الجنة، ويسمى هؤلاء بالجهميين، فقد ثبت عن أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « لَيُصِيبَنَّ أَقْوَامًا سَفْعٌ مِنَ النَّارِ عُقُوبَةً بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ ، يُقَالُ لَهُمْ: الْجَهَنَّمِيُّونَ »[البخاري(7012)].

ثم يخرجون ويوجد عليهم إشارة تبين أن هؤلاء هم آخر أهل الجنة دخولاً، ويسميهم أهل الجنة بالجهميين.

فعن حذيفة أن النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم- قال: «يخرج الله قومًا منتنين قد محشتهم النّار بشفاعة الشّافعين فيدخلهم الجنّة فيسمّون الجهنّميّون -قال حجّاج: الجهنّميّين-». [صححه الإمام الوادعي في كتاب الشفاعة (١٠٨)]. وليس استنقاصاً لهم، وإنما تميزاً لهم بفضل الله تعالى عليهم؛ لأنهم أقحموا في النار وخرجوا، فوجدوا شيئاً من هذا النعيم الذي أعطاهم الله، والأحاديث في هذا كثيرة.

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب، وجدتها ملأى، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا، وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي - أو أتضحك بي - وأنت الملك؟ قال: فلقد رأيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »[البخاري(٦٥٧١) ومسلم(٣٠٨)].

[ولمسلم(٣٠٩)]. قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار: رجل يخرج منها زحفا، فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب فيدخل الجنة، فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيقال له:أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، فيقال له: تمنَّ، فيتمنى فيقال له: لك الذي تمنيت، وعشرة أضعاف الدنيا،

فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟ قال: فلقد رأيت رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يضحك حتى بدت نواجذه ».

قال العلامة الهرري الشافعي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «رجل يخرج من النار حبوًا» أي مشيًا على اليدين والركبتين، وقيل على اليدين والرجلين، وربما قالوا على يديه ومقعدته، وفي الرواية الأخرى زحفًا، قال أهل اللغة ابن دريد وغيره: والزحف هو المشي على الإست مع إفراشه بصدره فحصل من هذا أن الحَبْو والزحف متماثلان أو متقاربان، ولو ثبت اختلافه حمل على أنه في حال يزحف وفي حال يحبو، والله أعلم «فيقول الله تبارك» أي تزايد خيره وكثُر «وتعالى» أي ترفَّع عن كل ما لا يليق به «له» أي لذلك الرجل «اذهب فادخل الجنة فيأتيها» أي فيأتي ذلك الرجل على باب الجنة «فيُخيَّل إليه» أي فيتصور في رأي عينيه «أنها» أي أن الجنة «ملأى»أي مملوءة بأهلها «فيرجع» إلى موضع مناجاة الرب «فيقول يا رب إني وجدتها ملأى» أي مملوءة بأهلها ففي أي محل أدخل منها «فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ» ثانيًا «له» أي لذلك الرجل «اذهب فادخل الجنة» قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى فيرجع» إلى الرب سبحانه ثانيًا «فيقول يا رب إني وجدتها ملأى» فأين أدخل منها؟ «فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك» في الجنة «مثل الدنيا» أي قدر الأرض المعمورة في الدنيا «وعشرة أمثالها» أي عشرة مقدارها «أو» قال الراوي أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن لك عشرة أمثال الدنيا» أي عشرة مقدارها، والشك من الراوي أو ممن دونه، قال الأبي: والأظهر أنه يعني بالدنيا المعمور من الأرض لتقديره في بعض الطرق بمُلْكِ مَلِك وإنما يملك منها المعمور فقط.[الكوكب الوهاج(٨/٥)].

مسألة: الجنة فيها ملوك وفيها سادة وفيها أشراف:

عن أبي سعيد الخدري- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قال: قال: رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:« إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أحاط حائطَ الجنَّةِ لَبِنَةً من ذهبٍ ولبنةً من فضةٍ ثم شقَّق فيها الأنهارَ وغرس فيها الأشجارَ فلما نظرتِ الملائكةُ إلى حُسنِها قالت طُوبى لك منازلَ الملوكِ»[صحيح الترغيب (٣٧١٤)].

عن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «دَعوا لي النَّجديَّ، فوالذي نفسي بيدِه إنه لمن ملوكِ الجنةِ. قال: فلقوا العدوَّ، فاستُشْهِد، فأُخبِرَ بذلك النبيُّ، فأتاه فقعد عند رأسِه مُستبشرًا - أو قال: مسرورًا - يضحكُ، ثم أعرض عنه. فقلنا: يا رسولَ اللهِ ! رأيناك مُستبشِرًا، تضحكُ، ثم أعرضتَ عنه؟ فقال: أما مارأيتُم من استبْشاري - أو قال من سُروري - فلما رأيتُ من كرامةِ رُوحِه على اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وأما إعراضي عنه؛ فإنَّ زوجتَه من الحورِ العِينِ الآنَ عند رأسِه». [صحيح الترغيب(١٣٨٢)].

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الحسَنُ والحُسَيْنُ سيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجنَّةِ». [صحيح الترمذي(٣٧٦٨)].

عن عائشة أم المؤمنين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: اجتَمعنَ نساءُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلَم تُغادِرْ منهنَّ امرأةٌ فجاءَت فاطِمةُ كأنَّ مشيتَها مِشيةُ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ مرحبًا بابنَتي ثمَّ أجلسَها عَن شمالِهِ ثمَّ إنَّهُ أسرَّ إليها حديثًا فبَكَت فاطمةُ ثمَّ إنَّهُ سارَّها فضَحِكَت أيضًا فقُلتُ لَها ما يُبكيكِ قالَت ما كنتُ لأُفْشيَ سرَّ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقُلتُ ما رأيتُ كاليَومِ فرحًا أقرَبَ من حزنٍ فقُلتُ لَها حينَ بَكَت أخصَّكِ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحديثٍ دونَنا ثمَّ تبكينَ وسألتُها عمّا قالَ فقالَت ما كنتُ لأُفْشيَ سرَّ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتّى إذا قُبِضَ سألتُها عمّا قالَ فقالَت إنَّهُ كانَ يحدِّثُني أنَّ جبرائيلَ كانَ يُعارِضُهُ بالقُرآنِ في كلِّ عامٍ مرَّةً وأنَّهُ عارضَهُ بِهِ العامَ مرَّتينِ ولا أُراني إلّا قد حَضرَ أجَلي وأنَّكِ أوَّلُ أَهْلي لحوقًا بي ونِعمَ السَّلفُ أَنا لَكِ فبَكَيتُ ثمَّ إنَّهُ سارَّني فقالَ ألا تَرضينَ أن تَكوني سيِّدةَ نِساءِ المؤمنينَ أو نساءِ هذِهِ الأمَّةِ فضَحِكْتُ لذلِكَ. [مسلم(٢٤٥٠)].

المبحث السادس

أدنى أهل الجنة منزلةً

عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ -: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فَيُخَيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها فَيُخَيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال فيقول: أتسخر بي [أو تضحك بي] وأنت الملك»؟ قال: فلقد رأيت رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ضحك حتى بدت نواجذه، قال: «فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلة»[البخاري(٦٥٧١)مسلم(١٨٦)].

وفي حديث ابن مسعود وحديث أبي سعيد الخدري-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قصة صاحب الشجرة، وهو أدنى أهل الجنة منزلة، وفيه: «ويُذَكِّره الله: سل كذا، وكذا، فإذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله، ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاهُ من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أُعطي أحدٌ مثل ما أُعطيتُ» [مسلم(١٨٨)].

وعن المغيرة بن شعبة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- يرفعه قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أُدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي ربِّ كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيتُ ربِّ، فيقول: لك

ذلك ومثلُهُ، ومثلُهُ، ومثلُهُ، ومثلُهُ، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: هذا لك وعشرةُ أمثالِه، ولكما اشتهت نفسك، ولذَّت عينُكَ، فيقول: رضيت ربِّ ...» [مسلم(١٨٩)].

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له: تمن. فيتمنى ويتمنى، فيقول له: هل تمنيت؟» «فيقول: نعم. فيقول له: فإن لك ما تمنيت ومثله معه».[مسلم(١٨٢)].

المبحث السابع
أسباب نيل الدرجات العالية في الجنة

تتفاضل الأعمال الصالحة في ثقلها في ميزان الله تعالى، فهناك أعمالٌ خيرٌ عند الله من سواها، وقد يكون إتيانها سبباً مباشراً في ثقل ميزان الحسنات يوم الحساب، وإدراك الجنة بإذن الله تعالى، وإذا أدرك الإنسان هذا التفاضل، فيجب عليه أنْ يسعى لتحصيل خير الأعمال وأرفعها؛ حتى ينال الفضل بأقل جهدٍ ووقتٍ، ويستزيد منه؛ فيدرك الدرجات العُلا من الجنة ومن ضمن ذلك:

١ - طاعة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾ [النساء:٦٩] .

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقكم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق -أي: الكوكب المضيء الذاهب بعيدًا في السماء من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم- قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين». [البخاري(٣٠٨٣) مسلم(٢٨٣١)].

قال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «إن أهل الجنّة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري »

شديد الإنارة كأنه نسب إلى الدر نسبتها بصفائه، وقال الفراء: الكوكب الدري عند العرب هو العظيم المقدار وقيل هو أحد الكواكب الخمسة السيارة.

قوله: «الغابر » المراد به الذاهب في السماء المرتفع فيها جمع له بين الوصفين أفاده كونه جمع بين الإنارة الشديدة والارتفاع كذلك أهل الغرف اجتمع لهم السمو والظهور الكامل «من الشرق أو الغرب »، بيان محل الكواكب «لتفاضل ما بينهم » علة الارتفاع. [التنوير شرح الجامع الصغير(٥٩٢/٣)].

٢- الصبر على طاعة الله وترك معصيته:

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان :٧٣-٧٥] .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان :٦٣] إلى أن قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان :٧٥] إلى قوله: ﴿ وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان :٧٦] وهذه الجملة هي خبر المبتدأ الذي هو: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾[الفرقان :٦٣] وما بين المبتدأ والخبر أوصاف لهم وما تعلق بها، وقد تضمنت هذه الآية مدح من لم تقع منه هذه الفواحش الثلاث التي هي: الشرك بالله، والقتل - العدوان، والزنى. وذم من وقعت منه، ومضاعفة العذاب عليه، وهي محمولة على ظاهرها عند الجمهور. [المفهم(٣٨٢/٧)].

عن عليٍّ وأبي مالك الأشعري- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام ». [صحيح الجامع الصغير(٢١٢٣)].

٣- بر الوالدين :

عَنْ أَنَسٍ- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى» وَقَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» [البخاري(٦٥٦٧)].

عن عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا- أن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قال:« دخلت الجنة، فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر».[صحيح الجامع الصغير(٣٣٧١)].

كان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَحُثُّ الناسَ على مَكارِمِ الأخلاقِ، ويَذكُرُ لهم الجزاءَ الحَسَنَ في الآخرةِ عليه، ومِن هذه الأخلاقِ البِرُّ بالوالدينِ؛ فقد حضَّ اللهُ عليه وقرَنَه بعِبادتِه. وفي هذا الحديثِ بيانٌ لذلك، حيثُ يقولُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «دخلْتُ الجنَّةَ،فسَمِعْتُ صَوتَ قارئٍ يقرَأُ » أي: يقرَأُ القرآنَ«فقلْتُ: مَن هذا؟ فقالوا: هذا حارثةُ بنُ النُّعمانِ ». فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم: «كذلك البِرُّ كذلك البِرُّ »، أي: يُخاطِبُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصحابَه ويُعلِّمُهم أنَّ البِرَّ كذلك يفعَلُ بأصحابِه، فيكونُ سَببًا في دُخولِ الجنَّةِ، وكرَّرَه لتأكيدِ أثَرِ البِرِّ، وقِيل: لا يَبعُدُ أنْ يكونَ «كذلك البِرُّ » مِن جُملةِ مَقولِ الملائكةِ، والخِطابُ له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، «وكان أبَرَّ الناسِ بأُمِّه »، أي: كان يُحسِنُ خِدمتَها، ويُظهِرُ الحُبَّ والاحترامَ لها، ويُطيعُها ويَفعَلُ الخيراتِ لها، وأُمُّه -فيما يَقولون-: جَعدةُ بنتُ عُبيدِ بنِ ثَعلبةِ بنِ غُنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجّارِ.

٤- كفالة اليتيم:

عن سهل بن سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:«أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ أَوْ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ» شَكَّ سفيان في الوسطى والتي تلي الإبهام. [البخاري(٦٠٠٥)].

في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّه وكافِلُ اليَتيمِ، وهُو المُربِّي لَه القائمُ بأَمرِه، له بأنْ يكونَ مِن قرابتِه.أَو لِغيرِه بأنْ يَكونَ أجنبيًّا بأنَّه في الجنَّةِ مُصاحبًا لَه لعِظَمِ أَجرِه عِندَ اللهِ تَعالى. وأَشارَ مالكٌ وَهُوَ إِمامُ دارِ الهجرَةِ وَصاحبُ المذهَبِ المشهورِ، أَشارَ في تِلكَ الرِّوايةِ تَفسيرًا لِلحديثِ ،بالسَّبَّابةِ والوُسطى: والسَّبَّابَةُ هِي الَّتي بَين الوُسطى والإِبهامِ، وفَعلَ ذلكَ ليُوضِّحَ كَلماتِ الحديثِ.

وفي الحديثِ: الحثُّ على الإحسانِ إلى اليَتامى وكَفالتِهم.

قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «أنا وكافل اليتيم » أي: القائم بتربيته ومصالحه والإحسان إليه وظاهره ولو قام به من تركته «في الجنة هكذا« وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما: أي أن منزلة الكافل تقارب منزلته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا تفاوت إلا بقدر تفاوت السبابة والوسطى، ويحتمل أن المراد التفاوت في الدخول وفي إلحاقه بالرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مناسبة لأنه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أبو الأمة رباها بإحسانه إليها وبإرشادها لها أمور دينها ودنياها، فألحق به كافل اليتيم، وفيه فضيلة بالغة لكافل اليتيم. [التنوير شرح الجامع الصغير(٢٦٩/٤)].

٥- كثيرة السجود:

عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ لَهُ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ، وَيُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ ، فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: « عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً ، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً

» قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ. [مسلم(٤٨٨)].

وعن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِي -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. فَأَتَيْتهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِى: « سَلْ » فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ - قَالَ: « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؟». قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: « فَأَعِنِّى عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ ». [مسلم(٤٨٩)].

قال الإمام أبو الفضل عياض اليحصبي - رحمه الله تعالى -:

وقوله للذى قال [له] : «سَلْ» فسأله مرافقته في الجنة فقال له: « أو غير ذلك؟» : قيل: لعله - عَلَيْهِٱلسَّلَامُ - فهم منه المساواة معه في درجته وذلك ما لا ينبغي لغيره، فلذلك قال له: « أو غير ذلك » أي: سل غير هذا، فلما قال له الرجل: هو ذاك، قال [له]: «أعنى على ذلك بكثرة السجود » ليزداد من القرب ورفعه الدرجات حتى يقرب من منزلته وإن [لم] يساوه فيها، فإن السجود معارج القرب، ومدارج رفعة الدرجات، قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ (١٩) ﴾ [العلق:] ، وقال - عَلَيْهِٱلسَّلَامُ - في الحديث الآخر في[الأُم] : « لا تسجدُ لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة » ولأن السجود غايته التواضع لله، والعبودية له، وتمكين أعز عضو فى الإنسان وأرفعه وهو وجهه من أدنى الأشياء [وأخسها] وهو التراب، والأرض المدوسة بالأرجل والنعال. [إكمال المعلم(٤٠٣/٢)].

وقال العلامة الحسين بن محمد المغربي - رحمه الله تعالى -:

في الحديث دلالة على فضيلة السجود، وأنه يستعان به على تنزيه النفس من الصفات الذميمة، وتحليتها بكريم الأخلاق، فيناسب بذلك القرب والمرافقة لمن هو على خُلُق كريم، وفي هذا المعنى قوله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «أقربُ مَا يكون الْعبد من ربه وهو ساجد». [البدر التمام(٢٣٣/٣)].

٦- حفظ القرآنُ والعمل به :

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قال نبي الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: «يُقال

لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه». [صحيح الجامع(٨١٢١) الصَّحِيحَة (٢٢٤٠)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأْ، وارقَ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها». [أبو داود (١٤٦٤) قال الألباني: حسن صحيح] .

قال الخطابي - رحمه الله تعالى -:

جاء في الأثر ان عدد آي القرآن على قدر درج الجنة فيقال للقارئ ارق في الدرجة على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على اقصى درج الجنة في الآخرة ومن قرأ جزءا منه كان رقية في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة. [كما في المفاتيح شرح المصابيح (٨٢/٣)].

فإذا اجتمعت للإنسان فضيلة الجهاد مع فضيلة القرآن جمعت له تلك الدرجات كلها وهكذا كلما زادت أعماله زادت درجاته والله أعلم

قال الحافظ السبكي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «يقال لصاحب القرآن ... الخ» يعني حافظه كله أو بعضه العامل به المتأدب بآدابه. ويقال له ذلك عند دخول الجنة وتوجه العاملين إلى مراتبهم فيها على حسب أعمالهم

قوله:«وارتق» أي اصعد في درجات الجنة أو مراتب القرب بقدر ما حفظته من عدد آيات القرآن. فقد روى البيهقي في الشعب عن عائشه أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال عدد درج الجنة عدد أي القرآن ومن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجه.

قوله:« ورتل كما كنت ترتل في الدنيا » أي رتل في قراءتك في الجنة كترتيلك في الدنيا، وقراءه أهل الجنة كتسبيح الملائكة لا تشغلهم عن مستلذاتهم بل هي من أعظم مستلذاتهم ويؤخذ منه أنه لا ينال هذا الثواب العظيم إلا من حفظه القرآن واتقن قراءته

قوله: «فإن مَنزلك عند آخر آية تقرؤها » وفي نسخه فإن منزلتك، وهي رواية الترمذي أي أن منزلتك في الجنة تكون عند آخر آية تقرؤها فإن قرأت كل القرآن ذلك أعلى الدرجات، وإلا على قدر قراءتك وقيل هو كناية عن دوام الترقي: فكما أن قراءته في الدنيا حال الختام تستدعي الافتتاح الذي لا انقطاع له كذلك تكون هذه القراءة والترقي في المنازل التي لا تتناهى .

وفي الحديث: دلالة على الترغيب في حفظ القرآن. [المنهل العذب(١٢٤/٨)].

٧- الدعاء:

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - عَزَّوَجَلَّ - ». [البخاري(٧٤٢٣)].

قوله: «إذا سألتم الله الجنة »فاسألوه الفردوس منها «فإنه سُر الجنة » بضم السين المهملة خيارها وأوسطها ومثل هذا سأله الغرفات الدرجات العلا من الجنة وفيه أنه يحسن من العبد أن يسأل من الله تعالى أشرف الأشياء لأنه الكريم الذي لا يبخل. [التنوير شرح الجامع الصغير(٨١/٢)].

فهو خطاب لجميع أمته يدخل فيه المجاهد وغيره؛ فدل ذَلِكَ على أنه قد يعطي الله لمن لم يجاهد قريبًا من درجة المجاهد؛ لأن الفردوس إذا كان أعلى الجنة ولا درجة فوقه، وقد أمر الشارع جميع أمته بطلبه من الله دل أن من بوأه الله إياه وإن لم يجاهد فقد تقاربت درجته من درجات المجاهدين في العلو وإن اختلفت الدرجات في الكثرة والله يؤتي فضله من يشاء. [التوضيح شرح الجامع الصحيح(٣٥٢/١)].

قال العلامة المناوي - رحمه **الله** تعالى -:

قوله: «إذا سألتم الله تعالى » أي أردتم سؤاله «فاسألوه الفردوس » لفظ سرياني أو

رومي أو قبطي «فإنه سر الجنة » بكسر السين وشد الراء: أفضل موضع فيها والسر جوف كل شيء ولبه خالصه والمراد أنه وسط الجنة وأوسعها وأعلاها وأفضلها والوسط أبعد من الخلل والآفات من الأطراف.

قال ابن القيم - رحمه الله عنه -: والجنة مقببة أعلاها أوسعها وكلما علت اتسعت وهذا الحديث ورد بألفاظ أخر منها ما في الصحيحين إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلا الجنة أي في الارتفاع وفوقه عرش الرحمن.

واستشكل بخبر أحمد عن أبي هريرة مرفوعا إذا صليتم علي فاسألوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجبة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو وفي حديث آخر الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فاسألوا الله لي الوسيلة فقضيته أن الوسيلة أعلى درجات الجنة وهي خاصة به فهي أعلى الفردوس.

وجمع بأن الفردوس أعلى الجنة وفيه درجات أعلاها الوسيلة ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض ثم إن مما ذكر من الأمر بسؤال الفردوس لا يعارضه خبر إذا سألتم الله فاسألوه العفو والعافية لأن المراد السؤال لكل مطلوب لكن الأول أخروي والثاني عام. [فيض القدير(١/٣٦٨)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قَالَ:«إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَع لَهُ الدَّرَجَة فِي الْجَنَّة ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَار وَلَدَكَ لَكَ». [صحيح الجامع (١٦١٧)].

٨- الجهاد في سبيل الله:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «يَا أَبا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلام دِينًا، وَبِمُحَمدٍ نَبيا، وَجَبَت لَهُ الجنة» فَعَجِبَ لَها أَبُو سَعِيدٍ. فَقَال: أعِدها عَلَيَّ. يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ. ثُمَّ قَال: «وَأُخرَى يُرفَعُ بِها الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجنةِ. مَا بَينَ كُل دَرَجَتَينِ كَمَا بَينَ السمَاءِ وَالأَرضِ» قَال: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَال:

«الْجِهادُ فِي سَبِيلِ الله. الْجِهادُ فِي سَبِيلِ الله». [مسلم(١٨٨٤)].

قال الإمام القدوة أبو الفضل عياض اليحصبي - رحمه الله تعالى -:

يحتمل أنه على ظاهره، وأن الدرجة هنا المنازل التى بعضها أرفع من بعض فى الظاهر، وكذلك منازل الجنة، كما جاء فى أهل الغرف: « يتراءون كالكوكب الدرى »، ويحتمل أن يريد فيها الرفقة بالمعنى من كثرة النعم وعظيم الإحسان، مما لم يخطر على قلب بشر، ولا يصفه واصف، وأن أنواع ما أنعم به عليه وبوأه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلاً كثيراً، وينسى بعضه بعضاً، ومثل تفاضله فى البعد بما بين السماء والأرض، والأول أظهر. [إكمال المعلم(٦/٣٠٤)].

قلت: المعنى يجمع الأمرين الحسي والمعنوي ولا منافاة للحسي كما لا نفي للمعنوي والقصد من الرفعة الحسية الرفعة المعنوية فالاقتضاء لهما جميعا هو معنى الحديث والله أعلم.

قال العلامة شمس الدين الكرماني - رحمه الله تعالى -:

قوله «أوسط الجنة» فإن قلت أعلى الجنة كيف يكون أوسطها؟ قلت المراد. بالأوسط الأفضل وقيل النكتة في الجميع بين الأعلى والأوسط لأنه أراد بأحدهما الحسي وبالآخر المعنوي وقيل ما سوى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين الجهاد في سبيل الله وعدمه في دخول الجنة ورأى أن استبشار السامع بذلك السقوط مشاق الجهاد عنه استدرك بقوله إن في الجنة مائة درجة كذا وكذا وأما الجواب به فهو من الأسلوب الحكيم أي بشرهم بدخول الجنة بالإيمان ولا تكتف بذلك بل زد عليهما بشارة أخرى وهو الفوز بدخول الجنة بالإيمان، ولا تكتف بذلك بل زد عليها بشارة أخرى وهو الفوز بدرجات الشهداء وبل بشرهم أيضاً بالفردوس. وفيه الحث على ما يحصل به أقصى درجات الجنان من المجاهدة مع النفس، قال الله تعالى ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾[الحج:٧٨] .

قال القاضي عياض- رحمه الله تعالى -: يحتمل أن تجرى الدرجات على ظاهرها محسوماً

وأن تجرى على المعنى والمراد كثرة النعم وعظم الإحسان.[الكواكب الدراري (٩٩/١٢)].

٩- الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ -: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَة وَاحِدَة ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ عَشْر صَلَوَات ، وَحُطَّت عَنْهُ عشْر خَطِيئَات ، وَرُفِعَت لَهُ عَشْر دَرَجَاتٍ». [سُنن النسائي(١٢٩٧)وصححه العلامة الألباني].

مِن كَرَمِ اللهِ سُبْحانَهُ لنبيِّهِ محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه جَعَل الشَّهادةَ للهِ بالتَّوحيدِ مَقْرونَةً بالشَّهادَةِ للنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرِّسالَةِ، ومِن رَحْمةِ اللهِ به ومِن فَضْلِهِ على الأُمَّةِ أنْ جَعَل للصَّلاةِ عليه أجرًا وثوابًا مُضاعَفًا، وفي هذا الحديثِ يَقولُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَن صلّى عليَّ واحدةً » ، الصَّلاةُ هنا إمّا أنْ تكونَ بمعنى الدُّعاءِ على أَصْلِ مَعْناها اللُّغويّ، أي: مَن دعا لي مَرَّةً واحدةً بأنْ قال: اللهُمَّ صَلِّ على مُحمَّدٍ، أو ما في مَعْناها، أو تكونَ الصَّلاةُ على النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى طَلَبِ التَّعظيمِ له والتَّبجيلِ لجَنابِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن اللهِ، «صلّى اللهُ عليه عَشْرًا » ، أي: ضاعَفَ اللهُ الجزاءَ للمُصلِّي على النبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ مرّاتٍ، والصَّلاةُ مِن اللهِ على عبادِهِ هي رَحْمَتُه إيّاهُمْ، والصَّلاةُ من الملائكةِ الاسْتِغفارُ، فيُحتَمَلُ أنْ يكونَ المعنى أنَّ اللهَ يَرْحَمُهُ رَحْمَةً مُضاعَفةً، أو أنْ يَذْكُرَ ربُّنا سُبْحانَهُ وتعالى المُصلِّيَ على النبيّ في الملأِ الأعلى؛ تشريفًا له وتكريمًا على صلاتِه ودُعائه للنبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٠ - حسن الخلق :

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الْقَائِمِ بِاللَّيْلِ الظَّامِئِ بِالْهَوَاجِرِ». [صحيح الجامع (١٦٢١)، الصحيحة (٧٩٥)].

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ : قَالَ: رَسُولُ اللهِ-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَات قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ». [صحيح الجامع (١٦٢٠)، الصحيحة (٧٩٤)].

في هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إنّ المؤمِنَ لَيُدركُ بحُسنِ خُلقِه درجةَ

الصّائمِ القائمِ » وذلكَ لأنَّ الذي يُحسِّن خُلَقه مع الناسِ مع اختِلافِ طَبائعِهم يُجاهِدُ نفوسًا كثيرةً، وذلك بكَفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العَطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم، والصائمُ القائمُ يُجاهِدُ نفسَه؛ لذلكَ يُدرِكُ المؤمنُ بحُسنِ خلُقِه دَرجةَ- أي: منزلةَ وثوابَ- الصائمِ، أي: المتطوِّعِ بالصَّومِ بالنهارِ، القائمِ، أي: المتهجِّد بالليل؛ فالصّائمُ القائمُ عِندَه من التَّعبِ والمشقَّةِ لقيامِه الليلَ بصَلاةِ التطوُّعِ، بعدَ صِيامِه للنَّهار؛ فكونُ صاحِبِ حُسنِ الخُلقِ يكون في دَرجةِ هؤلاء إنَّما هو لمُجاهدتِه الناسَ بحُسنِ المعاملةِ فيهم وإنْ قَسَوْا عليه؛ فيكون الصبرُ مِفتاحَه فيهم.
وفي هذا الحديثِ: الحضُّ على العَملِ بمكارمِ الأخلاقِ وأحسنِها.

١١- من سأل الله الشهادة :

عَنْ سَهْلِ ابْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».[مسلم (١٩٠٩)].

إنَّ نِيَّةَ الخيرِ والإخلاصِ تُنزِلُ الإنسانَ مَنازلَ عاليةً وإنْ لم يَبلُغْها بعَمَلِه. وفي هذا الحديثِ أنَّ مَن طَلَبَ الشَّهادةَ، أي: سَألَها مِنَ اللهِ ودعا اللهَ أن يَنالَها، وهذه الفَضيلةُ لا تَكونُ إلّا لِمَنْ طَلَبَها بصِدقٍ، وكأنَّه قال: تمنّاها مِن قَلبِه مِن غيرِ أن يَذكُرَ ذلك لأحدٍ، فلا يَعلمُ صِدقَ نِيَّتهِ وتَمنِّيه الشَّهادةَ إلّا اللهُ، فمَن فَعَلَ ذلك أَعطاه اللهُ أَجْرَ الشُّهداءِ، وإنْ لم يُصِبْها، أي: في الحقيقةِ، فاللهُ تعالى يُعطيه أَجرَها بنيَّتِه الصّادقةِ.
وفي الحديثِ: الحثُّ على عملِ الخيرِ عمومًا وأنْ يَنوِيَه، وعل سُؤالِ الشَّهادةِ خصوصًا.
وفيه: أنَّ مَن نوى خَيرًا وحال بينه وبين فِعلِه حائلٌ، فإنَّه يُكتَبُ له أَجرُه.

الملحق

المسألة الأولى: هَلْ وَرَدَ أَنَّ عَدَدَ دَرَجِ الْجَنَّةِ بِعَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ ؟.

الْجَوَابُ: نَعَمْ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ: أَخْبَرَنَا أبو عبد الله الحافظ، ثنَا أَبُو الْحُسَيْنِ الْخَيَّاطُ، ثنَا أبو عبد الله محمد بن روح، ثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، ثنَا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عائشة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عَدَدُ دَرَجِ الْجَنَّةِ عَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ، فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ دَرَجَةٌ» قَالَ الحاكم: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ يُكْتَبِ الْمَتْنُ إِلَّا بِهِ وَهُوَ مِنَ الشَّوَاذِّ.

وَرَوَى الديلمي فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ طَرِيقِ الفيض بن وثيق عَنْ فرات بن سلمان، عَنْ مَيْمُونَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « دَرَجُ الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ آيِ الْقُرْآنِ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةٌ، فَتِلْكَ سِتَّةُ آلَافِ آيَةٍ وَمِائَتَا آيَةٍ وَسِتَّ عَشْرَةَ آيَةً بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِقْدَارُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» . الْفَيْضُ قَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ: كَذَّابٌ خَبِيثٌ. [الحاوي للسيوطي(١١٤/٢)].

قلت: الحديث ضعيف ولم يثبت كم عدد درجات الجنة وكلها من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

المسألة الثانية: إذا كان أحد الزوجين أعلا من الآخر منزلة، أينزل الأرفع أم يرتفع الأنزل، فيشكل بقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾؟.

قال العلامة الزرقاني أيضاً: إذا كان أحد الزوجين أعلا من الآخر منزلة، أينزل الأرفع أم يرتفع الأنزل، فيشكل بقوله تعالى -: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ٣٩ ﴾؟.

جوابه:

بل يرتفع الأنزل إلى منزلة الأعلى بفضل الله تعالى، فقد روى ابن مردويه والضياء المقدسي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رفعه: إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك. فيقول: يا رب قد عملت لي ولهم. فيؤمر بالإلحاق به.

وأخرجه الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ: ذرية المؤمن في درجته، وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[الطور:٢١]. قال: و ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين.

ولا يشكل هذا بقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾؟[النجم:٣٩]. لأنه إما منسوخ بقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾، كما روي عن ابن عباس، وإن ضعفه الإمام أبو محمد بن عطية بأنه خبر لا ينسخ، ولأن شروط النسخ ليست هنا، اللهم إلا أن يتجوز في لفظ النسخ، أو كان هذا الحكم في شريعة إبراهيم وموسى -عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ-، وأما هذه الأمة فلها ما سعى غيرها كما قاله عكرمة، بدليل حديث سعد بن عبادة: يا رسول الله هل لأمّي إن تطوعت عنها؟ قال: نعم.

والمراد بالإنسان الكافر، أما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره كما قاله الربيع بن خيثم.

وسأل عبد الله بن طاهر والي خراسان؛ الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[البقرة:٢٦١]، فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بفضل الله تعالى ما شاء الله تعالى. والجمهور على أن الآية محكمة.

قال ابن عطية - رحمه الله تعالى -:

التحرير عندي في هذه الآية أن ملاك المعنى في اللام من قوله تعالى:﴿ لِلْإِنسَٰنِ ﴾

فإذا حققت الشيء الذي حُق الإنسان أن يقول فيه: لي كذا، لم يُجْزَ إلا سعيه، وما زاد من رحمة لشفاعة أو رعاية أب صالح، أو ابن صالح، أو تضعيف حسنات، ونحو ذلك، فليس هو للإنسان ولا يصح أن يقول: لي كذا وكذا، إلا على تجوز وإلحاق بما هو له حقيقة. [كما في تفسير الألوسي(٢٧/ ٦٧)].

المسألة الثالثة: هل الرفع لدرجة الآباء في الجنة يكون للذرية جميعها صغارها وكبارها؟

الجواب:

هذا الإشكال الوارد في السؤال يرد عند الحديث على قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ ﴾ [الطور:٢١] ، وقد اختلف أهل التفسير في لفظ الذرية هل يراد به: الصغار، أو الكبار، فأما من قال إن المراد به الصغار، فلا إشكال عنده في معنى الآية، وإنما يرد الإشكال في حال كون معنى الذرية : الكبار، والراجح في تفسيرها أنهم الصغار، وعليه: فلا يرد ما استشكله الأخ السائل، فالرفع للذرية الصغار، وإلا للزم كون جميع أهل الجنة في درجة واحدة.

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -:

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها: الصغار، أو الكبار، أو النوعان، على ثلاثة أقوال... ثم قال: واختصاص الذرية ههنا بالصغار: أظهر؛ لئلا يلزم استواء المتأخرين بالسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار؛ فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم [حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح(٢٧٩-٢٨١) باختصار] .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى -:

إذا كان الأولاد سعداء، والأب من السعداء : فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يقول في كتابه:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور:٢١] ، يعني: أن الإنسان إذا كان له ذرية، وكانوا من أهل الجنة: فإنهم يَتبعون آباءهم، وإن نزلت درجتُهم عن الآباء، ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم ﴾أي: ما نقصنا الآباء ﴿ مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾ ، بل الآباء بقي ثوابهم موفَّراً، ورُفعت الذرية إلى مكان آبائها، هذا ما لم يَخرج الأبناء عن الذرية بحيث ينفردون بأزواجهم، وأهليهم، فيكون هؤلاء لهم فضلهم الخاص، ولا يلحقون بآبائهم؛ لأننا لو قلنا: كل واحد يلحق بأبيه ولو كان له أزواج، أو كان منفرداً بنفسه: لكان أهل الجنة كلهم في مرتبة واحدة؛ لأن كل واحد من ذرية من فوقه، لكن المراد بالذرية: الذين كانوا معه، ولم ينفردوا بأنفسهم، وأزواجهم، وأولادهم، فهؤلاء يرفعون إلى منزلة آبائهم، ولا يُنقص الآباء من عملهم من شيء. انتهى.[فتاوى نور على الدرب شريط(٣٢٤)جه: أ)].

وقال رحمه الله تعالى - أيضاً -:

ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾، الذين آمنوا واتبعتهم الذرية بالإيمان، والذرية التي يكون إيمانها تبعاً: هي الذرية الصغار، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ أي: جعلنا ذريتهم تلحقهم في درجاتهم.

وأما الكبار الذين تزوجوا: فهم مستقلون بأنفسهم في درجاتهم في الجنة، لا يلحقون بآبائهم؛ لأن لهم ذرية، فهم في مقرهم، أما الذرية الصغار التابعون لآبائهم: فإنهم يرقَّون إلى آبائهم، هذه الترقية لا تستلزم النقص من ثواب ودرجات الآباء، ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾، ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم ﴾ يعني: نقصناهم، يعني: أن ذريتهم تلحق بهم، ولا يقال أخصم من درجات الآباء بقدر ما رفعتم درجات الذرية، بل يقول: ﴿ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾انتهى. [تفسير القرآن من الحجرات إلى الحديد(١٨٧)].

الباب الثاني العشرون
أشجار الجنة وثمارها

المبحث الأول
وصف أشجار الجنة

أولاً: أنها جنة:

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر :٥٤-٥٥] ، وقَالَ عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[البقرة :٢٥] ، وَقَالَ جل شأنه: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[الواقعة: ١٠-١٢] ، وقال الرب تعالى -: ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[المعارج:٣٨] ، وقال الملك تعالى -: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[الإنسان :١٢] .

وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه سُمِّيَ الجنين لاستتاره في البطن، ومنه سُمّي البستان: جَنة؛ لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع.

فيا لها من دار فسيحة الأديم والفِناء، طيبة النسيم والهواء، لا يفنى شبابها؛ ولا تبلى ثيابها، ينقطع نعيمها، ولا يمل مقيمها.

والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنات، والجنة كل بستان يستر بأشجاره الأرض، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾[سبأ : ١٥] .

وقد ذكر الله تعالى الجنة في القرآن الكريم بلفظ المفرد جنة ستاً وستين مرة، ولفظ الجمع جنات تسعاً وستين مرة.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ∴ فلو جن إنسان من الحسن جنت

أي لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك ومنه سمى البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره. [حادي الأرواح(٩٤)].

ثانياً: أنها عالية:

قال الله تعالى : ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحاقة : ٢٢-٢٣] .

وصف الله تعالى الجنة بالعلو في المحل والقدر والذات والنعيم فهي عالية في السماء السابعة وعالية في القدر فهي نعمة عظيمة حل فيها البهاء والجمال والنعيم الذي لا يوجد في غيرها والذات بما أعلى الله من أشجارها وأنهارها وبيوتها وقصورها وقبابها فهي عالية من كل النوحي والجوانب العظيمة القديرة الجميلة نسأل الله من فضله تعالى.

ففيه بيان لسمو مكانتها العالية، مرتفعة المكان والمكانة والوصف والنعيم فقد حازت الوصف الحسي والمعنوي. فقد وصفت الجنة بالعلو، للمبالغة في حسنها وفي علو منزلتها، فقد جرت العادة أن تكون أحسن الجنات، ما كانت مرتفعة على غيرها.

ثالثاً: وأنها مذللة:

قال الله تعال :﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحاقة :٢٢-٢٣].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ -:﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان :١٤] . قَالَ: أَهْلُ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا قِيَامًا وَقُعُودًا وَمُضْطَجِعِينَ ، وَعَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءُوا. [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٤)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وكـــذاك لم تمنع ولم تحتج إلى ∴ أن ترتقي للقنو في العيدان
بل ذللت تلك القطوف فكيف ما ∴ شئت انتزعت بأسهل الإمكان

رابعاً: وأنها حدائق:

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النبأ :٣١-٣٦] .

والحديقة: جمعها حدائق، وهي الروضة ذات الشجر والنخيل، وهي البستان، وسُميت حديقة تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة، وحصول الماء فيها.

والحدائق: البساتين التي عليها حلق وجدارات وحظائر.

فالله تعالى بين جزاء المتقين المؤمنين وأنهم أدخلوا الجنة يتمتعون بالبساتين المسوّرة ذات الأشجار والثمار والأعناب اللذيذة الطعم الجميلة المنظر التي أحاطها الله جَلَّ وَعَلَا لبيان عظيم ما فيها من الخير واللذة كما يحوط صاحب البستان الجميل المثمر الغالي على صاحبه بالأسوار والحيطان لنفاسته عند صاحبه وأنت انظر إلى ما وصف الله تعالى به هذه الحدائق والبساتين أنها محاطة تنبيها للمؤمن وتشويقا لهم بما أعد لهم ووعدهم به جزاءاً لما قدموه من

ملازمتهم لتقوى الله تعالى فما عليك إلا أن تستعد أخي الكريم لهذا بتقوى الله تعالى.

مسألة: هذه الحدائق والبساتين مما يكون لها سور وجدار:

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أحاط حائطَ الجنَّةِ لَبِنَةً من ذهبٍ ولبنةً من فضةٍ ثم شقَّق فيها الأنهارَ وغرس فيها الأشجارَ فلما نظرتِ الملائكةُ إلى حُسنِها قالت طُوبى لك منازلَ الملوكِ». [صحيح الترغيب (٣٧١٤)].

خامساً: أن ثمارها زوجان:

قال الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ ۝٥٢ ﴾[الرحمن :٥٢].

قوله: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ ۝٥٢ ﴾ صنفان: حلو وحامض، ورطب ويابس، وأحمر وأصفر. [أوضح التفاسير(٦٥٨)].

قلت: أطلق الله تعالى الوصف للفواكه بأنها زوجان فهل يقتضي ذلك أن يكون معنى زوجان في الوصف أو الطعم أو الشكل أو اللون أو الغرابة كما ذكر العلماء في تفسير معنى الآية فالذي يقتضيه المعنى الحقيقي والله أعلم أنه الزوجية من الألفاظ التي يبعث في نفس المؤمن عدم استطاعة الإحاطة بتقدير ذلك فالله تعالى خلق الفواكه في الجنة بأمر غريب عجيب لم نره ونعرفه ونحيط به بل فقد ذكر أنها زوجان بمعنى مما وصف العبد ذلك النعيم لتلك الثمار اليانعة فإن لها زوجاً أخر يشابهها من ناحية أخرى فلا إله إلا هو سبحانه ما أعظمه وأعظم ما هيئه لعباده نسأل الله من فضله وكرمه.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

أشجارها نوعان منها ما له ∴ في هذه الدنيا مثال ثان

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

هذا ونوع ما له في هذه الد ∴ نيا نظير كي يرى بعيان

يكفي من التعجاج قول إلهنا ∴ من كل فاكهة بها زوجان
وأتوا به متشابها في اللون مخـ ∴ ـتلف الطعوم فذاك ذو ألوان
أو أنه متشابه في الاسم مخـ ∴ ـتلف الطعوم فذاك قول ثان
أو أنه وسط خيار كله ∴ فالفحل منه ليس ذا ثنيان
أو أنه لثمارنا ذي مشبه ∴ في اسم ولون ليس يختلفان
لكن لبهجتها ولذة طعمها ∴ أمر سوى هذا الذي تجدان
فيلذها في الأكل عند منالها ∴ وتلذها من قبله العينان
قال ابن عباس وما بالجنة الـ ∴ ـعليا سوى أسماء ما تريان
يعني الحقائق لا تماثل هذه ∴ وكلاهما في الاسم متفقان

قال الفخر الرازي-رحمه الله تعالى -:

وقَوْلُهُ: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢ ﴾[الرحمن :٥٢] مَعْناهُ كُلُّ واحِدَةٍ مِنهُما زَوْجٌ، أوْ مَعْناهُ في كُلِّ واحِدَةٍ مِنهُما مِنَ الفَواكِهِ زَوْجانِ، ويُحْتَمَلُ أنْ يَكُونَ المُرادُ مِثْلَ ذَلِكَ أيْ في كُلِّ واحِدَةٍ مِنَ الجَنَّتَيْنِ زَوْجٌ مِن كُلِّ فاكِهَةٍ فَفِيهِما جَمِيعًا زَوْجانِ مِن كُلِّ فاكِهَةٍ، وهَذا إذا جَعَلْنا الكِنايَتَيْنِ فِيهِما لِلزَّوْجَيْنِ، أوْ نَقُولُ: مِن كُلِّ فاكِهَةٍ لِبَيانِ حالِ الزَّوْجَيْنِ، ومِثالُهُ إذا دَخَلَتْ ﴿ مِن ﴾ ما لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ كائِنًا في شَيْءٍ كَقَوْلِكَ: في الدّارِ مِنَ الشَّرْقِ رَجُلٌ، أيْ فِيها رَجُلٌ مِنَ الشَّرْقِ.

ويُحْتَمَلُ أنْ يَكُونَ المُرادُ في كُلِّ واحِدَةٍ مِنها زَوْجانِ، وعَلى هَذا يَكُونُ كالصِّفَةِ بِما يَدُلُّ عَلَيْهِ مِن كُلِّ فاكِهَةٍ كَأنَّهُ قالَ: فِيهِما مِن كُلِّ فاكِهَةٍ، أيْ كائِنٌ فِيهِما شَيْءٌ مِن كُلِّ فاكِهَةٍ، وذَلِكَ الكائِنُ زَوْجانِ، وهَذا بَيِّنٌ فِيما تَكُونُ مِن داخِلِهِ عَلى ما لا يُمْكِنُ أنْ يَكُونَ هُناكَ كائِنٌ في الشَّيْءِ غَيْرُهُ، كَقَوْلِكَ: في الدّارِ مِن كُلِّ ساكِنٍ، فَإذا قُلْنا: فِيهِما مِن كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ.

الثّالِثُ: عِنْدَ ذِكْرِ الأفْنانِ لَوْ قالَ: فِيهِما مِن كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ كانَ مُتَناسِبًا لِأَنَّ الأَغْصانَ عَلَيْها الفَواكِهُ.

فَما الفائِدَةُ في ذِكْرِ العَيْنَيْنِ بَيْنَ الأمْرَيْنِ المُتَّصِلِ أحَدُهُما بِالآخَرِ؟

نَقُولُ: جَرى ذِكْرُ الجَنَّةِ عَلى عادَةِ المُتْنَعِّمِينَ، فَإنَّهم إذا دَخَلُوا البُسْتانَ لا يُبادِرُونَ إلى أكْلِ الثِّمارِ بَلْ يُقَدِّمُونَ التَّفَرُّجَ عَلى الأكْلِ، مَعَ أنَّ الإنْسانَ في بُسْتانِ الدُّنْيا لا يَأْكُلُ حَتّى يَجُوعَ ويَشْتَهِيَ شَهْوَةً مُؤْلِمَةً فَكَيْفَ في الجَنَّةِ، فَذَكَرَ ما يَتِمُّ بِهِ النُّزْهَةُ وهو خُضْرَةُ الأشْجارِ، وجَرَيانُ الأنْهارِ، ثُمَّ ذَكَرَ ما يَكُونُ بَعْدَ النُّزْهَةِ وهو أكْلُ الثِّمارِ، فَسُبْحانَ مَن يَأْتِي بِالآيِ بِأحْسَنِ المَعانِي في أبْيَنِ المَبانِي. [مفاتيح الغيب(٣٧٢/٢٩)].

سادساً: سريعة الإنبات:

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كان يوماً يُحدِّث وعنده رجل من أهل البادية: «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزَّرع فقال: أو لست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ الزرع، فأسرع وبذر فتبادر الطرف نباتُهُ واستواؤُه، واستحصاؤه، وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى -: دونك يا ابن آدم؛ فإنه لا يشبعك شيء» فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجدُ هذا إلا قُرشياً أو أنصارياً؛ فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرعٍ، فضحك الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.[البخاري(٢٣٤٨)].

وهذا الحديث يبيّن أن كل ما اشتهاه أهل الجنة يحصل لهم؛ لأن لهم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذّ الأعين، وهم فيها خالدون، جعلنا الله منهم.

فكلُّ ما يُريده أهلُ الجنَّة يكون واقعًا حقًّا بوَعْد الله الَّذي لا يُخلَف، وفي هذا الحديثِ يُخبِر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ رجلًا من أهل الجنَّة استأذَنَ المَوْلى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يَزْرَعَ في الجنَّة، فقال له الله عَزَّ وَجَلَّ: «أَلَسْتَ فِيما شِئْتَ؟» يعني: ألستَ تتقلَّبُ في النعيم؟ قال الرَّجُلُ: بَلى، ولكنِّي أُحِبُّ الزَّرْعَ، فوَضَع الرَّجُلُ البُذُورَ، فبادَرَ الطَّرْفَ

نَباتُه واستِواؤُه واستِحصادُه، أي: أَسْرَعَ نَباتُ هذا الزَّرْعِ حتّى كان أسرَعَ مِن طَرْفِه، يعني مِن ارتِدادِ حَرَكَةِ عينِه، فأَسْرَعَ النباتُ بالخروجِ والاستِواءِ والاشتِدادِ حتّى وصَل إلى الحال الَّتي يُحصَدُ عندَها، فكان مِثْلَ الجبالِ في ضَخامتِه، ثُمَّ قال تعالى: «دُونَكَ» يعني: خُذْه «يا بْنَ آدَمَ، فإنَّه لا يُشْبِعُكَ شيءٌ»، ولا يُفهَم مِن قولِه: «فإنَّه لا يُشبِعُك شيءٌ» أنَّ الجنَّةَ يَحصُل فيها حاجةٌ وجُوعٌ، ولكنْ يَدُلُّ على أنَّ نَفْسَ الإنسانِ فيها مِن الشَّرَهِ فوقَ ما تَحتاجُه، وقولُ الأعرابِيِّ: «واللهِ لا تَجِدُهُ إلا قُرَشِيًّا أو أَنْصارِيًّا، فإنَّهم أصحابُ زَرْعٍ، وأمّا نَحْنُ فلَسْنا بأصحابِ زَرْعٍ» مِن باب المُزاحِ، وأنَّ هذا الرَّجُلَ ليس من الأعرابِ، وإنَّما هو من أهلِ الزَّرْعِ في الدُّنيا، فضَحِك النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. في الحديثِ: أنَّ كلَّ ما اشتُهِيَ في الجنَّةِ مِن أُمورِ الدُّنيا مُمْكِنٌ فيها.

وفيه: فضلُ القَناعَةِ، والاقتِصار على البُلْغَةِ، وذمُّ الشَّرَهِ والرَّغْبَةِ.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى-:

الْمُرَاد أَنَّهُ لَمَّا بَذَرَ ، لَمْ يَكُنْ بَيْن ذَلِكَ وَبَيْن اِسْتِوَاء الزَّرْع وَنَجَاز أَمْره كُلّه مِنْ الْقَلْع وَالْحَصْد وَالتَّذْرِيَة وَالْجَمْع وَالتَّكْوِيم إِلَّا قَدْرُ لَمْحَة الْبَصَر.

وقال: وَفِي هَذَا الْحَدِيث مِنْ الْفَوَائِدِ أَنَّ كُلّ مَا اُشْتُهِيَ فِي الْجَنَّة مِنْ أُمُور الدُّنْيَا مُمْكِن فِيهَا. [فتح الباري (٧/٢٠٥)].

مسألة: كيف الجمع بين قوله: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ [طه :١١٨] ، وبين هذا الحديث: «لا يشبعك شيء»؟

قال ابن الملقن - رحمه الله تعالى -:

فإن ظن من لم ينعم النظر أن قوله: «لا يشبعك شيء» معارض لقوله تعالى -: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ [طه :١١٨] ، فليس كما ظَنّ؛ لأن نفي الشبع لا يوجبُ الجوعَ؛ لأن بينهما واسطة الكفاية والشبع، وأكل أهل الجنة لا عن جوعٍ أصلاً؛

لنفي الله الجوع عنهم.

واخْتُلف في الشبع فيها، والصواب أنه لا يشبع؛ لأنه لو كانفيها لمنع طول الأَكل المستلذ منها مدة الشبع، وإنما أراد بقوله: «لا يشبعك شيء »: ذم ترك القناعة بما كان فيه وطلب الزيادة، أي: لا تشبع عينك ولا نفسك شيء. [التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/٤٨٧-٤٨٨)].

وموضع الدلالة قوله: «فيقول الله: دونك بن آدم لأنه لا يشبعك شيء » كناية عن الحرص كقوله: «لا يملأ عين ابن آدم إلا التراب »، فلا يعارض قوله تعالى -: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾ [طه :١١٨] ، وما يقال: نفي الجوع لا يوجب الشبع لأن الكفاية واسطة بينهما، مع ركاكته يلزم منه أن أهل الجنة لا يشبعون قط، بل يقتصرون على قدر الكفاية. والتحقيق أن الجنة لا جوع فيها ولا شبع لأن الجوع أَلَمٌ ولا أَلَمَ في الجنة حتى يحتاج إلى دفعه، وما يتناوله أهل الجنة من الأَكل والشراب ليس لدفع العطش والجوع بل كل ذلك على سبيل التلذذ والتفكه، ولذلك قال المحققون: إن نعم الجنة لا تشارك نعم الدنيا إلا في الاسم. [الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري(١١/٢٩٢)].

قلت: المعنى في أثبات عدم الشبع على معنيين:

أحدهما: الشبع الحسي: وهو من النعيم الذي ينال أهل الجنة وليس في هذا نقص أو الحاجة التي تنافي النعيم ووجه ذلك أن العبد مهما أكل ومهما تلذذ بالمأكولات لا يناله الشبع والاستغناء عن الأَكل والشرب إذ أنه لو أَكل وشبع لبقي فترة دون الحاجة إلى الطعام والشراب ولذلك لا يشبع المؤمن في الجنة فيبقى متلذذاً بالمآكل والمشارب وجميع المطاعم ولكن عدم الشبع ليس معنى ذلك أنه يجوع فيأكل ولا يشبع بل قد نفى الله الجوع وأثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم الشبع فتنبه لهذا الخير وهذا الوصف العجيب لأهل الجنة هذا وجه.

الوجه الثاني: أن الرجل أيضاً لم يطلب الزرع لحاجة الجوع بل لمحبة التمتع بالزرع والتلذذ به وبمنظره وبما يجنى من الخير وكثرة الحبوب فالمسألة مسألة محبة الزرع واشتهائه

ليس لحاجة ولا لجوع أصابه والله تعالى أعلم.

ثانيهما: الشبع المعنوي: وهو القناعة فالجواب عليه من وجهين الوجه الأول: أن النعيم الذي ينال أهل الجنة فهم في اشتهاء للنعيم والتنوع مع حصول الاستجابة من الله تعالى لما يطلبونه ويشتهونه وهذا الاشتهاء والتخيل وعدم القناعة بالخير الموجود من كمال النعيم لهم إذ أن الله تعالى يعطيهم ويجيبهم لكل ما يريدون ويطلبون وليس ممنوع عنهم هذا الاشتهاء ولا الإعطاء من الله عَزَّوَجَلَّ فلا إله إلا الله ما أعظم وما أكرمه وما أعظم خيره على عباده نسأله تعالى أن لا يحرمنا الجنة وأن يعيذنا من النار

الوجه الثاني: ليس في هذه ذم من الله تعالى لهذا العبد كما ذكر بعض الشراح للحديث فالله تعالى يثني عليهم في الجنة ويهب لهم ما أرادوا وما طلبوا واشتهوا ومن نقص النعيم أن الله يذم عبده لا سيما في الجنة بل فيه وصف الله تعالى لجميع بني آدم بأنهم لا يقنعون وهذه أمور مجبولون عليها جميعاً والرجل الذي في الجنة لم يقول لم اقتنع بهذا النعيم ولكنه ذكر أنه يحب شيء أخر وهو الزرع يحب المزارعة ولم يقل أنه لم يقنع أو أن هناك شيء ينقصه والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني

الشجر في الجنة يغرس في الدنيا

عن أبي أيوب الأنصاري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أن رسول الله لما أسري به مر على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد فقال له إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا محمد مُر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة قال: ما غراس الجنة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله». [صحيح الترغيب(١٥٨٣)].

قال العلماء : سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا مانع غيره، ولا رادَّ لأمرِه، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر. قال أهل اللغة: الحول عبارة عن الحركة والحيلة. أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله. [البدر التمام شرح عمدة الأحكام (٤٣٨/١٠)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة». [صحيح الترغيب (١٩٨٥)].

وأن هذه غراس الجنة يعني أن الإنسان إذا قالها يغرس له في الجنة غرساً في كل كلمة.

وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ«لقيتُ إبراهيم ليلة أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أُمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، إنها قيعان وأن غراسها سُبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». [صحيح الجامع (٥١٥٢)].

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ». [الترمذي (٣٤٦٤) تعليق الألباني صحيح].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمَ غُرِسَ لَهُ شَجَرَة فِي الْجَنَّةِ» [صحيح ابن حبان(٨٢٤) قال الألباني صحيح].

عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:« أَكْثِروا مِنْ غَرْسِ الجَنّةِ فإنّهُ عَذْبٌ ماؤُها طَيّبٌ تُرابُها فأَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِها: لَا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله» [صحيح الجامع(١٢١٣)].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ به وهو يغرِسُ غرسًا فقال «يا أبا هريرةَ ما الَّذي تغرِسُ» قلتُ : غِراسًا قال: «ألا أدلُّك على غراسٍ خيرٍ من هذا سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ تُغرَسُ لك بكلِّ واحدةٍ شجرةٌ في الجنَّةِ». [صحيح ابن ماجه (١٥٤٩)].

فضَّل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عِبادِه بأمورٍ مِن الأقوالِ والأذكارِ الَّتي يُعطي عليها أجرًا عظيمًا مِن فضْلِه وكَرمِه، ومِن ذلك ما جاء في هذا الحديثِ، حيثُ يَحكي أبو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ به وهو يَغرِسُ غرْسًا» أي: يَعمَلُ بالزِّراعةِ، والغرْسُ يكونُ للشَّجرِ وغيرِه مِن النَّباتاتِ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أبا هُريرةَ، ما الَّذي تغرِسُ؟» أي: لِمن هذا الزَّرعُ؟ فقال أبو هُريرةَ رَضي اللهُ عنه: غِراسًا لي، أي: إنَّ هذا الزَّرعَ لأجْلِ الانتِفاعِ به، فقال له النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أدلُّك على غِراسٍ خيرٍ لك مِن هذا؟» أي: أُرشِدُك إلى عمَلٍ ينفَعُك في الآخرَةِ؟ فقال أبو هُريرةَ رَضي اللهُ عنه: «بلى يا رسولَ اللهِ» أي: دُلَّني وعَلِّمْني يا رسولَ اللهِ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قل: سُبحان اللهِ».

ومعناها التَّنزيهُ الكامِلُ للهِ تعالى عن كلِّ نقْصٍ، ووصْفُه بالكمالِ التّامّ الَّذي يَليقُ بجَلالِه، «والحمدُ للهِ»؛ ومعناها الاعتِرافُ بأنَّ اللهَ هو المستحِقُّ وحْدَه لِمعاني الشُّكرِ والثَّناءِ، «ولا إلهَ إلّا اللهُ»؛ وهي كلِمةُ التَّوحيدِ الخالصَةِ الَّتي تَعني أنَّه لا مَعبودَ بحقٍّ إلّا

اللهُ، وأنَّه وحده المستحِقُّ للعِبادةِ، وهي أعظمُ كَلمةٍ، ولا يَنجو من النارِ إلّا مَن وافى اللهَ تعالى بها مُخلِصًا من قَلبِه، «واللهُ أكبَرُ»؛ وفيها مَعنى العظمَةِ للهِ وأنَّه أعلى وأكبَرُ مِن كلِّ شيءٍ، «يُغرَسْ لك بكلِّ واحدةٍ شجرَةٌ في الجنَّةِ»، أي: بكلِّ ذِكرٍ مِن تلك الأذكارِ، فمَن زاد في الذِّكرِ بهنَّ زاد عدَدُ شجَرِه في الجنَّةِ حتّى تكونَ له بَساتينُ، وهي مُشتمِلةٌ على التَّنزيهِ والثَّناءِ والتَّوحيدِ والتَّعظيمِ للهِ سبحانه؛ فجَمَعَتْ بذلك أعظَمَ الصِّفاتِ للهِ وأعظَمَ الأسماءِ.

المبحث الثالث

أنواع الأشجار

١ - العنب:

قال الله تعالى : ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النبأ :٣٢] .

خص الأعناب مع أنها داخلة في الحدائق إشعارا بتفضيلها على غيرها، لأنها من المدّخرة المغذية ويؤذن بذلك التنكير. [بيان المعاني (٤١٥/٤)].

عن عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيَّ قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: فِيهَا عِنَبٌ - يَعْنِي: الْجَنَّةَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: مَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ مِنْهَا، قَالَ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ لَا يَنْثَنِي وَلَا يَفْتُرُ» قَالَ: مَا عِظَمُ الْحَبَّةِ مِنْهُ ؟ قَالَ: «هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا ؟ » قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَسَلَخَ إِهَابَهُ، فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ، وَقَالَ: ادْبُغِي لَنَا هَذَا ثُمَّ افْرِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا نَرْوِي بِهِ مَاشِيَتَنَا» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَعَامَّةُ عَشِيرَتِكَ». [ابن حبان(٧٤١٦) قال العلامة الألباني: صحيح لغيره].

٢ - الرمان:

قال تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الرحمن :٦٨-٦٩] .

فيها ثلاثة أقوال: منها أنه قيل: إنّ النخل والرمان ليسا من الفاكهة لخروجهما منها في هذه الآية، وقيل هما منها ولكن أعيد إشادة بذكرهما لفضلهما. وقيل: العرب تعيد الشيء بواو العطف اتّساعا لا لتفضيل، والقرآن نزل بلغتهم والدليل على ذلك﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ

لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الحج:١٨] ، ثم قال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج :١٨] ، وقال جل ثناؤه: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ [البقرة :٢٣٨] ، قال أبو جعفر: وهذا بيّن لا لبس فيه. [(إعراب القرآن للنحاس(٤/ ٢١٣)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وكـــذلك الـــرمـــان والأعـــنـــاب ∴ الـــتي مـنـهـا الـقـطـوف دوان

قلت: هو من باب ذِكْر الخاص بعد العام تفصيلاً له. وأفردهما بالذكر مع دخولهما في الفاكهة بيانا لفضلهما، فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء، والرمان فاكهة ودواء.

قال البقاعي - رحمه الله تعالى -:

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ ﴾ أي من كل الفاكهة، وخص أشرفها وأكثرها وجداناً في الخريف والشتاء كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالاً لهاتين الجنتين فقال: ﴿ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ فإن كلاً منهما فاكهة وإدام، فلذا خص تشريفاً وتنبيهاً على ما فيهما من التفكه وأولاهما أعم نفعاً وأعجب خلقاً فلذا قدم ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ أي نعم المحسن إليكما أيها الثقلان بجليل التربية ﴿ تُكَذِّبَانِ ﴾ أبنعمة الذوق من اليمين أم من غيرها مما جعل مثالاً لهذا من جنان الدنيا وغير ذلك.

ولما كان ما ذكر لا تكمل لذته إلا بالأنيس، وكان قد ورد أنه يكون في بعض ثمار الجنة وحمل أشجارها نساء وولدان كما أن أمثال ذلك في بطن مياه الدنيا ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ قال جامعاً على نحو ما مضى من الإشارة إلى أن الجنتين لكل واحد من أفراد هذا الصنف: ﴿ فيهن﴾ أي الجنان الأربع أو الجنان التي خصت للنساء، وجوز ابن برجان أن يكون الضمير للفاكهة والنخل والرمان فإنه يتكون منها نساء وولدان في داخل قشر الرمان ونحوه. [نظم الدرر(١٩/١٨٩-١٩٠)].

قال العلامة الشوكاني - رحمه الله تعالى -:

فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ قَرِيبًا، وَالنَّخْلُ وَالرُّمَّانُ وَإِنْ كَانَا مِنَ الْفَاكِهَةِ لَكِنَّهُمَا خُصِّصَا بِالذِّكْرِ لِمَزِيدِ حُسْنِهِمَا وَكَثْرَةِ نَفْعِهِمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ الْفَوَاكِهِ كَمَا حكاه الزجاج والأزهري وغير هما. وَقِيلَ: إِنَّمَا خَصَّهُمَا لِكَثْرَتِهِمَا فِي أَرْضِ الْعَرَبِ، وَقِيلَ: خَصَّهُمَا لِأَنَّ النَّخْلَ فَاكِهَةٌ وَطَعَامٌ، وَالرُّمَّانُ فَاكِهَةٌ وَدَوَاءٌ. وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ الْفَاكِهَةِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يُخَالِفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَبُو حَنِيفَةَ، وَقَدْ خَالَفَهُ صَاحِبَاهُ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فَإِنَّ مِنْ جُمْلَتِهَا هَذِهِ النِّعَمَ الَّتِي فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَمُجَرَّدُ الْحِكَايَةِ لَهَا أَثَرٌ فِي نُفُوسِ السَّامِعِينَ وَتَجْذِبُهُمْ إِلَى طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. [فتح القدير(١٧١/٥)].

٣- الطلح:

قال الله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٩] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

وفي الطَّلْح قولان: أحدهما: أنه الموز، قاله عليّ، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه شجر عظام كبار الشوك، قال أبو عبيدة: هذا هو الطَّلْح عند العرب، قال الحادي:

بَشَّرَها دليلُها وقالا ∴ غَداً تَرَيْنَ الطَّلْحَ والجِبالا

فإن قيل: ما الفائدة في الطَّلْح؟ فالجواب أن له نَوْراً وريحاً طيّبة، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا، وقال مجاهد: كانوا يُعْجَبون ب «وَجٍّ» وظِلاله من طلحه وسدره، فأمّا المنضود، فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نُضِدَ بالحَمْل أو بالورق والحَمْل من أوَّله إلى آخره، فليس له ساق بارزة، وقال مسروق: شجر الجنّة نضد من أسفلها إلى أعلاها. [زاد المسير(٢٢٣/٤)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

والطلح وهو الموز منضود كما ∴ نضدت يد بأصابع وبنان
أو أنه شجر البوادي موقرا ∴ حملا مكان الشوك في الأغصان

عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ السُّلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً مُؤْذِيَةً، لَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا شَجَرَةً أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا - يَعْنِي السِّدْرَ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أَلَيْسَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الواقعة :٢٨]، فَإِنَّ اللهَ خَضَدَ شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ - يَعْنِي الْمَخْصِيَّ - فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، مَا فِيهِ لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ »[الصَّحِيحَة(٢٧٣٤) صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٣٧٤٢)].

٤- السدر:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الواقعة :٢٨] .

قال ابن الجوزي -- رحمه الله تعالى -:

وفي المخضود ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الذي لا شَوْكَ فيه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقسامة بن زهير. وقال ابن قتيبة: كأنه خُضِدَ شوكُه. أي: قلع.

والثاني: أنه المُوقَر حملاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك.

والثالث: أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه، ذكره قتادة. [زاد المسير(٤/٢٢٢-٢٢٣)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

كالسدر أصل النبق مخضود مكا ∴ ن الشوك من ثمر ذوي ألوان

هـذا وظـل الـسـدر مـن خـيـر الظلا ∴ ل ونـفـعـه الـــترويح لـلأبـدان
وثمـــاره أيــضـــاً ذوات منـافـع ∴ مـن بعضها تـفـريج ذي الأحـــزان

عن سُلَيْم بن عامرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: كانَ أصْحابُ رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقولون: إنَّ الله لينفَعُنا بالأَعْرابِ ومسائِلِهم، قال: أقْبَل أعْرابيٌّ يوماً فقالَ: يا رسولَ الله! ذكر الله في الجنَّةِ شجرةً مؤذِيَةً، وما كنتُ أرى أنَّ في الجنَّة شجرةً تُؤْذي صاحِبَها! قال رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وما هي؟». قال: السِّدرُ؛ فإنَّ له شوْكاً مُؤْذِياً. قال رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أليسَ الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾، خَضَدَ الله شوْكَهُ، فجعلَ مكانَ كلِّ شوْكَةٍ ثمرةً؛ فإنَّها لتُنْبِتُ ثَمراً، تَفَتَّق الثمرةُ مِنْها عنِ اثْنَيْنِ وسبْعينَ لَوْناً مِنْ طعامٍ، ما فيها لونٌ يُشْبِه الآخَرَ». [صحيح الترغيب والترهيب(٣٧٤٢)].

٥- النخل:

قال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ [الرحمن:٦٨-٦٩].

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

وإنما أُعاد ذِكر النَّخْل والرُّمّان- وقد دخلا في الفاكهة- لبيان فضلهما كما ذكرنا في قوله: وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ، هذا قول جمهور المفسرين واللُّغويِّين. وحكى الفراء والزجاج أن قوماً قالوا: ليسا من الفاكهة قال الفراء: وقد ذهبوا مذهباً، ولكن العرب تجعلهما فاكهة.

قال الأزهري: ما علمتُ أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها: إنها ليست من الفاكهة،وإنما قال من قال، لقِلَّة عِلْمه بكلام العرب، فالعرب تذكرُ أشياء جملة ثم تخُصُّ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه، كقوله: «وجبريل وميكال» فمن قال: ليسا من الملائكة كفر، ومن قال: ثمر النّخل والرّمان ليس من الفاكهة جهل. [زاد المسير(٢١٥/٤-٢١٦)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ ، وَكَرَبُهَا

ذَهَبٌ أَحْمَرُ ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ وَحُلَلُهُمْ ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ وَالدِّلَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ ، وَأَلْيَنُ مِنْ الزُّبْدِ ، لَيْسَ فِيهَا عَجَمٌ. [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

(الْكَرَبُ): أُصُولُ السَّعَفِ الْغِلَاظِ الْعِرَاضِ. والسَّعَف: ورق النخل وجريده. وقوله ليس فيها عجم: أَيْ: ليس فيها نوى.

٦- طوبي:

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ٢٩﴾ [الرعد : ٢٩] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى-:

﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾ فيه ثمانية أقوال:

أحدها: أنه اسم شجرة في الجنة. والثاني: أنه اسم الجنة بالحبشية. والثالث: أن معنى طوبى لهم: فرح وقُرَّة عين لهم. والرابع: أن معناه: نُعمى لهم. والخامس: غبطة لهم. والسادس: أن معناه: خير لهم. والسابع: حسنى لهم. والثامن: أن المعنى: العيش الطِّيب لهم. [زاد المسير بتصرف(٢/٤٩٤)].

قلت: والصحيح حمل هذا كله وهو الجنة ولا بأس أن تسمى شجرة في الجنة بهذا الاسم كما جاء عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ-:أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: «شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها». [صَحِيح الْجَامِع: (٣٩١٨)].

(الأَكْمَام) جَمْعُ كِمٍّ ، وهو: غِلاف الثَّمر والحَبِّ قبل أن يَظْهَر. [حاشية السندي على ابن ماجه (٢٥٧/٥)].

قال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى-:

طوبى: «شجرة في الجنة » فهي اسم مشترك بين ما سلف وهذا. [التنوير شرح الجامع الصغير(١٦٤/٧)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، وَطُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي ، وفي رواية: وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي سَبْعَ مَرَّاتٍ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: « شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا». [الصَّحِيحَة(١٩٨٥) والصحيح المُسند للوادعي (١٢٥١)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

ولقد روى الخدري أيضاً أن طو ∴ بى قدرها مائة بلا نقصان

تتفتح الأكمام فيها عن لبا ∴ سهم بما شاؤوا من الألوان

عن عتبة بن عبد السلمي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسولِ اللهِ s فقال: ما حوضُكَ الَّذي تُحدِّثُ عنه قال « كما بَيْنَ البيضاءِ إلى بُصرى يُمدُّني اللهُ فيه بكُراعٍ لا يدري إنسانٌ ممَّن خُلِق أينَ طرَفاه» فكبَّر عُمَرُ بنُ الخطّابِ فقال «أمّا الحوضُ فيرِدُ عليه فُقَراءُ المُهاجِرينَ الَّذين يُقاتِلونَ في سبيلِ اللهِ ويموتونَ في سبيلِ اللهِ فأرجو أنْ يُورِثَني الكُراعَ فأشرَبَ منه» وقال رسولُ اللهِ « إنَّ ربِّي وعَدني أنْ يُدخِلَ الجنَّةَ مِن أُمَّتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ ثمَّ يشفَعُ كلُّ ألفٍ لِسبعينَ ألف ثمَّ يَحْثي ربِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكفَّيْهِ ثلاثَ حَثياتٍ فكبَّر عُمَرُ وقال إنَّ السَّبعينَ الأُولى لَيُشفِّعُهم اللهُ في آبائِهم وأبنائِهم وعَشائِرِهم وأرجو أنْ يجعَلَني اللهُ في إحدى الحَثَياتِ الأواخرِ» فقال الأعرابيُّ يا رسولَ اللهِ فيها فاكهةٌ قال « نَعَمْ وفيها شجرةٌ تُدْعى طُوبى هي تُطابِقُ الفِرْدَوْسَ» فقال أيَّ شجرِ أرضِنا تُشبِهُ قال « ليس تُشبِهُ مِن شجَرِ أرضِكَ ولكنْ أتيْتَ الشّامَ» قال لا يا رسولَ اللهِ قال « فإنَّها تُشبِهُ شجرةً في الشّامِ

تُدْعى الجَوْزَةَ تنبُتُ على ساقٍ واحدٍ ثُمَّ ينتشِرُ أعلاها قال فما عِظَمُ أصلِها قال لوِ ارتحَلْت جَذَعةً مِن إبلِ أهلِكَ لَمَا قطَعْتَها حتّى تنكسِرَ تَرْقوتُها هَرَمًا» قال فيها عِنَبٌ قال «نَعَمْ» قال ما عِظَمُ العُنقودِ منها قال: « مسيرةُ شهرٍ للغرابِ الأبقعِ لا ينثني ولا يفتُرُ» قال فما عِظَمُ الحبَّةُ منه قال « هل ذبَح أبوكَ مِن غنَمِه تَيْسًا عظيماً» قال نَعَمْ قال « فسلَخ إهابَها فأعطاه أُمَّكَ فقال ادبُغي هذا ثُمَّ افرِي لنا منه ذَنُوبًا نُروي به ماشيتَنا» قال نَعَمْ قال فإنَّ تلكَ الحبَّةَ تُشبِعُني وأهلَ بيتي ،فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« وعامَّةَ عشيرتِكَ». [صحيح الترغيب(٣٧٢٩)].

٧- سدرة المنهى:

وَعَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَقَالَ: « يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ عَامٍ، فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ». [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٢٧)].

قوله الفنن: أَيْ: ظِلِّ الْغُصْن، وَجَمْعُهُ الْأَفْنَانُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٨] .

قوله الفَرَاشُ: جَمْعُ فَرَاشَةٍ،وَهِيَ الَّتِي تَطِيرُ وَتَتَهَافَتُ فِي السِّرَاجِ.[تحفة الأحوذي (٦/٣٣٢)].

قوله الْقِلَالُ: جَمْعُ الْقُلَّةِ ، أَيْ: قِلَالُ هَجَرٍ فِي الْكِبَرِ. [المصدر السابق]

قال العلامة الطيبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «سدرة المنتهى » قيل: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر، والمنتهى موضع الانتهاء، وكأنها في منتهى الجنة وآخرها.

وقيل: لم يجاوزها أحد وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم، ولا يعلم أحد ما وراءها.

وقوله: «الفنن »: الفنن الغصن المورق، وجمعه أفنان، ويقال ذلك للنوع من الشيء وجمعه فنون.

وقوله: «فيها فراش الذهب » تفسير لقوله في التنزيل: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾[النجم :١٦] ومنه أخذ ابن مسعود حيث فسر قوله تعالى -: ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ بقوله: «يغشاها فراش من ذهب » والفراش واحده فراشة وهي التي تطير وتهافت في السراج.

قال الإمام أبو الفتح العجلي في تفسيره: ولعله أراد الملائكة تتلالأ أجنحتها تلألأ أجنحة الفراش كأنها مذهبة. [شرح المشكاة(١١/٣٥٦٥)].

قلت: بل أثبت الفراش ولا يخرج من منطوق الحديث إلا بدليل.

عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - :«انْتَهَيْتُ إِلَى السِّدْرَةِ، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ الْجِرَارِ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا، تَحَوَّلَتْ يَاقُوتًا أَوْ زُمُرُّدًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ» [أحمد (١٢٣٢٣) تعليق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين].

وعن عبدالله بن مسعود- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - لمّا بلغَ رسولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سدرةَ المنتهى قالَ انتهى إليها ما يعرجُ منَ الأرضِ وما ينزلُ من فوقٍ فأعطاهُ اللَّهُ عندَها ثلاثًا لم يعطِهنَّ نبيًّا كانَ قبلَهُ فُرِضت عليهِ الصَّلاةُ خمسًا وأعطيَ خواتيمَ سورةِ البقرةِ وغُفِرَ لأمَّتِهِ المقحِماتُ ما لم يشرِكوا باللَّهِ شيئًا قالَ ابنُ مسعودٍ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ قالَ السِّدرةُ في السَّماءِ السّادسة قالَ سفيانُ فراشٌ من ذهبٍ وأشارَ سفيانُ بيدِهِ فأرعدَها وقالَ غيرُ مالكِ ابنِ مغولٍ إليها ينتهي علمُ الخلقِ لا عِلمَ لهم بما فوقَ ذلك. [مسلم (١٧٣) وصحيح الترمذي (٣٢٧٦)].

هذا الحَديثُ فيه بيانٌ لفضلِ النَّبيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وما وَصَل إليه من منزِلَةٍ عند الله عَزَّوَجَلَّ، وفيه يقولُ عبدُ الله بنُ مسعودٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-: لَمَّا أُسرِي برَسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أي: لَمَّا كان في لَيلةِ الإسراءِ والمعراجِ، انتُهِيَ به إلى سِدْرَةِ المنتَهى، أي: ذَهَب جِبريلُ بالنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصَعِد به إلى السَّماء، ثُم كانتْ نهايةُ ما وصَل إليه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند سِدْرة المنتَهى، وهي شَجرَةٌ عظيمةٌ عندها يَنتهي عِلمُ الخلائِق، وما بَعدَها لا يعلمُه إلَّا اللهُ

سبحانه،وهي في السَّمَاءِ السَّادسَة، إليها يَنتهي ما يُعْرَجُ به مِن الأرضِ، فيُقْبَضُ منها، وإليها يَنتهي ما يُهْبَطُ به مِن فَوقِها فيُقْبَضُ منها، أي: يَصْعَدُ إليها مَن جاء مِن الأرضِ مِن أعمالِ النَّاسِ وغيرِ ذلك، وعندها يَهبِطُ ما أمَر اللهُ به فيُؤخَذُ مِن عندِها، وينفُذُ حيثُ أمَر اللهُ. قال ابنُ مسعودٍ في قولِه تعالى: ﴿ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾، قال: «فَرَاشٌ مِن ذهَبٍ»، أي:أحاط بالسِّدْرَةِ وغطَّاها فَرَاشاتٌ من الذَّهَب، أو أنَّ الفَراشَ أحالَ بيني وبين الشَّجرَةِ.

٨- شجرة الخلد:

وَعَنْ أَبِي سَعْيد الخُدري- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ الْمُضَمَّرُ السَّرِيعُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا وَهِيَ شَجَرَةُ الْخُلْدِ وَإِنْ شِئْتُمْ فَاقْرَءُوا: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ ﴾[الواقعة :٢٧-٣١]». [البخاري(٦٥٥٣)].

قوله: الْجَوَاد: هُوَ الْفَرَس، يُقَال: جَادَ الْفَرَس،إِذَا صَارَ فَائِقًا، وَالْجَمْعُ: جِيَاد. [فتح الباري (٤٠٠/١٨)].

قوله المضمر: الْإِضْمَارُ وَالتَّضْمِيرُ: أَنْ تَعْلِفَ الْخَيْلَ حَتَّى تَسْمَنَ وَتَقْوَى، ثُمَّ يُقَلَّلُ عَلَفُهَا بَعْدُ بِقَدْرِ الْقُوتِ ، وَتُدْخَلُ بَيْتًا ، وَتُغَشَّى بِالْجِلَالِ حَتَّى تَحْمَى فَتَعْرَق ، فَإِذَا جَفَّ عَرَقُهَا خَفَّ لَحْمُهَا ، وَقَوِيَتْ عَلَى الْجَرْيِ. [تحفة الأحوذي(٣٨٢/٤)].

يُخبِرنا النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيقول: «إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الراكِبُ الجَوادَ المُضَمَّرَ» والجَوادُ: هو الفَرَسُ السَّرِيع، وتَضْمِيرُ الخَيْل: شَدُّ سُرُوجِها عليها وتَجليلُها بالأَجِلَّةِ، وتَجْرِي حتّى تَعْرَق، ويُكرَّر ذلك عليها حتّى تَعْتادَه، فيَقْوى لَحْمُها ويَذْهَبَ رَهَلُها وتَخِفَّ حركتُها، وقيل: التَّضميرُ إدخالُها في بيتٍ ويُنقص من علفِها وتُخلَّل حتى يكثُر عرقها فينقص لحمها؛

فيكونُ أقوى لجريها، وقيل: يُنقص علفها وتُخلل بَخَلٍّ مبلولٍ. «في ظِلِّها» أي: في نَعيمِها أو ناحيتِها؛ فالجَنَّة كلُّها ظلال، «مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها»، أي: لا يَنتهِي إلى آخِرِ ما يَمِيل مِن أغصانِها.

٩- سيد ريحان الجنة:

أخبرنا الله أن في الجنة ريحاناً: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الواقعة :٨٨-٨٩].

وأخبرنا الرسول-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن سيد ريحان أهل الجنة الحناء، فعن عبد الله بن عمرو عن النبي-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله- صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «سيد ريحان الجنة الحناء». [السلسلة الصحيحة (١٤٢٠)].

كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحبُّ الأشياءَ الحسنةَ والجميلةَ، ويُرشِدُنا إليها، وما فيها مِن المنافِعِ، كما يقولُ هذا الحديثُ: «سيِّدُ رَيحانِ أهْلِ الجَنَّةِ الحِناءُ» والمعنى أنَّ نَوْرَ الحِناءِ وزَهرتَها برائحتِها الطيِّبةِ تكونُ أعلى أنواعِ الروائِحِ الطيِّبةِ في الجَنَّةِ، ويُسمِّيها النّاسُ الفاغيةَ أو التَّمرَ حِنّا؛ وهذا لأنَّ الحِنّاءَ تُستخدَمُ للزِّينةِ عندَ النِّساءِ، وهذا مِن الحثِّ على اتخاذِها واستعمالِها.

قال ابن الأمير الصنعاني- رحمه الله تعالى -:

هي نور الحناء من أطيب الرياحين معتدلة في الحر واليبس فيها بعض قبض وإذا وضعت بين ثياب الصوف منعت السوسة ومنافعها كثيرة.[التنوير شرح الجامع الصغير(٦/٤٢٩)].

المبحث الرابع

صفة الأشجار

طولها وارتفاعها:

عن عتبة بن عبد السلمي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ما حوضُكَ الَّذي تُحدِّثُ عنه قال «كما بَيْنَ البيضاءِ إلى بُصرى يُمدُّني اللهُ فيه بكُراعٍ لا يدري إنسانٌ ممَّن خُلِق أينَ طرَفاه» فكبَّر عُمَرُ بنُ الخطّابِ فقال «أمّا الحوضُ فيرِدُ عليه فُقَراءُ المُهاجِرينَ الَّذين يُقاتِلونَ في سبيلِ اللهِ ويموتونَ في سبيلِ اللهِ فأرجو أنْ يُورِثَني الكُراعَ فأشرَبَ منه» وقال رسولُ اللهِ «إنَّ ربِّي وعَدني أنْ يُدخِلَ الجنَّةَ مِن أُمَّتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حسابٍ ثمَّ يشفَعُ كلُّ ألفٍ لِسبعينَ ألف ثمَّ يَحْثي ربِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بكفَّيْهِ ثلاثَ حَثَياتٍ فكبَّر عُمَرُ وقال إنَّ السَّبعينَ الأُولى لَيُشفِّعُهم اللهُ في آبائِهم وأبنائِهم وعَشائرِهم وأرجو أنْ يجعَلَني اللهُ في إحدى الحَثَياتِ الأواخرِ» فقال الأعرابيُّ يا رسولَ اللهِ فيها فاكهةٌ قال «نَعَمْ وفيها شجرةٌ تُدْعى طُوبى هي تُطابِقُ الفِرْدَوْسَ » فقال أيَّ شجَرِ أرضِنا تُشبِهُ قال «ليس تُشبِهُ مِن شجَرِ أرضِكَ ولكنْ أتَيْتَ الشّامَ» قال لا يا رسولَ اللهِ قال «فإنَّها تُشبِهُ شجرةً في الشّامِ تُدْعى الجَوْزَةَ تنبُتُ على ساقٍ واحدٍ ثمَّ ينتشِرُ أعلاها قال فما عِظَمُ أصلِها قال لوِ ارتحَلْتَ جَذَعةً مِن إبلِ أهلِكَ لَما قطَعْتَها حتّى تنكسِرَ تَرْقوتُها هَرَمًا» قال فيها عِنَبٌ قال «نَعَمْ» قال ما عِظَمُ العُنقودِ منها قال «مسيرةُ شهرٍ للغرابِ الأبقعِ لا يَنثني ولا يفتُرُ» قال فما عِظَمُ الحبَّةُ منه قال «هل ذبَح أبوكَ مِن غنَمِه تَيْسًا عظيماً» قال نَعَمْ قال «فسلَخ إهابَها فأعطاه أُمَّكَ فقال ادبُغي هذا ثمَّ افْرِي لنا منه ذَنُوبًا نُروي به ماشيتَنا» قال نَعَمْ قال فإنَّ تلكَ الحبَّةَ تُشبِعُني وأهلَ بيتي فقال النَّبيُّ «وعامَّةَ عشيرتِكَ».[صحيح الترغيب(٣٧٢٩)، والشفاعة للوادعي (٢٣٤)].

عرضها:

عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«إن في الجنة شجرةً يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها».[البخاري (٦٥٥٣)مسلم(٢٨٢٦)].

قال العلماء: المراد بظلها: كنفها، وذراها، وهو ما يستر أغصانها.

قال القاضي: قوله: «الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » مبالغة في امتداد ظلها، وأن راكب الجواد من الخيل وهو الذى بمعنى السريع يجود جريه؛ ولذا سمى جوادًا، ثم إذا كان مضمرًا كان أسرع. [إكمال المعلم(٣٦٠/٨)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي ، وفي رواية: وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي سَبْعَ مَرَّاتٍ» ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبَى؟ ، قَالَ: « شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا».[الصَّحِيحَة(١٩٨٥)].

الأَكْمَام: جَمْعُ كِمٍّ ، وهو: غِلاف الثَّمر والحَبِّ قبل أن يَظْهَر. [حاشية السندي على ابن ماجهْ (٢٥٧/٥)].

ساقها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الرحمن:٦٨].

قَالَ: نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، كَرَانِيفِهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهُ عَجْمٌ. [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

وعَنْ مُجَاهِدٍ - رحمه الله تعالى - قَالَ:

أَرْضُ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ، وَتُرَابُهَا مِسْكٌ، وَأُصُولُ شَجَرِهَا ذَهَبٌ، وَوَرِقٌ، وَأَفْنَانُهَا اللُّؤْلُؤُ

وَالزَّبَرْجَدُ وَالْوَرِقُ، وَالثِّمَارُ وَالشَّجَرُ بَيْنَ ذَلِكَ فَمَنْ أَكَلَ قَائِمًا فَلَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ مُضْطَجِعًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ جَالِسًا لَمْ يُؤْذِهِ، ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾. [الإنسان:١٤] [البيهقي في البعث والنشور(٢٨٦)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

ولقد أتى أثر بأن الساق من ∴ ذهب رواه الترمذي ببيان
قال ابن عباس وهاتيك الجذو ∴ ع زمرد من أحسن الألوان
ومقطعاتهم من الكرم الذي ∴ فيها ومن سعة من العقيان
وثمارها ما فيه من عجم كأمـ ∴ ـثال القلال فجلّ ذو الإحسان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ ، إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ » [صَحِيح الْجَامِع (٥٦٤٧)].

قال العلامة الهرري الشافعي-رحمه الله تعالى -:

وَأَمَّا أَغْصَانُهَا مُخْتَلِفَةٌ، فَتَارَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَأُخْرَى مِنْ فِضَّةٍ أَوْ يَاقُوتَةٍ أَوْ زُمُرُّدَةٍ أَوْ لُؤْلُؤَةٍ أَوْ مُرَصَّعَةٌ مُلَمَّعَةٌ، مُزَيَّنَةٌ بِأَنْوَاعِ الْأَزْهَارِ وَأَصْنَافِ الْأَنْوَارِ، وَمِنْ فَوْقِهَا أَجْنَاسُ الْأَثْمَارِ وَمِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ. [مرقاة المصابيح (٣٥٨٧/٩)].

عَنْ جَرِير-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ سُلْمَان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:«يَا جَرِير لَوْ طَلَبْتَ فِي الْجَنَّة مِثل هَذَا الْعُود لَمْ تَجِدْهُ». قَالَ قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِالله فَأَيْنَ النَّخْل وَالشَّجَر وَالثَّمر ؟ قَالَ: «أُصُولُهَا اللُّؤْلُؤ وَالذَّهَب وَأَعْلَاهَا الثَّمار» [صحيح الترغيب (٣٧٣٣)].

ورقها:

قال الله تعالى : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل

لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف:٢٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الرحمن :٦٨-٦٩] . قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، كَرَانِيفُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهُ عَجْمٌ» [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

الْكَرَبُ: أُصُولُ السَّعَفِ الْغِلَاظِ الْعِرَاضِ. [تحفة الأحوذي(٣١٦/٦)].

والسَّعَف: ورق النخل وجريده.

قوله: عجم: أَيْ: ليس فيها نوى.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى ، ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي ، وفي رواية: وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي سَبْعَ مَرَّاتٍ» ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبَى؟ ، قَالَ: « شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا». [الصَّحِيحَة(١٩٨٥)].

(الأَكْمَام) جَمْعُ كِمٍّ وهو: غِلاف الثَّمر والحَبِّ قبل أن يَظْهَر. [حاشية السندي على ابن ماجه (٢٥٧/٥)].

ظلها:

قال الله تعالى : ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد : ٥٣] .

قال الفخر الرازي: أَنَّ ظِلَّهَا دَائِمٌ أَيْضًا، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ وَلَا شَمْسٌ

وَلَا قَمَرٌ وَلَا ظُلْمَةٌ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تعالى -: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[الإنسان :٣١].

[مفاتيح الغيب(٤٦/١٩)].

قال **الله** تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[يس :٥٥-٦٥].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ، فَلَا يَقْطَعُهَا فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الواقعة : ٣٠] ». [الترمذي(٣٢٩٢) قال العلامة الألباني: صحيح] .

يُخبِرنا النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «إنَّ في الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الراكبُ الجَوادَ المُضَمَّرَ» والجَوادُ: هو الفَرَسُ السَّريع، وتَضْمِيرُ الخَيْل: شَدُّ سُرُوجِها عليها وتَجليلُها بالأَجِلَّةِ، وتَجْرِي حتّى تَعْرَقَ، ويُكرَّر ذلك عليها حتّى تَعْتادَه، فيَقْوى لَحْمُها ويَذْهَبَ رَهَلُها وتَخِفَّ حركتُها، وقيل: التَّضميرُ إدخالُها في بيتٍ ويُنقص من علفِها وتُخلّل حتى يكثُر عرقها فينقص لحمها؛ فيكونُ أقوى لجريها، وقيل: يُنقص علفها وتُخلل بخَلٍّ مبلولٍ. «في ظِلِّها» أي: في نَعيمِها أو ناحيتِها؛ فالجَنَّة كلُّها ظلال، «مِئَةَ عامٍ لا يَقْطَعُها»، أي: لا يَنتهِي إلى آخرِ ما يَمِيل مِن أغصانِها. في الحديثِ: بيانُ سَعَةِ الجنةِ.

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ-رحمه **الله** تعالى - فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ قَالَ: مَسِيرَةُ سَبْعِينَ أَلْفِ عَامٍ. [البيهقي في البعث والنشور(٢٧٢)].

وَعَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَر سِدْرَةَ الْمُنْتَهى فَقَالَ: « يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ عَامٍ، فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ ». [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٢٧)].

والفنن: أَيْ: ظِلِّ الْغُصْن ، وَجَمْعُهُ الْأَفْنَانُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن :٤٨].

(الفَرَاشُ): جَمْعُ فَرَاشَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي تَطِيرُ وَتَتَهَافَتُ فِي السِّرَاجِ. [تحفة الأحوذي (٣٣٢/٦)].

(الْقِلَالُ): جَمْعُ الْقُلَّةِ ، أَيْ: قِلَالُ هَجَرٍ فِي الْكِبَرِ. [تحفة الأحوذي(٣٣٢/٦)].

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

وظلالها معدودة ليست تقي ∴ حرا ولا شمسا وأنى ذان

أو ما سمعت بظل أصل واحد ∴ فيه يسير الراكب العجلان

مائة سنين قدرت لا تنقضي ∴ هذا العظيم الأصل والأفنان

المبحث الخامس
وصف ثمارها

١ - غير ممنوعة:

إن ملوك الدنيا وأغنياءها قد يشتهون ثمرا يجدون قيمته فلا يحصلون عليه؛ لأنه في غير وقته، أو بعيد مكانه، وقد يشتهون طعاما أو شرابا موجودا ولكنه يحتاج إلى وقت في صنعه وإعداده، وقد يشتهون طعام ممنوع عليهم تناوله لسبب التحريم أو المضرة عليهم وقد يطلبون فلا يأتيهم في وقت مرادهم، فتنقطع شهوتهم أثناء انتظاره.وأعظم لذة بالطعام والشراب في وقت اشتهائه وطلبه.

أما في الجنة فقطوف الثمر دانية مذللة لأهلها في كل وقت ومكان، وشرابها جاهز على الدوام، وعيونها تتفجر في الحال، فيا له من طعام وشراب! ويا له من نعيم تام! جعلنا الله تعالى ووالدينا وذرياتنا وآلنا والمسلمين من أهلها.

قال الله تعالى : ﴿ **وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤)** ﴾ [الواقعة : ٢٧-٣٤] .

قال الفخر الرازي: وَالْمَمْنُوعُ مِنَ النَّاسِ لِطَلَبِ الْأَعْوَاضِ وَالْأَثْمَانِ ظَاهِرٌ فِي الْحِسِّ، لِأَنَّ الْفَاكِهَةَ فِي الدُّنْيَا تُمْنَعُ عَنِ الْبَعْضِ فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ، وَفِي الْآخِرَةِ لَيْسَتْ مَمْنُوعَةً....كما أن في: لا مَمْنُوعَةٍ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ الْمَنْعِ، وَبَيَانُهُ هُوَ أَنَّ الْفَاكِهَةَ فِي الدُّنْيَا لَا تُمْنَعُ إِلَّا لِطَلَبِ الْعِوَضِ، وَحَاجَةِ صَاحِبِهَا إِلَى ثَمَنِهَا لِدَفْعِ حَاجَةٍ بِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ مَالِكُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا حَاجَةَ لَهُ، فَلَزِمَ أَنْ لَا تُمْنَعَ الْفَاكِهَةُ مِنْ أَحَدٍ كَالَّذِي لَهُ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَبِيعُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا بِوَجْهٍ

مِنَ الْوُجُوهِ لَا شَكَّ فِي أَنْ يُفَرِّقَهَا وَلَا يَمْنَعَهَا مِنْ أَحَدٍ. [مفاتح الغيب(٤٠٦/٢٩)].

٢- دائمة:

أكثر شيء ينغص على أهل الدنيا عيشهم القلة بعد الجدة، وفقد الشيء بعد نيله، واشتهاء الشيء مع عدم القدرة عليه. ومن الناس من يشتهي طعاما فيأكل من الطعام ما يضره؛ لمرض فيه، ومنهم من يرى الطعام فيحبس نفسه عنه وإن كان يشتهيه؛ خوفا من عاقبته. ومن الناس من يسرف في مأكله فيضر نَفْسَه، ويحبس نَفَسَه، وأما أهل الجنة فيتنعمون بأنواع المآكل والمشارب وهم آمنون من كل هذا التنغيص ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان : ٥٥]، آمنين من فقدها وقلتها، وآمنين من ضررها وعاقبتها، وآمنين من حبس نفوسهم عنها لعلة من العلل؛ فالجنة ليس فيها مرض ولا قلة ولا فقر ولا ضرر على أهلها مما يأكلون ويشربون ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[الرعد : ٣٥] .

قال الله تعالى : ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة : ٢٧-٣٤] .

وأشجار الجنة دائمة العطاء ،فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[الرعد : ٣٥] . وقال الله -: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي دائمة مستمرة، وهي مع دوامها لا يمنع عنها أهل الجنة . ومن لطائف ما يجده أهل الجنة عندما تأتيهم ثمارها أنهم يجدونها تتشابه في المظهر، ولكنها تختلف في المخب، ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[البقرة : ٢٥] .

قال الفخر الرازي-رحمه الله تعالى -:

﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ أَيْ لَيْسَتْ كَفَوَاكِهِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تَنْقَطِعُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ وَالْأَمَاكِنِ ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ أَيْ لَا تُمْنَعُ مِنَ النَّاسِ لِطَلَبِ الْأَعْوَاضِ وَالْأَثْمَانِ....وَأَمَّا الْقَطْعُ فَيُقَالُ فِي الدُّنْيَا: إِنَّهَا انْقَطَعَتْ فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ، فَقَوْلُهُ تعالى : ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، لِأَنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى دَلِيلِ عَدَمِ الْقَطْعِ.

وَأَمَّا الِانْقِطَاعُ فَنَقُولُ الَّذِي يُقَالُ فِي الدُّنْيَا: الْفَاكِهَةُ انْقَطَعَتْ، وَلَا يُقَالُ عِنْدَ وُجُودِهَا: امْتَنَعَتْ، بَلْ يُقَالُ: مُنِعَتْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَلَكِنَّ كُلَّ أَحَدٍ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْفَاكِهَةِ زَمَانَ وُجُودِهَا يَرَى أَحَدًا يَحُوزُهَا وَيَحْفَظُهَا وَلَا يَرَاهَا بِنَفْسِهَا تَمْتَنِعُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا مَمْنُوعَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَ انْقِطَاعِهَا وَفَقْدِهَا لَا يَرَى أَحَدًا قَطَعَهَا حِسًّا وَأَعْدَمَهَا فَيَظُنُّهَا مُنْقَطِعَةً بِنَفْسِهَا لِعَدَمِ إِحْسَاسِهِ بِالْقَاطِعِ وَوُجُودِ إِحْسَاسِهِ بِالْمَانِعِ، فَقَالَ تعالى -: لَوْ نَظَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا حَقَّ النَّظَرِ عَلِمْتُمْ أَنَّ كُلَّ زَمَانٍ نَظَرًا إِلَى كَوْنِهِ لَيْلًا وَنَهَارًا مُمْكِنٌ فِيهِ الْفَاكِهَةُ فَهِيَ بِنَفْسِهَا لَا تَنْقَطِعُ، وَإِنَّمَا لَا تُوجَدُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِ لِقَطْعِ اللَّهِ إِيَّاهَا وَتَخْصِيصِهَا بِزَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ، وَعِنْدَ غَيْرِ الْمُحَقِّقِ لِبَرْدِ الزَّمَانِ وَحَرِّهِ، وَكَوْنِهِ مُحْتَاجًا إِلَى الظُّهُورِ وَالنُّمُوِّ وَالزَّهْرِ وَلِذَلِكَ تَجْرِي الْعَادَةُ بِأَزْمِنَةٍ فَهِيَ يَقْطَعُهَا الزَّمَانُ فِي نَظَرِ غَيْرِ الْمُحَقِّقِ فَإِذَا كَانَتِ الْجَنَّةُ ظلها ممدودا لَا شَمْسَ هُنَاكَ وَلَا زَمْهَرِيرَ اسْتَوَتِ الْأَزْمِنَةُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْطَعُهَا فَلَا تَكُونُ مَقْطُوعَةً بِسَبَبٍ حَقِيقِيٍّ وَلَا ظَاهِرٍ، فَالْمَقْطُوعُ يَتَفَكَّرُ الْإِنْسَانُ فِيهِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَقْطُوعٌ لَا مُنْقَطِعٌ مِنْ غَيْرِ قَاطِعٍ، وَفِي الْجَنَّةِ لَا قَاطِعَ فَلَا تَصِيرُ مَقْطُوعَةً. [مفاتح الغيب(٤٠٦/٢٩)].

وقال أيضاً: أَنَّ أُكُلَهَا دَائِمٌ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ جَنَّاتِ الدُّنْيَا لَا يَدُومُ وَرَقُهَا وَثَمَرُهَا وَمَنَافِعُهَا. أَمَّا جَنَّاتُ الْآخِرَةِ فَثِمَارُهَا دَائِمَةٌ غَيْرُ مُنْقَطِعَةٍ. [مفاتيح الغيب(٤٦/١)].

قال الإمام الهمام المحقق ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

يا طيب هاتيك الثمار وغرسها ∴ في المسك ذاب الترب للبستان

وكـــذلك المـــاء الذي يسـقى بـه ∴ ياطـيـب ذاك الـــورد للظـمآن
وإذا تنـاولـت الـثمار أتــت نظيـ ∴ ـــرتهـــا فحلــت دونهـــا بمـكان
لم تنـقطـع أبـــدا ولم تـرقـب نـزو ∴ ل الـشـمـس مـن حمـل إلى مـيزان

٣- قريبة المنال:

وقال الله تعالى: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإنسان:١٤].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾، قَالَ: «ذُلِّلَتْ لَهُمْ فَيَتَنَاوَلُونَ مِنْهَا كَيْفَ شَاءُوا». [البيهقي في البعث والنشور(٢٨٤)].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾، قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ قِيَامًا، وَقُعُودًا، وَمُضْطَجِعِينَ، عَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءُوا». [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٤)].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[الحاقة:٢١-٢٤].

عَنْ مُجَاهِدٍ-رحمه الله تعالى - قَالَ: «أَرْضُ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ، وَتُرَابُهَا مِسْكٌ، وَأُصُولُ شَجَرِهَا ذَهَبٌ، وَوَرِقٌ، وَأَفْنَانُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالزَّبَرْجَدُ وَالْوَرِقُ، وَالثِّمَارُ وَالشَّجَرُ بَيْنَ ذَلِكَ فَمَنْ أَكَلَ قَائِمًا فَلَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ مُضْطَجِعًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أَكَلَ جَالِسًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا». [البيهقي في البعث والنشور(٢٨٦)] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ: ﴿ مَخْضُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨] ، يَقُولُ: «لَا شَوْكَ فِيهِ» وَقَوْلُهُ: ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٤] ،يَقُولُ: «خَضْرَاوَانِ» ، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[الرحمن:٥٤]، يَقُولُ: «ثِمَارُهَا دَانِيَةٌ»،وَقَوْلُهُ ﴿ نَضَّاخَتَانِ ﴾[الرحمن:٦٦] ، يَقُولُ: «فَيَّاضَتَانِ». [البيهقي في البعث والنشور(٢٨١)].

٤- كبيرة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الرحمن :٦٨] قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، كَرَانِيفُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهُ عَجَمٌ» [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

الْكَرَبُ: أُصُولُ السَّعَفِ الْغِلَاظِ الْعِرَاضِ. [تحفة الأحوذي(٣١٦/٦)].

والسَّعَف: ورق النخل وجريده.

قوله: عجم: أَيْ: ليس فيها نوى.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بنتِ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَقَالَ: « يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الْفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ عَامٍ، فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ». [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٢٧)].

والفنن: أَيْ: ظِلِّ الْغُصْنِ ، وَجَمْعُهُ الْأَفْنَانُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٨] ،

(الْفَرَاشُ): جَمْعُ فَرَاشَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي تَطِيرُ وَتَتَهَافَتُ فِي السِّرَاجِ. [تحفة الأحوذي (٣٣٢/٦)].

(الْقِلَالُ): جَمْعُ الْقُلَّةِ ، أَيْ: قِلَالُ هَجَرٍ فِي الْكِبَرِ. [المصدر السابق].

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقولُ اللَّهُ: أعددتُ لعباديَ الصّالحينَ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمِعَت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، واقرأوا إن شئتُمْ: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وفي الجنَّةِ شجرةٌ يسيرُ الرّاكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها، واقرأوا إن شئتُمْ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وموضعُ سوطٍ في الجنَّةِ خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها، واقرأوا إن شئتُمْ:﴿ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ

فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾. [صحيح الترمذي (٣٢٩٢)].

مِن المبَشِّراتِ ما كان يذكُرُه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّتِه مِن نَعيمِ الجنَّةِ وما أعدَّه اللهُ للصّالحينَ منهم، وفي هذا تَثبيتٌ لأُمَّتِه إذا عرفوا ما سيَجِدونه عندَ اللهِ مِن الرَّحمَةِ والكَرامَة لِمَن خاف اللهَ واتَّقاهَ وعَمِل الصالحاتِ.

وهذا الحَديثُ هو مِن الأحاديثِ القُدُسيَّةِ التي يَرويها النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رَبِّ العزَّةِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وفيه يقولُ: «قال اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أعددْتُ»، أي: خلقْتُ وهيَّأْتُ في الجنَّةِ «لعبادِي الصّالحينَ»، أي: للعبادِ الذي يَعلمون الصّالحاتِ، ويَسْعَون في الخيرِ، والإضافَةُ في قوله: لعبادِي؛ للتشريفِ، أي: المخلِصِينَ منهم بتِلك الأعمالِ، «ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سَمِعَت»، أي: ما لم تَرَه عيْنٌ ولم تسمعْ به وبوصْفِه أُذنٌ في الدُّنيا، وتَنكيرُ «عيْن» و«أُذُن» في سِياقِ النَّفي يُفيدُ الشُّمولَ، أي: يكونُ في الجنَّةِ ما لم تَرَه أيُّ عيْنٍ مِن الأعيُنِ، ولم تسمَعْ به وبِوصفِه أيُّ أُذنٍ مِن الآذانِ، «ولا خَطَر على قلب بشَرٍ»، أي: ولم يَمُرَّ على عقل أحدٍ ما يشبِهُه أو يتصوَّرُه من النَّعيمِ، فكلُّ شيءٍ تخيَّله عقلٌ أو قلبٌ من نعيم الجنَّةِ؛ ففيها أفضلُ مما تخيَّله، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شِئْتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]، أي: وهذا مِصداقُ ما قاله من كتاب الله الذي أخبَر أنه لا يعلم أحدٌ ولا يتصوَّرُ ما خبَّأه اللهُ عن النّاسِ من النَّعيمِ الذي تقَرُّ به العينُ، أي: تهدأُ وتسعَدُ وتفرَحُ به يوم القيامةِ عند الله تعالى.

٥- كثيرة:

والأساس في المآكل هي الثمار واللحوم، وهي أكثر ما يطلبه الناس ويبذلون فيه الأموال، وفي الجنة ثمار ولحوم لأهلها ليست كالتي في الدنيا ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الطور: ٢٢]، وفي آية أخرى ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الواقعة: ٢٠-٢١]،وفي ثالثة ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[المرسلات: ٤١-٤٣].

وهي ثمار كثيرة جداً تعز على الحصر، ولا يحصيها العد، وإذا كانت ثمار الدنيا لا يكاد يحصيها الواحد من الناس، بل الجماعة منهم، فكيف بثمار الجنة، وهي ثواب الله تعالى لعباده المؤمنين ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ﴾[ص:٥٠-٥١]،وفي آية أخرى ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الزخرف: ٧٢-٧٣]،ويكفي في الدلالة على ذلك قول الله تعالى ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[محمد : ١٥] ،

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

قال العلامة القنوجي - رحمه الله تعالى-:

قوله: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا ﴾ أي أطعموا من الجنة طعاماً والمراد بثمرة النوع لا الفرد قاله سعد التفتازاني، وأطال الكلام فيه ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴾ في الدنيا ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ ﴾ وصف آخر للجنات أو جملة مستأنفة والمراد أنه شبيهه ونظيره لا أنه هو، لأن ذات الحاضر لا يكون عين ذات الغائب لاختلافهما، وذلك أن اللون يشبه اللون وإن كان الحجم والطعم والرائحة والمأدبة متخالفة والضمير في «به»عائد إلى الرزق وقيل المراد أنهم أتوا بما يرزقونه في الجنة متشابهاً فما يأتيهم في أول النهار يشابه الذي يأتيهم في آخره فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل، فإذا أكلوا وجدوا له طعماً غير طعم الأول، عن ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء، وعن الحسن في قوله ﴿ مُتَشَٰبِهٗاۖ ﴾ قال خيار كله يشبه بعضه بعضاً لا رذال فيه ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف ترذلون بعضه. [فتح البيان(١٠١/١)].

وقال الله تعالى -: ﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الطور : ٢٢] .

والإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة.

وقال ابن كثير كلاماً لطيفاً دلل فيه على عظيم ثمار الجنة ، إذ استنتج أن الله نبه بالقليل على الكثير ، والهين على العظيم عندما ذكر السدر والطلح، قال: « وإذا كان السدر الذي في الدنيا لا يثمر إلا ثمرة ضعيفة وهو النبق، وشوكه كثير، والطلح الذي لا يراد منه في الدنيا إلا الظل ، يكونان في الجنة في غاية من كثرة الثمار وحسنها، حتى إن الثمرة الواحدة منها تتفتق عن سبعين نوعاً من الطعوم، والألوان، التي يشبه بعضها بعضاً، فما ظنك بثمار الأشجار، التي تكون في الدنيا حسنَّة الثمار ، كالتفاح، والنخل ، والعنب ، وغير ذلك؟ وما ظنك بأنواع الرياحين، والأزاهير؟ وبالجملة فإن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله منها من فضله. [البداية والنهاية (٢/ ٢٦٢)].

٦- مشتهاه:

وأعظم شيء في الطعام والشراب لذته، وكلما كان طيبا عظم الفرح واللذة به، وأقبل الآكل والشارب عليه؛ ولذا يعطى أهل الجنة قوة عظيمة لتكمل لذتهم بما يجدون من مآكلها ومشاربها.

وقال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾** ﴾[المرسلات: ٤١-٤٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي قَوْلِهِ: ﴿ **فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾** ﴾ [الرحمن : ٦٨-٦٩]، قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، كَرَانِيفُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهُ عَجْمٌ». [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

الْكَرَبُ: أُصُولُ السَّعَفِ الْغِلَاظِ الْعِرَاضِ. [تحفة الأحوذي(٦/٣١٦)].

والسَّعَف: ورق النخل وجريده.

قوله: عجم: أَيْ: ليس فيها نوى.

مِن المُبشِّراتِ ما كان يذكُرُه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّتِه مِن نَعيمِ الجنَّةِ وما أعَدَّه اللهُ للصّالحينَ، وهذا مِن التَّثبيتِ لأُمَّتِه، بتَعريفِهم ما سيَجِدونه عندَ اللهِ مِن الرَّحمةِ والكَرامةِ، لِمَن خاف اللهَ واتَّقاه وعَمِلَ الصّالحاتِ، وقد نقَلَ الصَّحابةُ الكِرامُ ما فهِموه عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلينا، كما في هذا الأثَرِ، الذي يقولُ فيه ابنُ عبّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما: «نَخلُ الجنَّةِ»، وهذا من التَّشابُهِ في الأسماءِ مع ما في الدُّنيا دون التَّشابُهِ في الحَقيقةِ، «جُذوعُها»، وهي الأُصولُ والسِّيقانُ «مِن زُمُرُّدٍ أخضرَ»، والزُّمُرُّدُ: حَجَرٌ كَريمٌ أخضرُ اللَّونِ، شديدُ الخُضرةِ شفّافٌ، «وكَرَبُها»، وهو أُصولُ السَّعَفِ والجَريدِ الغِلاظِ العِراضِ «ذَهبٌ أحمرُ، وسَعَفُها»، السَّعَفُ: وَرقُ النَّخلِ وجَريدُه «كِسوَةٌ لأهلِ الجنَّةِ»، فمنها يَأخُذونُ ثيابَهم، و«منها مُقطَّعاتُهم»، وهي الثِّيابُ المَخيطةُ مِثلُ الجُبَّةِ وغيرِها، وقيلَ: هي قِصارُ الثِّيابِ، وقيلَ: المُقَطَّعُ مِن الثِّيابِ: كلُّ ما يُفصَّلُ ويُخاطُ مِن قَميصٍ وغيرِه، «وحُلَلُهم»، وهي الثِّيابُ التي تُتَّخَذُ مِن ثَوبَينِ مِن جِنسٍ واحدٍ، «وثَمرُها أمثالُ القِلالِ والدِّلاءِ»، والقِلالُ والدِّلاءُ هي أَوعيَةٌ كَبيرةُ الحَجمِ كانتْ تُملأُ بالماءِ، والمُرادُ أنَّ ثِمارَ النَّخلِ كَبيرةٌ، أمّا طَعمُها فهو «أحلى مِن العَسلِ»، في لَذَّتِه وحَلاوتِه «وألْيَنُ مِن الزَّبَدِ»، في مَلمَسِه الطَّريِّ، «ليس له عَجَمٌ»، بمعنى أنَّه ليس فيها نَوًى، يَمنَعُ ليونتَه وطيبَه، وهذا كلُّه مِن التَّرغيبِ في الجنَّةِ بوَصفِ ما فيها مِن النَّعيمِ لِيَستبشِرَ المؤمنونَ.

٧- جميلة الألوان والمناظر:

عَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدِ السُّلَمِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً مُؤْذِيَةً، لَا أَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا شَجَرَةً أَكْثَرَ شَوْكًا مِنْهَا - يَعْنِي السِّدْرَ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « أَلَيْسَ

اللهُ - عَزَّوَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الواقعة : ٢٨]، فَإِنَّ اللهَ خَضَدَ شَوْكَهُ ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمَرَةً مِثْلَ خِصْيَةِ التَّيْسِ الْمَلْبُودِ - يَعْنِي الْمَخْصِيَّ - فِيهَا سَبْعُونَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، مَا فِيهِ لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ »[الصَّحِيحَة(٢٧٣٤)].

عَنْ مُجاهِدٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -قَالَ: «الْمَخْضُودُ: الْمُوقَرُ حِمْلًا»، وَيُقَالُ أَيْضًا: «لَا شَوْكَ لَهُ» ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الواقعة :٢٩]،»، قَالَ: «يَعْنِي الْمَوْزَ الْمُتَرَاكِمَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْجَبُونَ بِوَجِّ ظِلَالِهِ مِنْ طَلْحِهِ وَسِدْرِهِ »[البيهقي في البعث والنشور(٢٧٨)].

٨- أن ليس لها صنف واحد:

وقال اللهسبحانه: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الرحمن : ٤٦-٥٢] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ يَقُولُ: خَافَ ثُمَّ اتَّقَى، فَالْخَائِفُ مَنْ رَكِبَ طَاعَةَ اللهِ، وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ يَقُولُ: فِيمَا بَيْنَ أَطْرَافِ شَجَرِهَا، يَعْنِي: يَمَسُّ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْمَعْرُوشَاتِ، وَيَقُولُ: ذَوَاتُ فُصُولٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَقَوْلُهُ: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ قَالَ: خَضْرَاوَانِ مِنَ الرِّيِّ، وَيُقَالُ: مُلْتَفَّتَانِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾ يَقُولُ: نَضَّاخَتَانِ بِالْخَيْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ قَالَ: حَفَدَهُ، وَقَرَّهُ مِنَ الْحَمْلِ،وَقِيلَ: حُصِدَ حَتَّى ذَهَبَ شَوْكُهُ فَلَا شَوْكَ لَهُ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾قَالَ: بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. [البيهقي في البعث والنشور (٢٨٠)].

من خصائص ثمار الجنة أن لكل فاكهة منها نوعين -: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ وذلك من جميع أصناف الفواكه، كل صنف له لذة ولون ليس للنوع الآخر، أو يكون فيها من كل نوع ما يؤكل رطباً وما يؤكل يابساً كالعنب والزبيب، والرطب والتمر، ونحو ذلك.

٩- متشابهة :

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

قوله تعالى -: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ ﴾فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فرزق الغداة كرزق العشيّ، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل.

والثاني: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، قاله مجاهد وابن زيد.

والثالث: أن ثمر الجنة إذا جُنيَ خلفه مثله، فاذا رأوا ما خلف الجنى، اشتبه عليهم، فقالوا: هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ، قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة.[زاد المسير(١/٤٥)].

وقوله تعالى -: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴾. فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل.

والثاني: أنه متشابه في جودته، لا رديء فيه، قاله الحسن وابن جريج.

والثالث: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطعم، قاله قتادة وابن زيد.[المصدر السابق]

فان قال قائل : ما وجه الامتنان بمتشابهه ، وكلّما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟!

فالجواب:

أنا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم، كان أغرب عند الخلق وأحسن، فانك

لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهاية في العجب. وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة جاز اختلافه في الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة. [المصدر السابق] .

١٠ - أن ثمارها لا تنقطع بقطفها وأن عنقودها أو حبها يكفي ما لا يعلم به الله:

وقد رأى النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو يصلي صلاة الكسوف عناقيد العنب، ففي حديث ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كففت؟ قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عُنقوداً، ولو أخذتُه لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظراً قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء ». [البخاري(٧٤٨)، ومسلم (١٩٠٧)].

قال العلامة الهرري الشافعي - رحمه الله تعالى -:

قوله:« إني رأيت الجنة » رؤيا عين كشف له عنها فرآها على حقيقتها وطويت المسافة بينهما كبيت المقدس حين وصفه لقريش وفي حديث أسماء الماضي في أوائل صفة الصلاة ما يشهد له حيث قال فيه: دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها أو مثلت له في الحائط كانطباع الصور في المرآة فرأى جميع ما فيها وفي حديث أنس الآتي إن شاء الله تعالى في التوحيد ما يشهد له حيث قال فيه: «عرضت على الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط وأنا أصلي » وفي رواية « لقد مثلت » ولمسلم « صورت »ولا يقال: الانطباع إنما هو في الأجسام الصقيلة لأن ذلك شرط عادي فيجوز أن تنخرق العادة خصوصًا له - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « فتناولت » أي في حال قيامه القيام الثاني من الركعة الثانية كما رواه سعيد بن منصور من وجه آخر عن زيد بن أسلم « منها » أي من الجنة « عنقودًا » أي وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرًا على تحويله لكن لم يقدَّر له قطفه « ولو أخذته » أي لو تمكنت من قطفه وأخذته « لأكلتم منه » أي من العنقود « ما بقيت الدنيا

» وجه ذلك أنه يخلق الله تعالى مكان كل حبَّة تنقطف حبَّة أخرى والخطاب فيه عام في كل جماعة يتأتى منهم السماع.

والأكل إلى يوم القيامة لقوله: « ما بقيت الدنيا » وسبب تركه - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - تناول العنقود قال ابن بطال: لأنه من طعام الجنة ولا يفنى والدنيا فانية لا يجوز أن يؤكل فيها ما لا يفنى وقال صاحب المظهر: لأنه لو تناوله ورآه الناس لكان إيمانهم بالشهادة لا بالغيب فيخشى أن يقع رفع التوبة قال تعالى -: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [الرعد:١٥٨] وقال غيره: لأن الجنة جزاء لا يقع إلا في الآخرة اهـ من الإرشاد.[الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم(٧٥/١١)].

وعن عُتْبَةَ بْنَ عَبْدِ السُّلَمِيِّ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا حَوْضُكَ الَّذِي يُحَدَّثُ عَنْهُ...فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فِيهَا شَجَرٌ طُوبَى تُطَابِقُ الْفِرْدَوْسِ» ، قَالَ: أَيُّ شَجَرَةِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ:«لَيْسَ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ» وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجُوزَةَ تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أَعْلَاهَا» قَالَ: مَا عَظْمُ أَصْلِهَا؟ قَالَ: «لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَطَّتْ بِأَصْلِهَا، حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتَاهَا هَرَمًا» ، قَالَ: فَهَلْ فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: مَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ مِنْهُ؟ قَالَ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ لَا يَقَعُ وَلَا يَفْتُرُ» قَالَ: مَا عِظَمُ الْحَبَّةِ مِنْهُ؟ قَالَ: «هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ عَظِيمًا قَطُّ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ فَقَالَ ادْبِغِي هَذَا، ثُمَّ أَفْرَى لَنَا مِنْهُ دَلْوًا نَرْوِي بِهِ مَاشِيَتَنَا» قَالَ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي، وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ:« نَعَمْ، وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ »[تقدم تخريجه].

١١- تعلق فيها أرواح المؤمنين:

عن كعب بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ أرواحَ الشُّهداءِ في طَيرٍ خُضرٍ تَعلقُ من ثمرِ الجنَّةِ، أو شَجرِ الجنَّةِ».[صحيح الترمذي (١٦٤١)].

في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أرواحِهم: «إنَّ أرواحَ الشُّهَداءِ في طَيرٍ خُضْرٍ»، أي: في طيرٍ مِن طيورِ الجنَّةِ لَونُها أخضَرُ، قيل: تُحفَظُ تلك الأرواحُ في حَواصِلِ تلك الطُّيورِ، «تَعلُقُ مِن ثمَرِ الجنَّةِ، أو شجَرِ الجنَّةِ»، أي: يكونُ أكْلُها ورَعيُها ومأواها على شَجرِ الجنَّةِ وثمارِها، وفي روايةٍ: «حتّى يَبعَثَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلى جسَدِه يومَ القيامةِ»، واختُلِفَ في تفسيرِ كونِ الرُّوحِ في طَيرٍ خضر، أو في حواصِلِ طَيرٍ خُضر؛ وعلى أيَّةِ حالٍ كانتْ؛ فالواجبُ هو التَّسليمُ بما ورَدَ بيانُه في الكتاب والسُّنَّةِ، ولا سَبيلَ إلى خِلافِه؛ فكلُّ ذلك عندَ اللهِ وفي الجنَّةِ، وليس شيءٌ منه في الأرضِ، وأمورُ الآخِرَةِ والغَيبِ لا تُقاسُ على أمورِ الدُّنيا.

عن كعب بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّما نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طائِرٌ يَعْلَقُ في شَجَرِ الجنةِ، حتى يَبْعَثَهُ اللهُ إلى جَسدِهِ يومَ يَبْعَثُهُ». [صحيح الجامع (٢٣٧٣)].

١٢- أن المؤمن مخير بما يريد منها:

قال العلامة القرطبي - رحمه الله تعالى -:

قَوْلُهُ تعالى -: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠﴾[الواقعة:٢٠] ، أَيْ يَتَخَيَّرُونَ مَا شَاءُوا لِكَثْرَتِهَا. وَقِيلَ: وَفَاكِهَةٌ مُتَخَيَّرَةٌ مُرْضِيَةٌ، وَالتَّخَيُّرُ الِاخْتِيَارُ. [الجامع لأحكام القرآن(٢٠٤/١٧)].

قلت: العبد في الدنيا قد يكون مجبورا على أكل ثمار الدنيا لدواء أو علاج أو حاجة وإما أن يكون مجبورا على عدم أكلها إما أن لا يكون غيرها موجود وإما أن نفسه لا ترغب إلى غيرها وأما أن لا يقدم له إلا هذه الفاكهة ولكن الرب عَزَّوَجَلَّ بين هذا الأمر وهو أن ثمار وفواكه الجنة مع كثرتها وجودتها ودوامها وسهولة الحصول عليها ملذتها مع ذلك هو مخير

بين أنواعها وأذواقها وأشكالها واختلاف صفاتها وهذا والله هو الكرم واللذة والخير الذي لا ينبغي لعبد أن يفرط في نعيم الجنة مهما كان من نعيم في الدنيا وخير وله من المآكل والمشارب والمناكح فإنها لا تساوي شيء مع نعيم الجنة والخير الرائع الجميل اللذيذ الطيب في الجنة نسأل الله من فضله.

قال العلامة الألوسي - رحمه الله تعالى -:

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الواقعة:٢٠] أيْ يَأْخُذُونَ خَيْرَهُ وأفْضَلَهُ والمُرادُ مِمّا يَرْضَوْنَهُ ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الواقعة:٢١] مِمّا تَمِيلُ نُفُوسُهم إلَيْهِ وتَرْغَبُ فِيهِ، والظّاهِرُ أنَّ فاكِهَةَ ولَحْمَ مَعْطُوفانِ عَلى أكْوابٍ فَتُفِيدُ الآيَةُ أنَّ الوِلْدانَ يَطُوفُونَ بِهِما عَلَيْهِمْ، واسْتُشْكِلَ بِأنَّهُ قَدْ جاءَ في الآثارِ أنَّ فاكِهَةَ الجَنَّةِ وثِمارَها يَنالُها القائِمُ والقاعِدُ والنّائِمُ، وعَنْ مُجاهِدٍ أنَّها دانِيَةٌ مِن أرْبابِها فَيَتَناوَلُونَها مُتَّكِئِينَ فَإذا اضْطَجَعُوا نَزَلَتْ بِإزاءِ أفْواهِهِمْ فَيَتَناوَلُونَها مُضْطَجِعِينَ... إلى قوله ويُعْلَمُ مِنَ الوَجْهِ الأوَّلِ وجْهَ تَخْصِيصِ التَّخَيُّرِ بِالفاكِهَةِ والِاشْتِهاءِ بِاللَّحْمِ، وفِيهِ إشارَةٌ إلى أنَّ الفاكِهَةَ لَمْ تَزَلْ حاضِرَةً عِنْدَهم وبِمَرْأى مِنهم دُونَ اللَّحْمِ ووَجْهُ ذَلِكَ أنَّها مِمّا تَلَذُّهُ الأعْيُنُ دُونَهُ، وقِيلَ: وجْهُ التَّخْصِيصِ كَثْرَةُ أنْواعِ الفاكِهَةِ واخْتِلافُ طُعُومِها وألْوانِها وأشْكالِها وعَدَمُ كَوْنِ اللَّحْمِ كَذَلِكَ، وفي التَّعْبِيرِ بِيَتَخَيَّرُونَ دُونَ يَخْتارُونَ وإنْ تَقارَبا مَعْنًى إشارَةٌ لِمَكانِ صِيغَةِ التَّفَعُّلِ إلى أنَّهم يَأْخُذُونَ ما يَكُونُ مِنها في نِهايَةِ الكَمالِ وأنَّهم في غايَةِ الغِنى عَنْها، واللَّهُ تَعالى أعْلَمُ بِأسْرارِ كَلامِهِ [روح المعاني(١٤/١٣٧)].

والفاكِهَةُ: الثِّمارُ والبُقُولُ كاللَّوْزِ والفُسْتُقِ ... وعَطْفُ فاكِهَةٍ عَلى أكْوابٍ، أيْ ويَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِفاكِهَةٍ وذَلِكَ أدْخَلُ في الدَّعَةِ وألَذُّ مِنَ التَّناوُبِ بِأيْدِيهِمْ، عَلى أنَّهم إنِ اشْتَهَوُا اقْتِطافَها بِالأيْدِي دَنَتْ لَهُمُ الأغْصانُ فَإنَّ المَرْءَ قَدْ يَشْتَهِي تَناوُلَ الثَّمَرَةِ مِن أغْصانِها.

وما يَتَخَيَّرُونَ: الجِنْسُ الَّذِي يَخْتارُونَهُ ويَشْتَهُونَهُ، أيْ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بِفاكِهَةٍ مِنَ الأنْواعِ الَّتِي يَخْتارُونَها، فَفِعْلُ يَتَخَيَّرُونَ يُفِيدُ قُوَّةَ الِاخْتِيارِ.[التحرير والتنوير(٢٧/ ٢٩٥) بتصرف].

مسألة: هَلْ في تَخْصِيصِ التَّخْيِيرِ بِالفاكِهَةِ والاشْتِهاءِ بِاللَّحْمِ بَلاغَةٌ ؟

قال الفخر الرازي - رحمه الله تعالى -:

قُلْتُ: وكَيْفَ لا وفي كُلِّ حَرْفٍ مِن حُرُوفِ القُرْآنِ بَلاغَةٌ وفَصاحَةٌ، وإِنْ كانَ لا يُحِيطُ بِها ذِهْنِيَ الكَلِيلُ، ولا يَصِلُ إِلَيْها عِلْمِيَ القَلِيلُ، والَّذِي يَظْهَرُ لِي فِيهِ أَنَّ اللَّحْمَ والفاكِهَةَ إذا حَضَرا عِنْدَ الجائِعِ تَمِيلُ نَفْسُهُ إلى اللَّحْمِ، وإذا حَضَرا عِنْدَ الشَّبْعانِ تَمِيلُ إلى الفاكِهَةِ، والجائِعُ مُشْتَهٍ والشَّبْعانُ غَيْرُ مُشْتَهٍ، وإِنَّما هو مُخْتارٌ إِنْ أَرادَ أَكَلَ، وإِنْ لَمْ يُرِدْ لا يَأْكُلُ، ولا يُقالُ في الجائِعِ إِنْ أَرادَ أَكَلَ؛ لِأَنَّ إِنْ لا تَدْخُلُ إِلّا عَلى المَشْكُوكِ، إذا عُلِمَ هَذا ثَبَتَ أَنَّ في الدُّنْيا اللَّحْمَ عِنْدَ المُشْتَهِي مُخْتارٌ، والفاكِهَةَ عِنْدَ غَيْرِ المُشْتَهِي مُخْتارَةٌ، وحِكايَةُ الجَنَّةِ عَلى ما يُفْهَمُ في الدُّنْيا فَخُصَّ اللَّحْمُ بِالاشْتِهاءِ والفاكِهَةُ بِالاخْتِيارِ، والتَّحْقِيقُ فِيهِ مِن حَيْثُ اللَّفْظُ أَنَّ الاِخْتِيارَ هو أَخْذُ الخَيْرِ مِن أَمْرَيْنِ، والأَمْرانِ اللَّذانِ يَقَعُ فِيهِما الاِخْتِيارُ في الظّاهِرِ لا يَكُونُ لِلْمُخْتارِ أَوَّلًا مَيْلٌ إلى أَحَدِهِما، ثُمَّ يَتَفَكَّرُ ويَتَرَوّى، ويَأْخُذُ ما يُغَلِّبُهُ نَظَرُهُ عَلى الآخَرِ فالتَّفَكُّهُ هو ما يَكُونُ عِنْدَ عَدَمِ الحاجَةِ، وأَمّا إِنِ اشْتَهى واحِدٌ فاكِهَةً بِعَيْنِها فاسْتَحْضَرَها وأَكَلَها فَهو لَيْسَ بِمُتَفَكِّهٍ، وإِنَّما هو دافِعُ حاجَةٍ، وأَمّا فَواكِهُ الجَنَّةِ تَكُونُ أَوَّلًا عِنْدَ أَصْحابِ الجَنَّةِ مِن غَيْرِ سَبْقِ مَيْلٍ مِنهم إِلَيْها، ثُمَّ يَتَفَكَّهُونَ بِها عَلى حَسَبِ اخْتِيارِهِمْ، وأَمّا اللَّحْمُ فَتَمِيلُ أَنْفُسُهم إِلَيْهِ أَدْنى مَيْلٍ فَيَحْضُرُ عِنْدَهم، ومَيْلُ النَّفْسِ إلى المَأْكُولِ شَهْوَةٌ،ويَدُلُّ عَلى هَذا قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الواقعة :٢٣]، وقَوْلُهُ: ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن : ٥٤]، وقَوْلُهُ تعالى -: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الواقعة : ٣٢-٣٣] فهو دَلِيلٌ عَلى أَنَّها دائِمَةُ الحُضُورِ[مفاتيح الغيب(٢٩/ ٣٩٦)].

مسألة: ما الحِكْمَةُ في تَقْدِيمِ الفاكِهَةِ عَلى اللَّحْمِ ؟

نَقُولُ: الجَوابُ عَنْهُ مِن وُجُوهٍ:

أَحَدُها: العادَةُ في الدُّنْيا التَّقْدِيمُ لِلْفَواكِهِ في الأَكْلِ والجَنَّةُ وُضِعَتْ بِما عُلِمَ في الدُّنْيا مِن

الأَوْصافِ وعَلى ما عُلِمَ فِيها، ولا سيَّما عادَةُ أَهْلِ الشُّرْبِ، وكَأَنَّ المَقْصُودَ بَيانُ حالِ شُرْبِ أَهْلِ الجَنَّةِ.

وثانِيها: الحِكْمَةُ في الدُّنْيا تَقْتَضِي أَكْلَ الفاكِهَةِ أَوَّلًا؛ لِأَنَّها أَلْطَفُ وأَسْرَعُ انْحِدارًا وأَقَلُّ حاجَةً إلى المُكْثِ الطَّوِيلِ في المَعِدَةِ لِلْهَضْمِ، ولِأَنَّ الفاكِهَةَ تُحَرِّكُ الشَّهْوَةَ لِلْأَكْلِ واللَّحْمُ يَدْفَعُها.

وثالِثُها: يَخْرُجُ مِمّا ذَكَرْنا جَوابًا خَلا عَنْ لَفْظِ التَّخْيِيرِ والِاشْتِهاءِ، هو أَنَّهُ تَعالى لَمّا بَيَّنَ أَنَّ الفاكِهَةَ دائِمَةُ الحُضُورِ والوُجُودِ، واللَّحْمَ يُشْتَهى ويَحْضُرُ عِنْدَ الِاشْتِهاءِ دَلَّ هَذا عَلى عَدَمِ الجُوعِ؛ لِأَنَّ الجائِعَ حاجَتُهُ إلى اللَّحْمِ أَكْثَرُ مِنَ اخْتِيارِهِ اللَّحْمَ فَقالَ: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ ﴾لِأَنَّ الحالَ في الجَنَّةِ يُشْبِهُ حالَ الشَّبْعانِ في الدُّنْيا فَيَمِيلُ إلى الفاكِهَةِ أَكْثَرَ فَقَدَّمَها، وهَذا الوَجْهُ أَصَحُّ؛ لِأَنَّ مِنَ الفَواكِهِ ما لا يُؤْكَلُ إلّا بَعْدَ الطَّعامِ، فَلا يَصِحُّ الأَوَّلُ جَوابًا في الكُلِّ. [مفاتيح الغيب(٢٩/ ٢٣٤)].

الباب الثالث والعشرون
لباس أهل الجنة وفرشهم

المبحث الأول
أهمية اللباس

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف:٢٦-٢٧].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

لما أهبط الله آدم وزوجته وذريتهما إلى الأرض، أخبرهما بحال إقامتهم فيها، وأنه جعل لهم فيها حياة يتلوها الموت، مشحونة بالامتحان والابتلاء، وأنهم لا يزالون فيها، يرسل إليهم رسله، وينزل عليهم كتبه، حتى يأتيهم الموت، فيدفنون فيها، ثم إذا استكملوا بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار حقيقة، التي هي دار المقامة.

ثم امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب والمراكب، والمناكح ونحوها، قد يسر الله للعباد

ضروريها، ومكمل ذلك، وبين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونة لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال الله-:﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح.

وأما اللباس الظاهري، فغايته أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع.

وأيضاً، فبتقدير عدم هذا اللباس، تنكشف عورته الظاهرة، التي لا يضره كشفها، مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة. [تيسير الكريم الرحمن(٢٨٦)].

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٣١) قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٣٢) قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٣٣) ﴾[الأعراف:٣١-٣٣].

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى -:

هَذَا خِطَابٌ لِجَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَإِنْ كَانَ وَارِدًا عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، فَالِاعْتِبَارُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، وَالزِّينَةُ: مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ النَّاسُ مِنَ الْمَلْبُوسِ، أُمِرُوا بِالتَّزَيُّنِ عِنْدَ الْحُضُورِ إِلَى الْمَسَاجِدِ لِلصَّلَاةِ وَالطَّوَافِ. [فتح القدير(٢/٢٢٨)].

المبحث الثاني

أول من يكسى يوم القيامة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُزْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ». [البخاري(٤٧٤٠)].

قوله: «ألا وإن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم» قال القرطبي: هذا الحديث يدل على أن النَّاس كلهم الأنبياء وغيرهم يحشرون عراة كما قال في الحديث المتقدم وأن أهل السعادة يكسون من ثياب الجنَّة ولا شك في أن من كسي من ثياب الجنَّة فقد لبس جبة تقيه مكاره الحشر وعرقه وحر الشَّمس والنَّار وغير ذلك فظاهر عمومه يقتضي أن إبراهيم يكسى قبل نبينا محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجوز أن يكون هذا من خصائص إبراهيم كما قد خص موسى عليه السَّلام بأن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجده متعلقًا بساق العرش، مع أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكونا أفضل منه مطلقًا بل هو أفضل من وافى القيامة وسيد ولد آدم كما دللنا عليه فيما تقدم، ويجوز أن يراد بالنَّاس من عداه من النَّاس فلم يدخل تحت خطاب نفسه، والله تعالى أعلم. [المفهم(١٥٣/٧)].

المبحث الثالث

أنواع اللباس الذي ذُكر لأهل الجنة

أولاً: السندس والإستبرق:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١] .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢] .

السندس: نوع من رقيق الديباج .

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-:

فالسندس: لباس رقاع رقاق كَالْقُمْصَانِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا. [تفسير ابن كثير(٧/٢٦١)].

الإستبرق: ما غلظ من الحرير والإبريسم ، وقيل: هو الديباج الغليظ، أو ديباج يعمل بالذهب، أو ثياب حرير صِفاقٌ نحو الديباج .

قال ابن كثير: ﴿ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ ﴾ وَهُوَ مَا فِيهِ بَرِيقٌ وَلَمَعَانٌ وَذَلِكَ كَالرِّيَاشِ، وَمَا يُلْبَسُ عَلَى أَعَالِي الْقُمَاشِ.[تفسير ابن كثير(٧/٢٦١)].

السندس والإستبرق هما من أفضل أنواع الحرير على الإطلاق فهما لباس أهل الجنة، فالسندس هو الديباج النفيس الناعم الرقيق والشفاف له بريقٌ أخّاذ، وأما الإستبرق فهو ديباجٌ ثخينٌ غليظٌ لا يشّف ولا يصف، جميلٌ له بريقٌ شديدٌ، ومعنى الديباج نوعٌ من الحرير المنسوج، وأصل كلمتي سندسٌ واستبرقٌ فارسي، فالسندس يُلبس على الجسد مباشرةً ويلامسه، بينما الإستبرق يتم لبسه فوق الثياب من الخارج.

ثانياً: الحرير:

وقال الله عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ ﴾[الحج : ٢٣] .

قال السعدي -رحمه الله تعالى -:

قوله تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ ومعلوم أن هذا الوصف لا يصدق على غير المسلمين، الذين آمنوا بجميع الكتب، وجميع الرسل، ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾ أي: يسورون في أيديهم، رجالهم ونساؤهم أساور الذهب.

﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ فتم نعيمهم بذكر أنواع المأكولات اللذيذات المشتمل عليها، لفظ الجنات، وذكر الأنهار السارحات، أنهار الماء واللبن والعسل والخمر، وأنواع اللباس، والحلي الفاخر. [تيسير الكريم الرحمن(٥٣٥)].

قال الله تعالى : ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢ ﴾[الإنسان : ١٢] . وقال تعالى -: ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾.

ثالثاً: يحلون بالذهب والفضة واللؤلؤ:

قال الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحج : ٢٣] .

وقال الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ ﴾[فاطر : ٣٣] .

والحلية: بكسر المهملة وسكون اللام وياء مخففه تطلق على السِّيَما، والمراد به هنا التحجيل من أثر الوضوء يوم القيامة، وعلى الزينة، والمراد به ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾.

وقال ابن منظور: والحَلْي -أي بفتح الحاء وسكون اللام- ما تُزُيِّنَ به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة، والجمع حُليّ -يعني بالضم- وقال الجوهري: الحَلْي -يعني بفتح فسكون حَلْي المرأة. وجمعه حُليّ مثل ثدى وثدي،وهو فعول،وقد تكسر الحاء لمكان الياء، مثل عصي، وقرىء ﴿ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا ﴾[الأعراف: ١٨٤] بالضم والكسر وحلية السيف جمعها حلَى مثل لحْية ولحى وربما ضم. اهـ [كما في ذخيرة العقبى في شرح المجتبى(٣/٤٠٦)].

قال العلامة الرازي:﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ لَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِكْثَارَ مِنَ اللِّبَاسِ يَدُلُّ عَلَى حَاجَةٍ مِنْ دَفْعِ بَرْدٍ أَوْ غَيْرِهِ وَالْإِكْثَارُ مِنَ الزِّينَةِ لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى الْغِنَى. [مفاتيح الغيب(٢٦/٢٤٠)].

وقال الفخر الرازي- رحمه الله تعالى -:

وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّحَلِّيَ بِمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا:إِظْهَارُ كَوْنِ الْمُتَحَلِّي غَيْرَ مُبْتَذَلٍ فِي الْأَشْغَالِ لِأَنَّ التَّحَلِّيَ لَا يَكُونُ حَالَةَ الطَّبْخِ وَالْغَسْلِ. وَثَانِيهِمَا: إِظْهَارُ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْأَشْيَاءِ وَإِظْهَارُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّحَلِّيَ إِمَّا بِاللَّآلِئِ وَالْجَوَاهِرِ وَإِمَّا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ والتحلي بالجواهر واللئالئ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُتَحَلِّيَ لَا يَعْجِزُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ حَيْثُ يَعْجِزُ عَنِ الْوُصُولِ

إِلَى الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةِ الْوُجُودِ لا لحاجة، والتحلي بالذهب والفضلة يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ حَاجَةً أَصْلِيَّةً وَإِلَّا لَصَرَفَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِلَى دَفْعِ الْحَاجَةِ، إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَنَقُولُ الْأَسَاوِرُ مَحَلُّهَا الْأَيْدِي وَأَكْثَرُ الْأَعْمَالِ بِالْيَدِ فَإِنَّهَا لِلْبَطْشِ، فَإِذَا حُلِّيَتْ بِالْأَسَاوِرِ عُلِمَ الْفَرَاغُ وَالذَّهَبُ وَاللُّؤْلُؤُ إِشَارَةٌ إِلَى النوعين اللذين منهما الحلي. [مفاتيح الغيب (٢٦/٢٤٠-٢٤١)].

قال الشوكاني - رحمه الله تعالى -:

ذَكَرَ سُبْحَانَهُ هُنَا أَنَّهُمْ يُحَلَّوْنَ بِأَسَاوِرِ الْفِضَّةِ وَفِي سُورَةِ فَاطِرٍ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِي سُورَةِ الْحَجِّ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ لِإِمْكَانِ الْجَمْعِ بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ سِوَارَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَلُؤْلُؤٍ، أَوْ بِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ سِوَارَاتِ الذَّهَبِ تَارَةً، وَسِوَارَاتِ الْفِضَّةِ تَارَةً، وَسِوَارَاتِ اللُّؤْلُؤِ تَارَةً، أَوْ أَنَّهُ يَلْبَسُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُ مَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ ذَلِكَ. [فتح القدير(٥/٤٢٥)].

رابعاً: يلبسون التيجان:

عن المقدام بن معدي كرب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ذكر الخصال التي يُعطاها الشهيد: « ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ». [سُنن الترمذي (١٦٦٣) ، مشكاة المصابيح(٣٨٣٤) وصححه العلامة الألباني] .

قال المباركفوري - رحمه الله تعالى -:

«وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ» أَيْ تَاجٌ هُوَ سَبَبُ الْعِزَّةِ وَالْعَظَمَةِ

وَفِي النِّهَايَةِ التَّاجُ مَا يُصَاغُ لِلْمُلُوكِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ «الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا » أَيْ مِنَ التَّاجِ وَالتَّأْنِيثُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ عَلَامَةُ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ أَوْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَجْمُوعٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا. [تحفة الأحوذي(٥/٢٤٨)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: أن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس

حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة». [الترمذي(٢٩١٥)، وصححه الوادعي في الشفاعة (٢٤٩)].

قلت: ذكر في هذين الحديثين بعض أنواع التيجان ولا شك أنها أنواع كثير وعلى هيئات عظيمة تجلب القلوب وتأسرها ولا ينالها في الدنيا إلا الملوك والأثرياء لنفاستها وعلو ثمنها والجنة ينال المؤمن من ذلك الشيء الذي لا يعلم به إلا الله تعالى .

خامساً: يلبسون الأساور في أيديهم وثيابهم:

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ وهو الحلي الذي يجعل في اليدين، على ما يحبون، ويرون أنه أحسن من غيره، الرجال والنساء في الحلية في الجنة سواء.

﴿و ﴾ يحلون فيها﴿ لُؤْلُؤًا ﴾ ينظم في ثيابهم وأجسادهم.﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ من سندس، ومن إستبرق أخضر.[تيسير الكريم الرحمن (٦٨٩)].

أَساوِرَ جمع أسورة: وهي حلية تلبس في اليد.

المبحث الرابع
استخدام اللباس وتفصيله

١ - مقطعات:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الرحمن:٦٨] قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، كَرَانِيفُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهُ عَجْمٌ» [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

قوله: «كِسوَةٌ لأهلِ الجنَّةِ»، فمنها يَأْخُذونُ ثيابَهم، و«منها مُقطَّعاتُهم»، وهي الثِّيابُ المَخيطةُ مِثلُ الجُبَّةِ وغيرِها، وقيلَ: هي قِصارُ الثِّيابِ، وقيلَ: المُقَطَّعُ مِن الثِّيابِ: كلُّ ما يُفصَّلُ ويُخاطُ مِن قَميصٍ وغيرِه، «وحُلَلُهم»، وهي الثِّيابُ التي تُتَّخَذُ مِن ثَوبَيْنِ مِن جِنسٍ واحدٍ.

٢ - مناديل:

المنديل قطعة من الحرير أو القماش أو الورق أو غيرها يستخدم لمسح العرق وغيره من الأذى.

عن البراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: أهديت للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال: «تعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين». [البخاري(٣٢٤٩) مسلم(٢٤٦٨)].

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: أهدي للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جبة سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها فقال: «والذي نفس محمد بيده إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا». [مسلم(٢٤٦٩)].

ففي هذين الحديثين: إشارة إلى عظيم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها التي هي المناديل خير من تلك الجبة التي أثارت العجب في نفوس أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن المناديل أدنى الثياب فغيره أفضل، وفيها إثبات الجنة لسعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

٣- الحلل:

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي ؟، فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي نَهَارِكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ». [الصَّحِيحَة(٢٨٢٩)].

وعن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوهَهم ضوءُ القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دُرِّيّ في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة يُرى مُخُّ سُوقِها من وراء لحومها وحللها، كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجة البيضاء». [صحيح الترغيب (٣٧٤٥)].

يَصِفُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلَ الجنَّةِ جميعًا بالحُسنِ والجمال، وأنَّهم يتفاوَتونَ في ذلك حسَبَ درجاتِهم وأعمالِهم؛ فأوَّلُ طائفةٍ تدخُلُ الجنَّةَ كالقمرِ ليلةَ البدر، وهي ليلةُ الرَّابعَ عشرَ حين تكمُل استدارتُه، ويتِمُّ نورُه، فيكون أكثرَ إشراقًا، وأعظَمَ حُسنًا وبهاءً. أمّا الطّائفةُ الثّانية، فإنَّها تُشبِهُ في صورتِها أقوى الكواكبِ نورًا وضياءً. أمّا صِفاتُهم النَّفسيَّة والخُلقيَّةُ،

فهم كما وصفهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على قَلْبِ رجُلٍ واحد، أي: في غايةِ الاجتماعِ والاتّفاق، حتّى كأنَّ قلوبَهم جميعًا قلبٌ واحد، لا اختِلافَ بينهم ولا تباغُضَ، أي: إنَّ نفوسَهم صافيةٌ نقيَّة خاليةٌ مِن العداوة والبَغضاء، عامرةٌ بالحبِّ والمودَّة. لكلِّ امرئٍ منهم زوجتانِ، أي: لكلِّ واحدٍ منهم زَوجتانِ، يُرى مُخُّ ساقِها مِن وراءِ اللَّحمِ مِن الحُسن؛ فهي- لِصفاء جسدِها، ورقَّة بَشَرَتِها- جِسمٌ شفّاف يَكشِفُ عمّا بداخِلِه، فيَرى النّاظرُ إليها مُخَّ عظامِ ساقِها مِن وراءِ لحمِها. يُسبِّحونَ اللهَ بُكرةً وعشيًّا، أي: في أوَّل النَّهار وآخِرِه، والمراد أنَّهم يُسبِّحونَ في وقتِها، وإلّا فلا بُكرةَ ثمَّةَ ولا عشيَّةَ. أمّا هذا التَّسبيحُ، فإنَّه ليس عن تكليف؛ وإنَّما يُلهَمونَه كما يُلهَمونَ النَّفَسَ. لا يَسقَمونَ، أي:لا يَمرَضونَ فيها، ولا يَمْتخِطونَ ولا يَبصُقونَ؛ لأنَّ اللهَ طهَّرَ أهلَ الجنَّةِ مِن هذه الأقذارِ، آنيتُهم الذَّهبُ والفِضَّة، أي: بعضُ أوانيهم فضّيَّةٌ، وبعضُها ذهبيَّةٌ، وأمشاطُهم الذَّهبُ، أي: مِن الذَّهب الخالِص، وَقُودُ مَجامِرِهم الأَلُوَّةُ؛ يعني أنَّ بَخُورَهم الذي تتَّقدُ به مجامرُهم هو العُودُ الهنديُّ،الذي هو مِن أطيبِ الطِّيبِ وأَزكى البَخور.

عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصيبَةٍ ، إِلاَّ كَسَاهُ اللهُ سبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [سُنن ابن ماجه(١٦٠١) وصححه العلامة الألباني] .

٤- خمار :

الخمار ثياب يغطي رأس المرأة ويسمى نصيف ومادة خمر تدل على التغطية والستر ولذلك سمي الخمر خمراً لأنه يغطي عقل صاحبه.

عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى» وَقَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ

الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» [البخاري(٦٥٦٧)].

قال الإمام ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله تعالى -:

قوله: «ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة» إلى الأرض كأنه ضمن اطلع معنى نظر أي اطلعت ناظرة إلى الأرض ويحتمل أنه يتعدى اطلع بإلى اطلع إلى إله موسى ولعلي أطلع عليه. «لملأت ما بينهما» أي بين السماء والأرض وإن لم يتقدم ذكر للسماء إلا أنه يعرف بذكر مقابلتها أعني الأرض أو ما بين الجنة والأرض «ريحاً» عرفاً طيباً. «ولأضاءت»أنوار جمالها ما بينهما «ولنصيفها» بفتح النون وكسر المهملة فمثناة تحتية ففاء الخمار على رأسها «خير من الدنيا وما فيها» أخبر عن طيب ريحها ثم عن أنوار جمالها ثم عن ظاهر ملبوسها فكيف بجمالها وباطن ملبوسها اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل. [التنوير شرح الجامع الصغير(٩/٦٥)].

قوله: «ولَنَصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها»، قال في الصحاح: (النَّصيف): الخِمَار، قال النابغة:

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ∴ فَتَنَاوَلَتْه واتَّقتْنا باليدِ

أي: أمسكته بيدها. [المفاتيح شرح المصابيح(٦/٦)].

المبحث الخامس

من أين يحصلون على اللباس

ثياب الجنة أخلق يخلق أم نسيج ينسج؟ لا بل تشقق عنها ثمر الجنة فالثياب والحلل يحصل عليها أهل الجنة من النخيل والأشجار وثمارها.

وعن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «شجرةٌ مسيرةُ مئةِ سنةٍ، ثيابُ أهلِ الجنَّةِ تخرجُ من أكمامِها». [صحيح الترغيب (٣٧٣٦)].

قال العلامة الشربيني - رحمه الله تعالى -:

وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ﴾[فصلت:٤٧] ، جمع كم وكمامة ، قال البقاعي تبعاً للزمخشري : بالكسر فيهما وهو وعاء الطلع وكل ما غطى على وجه الإحاطة شيئاً من شأنه أن يخرج فهو كم ، وقال الراغب : الكم ما يغطي البدن من القميص وما يغطي الثمرة وجمعه أكمام وهذا يدل على أنه مضموم الكاف أو جعله مشتركاً بين كم القميص وكم الثمرة ، ولا خلاف في كم القمص أنه بالضم فيجوز أن يكون في وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص جمعاً بين القولين. [السراج المنير(٣/٤١٦)].

قلت: فمعنى أكمامها: أي: غلاف الثمار يستخرج منه الثياب الفاخرة من هذه الشجرة بل وما دام ثياب الجنة من أكمام الأشجار فهذه فيه من الجمال والاختلاف والتنوع الذي لا يعلم به إلا الله تعالى وكذلك من الكثرة لكثرة الثمار والأشجار الكثيرة فما أعظم أن يخلق الله تعالى في الدنيا القطن كما يجد الناس القطن من شجر لا يثمر إلا القطن فيستخرجه الإنسان ويجعل منه ثياب، وكذلك الحرير من دودة القز يأتي بأجمل الثياب فكيف بثياب أهل الجنة

التي لا يعلم حسنها ولا جمالها إلا الله تعالى نسأل الله من فضله.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨]. قَالَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، كَرَانِيفِهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ، وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ أَوِ الدِّلَاءِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَلَيْسَ لَهُ عَجْمٌ» [صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب(٣٧٣٥)].

وقد تقدم شرحه .

المبحث السادس

وصف ذلك اللباس

أولاً: ذات ألوان:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف:٣٠-٣١]، وقال تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾[الإنسان:٢١].

﴿ عَٰلِيَهُمْ ﴾أي: يعلو عليهم ويحيط بهم فيها تعظيما لهم وتكريما ثِيابُ سُندُسٍ هو رقيق من الديباج خُضْرٌ على لون الحياة إذ حياتهم فيها سرمدية وَإِسْتَبْرَقٌ هو غليظ منه كذلك وَهم قد حُلُّوا فيها أَساوِرَ أي: زينوا بأساور متخذة مِنْ فِضَّةٍ صافية عن الغش بصفاء عقائدهم عنه تتميماً لتنعمهم.

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ ﴾ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج والإستبرق: ما رق منه. ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾. أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولا لأنه لا أصدق منه قيلا ولا حديثا. [تيسير الكريم الرحمن(٩٠١)].

ثانياً: يلبسون الحرير:

وقال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحج:٢٣] .

وقال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر:٣٣] .

يعدّ الحرير من أفضل أنواع الأقمشة، وهو لباس أهل الترف والنعيم، يمتاز بملمسه الناعم وفخامته، ومتانة نسيجه، وهو ملائمٌ لمختلف أحوال الطقس، فيمد لابسه بالدفء شتاءً وبالبرودة صيفاً، وقد ذُكر في القرآن الكريم على أنه لباس أهل الجنة، وحرير الدنيا لا يساوي شيئاً أمام حرير الجنة ونعومته .

ثالثاً: يحلون بالأساور :

السوار أو الدُّملُج نوع من أنواع ملحقات الملابس وتكون غالبا من المجوهرات التي تتزين بها المرأة على معصميها وقد تكون من الذهب أو الفضة أو الألماس أو المعادن الثمينة أو حتى البلاستيك والخشب والمطاط المزخرف.

قال الله تعالى :﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾.

وقال الله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر:٣٣] .

قال الألوسي - رحمه الله تعالى -:

وقدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب وفي القيمة أغلى وفي العين أحلى. [روح المعاني (١٥/ ٢٧٢)].

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى -:

ذكر سبحانه هنا أنهم يحلون بأساور الفضة، وفي سورة فاطر : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ . وفي سورة الحج : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ولا تعارض بين هذه الآيات لإمكان الجمع بأن يجعل لهم سوارات من ذهب وفضة ولؤلؤ ، أو بأن المراد أنهم يلبسون سوارات الذهب تارة ، وسوارات الفضة تارة ، وسوارات اللؤلؤ تارة ، أو أنه يلبس كل أحد منه ما تميل إليه نفسه من ذلك. [فتح القدير(٣٥٢/٥)].

رابعاً: يلبسون الحلل:

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: سمعت خليلي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء». [مسلم(٢٥٠)].

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ :«إِنَّ الْحِلْيَة تَبْلُغُ مَوَاضِع الطُّهُور». [الترغيب والترهيب (١٧٦)].

الحلية: هي ما يحلى به أهل الجنة من الأساور ونحوها وهذا قول أكثر العلماء؛ هو من قوله تعالى :﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾.

قلت: والمقصود من هذا الحديث أن المؤمن يلبس فتبلغ ثيابه إلى مواضع الوضوء فتبقى مكشوفة لأن الله قد جعله مستنيرة كالغرة وهذا من عجيب الوصف لثياب أهل الجنة وأنها إلى حيث يبلغ الوضوء من المؤمن أي: إلى فوق العقب وإلى المرافق في اليدين.

ومنه قول الشاعر:

وأخلع على ريعانه حلل المنى ∴ فمحاسن الأشياء في الريعان

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «أول زمرة يدخلون

الجنة كأن وجوهَهم ضوءُ القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دُرِّيّ في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة يُرَى مُخُّ سُوقِها من وراء لحومها وحللها، كما يُرَى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجة البيضاء». [صحيح الترغيب (٣٧٤٥)] .

عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ يُحَدِّثُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ ، إِلاَّ كَسَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[سُنن ابن ماجه(١٦٠١) وصححه العلامة الألباني].

خامساً: يلبسون التيجان :

التاج: هو لباس الرأس للملوك. وهو جميل جدا كان استخدام التاج معروفا من أول نشأة الإنسان وذلك لأن حب الزينة غريزة من غرائزه وقد تفنن الناس في لباسها وغالوا في أثمانها حتى لم يستطع ملكه إلا أفراد من الناس وذلك لعلو ثمنه وهو في الجنة من الخلق العجيب الغريب الجميل الذي لا نستطيع تصوره جعله الله تعالى من زينة أهل الجنة وخصه بأقوام سيأتي بيانهم.

عن المقداد بن معد يكرب-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ذكر الخصال التي يُعطاها الشهيد:« ويوضع على رأسه تاج الوقار،الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ». [مشكاة المصابيح(٣٨٣٤) وصححه العلامة الألباني] .

«يُوضَعُ على رأسِه تاجُ الوَقارِ»: أي: يُلبِسُه اللهُ عَزَّوَجَلَّ تاجًا يُجعَلُ له مِن العزَّةِ والعظَمةِ، «الياقوتةُ منه»،أي: مِن التَّاجِ، وياقوتُ الدُّنيا: نَوعٌ مِن الأحجارِ الكريمةِ، لونُه شفَّافٌ، مُشرَبٌ حُمرَةً أو زُرْقةً أو صُفْرةً، وهو أكثَرُ المعادِنِ صَلابةً بعدَ الماسِ، يُستَعمَلُ للزِّينةِ، «خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها» أي: مِن الحُصولِ على نَعيمِها كُلِّه.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس

حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة». [الترمذي(٢٩١٥) وصححه العلامة الألباني].

سادساً: يلبسون السندس والإستبرق:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾[الكهف:٣٠-٣١] .

وقال تعالى: ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[الدخان:٥٣].

الإستبرق: ما غلظ من الحرير والإبريسم، وقيل: هو الديباج الغليظ، أو ديباج يعمل بالذهب، أو ثياب حرير صِفاقٌ نحو الديباج .

الديباج: الثياب المتخذة من الإبريسم .

السندس: نوع من رقيق الديباج.

سابعاً: لهم مناديل في الجنة:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ أُهْدِىَ إِلَى النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرَقَةٌ مِنْ حَرِيرٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهَا وَلِينِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا » . قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِى بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا ». [البخاري(٦٦٤٠)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جُبَّةً قَالَ سَعِيدٌ : أَحْسَبُهُ قَالَ : سُنْدُسٍ قَالَ : وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ قَالَ فَلَبِسَهَا فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ :« وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِى الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا ». [البخاري (٢٦١٥)].

يُخبِر أَنَسٌ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في هذا الحديثِ: أنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ- وهو مَلِك مَدِينة دُومَةَ، وهي مدينةٌ بالقُرْب من تَبُوكَ- قد أَهْدى للنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جُبَّةً مِن سُنْدُسٍ، فعَجِب الناسُ منها، يعني: أَعْجَبهم حُسنُها، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَنْهى عن لُبس الحَرِيرِ، فلمّا رَأى النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إعجابَهم بها، قال لهم:«والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِه، لَمَنادِيلُ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ في الجنةِ أَحسنُ مِن هذا!»، وهو إشارةٌ منه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى أَدْنى ثِيابِه هناك؛ لأنَّ المَنادِيلَ- التي تُمسَح بها الأَيْدِي وغيرُها مِن الدَّنَسِ والوَسَخِ- هي أقلُّ ما يَملِكه الشَّخصُ، فكأنَّ أقلَّ ما يكونُ لسَعْدِ بنِ مُعاذٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في الجنةِ أفضلُ مِن هذا الحَرِيرِ، وعلى كلٍّ؛ فإنّ في الجنةِ ما لم يَخطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة :١٧].

ثامناً: أنها لا تبلى ثيابهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - قَالَ: « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ ». [مسلم (٢٨٣٦)].

في هذا الحديثِ يُخبِرُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَنْعَمُ، أي: يَعيشُ في نِعمةٍ دائمَةٍ لا يَرى فيها بُؤسًا أبدًا يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ، ثُمَّ بَيَّن النَّعيمَ بقَولِه: لا تَبلى ثِيابُه، وهَذا إخبارٌ بأنَّ ثِيابَ أَهْلِ الجنَّةِ لا تَزالُ جَديدةً، لا يُؤَثِّرُ فيها اللُّبسُ كَثِيابِ الدُّنيا. ولا يَفنى شَبابُه، أي: لا يَهْرَمُ؛ لأنَّ أهلَ الجنَّةِ على سِنٍّ واحدَةٍ سِنِّ ثَلاثٍ وثَلاثِينَ سَنةً. وفي هذا ما يُشوِّقُ النُّفوسَ إليها ويرغبها فيها، ويَشحَذُ الهِمَمَ للعَملِ لَها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - قَالَ :« مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْؤُسُ ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ». [سُنن الدارمي (٢٨٧٥) صحيح] .

تاسعاً: أنها غالية لا تقدر بالدنيا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - قَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيرٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ

الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». [البخاري (٧٢٩٦) ، وصحيح ابن حبان (٧٣٩٨) صحيح] .

وَعَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟، فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي نَهَارِكَ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ ، فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ». [الصَّحِيحَة (٢٨٢٩)].

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ أُهْدِىَ إِلَى النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرَقَةٌ مِنْ حَرِيرٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهَا وَلِينِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا » . قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا ». [البخاري(٦٦٤٠)].

عاشراً: يلبسون أكثر من ثياب :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «إِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَنَّةِ لَيَتَّكِئُ سَبْعِينَ سَنَةً قَبْلَ أَنْ يَتَحَوَّلَ ، ثُمَّ تَأْتِيهِ الْمَرْأَةُ ، فَتَقْرُبُ مِنْهُ ، فَيَنْظُرُ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، فَيَرُدُّ السَّلَامَ ، وَيَسْأَلُهَا مَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ الْمَزِيدِ ، وَإِنَّهُ يَكُونُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ ثَوْبًا ، فَيَنْفُذُهَا بَصَرُهُ حَتَّى يَرَى مُخَّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَلَيْهِنَّ التِّيجَانَ ، وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُؤَةٍ عَلَيْهَا لَتُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». [صحيح ابن حبان (٧٣٩٧)].

الحادي عشر: أن أساورهم مستنيرة لا يعلم بجمالها إلا الله:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عَنِ النَّبِيّ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قَالَ :«لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ ، لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضُوْءَ النُّجُومِ».

[سُنن الترمذي(٢٥٣٨) وصححه العلامة الألباني] .

ذَكَر اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ في الجنَّةِ ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ، ولا خطَرَ على قلبِ بشَرٍ، وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لو أنَّ ما يُقِلُّ ظُفُرٌ»، أي: قدرَ ما يستقِلُّ بحَملِه ظُفُرٌ ويُحمَلُ عليه، «ممّا في الجنَّةِ»، أي:مِن النَّعيمِ الَّذي بها، «بدا»، أي: ظهَر للدُّنيا، «لتزخرَفَتْ له»، أي: لتزَيَّنَ مِن الدُّنيا لهذا القَدْرِ الَّذي ظهَر مِن الجنَّةِ، «ما بين خَوافِقِ»، أي: جوانبِ، والمرادُ: مُنتهى «السَّمواتِ والأرضِ»، وهذا بيانٌ لعِظَمِ نعيمِ الجنَّةِ، «ولو أنَّ رجُلًا مِن أهلِ الجنَّةِ اطَّلَع فبدا»، أي: ظَهَر على الدُّنيا، «أساوِرُه»، أي: بعضٌ منها، والسِّوارُ: هو ما يُلبَسُ مِن حلقاتٍ باليدِ، «لطَمَسَ ضوءَ الشَّمسِ»، أي: غَطَّى عليها ومحا ضَوْءَها، «كما تطمِسُ الشَّمسُ ضوءَ النُّجومِ»، أي: كما تمحو الشَّمسُ بضَوئِها ضوءَ النُّجومِ.

المبحث السابع
أسباب نيل أجمل الألبسة في الجنة

١ - الشهادة:

عن المقدد بن معد يكرب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه ». [صحيح الجامع (٥١٨٢)].

قوله: «ويُوضَعُ على رأسِه تاجُ الوَقارِ»، أي: أي: يُلبِسُه اللهُ عَزَّوَجَلَّ تاجًا يُجعَلُ له مِن العزَّةِ والعظَمةِ، «الياقوتةُ منها» أي: مِن التّاجِ، وياقوتُ الدُّنيا: نَوعٌ مِن الأحجارِ الكريمةِ، لونُه شفّافٌ، مُشرَبٌ حُمرَةً أو زُرْقةً أو صُفْرةً، وهو أكثَرُ المعادِنِ صَلابةً بعدَ الماسِ، يُستَعمَلُ للزِّينةِ، «خيرٌ مِن الدُّنيا وما فيها» أي: مِن الحُصولِ على نَعيمِها كُلِّه.

٢ - حفظ القرآن والعمل به:

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال:«يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة». [السلسلة الصحيحة (٢٨٢٩)].

في هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يجِيءُ القرْآنُ يومَ القيامَةِ»، أي: يتمثَّلُ

واقِفًا بين يدَيِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، «فيقولُ»، أي: يقولُ القرآنُ للهِ عَزَّوَجَلَّ: «يا رَبِّ حَلِّه»، أي: يا رَبِّ ألبِسْ قارِئَ القرآنِ حُلَّةً، وزيِّنْه وأكرِمْ منزِلَتَه، «فيُلْبَسُ تاجَ الكرامَةِ»، أي: فيُلبَسُ قارِئُ القُرآنِ تاجًا فوْقَ رأسِه يُسمّى تاجَ الكرامَةِ، «ثُمَّ يقولُ»، أي: يقولُ القرآنُ للهِ عَزَّوَجَلَّ: «يا ربِّ زِدْه»، أي: يا ربِّ زِدْ قارِئَ القرآنِ إكرامًا، وزِدْ منزِلَتَه إعلاءً وتكريمًا.

«فيُلبَسُ حلَّةَ الكرامَةِ»، أي: فيُلبَسُ قارِئُ القرآنِ حلَّةً تسمّى حلَّةَ الكرامَةِ، والحُلَّةُ هي ما يُلبَسُ فوْقَ الثِّيابِ للزِّينَةِ والرَّفاهيَةِ، «ثُمَّ يقولُ: يا ربِّ، ارْضَ عنه»، أي: ثُمَّ يقولُ القرآنُ للهِ عَزَّوَجَلَّ: يا ربِّ ارضَ عن قارِئِ القرآنِ.

وفي رِوايَةٍ: «يا ربِّ ارْضَ عنه؛ فإنَّه ليس بعد رِضاك شيءٌ، فيَرضى عنه»، «فيُقالُ له»، أي: يُقالُ لقارِئِ القرآنِ: «اقرَأْ وارْقَ»، أي: اقرَأِ القرآنَ، وزِدْ في منزِلَتِك في الجنَّةِ بكلِّ آيَةٍ تقرَؤُها، «وتُزادُ بكلِّ آيَةٍ حسنَةً»، أي: ويُزادُ قارِئُ القرآنِ بكلِّ آيَةٍ يقرَؤُها حسنَةً في الجنَّةِ، ويَعلو بها درجَةً.

٣- من يعلم ولده القرآن:

عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «من قرأ القرآنَ وتعلَّمه وعمِل به؛ أُلبِسَ والداه يومَ القيامةِ تاجًا من نورٍ، ضوؤه مثلُ ضوءِ الشمسِ، ويُكسى والداه حُلَّتانِ لا تقوم لهما الدُّنيا، فيقولان: بمَ كسبْنا هذا؟ فيقال: بأخْذِ ولدِ كما القرآنَ». [صحيح الترغيب (١٤٣٤)].

تعليم الأولاد أعظم رسالة يؤديها المسلم في المجتمع المسلم لا سيما ولد المسلم يُعلم ما ينفعه من الخير والعلم الشرعي الذي يعتبر من أعظم الحقوق للابن والبنت على الوالد وعلى الأم فهي رسالة وواجب على المؤمن فيؤديها محتسب الأجر عند الله وبراءةً لذمته بين يدي الله تعالى فلا يجوز والله ضياعع الأبناء في الدراسات التي ربما غايتها يجد منها طعام وشراب ولباس ولذه في الدنيا مع ضياع الدين وضياع العبد والوالد في الدنيا وعدم العمل

والجد والإجتهاد من أجل العلم الإلهي والنبوي فلا إله إلا الله من حال أمة الإسلام في ضياع رجالها ونسائها وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٤- تعزية المسلم لأخية بالمصيبة :

عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ يُحَدِّثُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصيبَةٍ ، إِلاَّ كَسَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[سُنن ابن ماجه(١٦٠١) وصححه العلامة الألباني] .

المبحث الثامن
أسباب المنع من بعض الألبسة في الجنة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «من لبس الحريرَ في الدُّنيا لم يلبَسْه في الآخرةِ ومن شرِب الخمرَ في الدُّنيا لم يشرَبْها في الآخرةِ ومن شرِب في آنيةِ الذَّهبِ والفضَّةِ لم يشرَبْ بها في الآخرةِ ثمَّ قال لِباسُ أهلِ الجنَّةِ وشرابُ أهلِ الجنَّةِ وآنيةُ أهلِ الجنَّةِ». [صحيح الترغيب(٢٠٥٠)].

في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن لَبِسَ الحريرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْه في الآخرةِ»، أي: مَن لَبِسَ الحَريرَ الخالِصَ في الدُّنيا مِنَ الرِّجالِ لِغيرِ عُذرٍ، حُرِمَ منه يومَ القِيامةِ؛ إمّا لِحرمانهِ مِنَ الجنَّةِ إنْ كان مُستحِلًّا لذلك مع عِلمِه بحُرمتِه، أو لأنَّه يَدخُلُ الجنَّةَ، ولكنَّه يُحْرَمُ منه فيها، وقد ورَدتِ الرِّواياتُ الصَّحيحةُ الَّتي تَدلُّ على صِحَّة لُبْسِ النِّساءِ للحريرِ، وعلى أنَّ الرِّجالَ يُسمَحُ لهم ببعضِ الحريرِ في الثِّياب بما لا يُجاوِزُ عَرْضُه إصْبَعينِ إلى أربعِ أصابعَ تُتَّخَذُ أعلامًا، وحاشيةً للثِّيابِ.

«ومَن شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنيا، لم يَشْرَبْها في الآخِرَةِ»؛ لأنَّ مَن شَرِبَ الخَمرَ مع تَحريمِها عليه في الدُّنيا، فقدِ استعجَلَ اللذَّةَ بشَرابٍ مُذهِبٍ للعقلِ، مُفسدٍ للدُّنيا والدِّين، «ومَن شَرِبَ في آنيةِ الفِضَّةِ والذَّهبِ» وهما مِن المُحرَّماتِ، «لم يَشربْ بها في الآخِرةِ»، ثمَّ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِباسُ أهْلِ الجنَّةِ»، أي: إنَّ الحريرَ لِباسُ أهْلِ الجنَّةِ، «وشَرابُ أهْلِ الجنَّةِ»، ففيها أنهارٌ مِن خمْرٍ لذَّةٍ للشّاربينَ، «وآنيةُ أهْلِ الجنَّةِ» وهي آنيةُ الذَّهبِ والفِضَّةِ، فَمَن اتَّخَذَها في الدُّنيا فلنْ يَتمتَّعَ بها في الآخرةِ، ويُخْشى أنَّه بذلك لنْ يَدخُلَ الجنَّةَ؛ وذلك أيضًا إمّا لِحِرْمانهِ مِنَ الجنَّةِ إنْ كان مُستحِلًّا لذلك مع عِلمِه بحُرمتِه، أو لأنَّه يَدخُلُ الجنَّةَ، ولكنَّه يُحرَمُ منها فيها.

المبحث التاسع

فرش أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن:٥٤] .

قال السعدي-رحمه الله تعالى -:

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ ﴾ هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكئون عليها، أي: جلوس تمكن واستقرار [وراحة]، كجلوس الملوك على الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها التي تلي بشرتهم ؟. [تيسير الكريم الرحمن(٨٣١)].

قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ ﴾ [الإنسان:١٣] الِاتِّكَاءُ قِيلَ: الِاضْطِجَاعُ وَقِيلَ التَّرَبُّعُ فِي الْجُلُوسِ. وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْمُرَادِ هَاهُنَا وَمِنْهُ الْحَدِيثُ [فِي] الصَّحِيحِ: «أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا » فِيهِ الْقَوْلَانِ.

وَ ﴿ ٱلْأَرَآئِكِۖ ﴾: جَمْعَ أَرِيكَةٍ، وَهِيَ السَّرِيرُ تَحْتَ الحَجَلة، وَالْحَجَلَةُ كَمَا يَعَرِفُهُ النَّاسُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِالْبَاشخَانَاه، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ ﴾ قَالَ: هِيَ الْحِجَالُ. قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ غَيْرُهُ: السّرُر فِي الْحِجَالِ. [تفسير القرآن الكريم (١٥٦/٥)].

وقال الله سبحانه: ﴿ وفُرُشٍ مرفوعةٍ ﴾ .

وقال الله عزّوجلّ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ ﴾[الرحمن :٧٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦ ﴾[الغاشية :١٣-١٦] .

النمارق: الوسائد.

العبقريّ: قيل: البسط، وقيل: كل شيء من البسط عبقريّ، وصار العبقريّ اسماً ونعتاً لكل ما بُولغ في صفته.

الزرابيّ: البسط.

الرفرف: قيل: الوسائد، وقيل: المحابس، وقيل: طرف البساط.

الباب الرابع والعشرون
اجتماع أهل الجنَّةِ

المبحث الأول
اجتماع المؤمنين بأحبتهم

أولاً: اجتمـاع المؤمنين بأهلــيهم وذرياتهم:

الجنة دار الكرامة التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين، فيها من النعيم والسعادة ما لا يخطر على بال بشر، ولا يبلغه خيال أحد، فمن دخلها فقد سعد السعادة الحقيقية الأبدية، وفاز فوزا عظيما. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة :١٧]. ومن السعادة التي تكفل الله بها لعباده المؤمنين أن يجمع شمل الأسرة الواحدة، الوالدين والأولاد، بعد دخولهم الجنة جميعا برحمة الله، وشفاعة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء هذا الوعد في كتاب الله الكريم، آيات تتلى إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر:٨] وقوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[الزخرف :٧٠].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

وقوله تعالى ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ ﴾ أي:

يجمع بينهم وبين أحبابهم فيها من الآباء ، والأهلين ، والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ؛ لتقر أعينهم بهم ، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى ، من غير تنقيص لذلك الأعلى عن درجته ، بل امتنانا من الله وإحسانا ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور:٢١] . [تفسير القرآن العظيم (٤٥١/٤)] .

تزاور أهل الجنة، وتعارفهم ، ولقاؤهم فيما بينهم وهم في جنات النعيم ، فهذا من تمام نعيم أهل الجنة، ولا مانع من أن يزور الأدنى منزلة في الجنة، من هو فوقه فيها ، كما أن ذلك حاصل في الدنيا. قال الله تعالى : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[الصافات:٥١-٦١] .

قال ابن كثير- رحمه الله تعالى -:

يُخْبِرُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، أَيْ: عَنْ أَحْوَالِهِمْ، وَكَيْفَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، وَمَاذَا كَانُوا يُعَانُونَ فِيهَا؟ وَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِهِمْ عَلَى شَرَابِهِمْ، وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي تُنَادِمِهِمْ وَعِشْرَتِهِمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى السُّرُرِ، وَالْخَدَمِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، يَسْعَوْنَ وَيَجِيئُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ عَظِيمٍ، مِنْ مَآكِلَ وَمُشَارِبَ وَمَلَابِسَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. [تفسير ابن كثير(١٥/٧)] .

ثانياً: سبب الإلحاق :

قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالى-:

وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِ تعالى -: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ وَبَيْنَ قَوْلِهِ:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ الآيَةَ ... مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْآيَةَ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى نَفْيِ مِلْكِ الْإِنْسَانِ لِغَيْرِ سَعْيِهِ، وَلَمْ تَدُلَّ عَلَى نَفْيِ انْتِفَاعِهِ بِسَعْيِ غَيْرِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: وَأَنْ لَنْ يَنْتَفِعَ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِمَا سَعَى، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ ﴾، وَبَيْنَ الْأَمْرَيْنِ فَرْقٌ ظَاهِرٌ، لِأَنَّ سَعْيَ الْغَيْرِ مِلْكٌ لِسَاعِيهِ إِنْ شَاءَ بَذَلَهُ لِغَيْرِهِ فَانْتَفَعَ بِهِ ذَلِكَ الْغَيْرُ، وَإِنْ شَاءَ أَبْقَاهُ لِنَفْسِهِ .

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى انْتِفَاعِ الْمَيِّتِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالدُّعَاءِ لَهُ وَالْحَجِّ عَنْهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا ثَبَتَ الِانْتِفَاعُ بِعَمَلِ الْغَيْرِ فِيهِ.

الثَّانِي: أَنَّ إِيمَانَ الذُّرِّيَّةِ هُوَ السَّبَبُ الْأَكْبَرُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ، إِذْ لَوْ كَانُوا كُفَّارًا لَمَا حَصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ. فَإِيمَانُ الْعَبْدِ وَطَاعَتُهُ سَعْيٌ مِنْهُ فِي انْتِفَاعِهِ بِعَمَلِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا وَقَعَ فِي الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ صَلَاةَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ يَتَضَاعَفُ بِهَا الْأَجْرُ زِيَادَةً عَلَى صَلَاتِهِ مُنْفَرِدًا، وَتِلْكَ الْمُضَاعَفَةُ انْتِفَاعٌ بِعَمَلِ الْغَيْرِ، سَعَى فِيهِ الْمُصَلِّي بِإِيمَانِهِ وَصَلَاتِهِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا الْوَجْهُ يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾.

الثَّالِثُ: أَنَّ السَّعْيَ الَّذِي حَصَلَ بِهِ رَفْعُ دَرَجَاتِ الْأَوْلَادِ لَيْسَ لِلْأَوْلَادِ كَمَا هُوَ نَصُّ قَوْلِهِ تعالى -: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾ وَلَكِنَّ مِنْ سَعْيِ الْآبَاءِ فَهُوَ سَعْيٌ لِلْآبَاءِ أَقَرَّ اللَّهُ عُيُونَهُمْ بِسَبَبِهِ، بِأَنْ رَفَعَ إِلَيْهِمْ أَوْلَادَهُمْ لِيَتَمَتَّعُوا فِي الْجَنَّةِ بِرُؤْيَتِهِمْ.

فَالْآيَةُ تُصَدِّقُ الْأُخْرَى وَلَا تُنَافِيهَا، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالرَّفْعِ إِكْرَامُ الْآبَاءِ لَا الْأَوْلَادُ، فَانْتِفَاعُ الْأَوْلَادِ تَبَعٌ فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ تَفَضُّلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا لَيْسَ لَهُمْ، كَمَا تَفَضَّلَ بِذَلِكَ عَلَى الْوِلْدَانِ وَالْحُورِ الْعِينِ وَالْخَلْقِ الَّذِينَ يُنْشِؤُهُمْ لِلْجَنَّةِ. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. اهـ [أضواء البيان (٤٧١-٤٧٠/٧)].

قال الشيخ عطية سالم -رحمه الله تعالى -:

لِيَعْلَمِ الْمُسْلِمُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ نَفْعَ أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ إِلَّا بِوَاسِطَةِ

الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَبِمَا يُكْرِمُ اللَّهُ بِهِ مَنْ شَاءَ بِالشَّفَاعَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور:٢١] . الْآيَةَ. [أضواء البيان(٢٢٥/٨)].

ثالثاً: إلحاق الأطفال بآبائهم :

وأما الذي مات قبل البلوغ فإن كان من أولاد المشركين فحكمه حكم أهل الفترات، وإن كان من أولاد المسلمين فإنه من أهل الجنة؛ حيث إنه نشأ بين أبوين مسلمين وفطرته فطرة الإسلام، وهو على ما عليه آباؤه وأهله، فأولاد المسلمين يكونون أفراطاً لهم ويدخلون معهم الجنة ويرفعون إلى منازل آبائهم، والأدلة على أن أفراط المؤمنين يتقدمونهم كثيرة، وعلى رفع الأولاد حتى يكونوا مساوين للآباء قوله تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، يعني رفعنا الأولاد إلى مرتبة الآباء تكريماً لهم.

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) ﴾ [الطور:٢١] .

والمعنى: بأن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن الذين يموتون على الإيمان في درجته، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عينه، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بفضله وكرمه.

وهذا فضله تعالى على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء، فعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربِّ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك». [رواه أحمد (١٠٦١٠) الصَّحِيحَة(١٥٩٨)].

قال ابن عباس-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- في تفسير هذه الآية:إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ . [ابن جرير الطبري(٤٦٧/٢٢)]

قال العلامة الطيبي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «إن الله عَزَّوَجَلَّ ليرفع»... الحديث، دل الحديث على أن الاستغفار يحط من الذنوب أعظمها، وهذا يدل على أنه يرفع درجة غير المستغفر إلى ما لم يبلغها بعمله فما ظنك بالعامل المستغفر؟ ولو لم يكن في النكاح فضيلة غير هذا، لكفى به فضلا. فإن قلت: كيف طابق الباء في قوله: «باستغفار» و «اللام» في قوله: «لي»؟ والظاهر أن يقال: لاستغفار. قلت: ليس بذلك، بل التقدير كيف حصل لي هذه؟ فقيل: حصل لك باستغفار ولدك. [شرح المشكاة (١٨٥٥/٦-١٨٥٦)].

ثانياً: اجتماعهم بالأنبياء:

وَقَالَ الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء:٦٩].

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، وَإِنِّي لأَكُونُ فِي الْبَيْتِ فَأَذْكُرُكَ ، فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيَكَ فَأَنْظُرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوتَكَ ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعْتَ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَنْ لَا أَرَاكَ، فَلَمْ يَرُدَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَيْئًا حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِهَذِهِ الآيَة: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾. [الصَّحِيحَة(٢٩٣٣)].

عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ

اللَّهِ. قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَبِيرِ عَمَلٍ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قَالَ أَنَسٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مَا فَرِحُوا بِهِ». [أحمد(١٢٠١٣) بسند صحيح، وأصله في البخاري (٧١٥٣) ومسلم (٢٦٣٩)] .

قال ابن هبيرة - رحمه الله تعالى -:

في هذا الحديث دليل على أنه سيلحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من أحبهم إلى يوم القيامة إن شاء الله؛ فإن قوله «لما يلحق بهم»؛ فإن لما أصلها «لم» زيدت عليها «ما» ليقتضي التأخير فيتصرف المعنى إلى أنه لم يلحق بهم عملًا ووقتًا.

وفيه أيضًا بشرى لمن أحبهم ثم قصر به عمله أن يبلغ أعمالهم. فإن الله عز وجل يلحقه بهم من حيث أنه بنفس حبه لهم فنيته تكون متمنية بلوغ مرامهم؛ فلمثل هذا كانت نية المؤمن بالغة ما لم يبلغه عمله. [الإفصاح(٧٣/٢)].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أقربكم مني منزلا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقا في الدنيا» .[الصحيحة(٧٩٢)].

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جده - عبد الله بن عمرو - أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:«أخبِرُكُم بأحَبِكُم إليَّ وأَقْرَبِكُم مِني مَجْلِساً يومَ القِيامَةِ؟ فَسَكَتَ القَومُ فَأَعَادَها مَرتَينِ أَوْ ثَلاثاً قَالَ: القومُ نَعم، يَا رَسُولَ اللَّهِ قال: أَحسَنُكُم خُلُقاً». [الصحيحة(٧٩٦)].

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ». [الصحيحة(٧٩١)].

قلت: القرب قد يكون على معاني يوم القيامة:

المعنى الأول: في أرض المحشر.

المعنى الثاني: في الجنة ويكون المعنى كلما كان العبد أكثر محبة ومتابعة للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مقبلاً على الخير بعيداً عن البدع والمعاصي مهتدياً بالهدي النبوي كلما كان له منزلة قريبة من النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيرفع الله درجته ويعلي نزله كما قال لربيعة بن كعب الأسلمي عندما سأله مرافقته في الجنة فقال أعني على ذلك بكثرة السجود .

المعنى الثالث: عند التقاء العباد بالرب تعالى يوم الجمعة في سوق الجنة وفي غيرها من القاءات التي لا يعلم بها إلا الله فيكون الناس على مراتب وأقربهم من الأنبياء من تشبه بهم في هديهم وسمتهم ومنهجهم والله تعالى أعلم.

عن أنس - رَضِيَاللَّهُعَنْهُ - أن النبي - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قال: «إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا». [مسلم(٢٨٣٣)].

قال النووي - رحمه الله تعالى- في شرحه لهذا الحديث: المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي في مقدار كل جمعة، أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار... وخص ريح الجنة بالشمال، لأنها ريح المطر عند العرب، كانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية، وجاءت في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة، أي المحركة، لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها. [النووي على مسلم(١٧٠/١٧)].

أسباب القرب من الأنبياء في مجالسهم:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَة الْخشَني رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - : «إِن مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَدْنَاكُمْ مِنِّي مَجْلِساً فِي الآخِرَة : مَحَاسِنكمْ أَخْلاَقاً ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَي وَأَبْعَدكُمْ

مِنّي مَجْلِساً فِي الآخِرَة : مَساوئُكُمْ اخْلاَقاً ، الثَّرْثَارُون الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ - قَالَ : يَعْنِي الْمُتَكَبِّرُونَ - ». [ابن حبان (٤٨٢)، تعليق الألباني صحيح].

كان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحسَنَ النّاسِ خُلقًا، وقد أمَر بحُسنِ الخُلقِ،وبَيَّن أنَّ صاحِبَ الخُلقِ الحَسنِ له فَضلٌ كبيرٌ،وأجرٌ عظيمٌ، وفي هذا الحديثِ يقولُ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابِه ولأُمَّتِه«إنَّ مِن أحَبِّكم»أي: مِن أكثَرِ النّاسِ حُبًّا أو أحَبِّ المَحبوبين، «إليَّ»في الدُّنيا، «وأقرَبِكم منّي مَجلِسًا»أي: منزِلةً، يومَ القِيامةِ «أحاسِنَكم» جمعُ أحسَنَ،أي: أفضَلَكم وأجمَلَكم «أخلاقًا»أي: أصحابَ الخُلقِ الحسَنِ الجامِعِين للأخلاقِ الجَميلةِ الحسَنةِ بأنواعِها،«وإنَّ من أبغَضَكم إليَّ»أي: أكثَرَ مَن أكرَهُهم مِن النّاسِ في الدُّنيا،«وأبعَدَكم منّي» مَجلِسًا ومَنزِلةً، «يومَ القيامةِ الثَّرثارون»الَّذين يُكثِرون الكَلامَ ويتَكلَّفون فيه بغيرِ حقٍّ بالسَّجعِ والحَشْوِ وغيرِه، ويُردِّدونه كثيرًا،«والمتشدِّقون»الَّذين يتوسَّعون في الكلامِ، ويَلْوون ألسِنتَهم به، ويَفتخِرون به بغيرِ حقٍّ، وقيل: معناه: الَّذين يَستهزِئون بالناسِ بلَيِّ أشْداقِهم، والشِّدقُ هو جانِبُ الفمِ، «والمتفيهِقون»، مِن الفَهْقِ وهو الامتِلاءُ والاتِّساعُ،أي: الَّذين يتوسَّعون في الكلامِ ويَفتَحون به أفواهَهم وهذا لكِبْرِهم ورُعونتِهم، «قالوا»، أي: الحاضِرون مِن أصحابِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يا رسولَ اللهِ، قد عَلِمْنا» وفَهِمنا مَعنى الثَّرثارينَ وأنَّهم هم الَّذين يُكثِرون الكلامَ ويتَكلَّفون فيه، ومعنى المتشدِّقين وأنَّهم هم الَّذين يتكلَّمون بمِلْءِ أشداقِهم تَفاصُحًا واستعظامًا لكلامِه، «فما»معنى «المتفيهِقون» قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «المتكبِّرون» الَّذين يتكبَّرون على النّاسِ بكَلامِهم وبالاستِعلاءِ عليهم بفَصاحتِهم في أقوالِهم وبيانِ عَظمتِهم في أفعالِهم.

عَنْ أَنَسٍ-رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قَالَ: كَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَبِيرِ عَمَلٍ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا

أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» قَالَ أَنَسٌ: «فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مَا فَرِحُوا بِهِ». [أحمد(١٢٠١٣) بسند صحيح]

عن ربيعة بن كعب الأسلمي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَال: كُنْتُ أَبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَتَيْتُهُ بوَضُوئِهِ وحاجَتِهِ فَقالَ لِي: «سَلْ» فَقُلتُ: أسْأَلُكَ مُرافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: «أوْ غيرَ ذلكَ» قُلتُ: هو ذاكَ. قالَ: «فأعِنِّي على نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ». [مسلم (٤٨٩)].

ثالثاً: اجتماعهم بالرب عَزَّوَجَلَّ:

قال ابن الأثير-رحمه الله تعالى - :

رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو . [جامع الأصول(٥٥٧/١٠)].

فرؤية الله تعالى ولقائه والاجتماع به لها منازل فمنها ما يكون في أرض المحشر ومنها ما يكون عند الحساب ومنها ما يكون في الجنة وكلها ثابته بالأدلة الشرعية من الكتاب والسُنَّة كما سنذكره.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «.... فَيَأْتِيهِمْ اللهُ - عَزَّوَجَلَّ - فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ - وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى كَوْمٍ فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا بَالُ النَّاسِ ذَهَبُوا وَأَنْتُمْ هَاهُنَا؟ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ مَا تَنْتَظِرُونَ؟ أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ لِتَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ قَالَ: فلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاء فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْقَرِ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي كُنَّا نَعْبُدُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا-مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ - قَالَ: وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ - فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ؟ ، فَيَقُولُونَ: إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا عَرَفْنَاهُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ السَّاقُ». [البخاري(٧٠٠١)].

وفي رواية: ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ ، فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ« فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وهَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟، فَقَالَ: « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ » قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: « هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ». [البخاري(٧٧٣)مسلم(١٨٢)].

عن ابن عمر-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا». [مسلم(١٨٢٧)].

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه»[البخاري(٧٤٤٣) مسلم(١٠١٦)].

وعن صهيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتُنجِّنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عَزَّ وَجَلَّ». [مسلم(١٨١)].

وأدلة ملاقاة الله تعالى ورؤيته عليها إجماع المسلمين وخالف من لم يعتد بهم من أهل البدع والظلالة والعبرة بالحق والدليل لا بما تخرصه المتخرصون وابتدعه المكذبون.

قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] .

وقوله تعالى -: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] .

عن صهيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عَزَّ وَجَلَّ -: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم

عَزَّوَجَلَّ. ثم تلا هذه الآية: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾». [مسلم(١٨١)].

وقوله تعالى -: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥ ﴾[ق : ٣٥] .

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾[المطففين : ١٥] .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا». [البخاري(٥٧٣) مسلم (٦٣٣)].

الباب الخامس والعشرون

سوق الجنة

الجنة هي المكان الذي أعده الله تعالى لعبادة الصالحين بعد الموت و البعث والحساب، تكريما لهم على اعمالهم في الحياة الدنيا، وتعتبر الجنة من الامور الغيبية، التي عرفنا عنها عن طريق القرآن الكريم و السُنَّة النبوية الشريفة، فالجنة لا يدخلها الا من امن بالله تعالى وملائكتة وكتبه ورسله و اليوم الاخر و القضاء و القدر خيره وشره ومن ضمن ذلك سوق الجنة ومجمعهم في ذلك المكان الذي بينه الله تعالى ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أنس بن مالك -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:«إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال ، فتحثوا في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا »[مسلم(٢٨٣٣)].

قال النووي -رحمه الله تعالى -:

المراد بالسوق : مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق ، ومعنى يأتونها كل جمعة : أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع ، وليس هناك حقيقة أسبوع؟ لفقد الشمس والليل والنهار . وقال القاضي : وخص ريح الجنة بالشمال؛ لأنها ريح المطر عند العرب ، كانت تهب من جهة الشام ، وبها يأتي سحاب المطر ، وكانوا يرجون السحابة الشامية ، وجاءت في الأحاديث تسمية هذه الريح المثيرة ، أي المحركة؛ لأنها تثير في وجوههم ما تثيره من مسك أرض الجنة وغيره من نعيمها . [شرح مسلم(١٧/ ١٧٠)].

قلت: إن سوق الجنة هو مكان اللقاء للمؤمنين بعضهم ببعض؛ للازدياد من النعيم بما يجدونه من لذة وسؤدد، وتحدث بعضهم لبعض؛ وتذاكرهم بما كان في الدار الدنيا وما آلوا إليه في الدار الآخرة؛ ويتجدد هذا اللقاء كل جمعة كما جاء في الحديث؛ لرؤية بعضهم لبعض وأنس بعضهم ببعض، ولم يكن لقاء بعضهم لبعض في سوق الجنة فحسب، بل يتزاورون في المنازل، وفي خير المنازل، وتحت الأشجار، وعلى شواطئ الأنهار، وفي جميع المنتزهات المختلفة، متى شاءوا من الأوقات التي تتناسب معهم ويرتاحون لها بل ويرغبونها.

عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « إن أهل الجنة ليتزاورون فيها ». [الترمذي(٢٥٥٦) وصححه العلامة الألباني] .

إنها الزيارات الممتعة، والحياة السعيدة، والأُنس الذي لا ينقطع، واللذة المستمرة.

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال: رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَتاني جِبْريلُ S وفي يدِهِ مِرآةٌ بَيْضاءُ فيها نُكْتةٌ سَوْداءُ، فقلتُ: ما هذه يا جِبْريلُ؟ قال: هذه الجُمُعةُ، يَعْرِضُها عليكَ ربُّكَ عَزَّوَجَلَّ؛ لِتَكونَ لكَ عيدًا، ولقومِكَ مِن بَعدِكَ، تَكُونُ أنتَ الأوَّلُ، وتَكُونُ اليَهودُ والنَّصارى مِن بَعدِكَ. قال: ما لَنا فيها؟ قال: فيها خيرٌ لَكُم؛ فيها ساعةٌ مَن دَعا ربَّهُ فيها بخيرٍ هو له قَسْمٌ إلّا أَعطاهُ إيّاهُ، أوْ ليس بقَسْمٍ إلّا ادُّخِرَ له ما هو أَعْظَمُ منهُ، أو تَعَوَّذَ فيها مِن شَرٍّ هو عليه مَكتوبٌ إلّا أَعاذَهُ، أو ليس عليه مكتوبًا إلّا أعاذَهُ مِن أَعْظَمَ مِنهُ. قلتُ: ما هذه النُّكتَةُ السَّوداءُ فيها؟ قال: هذهِ السّاعةُ، تَقُومُ يومَ الجُمُعةِ. وهو سيِّدُ الأيّامِ عندَنا، ونحن نَدْعُوهُ في الآخِرةِ يومَ المَزِيدِ. قلتُ: لِمَ تَدْعُونَهُ يومَ المَزِيدِ؟ قال: إنَّ ربَّكَ عَزَّوَجَلَّ اتَّخَذَ في الجَنَّةِ واديًا أَفْيَحَ مِن مِسْكٍ أَبْيَضَ، فإذا كان يومُ الجُمُعةِ نَزَلَ- تبارَكَ وتَعالى- مِن عِلِّيِّينَ على كُرْسيِّهِ، ثمَّ حَفَّ الكُرْسيَّ بمَنابِرَ مِن نورٍ، وجاءَ النَّبِيُّون حتّى يَجْلِسوا عليها، ثم حَفَّ المَنابِرَ بكَراسِيَّ مِن ذَهَبٍ، ثُمَّ جاءَ الصِّدِّيقون والشُّهداءُ حتّى يَجْلِسوا عليها، ثُمَّ يَجِيءُ أهْلُ الجَنَّةِ حتّى يَجْلِسوا على الكَثِيبِ، فيَتَجَلّى لهم ربُّهُم- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- حتّى

يَنظُروا إلى وجْهِهِ، وهو يَقولُ: أنا الَّذي صَدَقْتُكُمْ وعْدِي، وأَتْمَمْتُ عليكُمْ نِعْمَتي، هذا مَحَلُّ كرامَتي، فسَلوني، فيَسْأَلونَهُ الرِّضا، فيَقولُ عَزَّوَجَلَّ: رِضائي أُحِلُّكُم داري، وأَنالُكُم كَرامتي، فسَلوني، فيَسْأَلونَهُ، حتّى تَنتَهِيَ رغْبَتُهُمْ، فيَفْتَحُ لهُم عندَ ذلكَ ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلْبِ بَشَرٍ، إلى مِقْدارِ مُنْصَرَفِ النّاسِ مِن يومِ الجُمُعةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ الرَّبُّ- تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- على كُرْسيِّهِ، فيَصْعَدُ معه الشُّهَداءُ والصِّدِّيقونَ،- أَحسِبُهُ قال:- ويَرْجِعُ أَهْلُ الغُرَفِ إلى غُرَفِهِمْ، دُرَّةٍ بيضاءَ لا فَصْمَ فيه ولا وَصْمَ، أَوْ ياقُوتَةٍ حَمراءَ، أَوْ زَبَرْجَدةٍ خَضراءَ، منها غُرَفُها وأبوابُها، مُطَّرِدَةٌ فيها أنهارُها، مُتَدَلِّيَةٌ فيها ثِمارُها، فيها أزواجُها وخَدَمُها، فليسوا إلى شيءٍ أَحْوَجَ منهُم إلى يومِ الجُمُعةِ؛ ليَزْدادوا فيهِ كرامةً، ولِيَزدادوا فيهِ نَظَرًا إلى وجْهِهِ- تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-؛ ولذلكَ دُعِيَ (يومَ المَزِيدِ)». [صحيح الترغيب (٣٧٦١)].

الباب السادس والعشرون

أواني الجنة

المبحث الأول

آنية الحوض

عن أبي ذر الغفاري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة، من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل».[مسلم(٢٣٠٠)].

أقول: قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية» إشارة إلي أن عدد نجوم السماء كلها أكثر من آنية الحوض، ولكن آنية الحوض أكثر من النجوم المنظورة في الليلة المظلمة المصحية. وفي هذا التعبير معجزة عظمى فلم تنكشف كثرة نجوم هذا الكون إلا في عصرنا. وعلى هذا الحديث تحمل النصوص التي تطلق أن عدد كيزانه كنجوم السماء.

عن أنس بن مالك-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يرى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء». [مسلم(٢٣٠٣)].

مِمّا أكرم اللهُ تعالى به نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحَوْضُ في عَرَصاتِ يومِ القِيامةِ، وقد بيَّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ عدد أباريقه على سَبيلِ التقريبِ لا التَّحديدِ.

المبحث الثاني

وصف تلك الأواني

كان الرجال والنساء من الفرس والروم يتحلون بالذهب، وكان الأكاسرة والقياصرة وذوو الجاه والأموال يلبسون الأساور الذهبية العريضة التي تملأ الساعد، ويتخذون القلائد والتيجان والسلاسل الذهبية كمظهر من مظاهر الزينة والفخر والخيلاء والكبر والعلو في الأرض، وكما سبق كانوا يأكلون ويشربون في أواني الذهب والفضة، ومثل ذلك وأكثر كان الفراعنة في مصر يفعلون، وما الآثار الذهبية لتوت عنخ آمون إلا رمز لهذه المظاهر، أما العرب فكانوا يعيشون في البوادي، وحضرهم أقرب إلى البادية منها إلى قصور الفرس والروم، كانوا يسمعون عن حلي الذهب أو يرون ولا يملكون وقد وعدهم الله هذه الحلي في الجنة، فقال ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر :٣٣] ، وفطمهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التطلع إليها في الدنيا، فقال: «هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» وقد وصفت لنا تلك الأواني وأنها من:

الذهب :

قال الله تعالى :﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ [الزخرف :٧١].

قال السعدي -رحمه الله تعالى -:

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بألطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير. [تيسير الكريم الرحمن(٧٦٩)].

الفضة :

قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإنسان :١٥-١٦].

قال الحسن-رحمه الله تعالى - في قوله: ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ قال: صفاء القوارير في بياض الفضة. عن قتادة، في قوله: ﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ قال: لو احتاج أهل الباطل أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه، كما يرى ما في القوارير ما قدروا عليه. [جامع البيان (٢٤/ ١٠٥)].

مسألة: من يحرم تلك الأواني؟

عن أم سلمة هند بنت أبي أمية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نارَ جَهَنَّمَ» [البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥)].

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة و من شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة و من شرب في آنية الذهب و الفضة في الدنيا لم يشرب بها في الآخرة ثم قال : لباس أهل الجنة و شراب أهل الجنة و آنية أهل الجنة ». [السلسلة الصحيحة(٣٨٤)].

قال العلامة الألباني -رحمه الله تعالى -:

حرم الشرب في آنية الذهب والفضة على الرجال والنساء أيضاً لأنها آنيتهم ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزخرف :٧٠-٧١].

فمن استعجل التمتع بذلك غير مبال ولا تائب عوقب بحرمانها منها في الآخرة جزاء وفاقا. [السلسلة الصحيحة(١/ ٣٨٣)].

المبحث الثالث

أنواع تلك الأواني

الصحائف:

قال الله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ ﴾ [الزخرف :٧١].

يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ جمع صحفة. وهي نوع من أنواع أواني الطعام.

قال السعدي -رحمه الله تعالى -:

قوله: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ ﴾ [الزخرف :٧١]. أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم، بألطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير.[تيسير الكريم الرحمن(٧٦٩)].

الأنية:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ ﴾[الإنسان :١٥].

عن ابن عباس-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قوله: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ ﴾[الإنسان :١٥]. يقول: آنية من فضة، وصفاؤها وتهيؤها كصفاء القوارير. [جامع البيان (٢٤/ ١٠٤)].

القوارير:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ

قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإنسان :١٥-١٦].

قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى -:

ويُطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، هي من فضة كانت قواريرًا، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج. [جامع البيان(٢٤/ ١٠٤)].

وقال أيضاً: وقوله: ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ .يقول: كانت هذه الأواني والأكواب قواريرًا، فحوّلها الله فضة. وقيل: إنما قيل: ويطاف عليهم بآنية من فضة، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة، لأن كل آنية تُتَّخذ، فإنما تُتَّخذ من تُرْبة الأرض التي فيها، فدلّ جلّ ثناؤه بوصفه الآنية متى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة، ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة. [المصدر السابق] .

الكأس :

قال الله تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾[الإنسان :١٧].

قال الله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[الواقعة :١٧-١٨].

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾[الإنسان :٥].

وقال الله تعالى : ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾[النبأ :٣٤].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى -:

وقوله: ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ﴾. يقول: وكأسا ملأى متتابعة على شاربها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدَّهْق: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف، وكذلك الكأس الدهاق:

متابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء. [جامع البيان(٢٤/ ١٧١)].

الكوب :

قال الله تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزخرف :٧١].

وقال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإنسان :١٥-١٦].

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الغاشية :١٤].

والكوب نوع من أنواع آنية الشراب. والكوب الكوز لا عروة له. وقال ابن كثير: وهي آنية الشراب أي: من ذهب لا خراطيم لها ولا عرى.

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى -:

الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير. [تيسير الكريم الرحمن(٧٦٩)].

قال المفسر الكبير ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى -:

وقوله: ﴿ وَأَكْوَابٌ ﴾ يقول: ويُطاف مع الأواني بجرار ضِخام فيها الشراب، وكلّ جرّة ضخمة لا عروة لها فهي كوب. [جامع البيان(٢٤/ ١٠٤)].

موانع الشراب يوم القيامة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَن لبسَ الحريرَ في الدُّنيا، لم يلبَسهُ في الآخِرةِ ومَن شَربَ الخمرَ في الدُّنيا، لَم يَشرَبْها في الآخرةِ، ومن شرِبَ في آنيةِ الفضَّةِ والذَّهبِ، لم يشرَب بِها في الآخرةِ. ثمَّ قالَ: لِباسُ أَهْلِ الجنَّةِ، وشرابُ أَهْلِ الجنَّةِ، وآنيةُ أَهْلِ الجنَّةِ». [صحيح الترغيب (٢٠٥٠)].

في هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن لَبِسَ الحريرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْه في الآخرةِ»، أي: مَن لَبِسَ الحَريرَ الخالِصَ في الدُّنيا مِنَ الرِّجالِ لِغيرِ عُذرٍ، حُرِمَ منه يَومَ القِيامةِ؛ إمّا لِحرمانهِ مِنَ الجنَّةِ إنْ كان مُستحِلًّا لذلك مع عِلمِه بحُرمتِه، أو لأنَّه يَدخُلُ الجنَّةَ، ولكنَّه يُحْرَمُ منه فيها، وقد ورَدتِ الرِّواياتُ الصَّحيحةُ الَّتي تَدلُّ على صِحَّة لُبْسِ النِّساءِ للحريرِ، وعلى أنَّ الرِّجالَ يُسمَحُ لهم ببَعضِ الحريرِ في الثِّياب بما لا يُجاوِزُ عَرْضُه إصْبَعينِ إلى أربعِ أصابعَ تُتَّخَذُ أعلامًا، وحاشيةً للثِّيابِ، «ومَن شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنيا، لم يَشْرَبْها في الآخِرَةِ»؛ لأنَّ مَن شَرِبَ الخَمرَ مع تَحريمِها عليه في الدُّنيا، فقدِ استعجَلَ اللذَّةَ بشَرابٍ مُذهِبٍ للعقلِ، مُفسدٍ للدُّنيا والدِّين، «ومَن شَرِبَ في آنيةِ الفِضَّةِ والذَّهبِ» وهما مِن المُحرَّماتِ، «لم يَشرَبْ بها في الآخِرةِ»، ثمَّ قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِباسُ أهْلِ الجنَّةِ»، أي: إنَّ الحريرَ لِباسُ أهْلِ الجنَّةِ، «وشَرابُ أهْلِ الجنَّةِ»، ففيها أنهارٌ مِن خمرٍ لَذَّةٍ للشّاربينَ، «وآنيةُ أهْلِ الجنَّةِ» وهي آنيةُ الذَّهبِ والفِضَّةِ، فمَن اتَّخَذَها في الدُّنيا فلنْ يَتمتَّعَ بها في الآخرةِ، ويُخْشى أنَّه بذلك لنْ يَدخُلَ الجنَّةَ؛ وذلك أيضًا إمّا لِحِرْمانهِ مِنَ الجنَّةِ إنْ كان مُستحِلًّا لذلك مع عِلمِه بحُرمتِه، أو لأنَّه يَدخُلُ الجنَّةَ، ولكنَّه يُحْرَمُ منها فيها.

الباب السادس والعشرون

طعام أهل الجنة

عُدّ أساس طعام الناس في الدنيا اللحوم والثمار، وهو جُلّ ما يطلبه الإنسان وينفق عليه الأموال والأوقات لتحضيره، وقد ذكر الله -تعالى- في كتابه الكريم هذين الصنفين من الطعام بالاسم، لكنّ ما ذُكر عن اللحوم والثمار في الجنّة لا يشبه ما يراه المسلم في حياته إلّا في الاسم، فلحوم الجنّة ليست كلحوم الدنيا، وثمار الجنّة ليست كثمار الدنيا، ولا شكّ في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الطور :٢٢].

وجعل الله -تعالى- الفاكهة في الجنّة أنواعاً كثيرةً جداً، لا تُعدّ ولا تُحصى، وجعل لكلّ صنفٍ منها نوعين، حيث قال الله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾[الرحمن :٥٢] ، فكلّ صنفٍ وإن تشابه مع سواه في الاسم أو الهيئة إلّا أنّه متخصّص بمذاقٍ فريدٍ، وطعمٍ يميّزه عن مثيله، وقد يكون تفسير الزوجين بأنّ لكلّ صنفٍ من الفاكهة طريقتين في تناوله، فيُؤكل مرّةً رُطباً كالعنب، ومرّةً يابساً كالزبيب.

ووصف الله -تعالى- أهل الجنّة بأنّهم مشغولون في تناول الأطعمة والثمار، والأصل في الحصول على الأطعمة في الجنّة المتعة واليُسر، وليس كحال الدنيا، ففي الجنّة تدنو الثمرة من صاحبها إذا اشتهاها؛ حتى يقطفها، ووصف الله -تعالى- قُرب الثمار من المؤمنين، وفي الجنّة الهناء والرضا بالثمار والطعام دائمٌ، لا يخشى الإنسان قلّته، ولا انقطاعه، فهو نعيمٌ خالدٌ مقيمٌ، وفي ذلك طمأنةٌ للإنسان ألّا نهايةً لهذا النعيم الجزيل،وفي وصف آخر لهذا الفضل قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ

وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [ص :٥١] أي آمنين من نقصانها وقلّتها، وآمنين من ضررها وسوء عاقبتها، وكذلك آمنين من أيّ علّةٍ في أجسامهم قد تحبسهم عنها، فالإنسان في الجنّة دائم الصحة، بعيدٌ عن المرض والفقر، وسوى ذلك من المكروهات، وحتى يتمّ الله -تعالى- لعباده لذّة تناول الطعام صرف عنهم التبوّل والتغوّط، وجُعل تصريف طعامهم بالجشاء والرشح، إذ يرشح ما يزيد عن حاجتهم على جلودهم مسكاً فنسأل الله تعالى من فضله.
قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[الكهف :١٠٧-١٠٨].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إن أهلَ الجنةِ يَأْكُلون فيها ويَشْرَبون». [صحيح أبي داود (٤٧٤١)].

كان النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كثيرًا ما يُخْبِرُ عنِ الجنَّةِ بِما يُشوِّقُ النُّفوسَ إليها ويَشحَذُ الهِمَمَ لَها، ولِيُشَمِّرَ لها الطّالِبونَ، ويَرْغَبَ فيها الرّاغِبونَ.

وفي هذا الحديثِ يَصِفُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعضَ نَعيمِ الجنَّةِ وصِفاتِ أهلِها وصِفةِ عَيشِهم فيها، فيقول: إنَّ أَهلَ الجَنَّةِ يَأْكُلون فيها وَيشْرَبون، أي: تَنعُّمًا لا جُوعًا ولا عَطشًا، ولا يَتْفُلون مِن أَفواهِهم، ولا يَبُولونَ ولا يتغوَّطون، ولا يَتمَخَّطون، والمعنى: أنَّهم لا يَكونُ مِنهم شَيءٌ مِن أَوساخِ الدُّنيا النّاتجةِ عنِ الأَكلِ والشُّربِ، قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ أي: إذا كانوا يَأْكُلون ويَشرَبون ثُمَّ إنَّهم لا يبولُون ولا يَتغوَّطون؛ فأَيْنَ يَذهبُ طَعامُهم؟ فَقال: جُشاءٌ ورَشْحٌ كرَشْحِ المِسكِ، والجُشاءُ الصَّوتُ يَخرجُ منَ الفَمِ عندَ امْتلاءِ المَعِدَةِ، ورَشْحٌ، أي: عَرَقٌ، كَرَشْحِ المِسكِ كَريحِه وطِيبِه، يُلهَمونَ التَّسبيحَ والتَّحميدَ، كَما يُلهَمونَ النَّفَسَ. وقد وصف الله طعام أهل الجنة بأمور منها:

أنها مشتهاة:

قال الله تعالى :﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾[الزخرف :٧١].

قوله: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم ﴾ بعدَ دخولِهم الجنَّةَ حسبَما أُمروا بهِ ﴿ بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ ﴾ كذلكَ والصِّحافُ جمعُ صَحْفةٍ قيلَ هيَ كالقصعَةِ وقيلَ أعظمُ القِصَاعِ الجفنةُ ثم القصعة ثم المكيلةُ والأكوابُ جمعُ كوبٍ وهو كوزٌ لا عُروةَ لَهُ ﴿ وَفِيهَا ﴾ أي في الجَّنةِ ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ ﴾ من فُنونِ الملاذِّ وقُرِىءَ ما تَشتَهي ﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ﴾ أي تستلذُّه وتقرُّ بمشاهدتِه وقُرِىءَ وتلذُّهُ ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف :٧١] إتمامٌ للنعمةِ وإكمالٌ للسرورِ فإنَّ كلَّ نعيمٍ له زوالٌ بالآخرةِ مقارن لخوفِه لا محالةَ والالتفاتُ للتشريفِ. [تفسير أبي السعود(٨/ ٥٤)].

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالى -:

﴿ وَفِيهَا ﴾ أي: الجنة ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ﴾ وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونقة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى -: ﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ ﴾[يس:٥٧] ، ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه.[تيسير الكريم الرحمن(٧٧٠)].

وقال الله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١ ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١] . وقال الله تعالى :﴿ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ ﴾[الطور :٢٢].

أنهم يأكلون بهنوء :

قال الله تعالى :﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ ﴾ [الحاقة :٢٤].

وقال الله تعالى : ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[الطور : ١٩-٢٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المرسلات :٤٣] .

أنهم يتخيرون الطعام:

قال الله تعالى : ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١] أي: يختارون منها ما يروق لهم ويعجبهم وإن كانت كلها معجبة.

فهم يتخير منها ما يشاؤون لكثرة النعيم والطعام فليسوا محصورين بين أصناف محدودة وهو أيضاً مرضي بجميع أصنافه وأنواعه فهو طعام .

مرضي لنفوسهم متعدد في أشكاله وأوصافه وأنواعه .

والمعنى: ويطوفون عليهم بألوان من الفاكهة المختلفة المطاعم، يختارون منها ما تميل إليه نفوسهم، وبأنواع من لحوم الطير مما لذ وطاب. فيأخذون منها مايشتهون، وفيه يرغبون.

قال ابن الجوزي -رحمه الله تعالى -:

ما من شيء اشتهته نفس أو استلذته عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالى نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين، وتمام النعيم الخلود؟ لأنه لو انقطع لم تطب. [زاد المسير(٨٣/٤)].

المبحث الأول

طعام أهل الجنة أول ما يدخلون الجنة

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ حَبْرًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مَسَائِلَ، فكَانَ مِنْهَا أَنْ قَالَ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ؟ -يَعْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ-قَالَ: «زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ». قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى أَثَرِهَا؟ قَالَ: «يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا». قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا». [مسلم (٣١٥)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تخرج من المشرقِ؛ فتحشر الناسَ إلى المغربِ، وأما أولُ ما يأكل أهلُ الجنَّةِ فزيادةُ كبِدِ الحوتِ؛ وأما شبهُ الولدِ أباه وأمَّه؛ فإذا سبق ماءُ الرجلِ ماءَ المرأةِ نزع إليه الولدُ، وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نزَع إليها». [صحيح الجامع (١٣٤٩)].

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بَلَغَهُ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ قَالَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أبيه؟ وما بال الولد يَنْزِعُ إِلَى أُمِّهِ؟قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا» قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَوَّلُ طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ». [رواه أحمد(٣/ ١٨٩)].

قال العلامة الراجحي - حفظه الله تعالى -:

وقوله : «زيادة كبد الحوت» بيانه: أن الكبد فيه قطعة صغيرة زائدة، وهذه الزيادة التي في كبد الحوت هي طعام أهل الجنة، وهذا يعني أن الحوت كبير؛ لأن هذه الزيادة في كبد الحوت تكفي أهل الجنة، وهي أول طعامهم. [شرح تفسير ابن كثير(٤/ ٤٤)].

قال المناوي-رحمه الله تعالى -:

وَهِي الْقطعَة المنفردة عَن الكبد الْمُتَعَلّقَة بِهِ وَهِي أطيبه وألذه. [التيسير بشرح الجامع الصغير(١/ ٣٩٠)].

المبحث الثاني
أنواع أطعمة أهل الجنة

عَدّ الله تعالى لعباده المؤمنين نعيماً مقيماً في الجنة، ودرجات عاليةً للمقرّبين منهم، ومن النعيم الذي أعدّه الله لأهل الجنة الطعام والشراب، ففي الجنة العديد من الثمار واللحوم المختلفة عن ثمار ولحوم الدنيا، كما أنّها كثيرة جداً لا يمكن عدّها وإحصاؤها، ولكلّ فاكهةٍ نوعين منها، كلٌّ منهما يختلف عن الآخر بالطعم واللون، وقد يكون البعض منها يؤكل يابساً أو رطباًوهي على سبيل التمثيل:

أولاً: اللحم:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الطور:٢١-٢٣].

ذكر اللحم الذي هو سيد الإدام، كانت العرب يتوسعون بلحوم الإبل، ويعز عندهم لحم الطير الذي هو أطيب اللحوم، ويسمعون بها عند الملوك فوعدوها؛ فقيل: ﴿ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ ﴾؛ أي: ويطوفون عليهم بلحم طير كائن ﴿ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴾؛ أي: مما يتمنونه، وتشتهيه أنفسهم مشويًّا أو مطبوخًا. يتناولونها مشتهين لها، لا مضطرين ولا كارهين.

والإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١].

قال الفخر الرازي-رحمه الله تعالى -:

أَنَّ الْفَاكِهَةَ وَاللَّحْمَ فِي الدُّنْيَا يُطْلَبَانِ فِي حَالَتَيْنِ أَحَدُهُمَا: حَالَةُ الشُّرْبِ وَالْأُخْرَى حَالُ عَدَمِهِ، فَالْفَاكِهَةُ مِنْ رُءُوسِ الْأَشْجَارِ تُؤْخَذُ، كَمَا قَالَ تعالى :﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحاقة:٢٣] ، وَقَالَ: ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الرحمن:٥٤] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَأَمَّا حَالَةُ الشَّرَابِ فَجَازَ أَنْ يَطُوفَ بِهَا الْوِلْدَانُ، فَيُنَاوِلُوا الْفَوَاكِهَ الْغَرِيبَةَ وَاللُّحُومَ الْعَجِيبَةَ لَا لِلْأَكْلِ بَلْ لِلْإِكْرَامِ، كَمَا يَضَعُ الْمُكْرِمُ لِلضَّيْفِ أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ بِيَدِهِ عِنْدَهُ وَإِنْ كَانَ كُلُّوَاحِدٍ مِنْهُمَا مُشَارِكًا لِلْآخَرِ فِي الْقُرْبِ مِنْهَا. [مفاتيح الغيب(٢٩/ ٣٩٦)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ طيرَ الجنةِ كأمثالِ البُختِ ترعى في شجرِ الجنةِ فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ ! إنَّ هذه لَطيرٌ ناعمةٌ فقال: أَكَلَتُها أنعمُ منها - قالها ثلاثًا - إني لأرجو أن تكونَ ممن يأكُلُ منها». [صحيح الترغيب (٣٧٤٠)].

ثانياً: الفواكه:

قال الله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الزخرف:٧٠-٧٣].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة:١٨-٢٤].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[المرسلات:٤١-٥٤].

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: من خيار الفواكه وأطيبها، ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ من المآكل الشهية، والأشربة اللذيذة ﴿ هَنِيٓـًٔا ﴾ أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل، ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فأعمالكم هي السبب الموصل لكم إلى هذا النعيم المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله، ولهذا قال: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانا وخسرانا. [تيسير الكريم الرحمن(٩٠٥)].

المبحث الثالث

اقتران الفاكهة باللحم؟

المسألة الأولى: تخصيص الفاكهة بالتخيير واللحم بالاشتهاء.

قال الفخر الرازي-رحمه الله تعالى -:

هَلْ فِي تَخْصِيصِ التَّخْيِيرِ بِالْفَاكِهَةِ وَالِاشْتِهَاءِ بِاللَّحْمِ بَلَاغَةٌ؟ قُلْتُ: وَكَيْفَ لَا وَفِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ بَلَاغَةٌ وَفَصَاحَةٌ، وَإِنْ كَانَ لَا يُحِيطُ بِهَا ذِهْنِي الْكَلِيلُ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا عِلْمِيَ الْقَلِيلُ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي فِيهِ أَنَّ اللَّحْمَ وَالْفَاكِهَةَ إِذَا حَضَرَا عِنْدَ الْجَائِعِ تَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَى اللَّحْمِ، وَإِذَا حَضَرَا عِنْدَ الشَّبْعَانِ تَمِيلُ إِلَى الْفَاكِهَةِ، وَالْجَائِعُ مُشْتَهٍ وَالشَّبْعَانُ غَيْرُ مُشْتَهٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُخْتَارٌ إِنْ أَرَادَ أَكَلَ، وَإِنْ لَمْ يُرِدْ لَا يَأْكُلُ، وَلَا يُقَالُ فِي الْجَائِعِ إِنْ أَرَادَ أَكَلَ لِأَنَّ إِنْ لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى الْمَشْكُوكِ، إِذَا عُلِمَ هَذَا ثَبَتَ أَنَّ فِي الدُّنْيَا اللَّحْمَ عِنْدَ الْمُشْتَهِي مُخْتَارٌ وَالْفَاكِهَةَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُشْتَهِي مُخْتَارَةٌ وَحِكَايَةُ الْجَنَّةِ عَلَى مَا يُفْهَمُ فِي الدنيا فخص اللَّحْمُ بِالِاشْتِهَاءِ وَالْفَاكِهَةُ بِالِاخْتِيَارِ.

وَالتَّحْقِيقُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ أَنَّ الِاخْتِيَارَ هُوَ أَخْذُ الْخَيْرِ مِنْ أَمْرَيْنِ وَالْأَمْرَانِ اللَّذَانِ يَقَعُ فِيهِمَا الِاخْتِيَارُ في الظاهر لا يكون للمختار أو لا مَيْلٌ إِلَى أَحَدِهِمَا، ثُمَّ يَتَفَكَّرُ وَيَتَرَوَّى، وَيَأْخُذُ مَا يُغَلِّبُهُ نَظَرُهُ عَلَى الْآخَرِ فَالتَّفَكُّهُ هُوَ مَا يَكُونُ عِنْدَ عَدَمِ الْحَاجَةِ، وَأَمَّا إِنِ اشْتَهَى وَاحِدٌ فَاكِهَةً بِعَيْنِهَا فَاسْتَحْضَرَهَا وَأَكَلَهَا فَهُوَ لَيْسَ بِمُتَفَكِّهٍ وَإِنَّمَا هُوَ دَافِعُ حَاجَةٍ، وَأَمَّا فَوَاكِهُ الْجَنَّةِ تَكُونُ أَوَّلًا عِنْدَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ مَيْلٍ مِنْهُمْ إِلَيْهَا ثُمَّ يَتَفَكَّهُونَ بِهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِيَارِهِمْ، وَأَمَّا اللَّحْمُ فَتَمِيلُ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِ أَدْنَى مَيْلٍ فَيَحْضُرُ عِنْدَهُمْ، وَمَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الْمَأْكُولِ شَهْوَةٌ، وَيَدُلُّ عَلَى هذا قوله تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾. وقوله:

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن:٥٤] ، وَقَوْلُهُ تعالى : ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة:٣٢-٣٣] ، فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا دَائِمَةُ الْحُضُورِ، وَأَمَّا اللَّحْمُ ؛ فَالْمَرْوِيُّ أَنَّ الطَّائِرَ يَطِيرُ فَتَمِيلُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ إِلَى لَحْمِهِ فَيَنْزِلُ مَشْوِيًّا وَمَقْلِيًّا عَلَى حَسَبِ مَا يَشْتَهِيهِ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْفَاكِهَةَ تَحْضُرُ عِنْدَهُمْ فَيَتَخَيَّرُ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ الْحُضُورِ وَاللَّحْمُ يَطْلُبُهُ الْمُؤْمِنُ وَتَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ أَدْنَى مَيْلٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَاكِهَةَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ بِحُضُورِهَا، وَاللَّحْمُ لَا تَلَذُّ الْأَعْيُنُ بِحُضُورِهِ، ثُمَّ إِنَّ فِي اللَّفْظِ لَطِيفَةً، وَهِيَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَمْ يَقُلْ: مِمَّا يَخْتَارُونَ مَعَ قُرْبِ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ أَنَّ التَّخَيُّرَ مِنْ بَاب التَّكَلُّفِ فَكَأَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مَا يَكُونُ فِي نِهَايَةِ الْكَمَالِ، وَهَذَا لَا يُوجَدُ إِلَّا مِمَّنْ لَا يَكُونُ لَهُ حَاجَةٌ وَلَا اضْطِرَارٌ. [مفاتيح الغيب(٢٩/ ٣٩٦)].

المسألة الثانية: الحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم.

قال الفخر الرازي: مَا الْحِكْمَةُ فِي تَقْدِيمِ الْفَاكِهَةِ عَلَى اللَّحْمِ؟

نَقُولُ: الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: الْعَادَةُ فِي الدُّنْيَا التَّقْدِيمُ لِلْفَوَاكِهِ فِي الْأَكْلِ وَالْجَنَّةُ وُضِعَتْ بِمَا عُلِمَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَوْصَافِ وَعَلَى مَا عُلِمَ فِيهَا، وَلَا سِيَّمَا عَادَةُ أَهْلِ الشُّرْبِ وَكَأَنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ حَالِ شُرْبِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَثَانِيهَا: الْحِكْمَةُ فِي الدُّنْيَا تَقْتَضِي أَكْلَ الْفَاكِهَةِ أَوَّلًا لِأَنَّهَا أَلْطَفُ وَأَسْرَعُ انْحِدَارًا وَأَقَلُّ حَاجَةً إِلَى الْمُكْثِ الطَّوِيلِ فِي الْمَعِدَةِ لِلْهَضْمِ، وَلِأَنَّ الْفَاكِهَةَ تُحَرِّكُ الشَّهْوَةَ لِلْأَكْلِ وَاللَّحْمُ يَدْفَعُهَا وَثَالِثُهَا: يَخْرُجُ مِمَّا ذَكَرْنَا جَوَابًا خَلَا عَنْ لَفْظِ التَّخْيِيرِ وَالِاشْتِهَاءِ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ الْفَاكِهَةَ دَائِمَةُ الْحُضُورِ وَالْوُجُودِ، وَاللَّحْمَ يُشْتَهَى وَيَحْضُرُ عِنْدَ الِاشْتِهَاءِ دَلَّ هَذَا عَلَى عَدَمِ الْجُوعِ لِأَنَّ الْجَائِعَ حَاجَتُهُ إِلَى اللَّحْمِ أَكْثَرُ مِنَ اخْتِيَارِهِ اللَّحْمَ فَقَالَ: وَفاكِهَةٍ لِأَنَّ الْحَالَ فِي الْجَنَّةِ يُشْبِهُ حَالَ الشَّبْعَانِ فِي الدُّنْيَا فَيَمِيلُ إِلَى الْفَاكِهَةِ أَكْثَرَ فَقَدَّمَهَا، وَهَذَا الْوَجْهُ أَصَحُّ لِأَنَّ مِنَ الْفَوَاكِهِ مَا لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ الطَّعَامِ، فلا يصح الأول جوابا في الكل. [مفاتيح الغيب(٢٩/ ٣٩٦)].

المسألة الثالثة: ما الحكمة في ذكر الفواكه بالكثرة دون اللذة؟

قال الفخر الرازي: نَقُولُ: قَدْ بَيَّنَّا فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ أَنَّ الْفَاكِهَةَ فَاعِلَةٌ كَالرَّاضِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي ذات فكهة، وَهِيَ لَا تَكُونُ بِالطَّبِيعَةِ إِلَّا بِالطِّيبِ وَاللَّذَّةِ، وَأَمَّا الْكَثْرَةُ، فَبَيَّنَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَيْثُ ذَكَرَ الْفَاكِهَةَ ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى الْكَثْرَةِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ لِدَفْعِ الْحَاجَةِ حَتَّى تَكُونَ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، بَلْ هِيَ لِلتَّنَعُّمِ، فَوَصَفَهَا بِالْكَثْرَةِ وَالتَّنَوُّعِ. [مفاتيح الغيب(٢٩/ ٤٠٦)].

المسألة الرابعة: هل الأكل في الجنة عن حاجة وجوع؟

نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع، ولا شربهم عن ظمأ، ولا تطيبهم عن نتن، وإنما هي لذات متوالية، ونعم متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه:١١٨-١١٩] ،وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله عَزَّوَجَلَّ. [التذكرة للقرطبي(٤٧٥)].

المبحث الرابع
بماذا يقري الله تعالى أهل الجنة

جعل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الجنّة داراً لعباده المؤمنين الطائعين له، ومنازل للمتّقين الذين يجتنبون ما نهى عنه، ويعملون الصّالحات، ويتقرّبون إليه بالطّاعات والفرائض وسائر العبادات؛ فطريق الجنّة ما هو إلا طريق واحد يتمثّل بالإيمان والعمل الصالح وكرم الله تعالى لا ينال إلا بطاعته والله تعالى الكريم العظيم الذي يهب ولا يحصي على العباد تعالى وأعلى ما يهبهم رضوانه والنظر إليه في الجنة وإذا شرف الله أهل الجنة بدخولها نالهم الخير العظيم الوافر وكان الكريم تعالى هم ضيوفه ونزلا في كرامته فيكرمهم ويتحفهم ويهب لهم جل شأنه ومن ضمن ذلك ضيافته لهم في أول دخولهم الجنة بما بينه نبينا عليه الصلاة والسلام وهو أمر أشير إليه في الأحاديث النبوية الصحيح وإلا فكرم الله وحسن ضيافته للمؤمنين في الجنة لا نستطيع الوقوف عليه وعلى حقيقته فنسأل الله من فضله تعالى.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف:١٠٧] .

قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى -:

أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة، والباطنة، فهؤلاء -على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح -لهم جنات الفردوس.

يحتمل أن المراد بجنات الفردوس، أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب، لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، والأنبياء والمقربون.

ويحتمل أن يراد بها، جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه، ولذكر الجنة بلفظ الجمع المضاف إلى الفردوس، ولأن الفردوس يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة.

وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي: ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس. وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة،. والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرءوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها، وأدومها وأكملها»، وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علما حقيقيا يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانا، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت فكان، ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ هذا هو تمام النعيم، إن فيها النعيم الكامل، ومن تمامه أنه لا ينقطع ﴿ لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾ [الكهف:١٠٨] أي: تحولا ولا انتقالا لأنهم لا يرون إلا ما يعجبهم ويبهجهم، ويسرهم ويفرحهم، ولا يرون نعيما فوق ما هم فيه. [تيسير الكريم الرحمن(٤٨٨)].

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ

﴿ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ ﴾ [السجدة:١٩].

قال العلامة السعدي-رحمه الله تعالى -:

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من فروض ونوافل ﴿ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه.

﴿ نُزُلًۢا ﴾ لهم أي: ضيافة، وقِرًى ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلا سوى الإيمان والعمل الصالح. [تيسير الكريم الرحمن(٦٥٥)].

أولاً: معنى القرى:

قال العلامة الشنقيطي-رحمه الله تعالى -:

النُّزُلُ بِضَمَّتَيْنِ: هُوَ رِزْقُ الضَّيْفِ الَّذِي يُقَدَّمُ لَهُ عِنْدَ نُزُولِهِ إِكْرَامًا لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾ [الكهف:١٠٧]، وَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ النُّزُولَ فِي ضِدِّ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ وَالِاحْتِقَارِ، وَجَاءَ الْقُرْآنُ بِاسْتِعْمَالِ النُّزُولِ فِيمَا يُقَدَّمُ لِأَهْلِ النَّارِ مِنَ الْعَذَابِ كَقَوْلِهِ هُنَا فِي عَذَابِهِمُ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِمْ: لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ إِلَى قَوْلِهِ: شُرْبَ الْهِيمِ هَذَا نُزُلُهُمْ، أَيْ هَذَا الْعَذَابُ الْمَذْكُورُ هُوَ ضِيَافَتُهُمْ وَرِزْقُهُمُ الْمُقَدَّمُ لَهُمْ عِنْدَ نُزُولِهِمْ فِي دَارِهِمُ الَّتِي هِيَ النَّارُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِلْكَافِرِ الْحَقِيرِ الذَّلِيلِ: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ ﴾ [الدُّخان:٤٩]، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ إِطْلَاقِ النُّزُولِ عَلَى عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ، جَاءَ مُوَضَّحًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ كَقَوْلِهِ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ ﴾

[الواقعة:٩٣-٩٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْكَهْفِ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾، وَنَظِيرُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُ أَبِي السَّعْدِ الضَّبِّيِّ:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ ضَافَنَا .:. جَعَلْنَا الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ لَهُ نُزُلَا

[أضواء البيان(٧/ ٥٢٧)].

ثانياً: يعطون زيادة كبد الحوت فيكون قراهم:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: « بلى » قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فنظر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: «ألا أخبرك بإدامهم؟ بالام والنون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً ». [البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢)].

وعن ثوبان-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن يهودياً سأل الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد الحوت». قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها ». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: « من عين تسمى سلسبيلا » قال: صدقت. [مسلم (٣١٥)].

ثالثاً: ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها:

عن ثوبان-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن يهودياً سأل الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد الحوت». قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: « ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها ». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: « من عين تسمى سلسبيلا » قال: صدقت. [مسلم (٣١٥)].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة » فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: « بلى » قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - فنظر النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - إلينا، ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: «ألا أخبرك بإدامهم؟ بالام والنون. قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً» . [البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢)].

قوله: قال اليهوديُّ: فما تحفتُهم حين يدخُلون الجنَّةَ؟ «والتُّحفةُ»: هي ما يُهدَى إلى الرَّجلِ ويُخَصُّ به ويُلاطَفُ، قال: زيادةُ كبِدِ النُّونِ، أي: الحوتِ، وهو طرَفُ الكبِدِ، وهو أطيبُها، قال: فما غِذاؤُهم على إثرِها؟ قال: يُنحَرُ لهم ثورُ الجنَّةِ الَّذي كان يأكُلُ مِن أطرافِها

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى -:

قوله: «فما تحفتهم» وهي ما يهدى إلى الرجل ويخص به ويلاطف ، وقال إبراهيم الحلبي هي طُرَف الفاكهة [شرح مسلم(٢٢٧/٣)] .

وقال أيضاً: أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء.. وأما زائدة الكبد وهي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد ، وهي أطيبها [شرح مسلم(١٣٥/١٧-١٣٦)] .

وقد ورد إثبات ذلك أيضاً في أحاديث أخرى في الصحيحين والسُنن ، وإنما انتقينا هذا الحديث لما فيه من تفرقة بين أول ضيافة أهل الجنة « تحفتهم » التي هي زيادة كبد الحوت ، وبين غذائهم الذي به يغتذون بعدها ، والذي هو لحم « ثور الجنة» .

المبحث الخامس

فضلات الطعام

عن زيد بن أرقم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: جاءَ رجلٌ مِن أهلِ الكِتابِ إلى النَّبيِّ فقالَ: يا أبا القاسمِ ! تزعُمُ أنَّ أهلَ الجنَّةِ يأكلونَ ويَشرَبونَ؟ قال: «نعَم؛ والَّذي نَفسُ مُحمَّدٍ بيدِه، إنَّ أحدَهم ليُعْطى قوَّةَ مئةِ رجُلٍ؛ في الأكلِ والشُّربِ والجِماعِ». قال: فإنَّ الَّذي يأكُلُ ويشرَبُ تكونُ لهُ الحاجَةُ، وليسَ في الجنَّةِ أذًى؟ قال: «تكونُ حاجَةُ أحدِهم رَشحًا يفيضُ مِن جلودِهم كرَشحِ المِسكِ، فيَضمُرُ بطنُه». [صحيح الترغيب (٣٧٣٩)].

عن زيد بن أرقم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: أتى النَّبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رجلٌ من اليهودِ فقال يا أبا القاسمِ؛ ألستَ تزعُمُ أنَّ أهلَ الجنَّةِ يأكلون فيها ويشربون ويقول لأصحابِه إن أقَرَّ لي بهذا خصمتُه فقال رسولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -«بلى والذي نفسُ محمدٍ بيده إنَّ أحدَهم ليُعطى قُوَّةَ مئةِ رجلٍ في المطعمِ والمشربِ والشَّهوةِ والجماعِ فقال اليهوديُّ فإنَّ الذي يأكلُ ويشرب تكون له الحاجةُ فقال له رسولُ اللهِ حاجتُهم عَرَقٌ يفيضُ من جلودِهم مثلُ المسكِ فإذا البطنُ قد ضمَرَ». [صحيح الجامع (١٦٢٧)والصحيح المسند للإمام الوادعي(٣٥٠)].

هَــذَا وَتَــصْرِيــفُ الْـمَــآكِلِ مِنْهُـمُوا ∴ عَــرَقٌ يَـفِيضُ لَـهُمْ مِــنْ الأَبَــدَانِ
كَـرَوَائِـحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ ∴ خِـلْـطٍ لَهُ مِــنْ سَـائِـرِ الأَلْــوَانِ
فَـتَـعُـودُ هَـاتِـيـكَ الْـبُـطُـونُ ضَـوَامِـرٌ ∴ تَـبْـغِي الـطَّـعَـامَ عَـلَى مَـدَى الأَزْمَـانِ
لا غَــائِـطٌ فِـيـهَـا وَلا بَــوْلٌ وَلا ∴ مَـخَـطٌ وَلا بَـصَـقٌ مِـن الأَنْـسَـانِ
وَلَـهُـمْ جُـشَـاءٌ رِيحُـهُ مِسْكٌ يَكُونُ ∴ بِـهِ تَـمَـامُ الْـهَـضْـمِ بِالأَحْـسَـانِ
هَــذَا وَهَــذَا صَحَّ عَـنْـهُ فَـوَاحِـدٌ ∴ فِي مُــسْـلِمٍ وَلأَحْـمَــدَ الأَثَــرَانِ

المبحث السادس

أسباب القرى والضيافة من الله للعبد في الجنة

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ دائم التفضّل، والكرم، والإحسان، وخيره متّصلٌ في الدنيا والآخرة، وكلّ ما سواه منقطعٌ، كما أنّه يسهّل خيره للناس، ويقرّب تناوله إليهم، فلم يجعل بينه وبين عباده حجاباً.

كما أنّ الله -عَزَّوَجَلَّ- بصفته الكريم هو المُكرم لعباده، فمن أكرمه الله كان مُكرماً، ومن أهانه كان مُهاناً بلا شكّ، وهو سبحانه من كرمه لا يبالي بمن يعطي، لذلك يعطي الكافرين والمتقين، وربما يزيد في عطاء الكافرين في الدنيا ليجعل الآخرة للمتقين، كما أنّه يزيد في العطاء للإنسان فوق ما يتمنّى، وقد ثبت ذلك في عطائه للمؤمنين في الجنة، فهو يعطيهم ما يتمنّون، ويزيدهم أموراً لا يعلمونها حتى، ثمّ إنّه لشدّة كرمه يستحيي أن يردّ عبده عندما يسأله ومن كرمه جَلَّوَعَلَا ضيافته للمؤمن أدل دخوله الجنة والعبد بعدها هو في الجنة في كرم وفي ضيافة الله تعالى أبد الآبدين وما عند الله تعالى ينال بطاعته ولا ينال بمعصيته ومن ضمن تلك الأعمال الصالحه التي ينال بها كرم الله وحسن ضيافته عَزَّوَجَلَّ أمور منها:

الزيارة في الله :

عن أنس بن مالك -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:«ما من عبد أتى أخا يزوره في الله إلا نادى مناد من السماء: أن طبت وطابت لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه :عبدي زار في، وعلي قراه، فلم أرض له بقرى دون الجنة». [السلسلة الصحيحة (٢٦٣٢)].

فقد جعل الله تعالى قراه أي ضيافته لزيارته لأخيه المؤمن في الله تعالى الجنة كلها

وسخرها له ومعناه أن هذا عمل من مستحقه الجنة وأن الله تعالى أباح له الجنة وأنه في الجنة لعظيم الأجر الذي جعله الله تعالى له.

عيادة المريض:

عَنْ ثَوْبَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جنَاهَا».[مسلم(٢٥٦٨)].

الخرفة: هي سكة بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء أي يجتني وقيل المخرفة الطريق أي أنه على طريق تؤديه إلى الجنة.

جَناها: يعني أنَّه يَجْني مِن ثمارِ الجنَّةِ مُدَّةَ دَوامِه جالسًا عند هذا المريضِ، أي: في رَوضَتِها وفي الْتِقاطِ فَواكهِ الجنَّةِ ومُجتناها.

إجابة دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن جابر بن عبدالله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنِّي رأيتُ في المنامِ كأنَّ جبريلَ عند رأسي، وميكائيلَ عند رِجلي، يقولُ أحدُهما لصاحبِه: اضرِبْ له مثلًا، فقال: اسمَعْ سمِعتْ أذنُك، واعقِلْ عقِل قلبُك؛ إنَّما مثلُك ومثلُ أمَّتِك: كمثلِ ملِكٍ اتَّخذ دارًا، ثمَّ بنى فيها بيتًا، ثمَّ جعل فيها مائدةً، ثمَّ بعث رسولًا يدعو النّاسَ إلى طعامِه؛ فمنهم من أجاب الرَّسولَ، ومنهم من تركه؛ فاللهُ هو الملِكُ، والدّارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنَّةُ، وأنت - يا محمَّدُ - رسولٌ؛ فمن أجابك دخل الإسلامَ، ومن دخل الإسلامَ دخل الجنَّةَ، ومن دخل الجنَّةَ أكل ما فيها». [السلسلة الصحيحة (٣٥٩٥)].

في هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي رأيتُ في المنامِ كأنَّ جِبريلَ» وهو أمينُ الوحْيِ، «عندَ رأْسي، ومِيكائيلَ» وهو المَلَكُ الموكَّلُ بالمطرِ، «عندَ رِجْلي، يَقولُ أحدُهما لصاحِبِه: اضْرِبْ له»، أي: للنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «مَثَلًا»، أي: تَمثيلًا وتصويرًا؛ قِيل: وإنَّما ضرَبَ اللهُ هذا مثَلًا؛ لأنَّه أراد به ذِكرِ الآخِرةِ، فالنّاسُ في الدُّنيا نيامٌ، فإذا ماتوا

انْتَبِهوا، فقال أحدُهما للنَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسمَعْ سمِعَتْ أُذنُك، واعقِلْ عقَلَ قلْبُك»، أي: يُنَبِّه النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَسمَعَ ويَفهَمَ قولَه، مع ما يَشمَلُ ذلك مِن الدُّعاءِ له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

قوله: «إنَّما مثَلُك ومثَلُ أُمَّتِك»، أي: صِفَتُك وصِفَتُها، «كمَثَلِ مَلِكٍ اتَّخذَ دارًا، ثمَّ بنى فيها بيتًا، ثمَّ جعَلَ فيها مائدةً»، وهي الطَّعامُ العامُّ يُدْعى إليه النّاسُ كالوَليمةِ، «ثمَّ بعَثَ رسولًا يَدْعو النّاسَ إلى طعامِه»، أي: أرسَلَ إلى النّاسِ مَن يُخبِرُهم بهذه المائدةِ ويَدْعوهم إليها، «فمنهم مَن أجابَ الرَّسولَ»، أي: لبّى دعوتَه إلى الطَّعامِ، «ومنهم مَن ترَكَهُ» بأنِ امتنَعَ عن الإجابةِ، ثمَّ جعَلَ المَلَكُ يُوضِّحُ المرادَ بالمثالِ؛ فقال: «فاللهُ هو المَلِكُ، والدّارُ الإسلامُ، والبيتُ الجنَّةُ، وأنت يا محمَّدُ رسولٌ»، أي: الَّذي يُبلِّغُ عن اللهِ الإسلامَ، «مَن أجابَك دخَلَ الإسلامَ، ومَن دخَلَ الإسلامَ دخَلَ الجنَّةَ، ومَن دخَلَ الجنَّةَ أكَلَ ما فيها»، أي: مَن أجاب دعوةَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي بلَّغَها عن ربِّه فاز بالجنَّةِ، ومَن أعرَضَ عنه فقد خَسِرَها.

فَمَا الْعَيْشُ أَلا ذَاكَ لا عَيْشُ عَزَّةٍ ∴ وَسُعْدَى وَلا لَيْلَى وَلا أُمِّ سَالِمِ

وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَا ∴ وَيُرْجَى لِعَبْدٍ قَارِعِ الْبَابِ لازِمِ

الباب السابع والعشرون

قصور أهل الجنة ومساكنهم

يجدُ المرء في الحياة الدنيا، ويجتهد فيها، ويتعب ويشقى، ويعمل ليل نهارٍ، حتى يحصّل مبلغاً من المال، يكفيه لشراء بيتٍ له، يؤويه ويُعيله، ويجب أن يعلم الإنسان أنّه مهما بلغت مساحة البيت، وفخامته في الدنيا، ومهما توافرت فيه أسباب الراحة، والسكينة والحياة، فإنّه ولا شكّ معرّضٌ للتغيّر، والتشقّق، والتصدّع، وإن سلم البيت من تلك التغيرات، فلن يسلم صاحبه من ذلك، إذ إنّ كلّ ما على الحياة الدنيا زائلٌ، بخلاف منازل الجنة؛ فإنّها لا يعتريها التغيّر؛ ولا تفنى ولا تزول، وفيها من أسباب الراحة الخير الكثير، إذ لا تنتهي خصائص ومزايا تلك البيوت، ويزداد الإنسان فيها متعةً كلّ يومٍ، فيجب على الإنسان أن يستدرك ما فاته من الطاعات، والأعمال الصالحة في الدنيا، وألّا يضيّع نعيم الحياة الآخرة، وقصورها، وخيامها، بشهوات الدنيا العابرة الزائلة.

وإنّ مما يزيد استحقاق العمل لأجل البيت في الجنّة؛ أنّه ليس كبيوت الدنيا في شيءٍ، إلّا في الاسم، فإنّ الجنّة مدّ البصر، ترابها المسك والزعفران، حصباؤها لؤلؤٌ وياقوتٌ، مستويةٌ لا اعوجاج فيها، ولا خللٌ، إذا دخلها أهلها رأوا فيها ما لا عينٌ رأت، وما لا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلبهم منها شيءٌ في الحياة الدنيا.

المبحث الأول
وصف المساكن

أنها طيبة :

قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة :٧٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف :١٢].

أطلق الله تعالى هذا الطيب فيشمل كل طيب حسي ومعنوي فالطيب الحسي بما يراه العبد من جمال البناء وكماله وعظم زينته كما بين الله تعالى فيه من الخير من جمال منظرة وارتفاع بنيانه واتساع مدخله، والطيب المعنوي بما يجد العبد فيه من سعادة وقرار باله فيه.

قال الفخر الرازي -رحمه الله تعالى -:

واعْلَمْ أنَّ المَسْكَنَ إنَّما يَطِيبُ بِشَرْطَيْنِ:

أحَدُهُما: أنْ يَكُونَ آمِنًا عَنْ جَمِيعِ ما يَخافُ ويَحْذَرُ وهو المُرادُ مِن قَوْلِهِ: ﴿ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [الدخان :٥١] . قالَ صاحِبُ الكَشّاف: المَقامُ بِفَتْحِ المِيمِ وهو مَوْضِعُ القِيامِ، والمُرادُ المَكانُ، وهو مِنَ الخاصِّ الَّذِي جُعِلَ مُسْتَعْمَلًا في المَعْنى العامِّ، وبِالضَّمِّ هو مَوْضِعُ الإقامَةِ، والأمِينُ مِن قَوْلِكَ: أمُنَ الرَّجُلُ أمانَةً فَهو أمِينٌ، وهو ضِدُّ الخائِنِ، فَوُصِفَ بِهِ المَكانُ اسْتِعارَةً لِأنَّ المَكانَ المُخِيفَ كَأنَّهُ يَخُونُ صاحِبَهُ.

والشَّرْطُ الثّاني لِطِيبِ المَكانِ: أنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ فِيهِ أسْبابُ النُّزْهَةِ وهي الجَنّاتُ والعُيُونُ، فَلَمّا ذَكَرَ تَعالى هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ في مَساكِنِ أهْلِ الجَنَّةِ فَقَدْ وصَفَها بِما لا يَقْبَلُ الزِّيادَةَ. [مفاتيح الغيب(٢٧/٦٦٥)].

شاهقة ومرتفعة :

زيّن الله -تعالى- جنّته لعباده، وجعلها مستقرّاً لهم بعد النجاح في امتحانات الدنيا والصبر على بلائها، وإنّ أكثر النصوص مختصرةً ووافيةً في وصف جمال الجنة، والهناء فيها.

عن أبي سعيد الخدري-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إن أهل الجنة ليتراءون داخل الغرف من فوقهم كما يتراءون - أو ترون - الكوكب الغائر في الأفق، من المشرق، أو المغرب، لتفاضل ما بينهم » ؟ قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «لا، والذي نفسي بيده إنها منازل الأنبياء، ومنازل رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين ». [البخاري(٣٢٥٦)].

عن سهل بن سعد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تتراءون - أو ترون - الكوكب الدري الغائر في أفق السماء ». [صحيح الموارد (٢٢٣٢)].

عن أبي هريرة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تتراءون - أو ترون - الكوكب الدري الغائر في الأفق، من تفاضل الدرجات. قالوا: يا رسول الله: أولئك النبيون. قال: بلى والذي نفسي بيده، وأقوام آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين ». [صحيح الجامع (٢٠٢٧)].

جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجَنَّةَ دَرجاتٍ، واختَصَّ نَبيَّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعْلى مَنازِلِها وأشرفِها، وفيها أصحابُ الغُرَفِ والدَّرجاتِ العُلى، وما تحتَها من الدَّرجاتِ، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ أهلَ الدَّرجاتِ الأَقَلِّ يَنظُرونَ إلى أهلِ الغُرَفِ والدَّرجاتِ العُليا

فوقَهم كما يَتراءَوْنَ الكَوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُق، يعني: يَنظرونَ إلى أَهْلِ هذه المنازلِ ويَرَوْنَهم كما يَرَوْنَ الكَوكَبَ المُضيءَ الَّذي ذَهَبَ بَعدَ انتشارِ ضَوءِ الفَجرِ في أطرافِ السَّماءِ؛ لِتَفاضُلِ ما بَينِهم، أي لبُعدِ مَنازلِ أَهلِ الغُرَفِ عن باقي أهْلِ الجَنَّةِ، وهذه المنازِلُ ليست مَقصورَةً على الأنبياءِ صَلواتُ اللهِ وسَلامُه عَليهم، بل يَبلُغُها رِجالٌ آمَنوا باللهِ وصَدَّقوا المرسلين كما أخبرَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فذلك فَضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يَشاءُ،وهو السَّميعُ العَليمُ.

أنها واسعة :

إنّ المسلم إذا استيقن عِظم الجنة وجمالها، ودوام النعم فيها، فإنّه يبادر إلى الإكثار من الأعمال الصالحة، التي تكون سبباً في دخوله الجنان، وبلوغ رضا الله -تعالى- عليه.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - قَالَ : «فِي الْجَنَّة خَيْمَة مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً فِي كُلِّ زَاوِيَة مِنْهَا أَهْل مَا يَرَونَ الآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِم الْمُؤمِن». [البخاري (٤٥٩٨) ومسلم (٢٨٣٨)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا - قَالَ :«الْخَيْمَة دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ فَرسَخٌ فِي فَرْسَخٍ لَهَا أَرْبَعَةُ آلاَفِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذَهبٍ». [صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١٦)].

قوله: «دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ»، أي: لُؤلؤةٌ واسعةُ الجَوفِ، وهي: المَثقوبةُ التي قُطِعَ داخلُها، أو المُفرَّغةُ مِن الدّاخلِ، مِساحتُها وسعَتُها «فَرْسَخٌ في فَرْسَخٍ»، والفَرْسَخُ في الدُّنيا: يُساوي ٦ كيلو متراتٍ تقْريبًا، «لها أربعةُ آلافِ مِصْراعٍ مِن ذَهَبٍ» والمِصْراعُ هو شِقُّ البابِ، ولكلِّ بابٍ مِصْراعانِ، وهذا يَدُلُّ على عِظَمِ الجنةِ وسَعَتِها، فإذا كانت هذه هي الخَيمةَ؛ فما بالُنا بسَعَةِ كُلِّ الجنةِ!.

أنها متنوعة :

نوع الله تعالى مساكن أهل الجنة على أحوال وأشكال وهيئات وصفات لا يعلم بها إلا الله تعالى وقد ذكرنا القرآن والسُنَّة النبوية بشيء من ذلك النعيم العالي والوصف المتعالي في ذكرها

مما يبين أنها أعلى من الوصف المذكر ولكنه لتقريب الفهم وتشويق المسلم لما عند الله تعالى والحكمة من ذلك أن النفس الآدمية لها رغبات فمنهم من يجد سعادته وراحته ومناه في الخيام، ومنهم في القصور الجميلة منهم في الرف المعلقة والعالية يحب أن يتمتع بالمناظر من كل جانب ويأتيه الهواء من كل حدب وجهة فبين الله تعالى عظيم ما أعده تعالى لهم ومن ضمن ذلك الآتي:

القصور:

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ [الفرقان: ١٠-١١].

عن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرتك فوليتُ مدبراً» فبكى عمر وقال: «أعليك أغار يا رسول الله؟». [سيأتي تخريجه].

وعن جابر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصرٍ من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لرجل من قريش، فما منعني أن أدخلها يا ابن الخطاب إلا ما أعلمه من غيرتك». قال: «وعليك أغار يا رسول الله؟»[سيأتي تخريجه].

الخيام:

قال الله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ ﴾[الرحمن: ٧٢-٧٣].

عن أبي موسى الأشعري-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ». [مسلم(٢٨٣٨)].

أعدَّ اللهُ تعالى لِعبادِه المؤمنينَ في الجنَّةِ ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولا خطَرَ على قلبِ بَشَرٍ، وفي هذا الحديثِ صورةٌ مِنْ صُوَرِ نَعيمِ أهلِ الجنَّةِ، وهيَ أنَّ لِلمؤمنِ في الجنَّةِ خَيمةً مِن لؤلؤةٍ مُجوَّفَةٍ، أي: ما بداخلِها مثقوبٌ مفرَّغٌ، عرْضُها ستُّون ميلًا، في كلِّ ناحيةٍ منها أهلٌ لِلمؤمنِ السّاكنِ فيها لا يراهمُ الآخَرونَ؛ لِعظمِ سَعتِها، وللمؤمنِ فيها أيضًا جُنَّتانِ كُلُّ ما فيها مِن آنيةٍ وغيرِها مِنَ الفضَّةِ، وغيرُ ذلِكَ مِنَ الجنانِ، وما بين القومِ مِن أهلِ الجنَّةِ وبين أنْ ينظُروا إلى ربِّهم إلّا رداءُ الكِبْرِ على وَجهِه تعالى في جَنَّةِ عدْنٍ، وهو أعظمُ نعيمِ أهلِ الجنَّةِ عندما يكشِفُ الرَّحمنُ لهم عن وجهِه فيتمتَّعونَ بِلذَّةِ النَّظرِ إلى وجهِهِ الكريمِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي مَجْرَى الْمَاءِ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ أَوْ أَعْطَاكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ». [أحمد (١٢١٧٢) تعليق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين] .

وبلغ من اتساع هذه الخيمة أن الزوجة لا ترى ما يصنع زوجها مع زوجته الأخرى، ولعل هذا من مراعاة الخصوصية، فإن المؤمن إذا لاطف أهله ومازحهم لم يحب أن يراه أحد، ولا تحتاج في الجنة إن أردت ذلك خلف جدار أو من وراء باب فقد ضمن الله أن لا يراك أحد إن أردت الخلوة بأهلك .

مسألة: أماكن تلك الخيام:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي مَجْرَى الْمَاءِ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ أَوْ أَعْطَاكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ» [أحمد (١٢١٧٢) تعليق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين] .

وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ ، إذا أَنَا

بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ ، قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ». [البخاري (٦٥٨١)].

الغرف :

قال الله تعالى : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠ ﴾[الزمر :٢٠] .

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

أخبر - عَزَّوَجَلَّ - عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور الشاهقة، من فوقها غرف مبنيَّة، طباق فوق طباق، مبنيَّات محكمات، مزخرفات عاليات. [تفسير القرآن(٧/٨٠)].

عن عليٍّ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام». [صحيح الجامع (٢١٢٣)].

والغرف بمعنى القصور العالية لأهل الجنة، وذكرنا أن الغرفة للإنسان في الدنيا بمعنى المكان العالي الذي يستريح فيه، والمكان الذي هو لأهل الشرف، فالإنسان أشرف الأماكن عنده وأعلى الأماكن عنده الذي يسمى بالغرفة.

فالجنة فيها غرف في أعالي الجنات، ولهم قصور في أعالي الجنات، فيقول عليه الصلاة والسلام: « إن في الجنة غرفاً » هذه الغرف التي لأصحابها تكون مبنية من ذهب ومن فضة، ومع ذلك فإن صاحبها إن كان بداخلها يرى خارجها من خلالها وإذا كان خارجها ينظر إلى داخلها فيرى ما يريده من داخلها.

قال: «يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» كالزجاج فأنت ترى داخل الزجاج من الخارج، أما في الجنة لم يقل لنا من زجاج، فالزجاج شيء رخيص في الدنيا،

ولكن الجنة مبنية القصور من ذهب، ومع ذلك بلغ من شفافيته وبلغ أن يكون صاحبه بداخل هذا القصر المبني من طوبة من ذهب وطوبة من فضة أن يرى ما خارجه وهو في داخل هذا القصر، فإذا كان في الخارج وأراد أن ينظر في داخل قصره نظر واستمتع بما فيه من حور عين وغيرها! .

القباب :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«الشُّهَدَاء عَلَى بَارِق ، نَهْر بِبَاب الْجَنَّة فِي قُبَّة خَضْرَاء ، يَخْرُجُ إِلَيهِم رِزقهُم مِنَ الْجَنَّة بُكْرَة وَعَشِيًّا». [صحيح الجامع (٣٧٤٢)].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَإِذَا طِينهُ أَوْ طِيبهُ مِسْكٌ أَذْفَرَ»[البخاري (٦٥٨١)].

نهرَ الكوثرِ- كما رآه في رِحلةِ المعراجِ- بأنَّه نهرٌ حافَّتاه قِبابُ اللُّؤلؤِ مجوَّفًا، أي: على حافَّتَيه قِبابٌ مِن جَوهرِ اللُّؤلُؤِ المجوَّفِ. والقِبابُ جمعُ قُبَّةٍ، وهو بناءٌ سقفُهُ مُستديرٌ.

المبحث الثاني
مم بنيت تلك القصور والمساكن

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قلنا: يا رسول الله: إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك، أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد، فقال: «لو تكونوا أو قال: لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون لكي يغفر لكم، قال قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة: ما بناؤها؟ قال: لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم، ولا ييأس، ويخلد، ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه » .[مسلم(٢٧٥٠)].

قوله: قلتُ: «الجنَّةُ ما بِناؤها؟» أي: ما الموادُّ الَّتي خُلِقَت أو بُنِيَت منها؟ قال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «لَبِنةٌ مِن فِضَّةٍ، ولَبِنَةٌ مِن ذهَبٍ»، واللَّبِنةُ في الدُّنيا هي قالبٌ يكونُ مُستطيلًا، أو مُربَّعًا يكونُ مَضروبًا مِن الطِّينِ يُستخدَمُ في البِناءِ، فأخبَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ بِناءَ الجنَّةِ يكونُ مَرصوصًا لَبِنةً مِن الفِضَّةِ، وأُخرى تكونُ مِن ذهَبٍ، «ومِلاطُها» والمِلاطُ: هو التُّرابُ الَّذي يُمزَجُ بالماءِ، فيكونُ طِينًا يُستخدَمُ لِربْطِ اللَّبِناتِ بعضِها ببعضٍ؛ حتَّى يَملَأَ ما بيْنَها مِن فراغاتٍ، فأخبَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ هذا المِلاطَ الَّذي يكونُ بيْن لَبِناتِ الجنَّةِ يكونُ مِن «المِسكِ الأَذْفَرِ»، أي: يكونُ مَخلوطًا بالمِسكِ شَديدِ الرَّائحةِ الطَّيِّبةِ، «وحَصباؤُها»، أي: إنَّ حصى الجنَّةِ الصَّغيرَ هو «اللُّؤلُؤُ والياقوتُ، وتُربَتُها الزَّعفرانُ»، أي: إنَّ تُربةَ أرْضِها في شَكْلِها تكونُ مِن الزَّعفرانِ الطَّيِّبِ، «مَن دخَلَها يَنعَمُ»، أي: يكونُ مُنعَّمًا بما فيها، «ولا يَبأَسُ»، أي: لا يكونُ في شِدَّةٍ ولا

يَفتقِرُ، «ويَخلُدُ»، أي: تكونُ حياتُهم حياةً أبديَّةً دائمةً، «ولا يَموتُ»، أي: لا يَفقِدون حياتَهم ولا يَفْنَون، «لا تُبلى ثِيابُهم»، أي: إنَّ ملابِسَهم لا تكونُ مُتَّسِخةً ولا قديمةً، بلْ تكونُ جديدةً، «ولا يَفْنى شَبابُهم»، أي: إنَّ شبابَهم دائمٌ ومُستمِرٌّ لا يَتغيَّرُ، فلا يُصيبُهم الهرَمُ وكِبَرُ السِّنِّ.

أنها ذات ألوان عجيبة جميلة:

وعن أبي سعيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، ثم قال لها: تكلمي فقالت: « قَدْ أَفْلَحَ الْمُومِنُونَ ... فقالت الملائكة: « طوباك منزلة الملوك ». [الصحيحة (٢٦٦٢)، الترغيب والترهيب (٣٧١٤)].

مبنية من القصب:

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «أتى جبريل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناءٌ فيه إدامٌ، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب». [البخاري (١٧٩١، ١٧٩٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٣)] .

قوله: من قصب: أي من لؤلؤة مجوفة، واسعة، كالقصر المنيف، وقيل بيت من القصب المنظوم بالدر، واللؤلؤ، والياقوت.

قال بعض العلماء: إنما كان بيتها من قصب اللؤلؤ، لأنها حازت قصب السبق في تصديق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ، كما يدل عليه حديث أول البعثة، فإنها أول من آمن، حيث قالت - وقد أخبرها خبر ما رأى - وقال: « لقد خشيت على عقلي » قالت: « كلا: والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

فأخْبَر أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَشِّروا خديجةَ ببيتٍ في الجنَّة مِن قصبٍ»،أي: مِن

لؤلؤٍ مُجوَّفٍ وياقوتٍ، «لا صخَبَ فيه ولا نَصبَ»، أي: لا صِياحَ فيه مِن صِياحِ أهلِ الدُّنيا، ولا تَعبَ يُصيبُ ساكنه.

وفيه: فضْلُ أمِّ المؤمنين خَديجةَ رضي اللهُ عنها، وتَبشيرُها بالجَنَّةِ.

مبنية من جنابذ اللؤلؤ:

عن أنس-رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «أدخلت الجنة -أي: ليلة الإسراء والمعراج -فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ -أي: القباب العالية من اللؤلؤ- وإذا تربتها -أي: طينتها- المسك».[مسلم(١٦٣)].

يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها:

الجنَّةُ هي أَسْمى ما يَطلُبُ المُسلِمُ من ربِّه عَزَّوَجَلَّ؛ فدُخولُها هو الفَوْزُ المُبينُ؛ لذلك كان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كثيرًا ما يُرغِّبُ أصْحابَه فيها، ويَصِفُها لهم، ويُوضِّحُ لهم بعْضَ نَعيمِها حتى يَجْتَهِدوا في الظَّفرِ بها.

وفي هذا الحديثِ وصفٌ لبعضِ ما فيها وللأعمالِ التي تكونُ سببًا في الفوزِ به، حيثُ يقولُ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنَّ في الجنَّةِ غُرُفًا» جمْعُ غُرْفَةٍ وهي الحُجْرةُ، «يُرى ظاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظاهِرِها»،أي: أنَّها غُرَفٌ شفّافةٌ يَرى مَن بداخِلِها مَنْ خارِجَها،ويَرى مَن خارِجَها مَنْ بداخِلِها، كأنْ تكونَ من زُجاجٍ أو أَلْماسٍ أو دُرٍّ وياقوتٍ، ولا يَعلَمُ حَقيقَتَها إلّا اللهُ.

عن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -أن رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - قال:«إنَّ في الجنَّةِ غُرَفًا يُرى ظاهرُها مِن باطنِها، وباطنُها مِن ظاهرِها أعدَّها اللهُ لِمَن أطعم الطَّعامَ، وأفشى السَّلامَ، وصلّى باللَّيلِ والنّاسُ نيام».[صحيح الترغيب (٩٤٧)].

قال: «يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» كالزجاج فأنت ترى داخل الزجاج من الخارج، أما في الجنة لم يقل لنا من زجاج، فالزجاج شيء رخيص في الدنيا، ولكن الجنة مبنية القصور من ذهب، ومع ذلك بلغ من شفافيته وبلغ أن يكون صاحبه

بداخل هذا القصر المبني من طوبة من ذهب وطوبة من فضة أن يرى ما خارجه وهو في داخل هذا القصر، فإذا كان في الخارج وأراد أن ينظر في داخل قصره نظر واستمتع بما فيه من حور عين وغيرها ! .

مبنية من الدر والياقوت والذهب:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :«الْخَيْمَة دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ فَرسَخٌ فِي فَرْسَخٍ لَهَا أَرْبَعَةُ آلاَفِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذَهبٍ». [صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١٦)].

يُبيِّنُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ صِفةَ الخَيْمَةِ في الجنَّةِ، فيقول: الخَيمةُ، أي: الخيمةُ في الجنَّة، والخيمةُ هي بيتٌ مُربَّع معروفٌ من بيوت الأعراب، دُرَّةٌ، أي: لؤلؤة، مجوَّفةٌ، أي: واسعةُ الجوفِ، وهي: المثقوبةُ التي قُطِعَ داخلُها، أو المفرَّغةُ من الدّاخل، طولُها في السَّماء، أي: في الارتفاع، ثَلاثُونَ مِيلًا، في كلِّ ناحيةٍ من هذه الخَيمةِ زَوجاتٌ من الحُورِ العِينِ للمؤمن يَطوفُ عليهنَّ، لا يَرى بعضُهنَّ بعضًا من شِدَّةِ سَعَةِ تلك الخيمةِ وكثرةِ مَرافِقِها وأرجائِها. وفي الحديث: أنَّ الجَنَّةَ مَخلوقةٌ، وعِظَمُ خَلْقِها ونَعيمِها، وما أعَدَّه اللهُ تعالى للمُؤمنين فيها .

وَعَنْ أَبِي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :«إِنَّ لِلْمُؤْمِن فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، طُولُهَا ستُّونَ مِيلاً لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ ، فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً». [البخاري (٣٢٤٣)، مسلم (٢٨٣٨)].

المبحث الثالث
من بُشر ببيت في الجنة

قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[التحريم :١٠].

عن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إنَّ فِرْعَوْنَ أوْتَدَ لامرأتِهِ أربعَةَ أوْتادٍ في يَدَيْها ورِجْلَيْها، فكانَ إذا تَفَرَّقُوا عَنْها ظَلَّلَتْها الملائكةُ، فقالتْ :رَبِّ ابنِ لي عندَكَ بَيْتًا في الجنةِ ونَجِّني من فِرْعَوْنَ وعَمَلِه ونَجِّني مِنَ القومِ الظّالِمِينَ فَكَشَفَ لها عن بَيتِها في الجنةِ». [السلسلة الصحيحة (٢٥٠٨)].

عن جابر بن عبد الله -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أدخلت الجنة فرأيت قصراً من ذهب ولؤلؤ فقلت: لمن هذا القصر؟، فقالوا لعمر بن الخطاب، فما منعني أن أدخله إلا علمي بغيرتك ». قال أعليك أغار بأبي أنت وأمي عليك أغار. [البخاري (٥٢٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٣٩٤)].

وعن أنس بن مالك- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « أدخلت الجنة فإذا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لشاب من قريش، فظننت أني أنا هو، فقلت ومن هو قالوا: عمر بن الخطاب » . [صحيح الجامع(٣٣٦٤)].

وعن أبي هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا بامرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا؟ فقالت: لعمر بن الخطاب،

فتذكرت غيرة عمر، فوليت مدبراً » . قال أبو هريرة: فبكى عمر ونحن جميع في ذلك المجلس ثم قال: بأبي أنت يا رسول الله أعليك أغار؟. [مسلم(٢٣٩٥)].

يُخْبِرُ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَصْحابَه أَنَّه بَيْنَما هو نائِمٌ رَأى نَفسَه في الجَنَّةِ، فإذا امْرَأة تَتَوضَّأُ إلى جانِبِ قَصْرٍ، فَسَأَلَ: لِمَن هَذا القَصرُ؟ فَأَجابوه أَنَّه لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَأَرادَ أَنْ يَدخُلَه فَذَكَرَ غَيْرَته فوَلّى مُدبِرًا، فَبَكى عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لَمّا سَمِعَ ذَلِكَ سُرورًا بِه أو تَشَوُّقًا إِلَيْهِ، وقالَ: أعَلَيكَ أغارُ يا رَسولَ الله.

في الحَديثِ: فَضلُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعن أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: «أتى جبريل النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناءٌ فيه إدامٌ، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشَّرها ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب». [البخاري (١٧٩١، ١٧٩٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٣)]. تقدم الكلام عليه.

المبحث الرابع

بماذا تنال قصور الجنة

إنّ الحصول على بيتٍ في الجنّة من أعظم الغايات التي يسعى إليها المؤمن في حياته الدنيوية، ولقد عرّف النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعض أسباب بناء بيتٍ في الجنة، والأعمال التي تُوصل لتلك الغاية العظيمةولا شك أن كل غالي لا بد له من جهد ينال به.

قال الله تعالى للنبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الفرقان:١٠] .

وعن عبد الله بن قيس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «في الجنة خيمة من لؤلؤةٍ مُجوَّفةٍ عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن».[البخاري(٤٨٧٩)، مسلم(٢٨٣٨)]. وفي رواية لمسلم: «إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، طولُها في السماء ستون ميلاً».

ولا منافاة بين طولها وعرضها في الروايتين، فعرضها في مساحة أرضها ستون ميلاً، وطولها في السماء ستون ميلاً في العلو، فطولها وعرضها متساويان.

أعدَّ اللهُ تعالى لِعبادِه المؤمنينَ في الجنَّةِ ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ولا خطَرَ على قلبِ بَشَرٍ، وفي هذا الحديثِ صورةٌ مِنْ صُوَرِ نَعيمِ أهلِ الجنَّةِ، وهيَ أنَّ لِلمؤمنِ في الجنَّةِ خَيمةً مِن لؤلؤةٍ مُجوَّفَةٍ، أي: ما بداخلِها مثقوبٌ مفرَّغٌ، عرْضُها ستُّون ميلًا، في كلِّ ناحيةٍ منها أهلٌ لِلمؤمنِ السّاكنِ فيها لا يراهمُ الآخَرونَ؛ لِعظمِ سَعتِها، وللمؤمنِ فيها أيضًا جُنَّتانِ كُلُّ ما فيها مِن آنيةٍ وغيرِها مِنَ الفضَّةِ، وغيرُ ذلِك مِنَ الجنانِ، وما بين القومِ مِن أهلِ الجنَّةِ وبين

أنْ يَنظُروا إلى ربِّهم إلّا رداءُ الكِبْرِ على وَجهِه تعالى في جَنَّةِ عدْنٍ، وهو أعظمُ نعيمِ أهلِ الجنَّةِ عندما يكشِفُ الرَّحمنُ لهم عن وجهِه فيتمتَّعونَ بِلذَّةِ النَّظرِ إلى وجهِهِ الكريم وهذه القصور والدور والخيام والقباب العجيب الجميلة العظيمة الغالية التي لا نقد على معرفة الشيء القليل من وصفها وهيئتها وجمالها فهي قصور فارهة واسعه مريحة ينعم العبد ويسكن في البقاء فيها تنال بأسباب العمل الصالح والإيمان بالله تعالى ومن ضمن ذلك أعمال بينها نبينا عليه الصلاة والسلام منها:

بناء المساجد:

عن عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال :«من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة». [البخاري(٤٥٠)، مسلم(٥٣٣)].

في هذا الحديثِ أنَّ عثمانَ بنَ عفّان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمّا أراد هَدْمَ مسْجِدِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعادةَ بنائِه على وَجْهٍ أحسَنَ مِنْ بنائِه الأَوَّل؛ كَرِهَ النّاسُ ذلك؛ لِما فيه من تغييرِ بناءِ المسجِدِ عن هيئة بنيانِه في عهْدِ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلهذا أكْثَرَ النّاسُ القَوْلَ على عثمانَ. فقال لهم: إنِّي سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَن بنى مسجدًا يبتغي به وَجْهَ الله» أي: طَلَبًا لمرضاتِه تعالى لا رِياءً ولا سمعةً، «بنى اللهُ له مِثْلَه في الجنةِ»وقوله: «مِثْلَه» ليس المراد أنَّه على قَدْرِه، ولا على صِفَتِه في بنيانه، ولكنَّ المرادَ مِثْلُه في مسمّى البيتِ. وفي الحديثِ: أنَّ الإخلاصَ شَرْطٌ لحُصولِ الثَّوابِ في جميعِ الأعمالِ؛ فإن كان الباعِثُ على عَمَلِه ابتغاءَ وَجْهِ الله؛ حَصَلَ له هذا الأَجْرُ، وإن كان الباعِثُ عليه الرِّياءَ والسُّمعةَ أو المباهاةَ، فصاحِبُه مُتَعَرِّضٌ لِمَقْت الله وعقابِه، كسائِرِ مَن عَمِلَ شَيئًا من أعمالِ البرِّ؛ يريد به الدُّنيا؛ كَمَن صَلّى يُرائي، أو حَجَّ يُرائي، أو تَصَدَّقَ يرائي.

الجهاد في سبيل الله:

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾

تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ
ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الصف:١٠] .

عن فضالة بن عبيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « أنا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وأسلَمَ وهاجَرَ بِبَيتٍ في رَبَضِ الجنةِ، وبَيتٍ في وسَطِ الجنةِ وبَيتٍ في أعْلى غُرَفِ الجنةِ، وأنا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وأسْلَمَ وجاهَدَ في سَبيلِ اللهِ بِبيْتٍ في رَبَضِ الجنةِ، وبَيتٍ في وسَطِالجنةِ، وبَيتٍ في أعلى غُرَفِ الجنةِ، فَمَنْ فعلَ ذلِكَ لَمْ يَدَعْ لِلخَيرِ مَطْلَبًا، ولًا من الشَّرِّ مَهْرَبًا ، يَموتُ حيث شاءَ أنْ يَموتَ»[صحيح الجامع (١٤٦٥)].

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أنا زَعيمٌ- والزَّعيمُ الحَميلُ»- أي: ضامِنٌ وكَفيلٌ، وقيل: يُشبِهُ أنْ تكونَ هذه لَفظَةُ «الزَّعيمُ الحَميلُ» مُدْرَجةً مِن أحَدِ الرُّواةِ. قال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لِمن آمَن بي»، أي: برِسالتي، «وأَسلَم»،أي: دخَل في الإسلامِ وأدّى حقَّه، وفعَل ما يَجِبُ عليه كما أمَرَه اللهُ؛ فأطاعَ اللهَ ورسولَه، وفعَلَ الأوامرَ وانتَهى عن النَّواهِي، وحَفِظَ حدودَ اللهِ،«وهاجَر»، أي: إلى المدينةِ زَمانَ الهجرةِ، أو هاجَر إلى اللهِ وهَجَر ما نَهى اللهُ عنه،«ببَيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ»، أي: فيما حولَها خارِجًا عنها، تَشبيهًا بالأبنيَةِ الَّتي تكونُ حولَ المدنِ، قيل: المرادُ هنا ما حولَ الجنَّةِ الدّاخليُّ، لا الخارجيُّ؛ لأنَّ أهلَ الجنَّةِ لا يكونون خارجَها، «وببيتٍ في وسَطِ الجنَّةِ»، أي: وأنا زَعيمٌ لِمَن آمَن بي وأسلَم، وجاهَد في سَبيلِ اللهِ، ببيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ، وببيتٍ في وسَطِ الجنَّةِ،«وببَيتٍ في أَعلى غُرَفِ الجنَّةِ»، أي: في عالِيَتِها؛ «مَن فعَل ذلك»، أي: آمَنَ بالنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلَمَ وجاهَد، «فلَم يدَعْ»،أي: لَم يَترُكْ،«للخيرِ مَطلبًا»، أي: إلّا قصَدَه وحضَرَه ونال منه؛ وهذا كِنايةٌ عن لُزومِ الطّاعاتِ والقُرباتِ، «ولا مِن الشَّرِّ مَهربًا» أي: إلّا ابتعَد عنه وفَرَّ منه؛ وهذا كِنايةٌ عن تَركِ المعاصي، «يموتُ حيثُ شاء أنْ يموتَ»،أي: فإنْ مات في أيِّ مَوضِعٍ كان؛ فإنَّ له ما ذُكِر مِن غُرَفِ الجنَّةِ، بالْتِزامِه ما سبَق.

زيارة المسلم للمسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:«إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، أَوْ زَارَهُ قَالَ اللَّهُ تبَارَكَ وَتعالى -: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتبَوَّأْتَ مَنْزِلاً فِي الْجَنَّةِ». [البخاري (٤٣٩)].

حرَص الإسلامُ على كلِّ ما يُعضِّدُ الصِّلةَ الطيِّبةِ بينَ النّاسِ؛ فحَثَّ على التَّوادُدِ والتَّآخي والتَّراحُمِ، وجعَل الأجْرَ الجزيلَ لزِيارةِ المريضِ أو الأخِ في اللهِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ الرَّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن عاد»، أي: مَن زار،«مريضًا، أو زار أخًا له في اللهِ»،أي: ففعَل أيًّا مِن ذلك مُحتسِبًا لوجهِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،ابتِغاءَ مَثوبةٍ مِنه لا لِدُنيا، «ناداه مُنادٍ»، أي: ملَكٌ مِن الملائكةِ: «أنْ طِبْتَ وطاب مَمْشاك»، أي: دعا له بذلك، ومَعْناها: أن طاب عيشُك في الدُّنيا والآخِرَةِ، وطاب مَشيُك إلى تلك الزِّيارةِ؛ فهو مشيٌ إلى الآخِرَةِ؛ لِما يَنالُه به من أجرٍ، «وتبَوَّأْتَ مِن الجنَّةِ مَنزِلًا»، أي: اتَّخذتَ مَكانًا، وتَهيَّأ لك في الجنَّةِ مَنزِلٌ مِن مَنازِلِها العاليةِ، ودرَجاتِها الرَّفيعةِ. وفي الحديثِ: الحثُّ على عِيادةِ المرضى، وتَزاوُرِ الإخوةِ في اللهِ.

صلاة الضحى :

عَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :«مَنْ صَلَّى الضُّحَى أَرْبَعاً وَقَبْلَ الأولَى- أي: الظهر- أَرْبَعاً بُنِىَ لَهُ بِهَا بَيت فِي الْجَنَّة». [صحيح الجامع (٦٣٤٠)، الصحيحة (٢٣٤٩)].

سد الفرج في الصلاة :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :« مَنْ سَدَّ فُرْجَة ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيتاً فِي الْجَنَّة وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَة». [الصحيحة (١٨٩٢)].

علَّم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّته أحكامَ صَلاةِ الجماعةِ، ومِن ذلِك الأمرُ بإتمامِ الصُّفوفِ،

والوُقوفِ في الصَّفِّ الأوَّلِ وإتمامِه، ثمَّ الصَّفِّ الثّاني، وهكذا، إلى أنْ تتِمَّ جميعُ الصُّفوفِ ويَتراصَّ النّاسُ فيها.

وفي هذا الحديثِ تُخْبِرُ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ومَن سَدَّ فُرْجَةً رفعَه اللهُ بها دَرجةً» أي: مَن سَدَّ فَراغًا بين المُصلِّينَ في الصَّفِّ؛ وذلك بأنْ يَنضَمَّ إلى الفَراغِ ويسُدَّه، جازاه اللهُ بأنْ يرفَعَ دَرجتَه في الجنَّةِ، ومِن حِكَمِ سَدِّ الفُرَجِ والفَجواتِ: ألّا يدخُلَ الشَّيطانُ بين المُصلِّينَ.

وفي الحديثِ: الحَثُّ على إقامةِ الصُّفوفِ وتسويتِها وإتمامِها وسَدِّ خَلَلِها وإتمامِ الصُّفوفِ.

ترك المراء والكذب مع ملازمة حسن الخلق:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبِضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقاً، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حسن خُلُقَهُ» [سُنن أبي داود(٤٨٠٠) حسنه الالباني].

حُسنُ الخلقِ يَرقى بِصاحِبه إلى أعلى المراتبِ في الدُّنيا والآخِرةِ، وفي هذا المعنى يقولُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا زَعِيمٌ»أي: ضامِنٌ وكفيلٌ «بِبَيتٍ» أي :قَصرٍ «في رَبَضِ الجنَّةِ» أي: نواحِيها وأطرافِها «لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ» أي:الجِدالَ «وإن كانَ مُحِقًّا» أي: فِيما يقولُ وهذا لِما فيهِ من الحِفاظِ على النفوسِ وما يَتسبَّبُ فيهِ المراءُ من خِلافٍ وشَقٍّ للصفوفِ. «وبِبَيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لِمَن تركَ الكَذِبَ»، والكذبُ هو الإخْبارُ بِخلافِ الواقعِ، «وإنْ كانَ مازِحًا»، أي: هازِلًا لا يقصدُ الجِدَّ. «وبِبَيتٍ في أعلى الجنَّةِ»، وهي أعلى الدَّرَجاتِ، «لِمَن حسَّنَ خُلقَه»، أي: للذي يُحسن خُلقَه مع اللهِ عَزَّوَجَلَّ بالرِّضا بقضاءِ اللهِ وقَدرِه، والصَّبرِ والحمدِ عندَ البَلاءِ، والشُّكرِ له عندَ النِّعمةِ والعطاءِ، ويكونُ حَسَنَ الخُلقِ مع الناسِ بكفِّ الأذى عنهم، وبَذْلِ العطاءِ لهم، وطلاقةِ الوَجهِ مع الصَّبرِ على آذاهم.

من مات له ولد فصبر:

عن أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إذا مات ولدُ العبدِ قال الله لملائكته: قبضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرةَ فؤاده فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول اللهُ: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنةِ وسموه: بيتَ الحمدِ». [الترمذي(١٠٢١) وصححه العلامة الألباني].

الصَّبرُ ضِياءٌ؛ يُضيءُ للإنسانِ الظُّلماتِ، ويُهوِّن عليه الشدائدَ والكُرباتِ، ويَهديه إلى طَريقِ الحَقِّ، وللصَّبرِ فضلٌ كبيرٌ، وهو مِن أهمِّ الأخلاقِ الَّتي يَنبغي للمُسلِمِ أنْ يتَّصِفَ بها، وهو على ثَلاثةِ أنواعٍ: صَبرٌ على طاعةِ اللهِ، وصبرٌ عن مَعاصِي اللهِ، وصبرٌ على الأقدارِ والأقضيَةِ. وفي هذا الحَديثِ بَيانٌ لأَجرِ بعض مَن يُصابُ ببعضِ المصائبِ فيَصبِرُ ويَحمَدُ اللهَ تعالى، حيثُ يقولُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مات»، أي: إذا انقضى أجلُ وحياةُ «ولَدِ العبدِ» المؤمِنِ، «قال اللهُ»، وهو أعلمُ، «لملائكتِه»الموكَّلين بقَبْضِ الأرواحِ، وهو مَلَكُ الموتِ وأعوانُه، «قبَضْتُم ولَدِ عبدي؟» على تقديرِ الاستفهامِ، أي: هل قبَضْتُم رُوحَ ولَدِ عبدي المؤمِنِ؟ «فيقولون»، أي: الملائكةُ الموكَّلون بقَبْضِ الأرواحِ: «نَعَم» قبَضْنا رُوحَ ولَدِ عبدِك المؤمِنِ يا ربَّنا، «فيقولُ» اللهُ تعالى للملائكةِ مرَّةً ثانيةً، إظهارًا لكمالِ رحمةِ الوالدِ بولَدِه، «قبَضْتُم ثمرةَ فؤادِه»، وسُمِّي الولَدُ ثمرةَ الفؤادِ كثمرةِ الشَّجرةِ؛ لأنَّه نتيجةٌ للأبِ وثمرتُه، «فيقولون»، أي: الملائكةُ الموكَّلون بقَبْضِ الأرواحِ: «نَعَم» قبَضْنا ثمَرةَ فؤادِ عبدِك، «فيقولُ» اللهُ تعالى وهو أعلمُ: «ماذا قال عبْدي؟»، أي: ما كان ردُّ فعلِه وقولُه نتيجةَ هذه المصيبةِ، وهي موتُ ولدِه وثمرةِ فؤادِه؟ «فيقولون»، أي: الملائكةُ الموكَّلون بقَبْضِ الأرواحِ: «حَمِدَك» عبدُك، أي: قال: الحَمدُ للهِ، «واسترجَع»، أي: قال: إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعون؛ فصَبَرَ على هذه المصيبةِ وهذا البلاءِ مُؤمِنًا بالقَدرِ، «فيقولُ اللهُ» لملائكتِه: «ابنُوا لعبدي» المؤمنِ الَّذي حَمِدَني عند المصيبةِ واسترجَع، «بيتًا في

الجنَّةِ» يَدخُلُه في الآخرةِ، «وسَمُّوه»، أي: هذا البيتَ، «بيتَ الحمدِ»؛ لأنَّه جزاءُ ذلك الحمدِ والصَّبرِ على المصيبةِ، وعدمِ تَشَكِّيه .

من صلى اثني عشر ركعة غير الفريضة:

عن أمِّ حبيبة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زوج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنها قالت: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «ما من مسلم يصلي لله كلَّ يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلاَّ بنى الله له بيتاً في الجنة، أو إلاّ بُني له بيتٌ في الجنة» [مسلم(٧٢٨)].

وفي رواية: «ما من عبدٍ مسلمٍ يصلِّي للهِ تعالى في كلِّ يومٍ ثِنْتي عشرةَ ركعةً تطوُّعًا غيرَ فريضةٍ إلا بنى اللهُ تعالى له بيتًا في الجنَّةِ، أو: إلا بُنِيَ له بيتٌ في الجنَّةِ:أربعًا قبلَ الظهرِ، وركعتَين بعدَها، وركعتَين بعد المغربِ، وركعتَين بعد العشاءِ، وركعتَين قبلَ صلاةِ الغَداةِ». [الترمذي (٤١٥)، والنسائي (١٨٠٣)وغيرهما وصححه العلامة الألباني] .

الحِفاظُ على أداءِ النَّوافلِ من القُرُباتِ التي يُحبُّها اللهُ تعالى، وقد بيَّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المواظبةَ عليها تغفِرُ السَّيِّئاتِ، وترفَعُ الدَّرجاتِ. وفي هذا الحديثِ تخبر عائِشةُ I أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن ثابَرَ» ثابَرَ مِن المُثابرةِ، أي: المجاهدةِ والصَّبرِ، والمقصودُ: أيُّما عبدٍ جاهَد نفْسَه وحرَص وداوَم وواظَب «على ثِنْتَيْ عَشْرةَ ركعةً مِن السُّنَّةِ»، أي: مِن النَّوافلِ والتَّطوُّعِ غيرِ الفريضةِ، «بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّة»، أي: كان جزاؤُه أن يبنيَ اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ، «أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظُّهرِوركعتَينِ بعدَها، وركعتينِ بعد المغربِ، وركعتينِ بعد العِشاءِ، وركعتينِ قبلَ الفجرِ»، وهذا تفصيلٌ لقولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثِنْتَيْ عَشْرةَ ركعةً». وفي الحديثِ: بيانُ الأجْرِ العَظيمِ للمحافظةِ على هذِه النوافلِ، وهو منوطٌ بالمواظبةِ عليها لا بأنْ يُصلِّيَ يومًا دون يوم

قيام الليل والصيام وطيب الكلام وإطعام الطعام:

عن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إنَّ في

الجنَّةِ غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنِها وباطنُها من ظاهرِها فقال أبو مالكٍ الأشعريّ: لِمَن هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: لِمَن أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطَّعامَ، وبات قائمًا والنّاسُ نيامٌ».[صحيح الترغيب (٣٧١٧)].

الجنَّةُ هي أسْمى ما يَطلُبُ المُسلِمُ من ربِّه عَزَّوَجَلَّ؛ فدُخولُها هو الفَوْزُ المُبينُ؛ لذلك كان النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا ما يُرغِّبُ أصْحابَه فيها، ويَصِفُها لهم، ويُوضِّحُ لهم بعْضَ نَعيمِها حتى يَجْتَهِدوا في الظَّفَرِ بها.

فقال الصحابيُّ الجليلُ أبو مالِكٍ الأشْعريُّ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟»، أي: لِمَنْ تلك الغُرَفُ التي يُرى ظُهورُها من بُطونِها، وبُطونُها من ظُهورِها؟.

والتَّقْديرُ: ما هي الأعْمالُ التي إذا أتى بها صاحِبُها في الدُّنْيا ظَفر وفازَ بها في الآخِرَةِ؟ فقال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هي لِمَن أطابَ الكلامَ»، أي: لِمَن تكلَّم بطِيبِ الكَلامِ، وتَرَكَ قَبيحَه وشَرَّه، وهذه كِنايَةٌ عن حُسْنِ الخُلُقِ، «وأَطْعَمَ الطَّعامَ»، أي: وأَطْعَمَ الجَوْعى من الفُقراءِ والمَساكينِ، وهذه كِنايَةٌ عن الصَّدَقةِ والإنْفاقِ، «وباتَ قائِمًا والناسُ نيامٌ»، أي: وحافَظَ على قِيامِ اللَّيلِ والتَّهجُّدِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، والناسُ في غَفْلَةٍ نائِمونَ. وفي الحديثِ: أنَّ الحِرْصَ على العِباداتِ، والزيادَةَ فيها سَبَبٌ لنَيْلِ الدَّرَجاتِ العُلْيا في الجنَّةِ.

سبحانك اللهم وبحمد لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

فهرس

من أحدث اصدارات دار الإيمان

ذَوْقِيَّاتٌ

مَعًا لِنَرْتَقِ بِأَخْلَاقِنَا

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القمة
الإسكندرية

من أحدث اصدارات دار الإيمان

فوائد
مدارج السالكين
بين منازل
إياك نعبد وإياك نستعين

للإمام العلامة ابن قيم الجوزية

تأليف

أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه

دار الإيمان
الإسكندرية

دار القمة
الإسكندرية